العدد ١٠

منبر الإسلام

السنة ٢٨ • شوال ١٣٩٠ • ديسمبر ١٩٧٠

ثمن ١٠ قروش

مع العدد هديتان :

- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- الفردوس : مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها
المجلس
الأعلى
للشئون
الإسلامية
في غرة كل
شهر عربي

العدد العاشر • السنة ٢٨ • شوال ١٣٩٠

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

صدق الله العظيم

من محتويات العدد

- نص خطاب السيد الرئيس انور السادات الى اعضاء المؤتمر القومى ١٢/١١/١٩٧٠ .
- نص خطاب السيد الرئيس انور السادات فى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة ١٩/١١/١٩٧٠
- رسالة عبد الناصر : السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
- حديث مع سفير نيجيريا بالقاهرة
- تفسير سورة الغاشية
  الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
  فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- معانى السماء فى القرآن الكريم
  الدكتور احمد الحوفى
- من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها
  فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية
- الطريق الى الله
  الاستاذ احمد زين
- من قصص السنة
  فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم
- حق الله والمجتمع فى المال
  الاستاذ عبد المنعم مغربى
- دقة التشبيه فى البيان النبوى
  الدكتور عز الدين على السيد
- حديث العيد
  الدكتور على حسن عبد القادر
- عيد الفطر
  الدكتور مصطفى الرافعى
- جلال الذكرى فى جلال العيد
  فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى
- ان اكرمكم عند الله اتقاكم
  فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان
- مظاهر العيد فى مصر الاسلامية
  الدكتوره سعاد ماهر
- دلائل الحق فى عظمة الوجود
  الدكتور عزت محمد خيرى
- وفى انفسكم افلا تبصرون
  الدكتور عبد الحليم كامل
- قصة العدد [الساعات الاخيرة]
  الاستاذ حسين الطوخى

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان

٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة

ت ٢٨١٥٦

صورة الغلاف

مسجد سيدى أبى العباس المرسى

« اللهم ارض عن الانصار • فانى عنهم راض » هذا دعاء صدر من النبى صلى الله عليه وسلم لاهل وطنه الثانى • وهم الانصار الذين جعل النبى صلى الله عليه وسلم حبهم من الايمان لانهم أحبوا الله ورسوله ودافعوا عن دين الله حتى ارتفعت رايته خفاقة فى ربوع الدنيا •

وشيخنا الامام قطب العارفين شهاب الدين ابو العباس أحمد بن عمر المرسى رضى الله عنه الذى تنعم ببركاته فى هذا الشهر انه من هذه السلالة الطيبة الطاهرة المحبة لله ورسوله •• اذ أن جده الاكبر هو سيدنا سعد بن عبادة الانصارى سيد الخزرج الذى تشرف بصحبة ومساعدة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

● **مولـــده ونشأته**

ولد سيدى أبو العباس المرسى بالاندلس فى بلدة [مرسيه] التى ينسب اليها ـ سنة ٦١٦ هـ ـ ١٢١٩ م •

وكان والده تاجرا بها وكان ذا يسار فارسل ابنه الى مؤدب ليتعلم القرآن الكريم ويتفقه فى امور الدين ، وقد ظهر نبوغه وذكاؤه وصلاحه منذ الصغر : يقول أبو العباس : كنت وأنا صبى عند المؤدب ، جاء رجل فوجدنى أكتب فى لوح فقال : الصوفى لا يسود بياضا • فقلت : ليس الامر كما زعمت • ولكنه لا يسود الصحائف بسود الذنوب •

نشأ سيدى ابو العباس على الصلاح والتقوى ، ولما صار شابا وبلغ حدا يستطيع معه أن يستقل بنفسه فى التفقه والدراسة صار يعاون والده فى أعماله التجارية • فكان مثالا طيبا للتاجر الامين الصدوق •

وفى سنة ٦٤٠ هـ ـ ١٢٤٢ م قرر الوالد أصطحاب أسرته لاداء فريضة الحج وركبوا البحر • ولكن لحكمة أرادها الله هبت عليهم عواصف قوية بالقرب من شاطىء (مونة) فاستشهد والده ووالدته غرقا ، ونجا هو وأخوه محمد ، فيمما شطر (تونس) ولم يكملا الرحلة •• وهناك اشتغل محمد بالتجارة ، أما سيدى أحمد فتاقت نفسه الى مهنة المؤدب • انه يريد أن يعلم القرآن ، ويعيش فى أنوار القرآن فاتخذ من زاوية الفقيه (محرز بن خلف) مدرسة يعلم فيها القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادىء الديـن الحنيف • وكأن الله جلت قدرته ساقه الى تونس ليكون داعية من أكبر الدعاة ، وليكون قطبا من أكبر الاقطاب ، وليكون ثانى خلفاء الطريقة الشاذلية وامتدادا لسيدى أبى الحسن الشاذلى •

فهناك اتصل بالشاذلى بعد أن رآه فى المنام ولقد رأى فيه الشاذلى استعدادا طيبا ، ونفسا خيرة ، وخلقا قويما ، فأحبه وصادقة ، وخصه بالعناية وأخذ يربيه تربية تجعله أهلا ليكون خليفة له من بعده •

وارتحل الشاذلى من تونس الى الديار المصرية ، ورافقه فى سفره هذا جماعة من كبار مريديه وعلى رأسهم أبو العباس المرسى •• ونزلوا فى الاسكندرية ، فاستقبلهم أهل مصر استقبالا رائعا ، وظل سيدى الشاذلى يدعو الى الله ويعلم الى أن اختاره الله الى جواره وفى ذلك اليوم الذى انتقل فيه الشاذلى الى ربه جمع أصحابه وقال لهم : **« اذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى فانه الخليفة من بعدى ، وسيكون له بينكم مقام عظيم ، وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى » •**

وظل أبو العباس يعلم القرآن الكريم ويفقه الناس فى الدين ، ويرشدهم الى طريق الله عز وجل فى مدرسته التى كان مقرها **(جامع العطارين)** بالاسكندرية • باذلا جهده وكل ما يستطيع •

● **لمحات سريعة من حياته**

كان سيدى ابو العباس المرسى من كبار المربين ، ولقد شهد بذلك أستاذه الشاذلى حينما قال لزكى الدين الاسوانى : **يا زكى عليك بأبى العباس المرسى فوالله انه ليأتيه البدوى لايعرف شيئا من امور دينه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله بالله عز وجل •**

أما عن علمه فيقول تلميذه ابن عطاء الله : لا تتحدث معه فى علم من العلوم الاتحدث معك فيه **حتى يقول السامع انه لا يحسن غير هذا العلم • لاسيما الحديث والتفسير ،**

وسيدى أبو العباس نفسه يقول : **شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكانت له كتب يداوم على مذاكرتها وتدريسها •**

وهى ، المصابيح ، والمحـرر الوجيز ، والرسـالـة ، والتهذيب ، والرسالة القشيرية ، واحياء علوم الدين ، وقوت القلوب ، وختم الاولياء ، وكتاب الارشاد وهو يحتوى على التوحيد والجدل ويصـعـب على كثير من المثقفين تناوله •

ولقد برز سيدى أبو العباس فى اللغة العربية وعلومهاوآدابها لانها الوسيلةللعلوم الاخرى كما انه

مسجد سيدى ابى العباس المرسى بالاسكندرية

كان شاعرا مجيدا ولكن شعره كان تحليقا فى سماء الروح .

من ذلك ما كتبه الى أبى عبد الله جمال الدين يحثه على التمسك بالفضائل فقال :

واذا أردت من السلوك أجله
فالزهد فى الدنيا مع السمت الحسن
واعبد الهك حيث كنت على الرضا
تحظى بما قد ناله أهل المنن

● **من أقــوالـه**

« لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو حجبت عنه طرفة عين ما أعددت نفسى من جملة المسلمين

وكانت لشيخنا أحزاب واوراد يداوم على قراءتها ، وان المقام ليضيق عن ذكرها

● **ومن أدعيته**

اللهم اغفر لى : واسترنى ولا تفضحنى فى الدنيا والاخـرة ، وعلمنـى وذكرنـى ، وفهمنـى وارضنى ،وفرحنى ، وبرنى ، وفرغنى من كل شىء الا من ذكرك وطاعتك وطاعه رسولك صلى الله عليه وسلم .

ومن دعائه عقب كلامه : اللهم كن بنا رءوفا وعلينا عطوفا ، وخذ بايدينا اليك أخذ الكرام عليك . اللهم قومنا اذا اعوججنا واعنا اذا استقمنا . وخذ بايدينا اذا عثرنا ، وكن لنا حيثما كنا .

الضريح والمسجد

توفى سيدى أبو العباس المرسى فى ٢٥ من ذى القعدة ٦٨٥ هـ ـ ١٢٨٧ م ودفن فى الاسكندرية بمقبرة باب البحر الى أن كانت سنة ٧٠٦ هـ بنى عليه مسجد وظل فى التطور الى وقتنا هذا .

والمسجد الحالى على رقعة كبيرة من الارض ، وكان يشغل جزءا منها مسجد صغير أنشىء فى حياة سيدى أبى العباس .

وفى سنة ١١٨٩ هـ ـ ١٧٧٥ م زار ضريح أبى العباس أحد سراة المغاربة ورأى ضيق المسجد وتصدع بنائه فعمل على اصلاح رقعته من ناحية القبلة ومن جهة المقصورة

ثم أقيم مشروع (بعد فترة) لميدان فسيح الجنبات مساحته ٤٣٢٠٠ م مربع يسمى ميدان المساجد . وهذا المسجد الكبير والخمسة المساجد المحيطة به وأهمها مسجد البوصيرى وياقوت العرش تنظم هذا الميدان .

ثم قامت وزارة الاوقاف بعد ذلك بمشروع لتجديد المسجد بمراعاة بقاء الضريح فى موضعه وتوسيع رقعته من الارض التى حوله والعناية بتشييده باعتبار كونه حرما للعاصمة الثانية لمصر ، وحتى يضارع فى فخامته وجلال عمارته أكبر مساجد الشرق وأفخمها .

وبلغت مساحة المسجد ٣٠٠٠ م مربع ، وقد وضع تصميم هذا المشروع بحيث يكون مثمـن الشكل ، منتظما من الداخل ، طول كل ضلع من أضلاعه ٢٢ مترا ، وتقـع المئذنة بالضـلع القبـلى ، وله بابان رئيسيان ، يقع البحرى منها على الميدان ، ويقع الشرقى منها على الميدان أيضا ، وتقع مرافق المسجد فى الضلع الغربى ولها باب خاص على الميدان .

وخصصت الاضلاع الاربعة الباقية من الشـكل المثمن لتكون بجانبها أضرحه أربعة أحدها ضريح العارف بالله سيدى أبى العباس المرسى . والثلاثة الاخرى لتلاميذه وأتباعه الذين عرفت مقابرهم فى هذه البقعة .

ويبلغ ارتفاع حوائط المسجد ٢٣ م ، وارتفاع منارته عن سطح الارض ٧٣ م . وقد جعلت أعمدة المسجد من حجر الجرانيت المستورد من محاجر [بالينو] بايطاليا ، ويتكون كل عمـود من قطعة واحدة مع قاعدته وتاجه ، وهو على شكل مثمن قطره ـ ٨٥ سم ـ وارتفاعه ٨٫٦ م ويبلغ ارتفاع سقف المسجد من الداخل ١٧٫٢ م ، وتتوسطه شخشيخة ترتفع ٢٤ م عن مستوى أرض المسجد ، ويحيـط بالشخشيخة أربع قباب موضوعة فوق الاضرحة الاربعة التى بجوانب المسجد . ويبلغ قطر كل قبة ٥ أمتار .

وحوائط المسجد من الخـارج مكسوة بالاحجار الصناعية ، وسلالم المداخل من الجرانيب المصرى . أما أرضيات المسجد فمن الرخام الابيض ، والجزء السفلى من الحوائط من الداخل مغطى بالموزايكو . أما الجزء العلوى منها فمكسو بالحجر الصناعى ، وقد نقشت الاسقف بزخارف عربية . كما صنعت أبواب المسجد ونوافذه ومنبره من أخشاب التك والليمون والجوز بتعاشيق وحليات دقيقة الصنع .

ولقد أدخل على المسجد تعديل جعل فيه مكانا للسيدات تقمن فيه الشعائر الدينية له باب خاص .

وبعد هذه الرحلة الروحية الطيبة أورد ما قاله أحد المؤرخين القدامى قال : حدثنى قاضى القضاة بالاسكندرية قال : قبر سيدى أبى العباس عندنا ترياق مجرب ، ما قصد الله عنده أحد فى شىء الا استجاب الله له .

معالم الطريق

نص خطاب السيد الرئيس

أنور السادات

إلى أعضاء المؤتمر القومى العام

١٢ نوفمبر ١٩٧٠

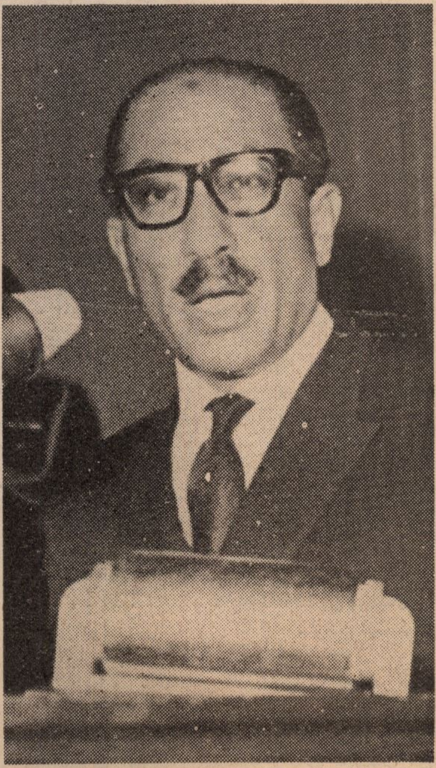

فى خطاب سياسى هام استغرق اكثر من ساعة قدم الرئيس أنور السادات الى أعضاء المؤتمر القومى العام فى بداية انعقاد دورته الخامسة أمس تقريرا تفصيليا ووافيا عن تطورات الاحداث خلال الفترة التى مضت منذ انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر فى ٢٣ يوليو الماضى حتى اليوم .

بسم الله ...

نعود أيها الاخوة لاستئناف اجتماعنا

أيها الاخوة المواطنون أعضاء المؤتمر القومى

ليس أمامى ما أتوجه به اليكم ردا على الثقة الغالية التى أوليتمونى أياها بانتخابى رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى الا ما تعهدت به من قبل وهو أن أعطى كل جهدى وكل اخلاصى بل كل مافى نفسى، فى حياتى لاستكمال المسيرة التى قادها جمال عبد الناصر على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة

وانى لارجو أن أجد فى ذلك كل العون من مؤتمركم الذى هو أعلى سلطة سياسية فى البلاد . ذلك أن العبء كبير والمسئولية ضخمة والظرف ظرف مصيرى فى حياتنا وهو يحتاج الى ايمان وفكر وعمل كل مواطن منا يعيش على هذا التراب العربى المقدس كل مواطن يدين بالولاء له الى حد الفداء ويعطى الوطن القلب كله حتى آخر خفقة فيه .. ذلك هو المثل الاعلى الذى قدمه لنا جمال عبد الناصر ...

اننى ـ أيها الاخوة ـ لم يخطر ببالى قط أننى سوف أجلس يوما على مقعده لقد كنت طول عمرى مؤمنا به زعيما ومعلما وكنت أعتقد دائما أن يومى

سوف يجيء قبل يومه وفى مرات كثيرة وأنا معه نفكر فى مستقبل هذه الامة بعد جيلنا كنت أقول له أنك جعلت مهمة من سوف يلى المسئولية بعدك مهمة مستحيلة لانك أنجزت أكثر مما يحلم أى انسان أن ينجز ولانك دخلت فى الضمير القومى لامتنا بما لا يترك مجالا لغيرك - كما أن الناس لن يكفوا عن المقارنة : كنت معه أرثى لحال ذلك الذى سوف يجلس على مقعده بعده . ولم يخطر ببالى قط أن الاقدار سوف تداهمنى بهذا الامتحان الرهيب لكن الله سبحانه وتعالى يشاء وليس أمامنا الا أن نرضى بمشيئته .

لقد كنت خلال أيام عصيبة موزعا بين الحزن عليه والاشفاق على النفس ولم يكن يخفف مابى غير ادراكى بأن شعبنا وأمتنا العربية أمام موقف لا تستطيع فيه أن تتراجع والا حكمت على نفسها الى الابد ..

كان لابد للامة أن تقدم وأن تتقدم تكريما لحقها واكراما لذكراه ، لانه كان لابد للامة أن تنتصر تأكيدا لارادتها .. وتأكيدا لصدق رؤيته ...

وقد خطت الامة خطوتها الاولى على الطريق بعده بشجاعة نادرة ، شهد بها العدو قبل الصديق ، وأدرك منها الجميع بغير استثناء أن الامة العربية الحزينة قادرة على الصبر ، وأن الامة الصابرة قادرة على الصمود .... وأن الامة الصامدة قادرة بعون الله على النصر ..

شعبنا رفع العلم

ولابد أن نذكر الفضل لاصحابه .. لقد سطر الشعب المصرى وسط آلامه وجراحه شرفا حقيقيا لتاريخه الطويل الحافل والمجيد ، لم يترك العلم يسقط بعد القائد .. وانما رفع العلم وثار ، والامة العربية كانت وسط حزنها سندا كبيرا .. لم يكن ذلك من عطف على شعب فقد قائده ولكن عن ادراك صميم لحقيقة الدور الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة فى الطليعة من النضال العربى .. ان الشعوب المحبة للسلام كلها ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى لم تكتف بتقديم واجب العزاء ، وانما وقفت معنا باخلاص الصديق .. ولابد أيها الاخوة من لفتة بالتقدير الى الدور الذى قامت به لجنتكم المركزية ومجلس الامة، فقد كانت حركتها السريعة فى المجال السياسى والدستور عاملا هاما فى مواجهة ماوجدناه أمامنا من تبعات الانتقال .

أيها الاخوة

لقد وقعت حوادث جسام منذ التقينا فى هذه القاعة آخر مرة يوم ٢٣ يوليو الماضى ، وبغير شك فلقد كان رحيل القائد هو الذروة بين هذه الاحداث الجسام ، وتذكرون أيها الاخوة بالتأكيد خطابه أمامكم هنا ، وقد كان بداية مرحلة بالغة الاهمية من حياتنا ، وهى مرحلة مازلنا فيها حتى الان ..

أمامكم هنا - أيها الاخوة - أعلن أنه نضال بكل طاقاتنا وعلى جميع الجبهات وأمامكم هنا أعلن أننا نتحرك كما نشاء فى العمل السياسى على أن ندرك بيقين أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغيرها .

وأمامكم هنا أعلن أن الحرب على الجبهة المصرية حرب من نوع جديد تجرى تجربته لاول مرة فى التاريخ وهو الحرب الالكترونية .

وأمامكم هنا أعلن أننا وافقنا على المبادرة الامريكية . ولكن هل تستطيع أمريكا أن تمنع تدفق الاسلحة على اسرائيل وهل نستطيع ارغامها على قبول الانسحاب .

وأمامكم هنا اعلن أن هناك عاملين كبيرين لهما الاهمية الكبرى فى تغيير الموقف وهما تزايد قواتنا فى الردع ثم تزايد الدعم السوفيتى لنا .

وتذكرون - أيها الاخوة - انه عاد اليكم فى اليوم التالى لمناقشة مفتوحة معكم بدا فيها من اسئلتكم حرصكم الشديد على الالتزام القومى العربى لمصر . فان اسئلتكم لم تكن تتوقف أمام مصالحكم الوطنية فقط وانما كانت تمتد لتشمل سلامة أمتنا كلها .

وتذكرون - أيها الاخوة - تأكيداته بالحرص على حقوق الشعب الفلسطينى وحمايته للمقاومة الفلسطينية واعلانه المؤمن حين قال : « ان الدعايات ضدنا مستمرة ولكن جماهير الامة العربية تعرف الفارق بين الذين يطلقون الشعارات وبين الذين يقاتلون كما أنها تعرف من هم الامناء على مصالحها الحقيقية ومن هم الذين يزايدون وان الامر ليس أمر شعبية اى فرد ولكنه أمر المصالح العملية لامة عربية مصممة على حقوقها ثابتة على ارادتها لا يملك أحد فيها أن يتنازل عن أرض أو عن حق .

كانت هذه كلماته أمامكم . ولكن الله سبحانه وتعالى كان كاشفا فيها ببصيرته المؤمنة الى جانب بصره الثاقب .

سعيا الى السلام

أن ما حدث فعلا بعد ذلك - أيها الاخوة - كان مصداقا لما رأى بالبصيرة والبصر .

بعد المؤتمر خاض حملة ضد التشكيك والمزايدة وقف فيها حاسما حازما مرفوع الرأس بيقين المؤمنين . دخل هذه المعركة زعيمنا الراحل بعد أن انتهى مؤتمركم مباشرة . وكلنا يعلم حملة التشكيك وحملة المزايدة التى قامت بها بعض الانظمة فى عالمنا . العربى .

ولكن الزعيم الراحل - وكما قال أمامكم هنا : المسألة ماهياش مسألة شعبية فرد بيحرص عليها وانما مصالح أمة بأكملها لازم توضع فى الحسبان وتوضع فى التقدير .

دخل المعركة على أساس أن كل فرصة يمكن أن يتحقق من خلالها السلام لا يجب أبدا أن نضيعها . وكانت المبادرة الامريكية زى ما أنتم عارفين ليست الا ترجمة لقرار مجلس الامن .

ونحن قبلنا بقرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ .

تصدى لكل تلك الحملات والمزايدات فى نفس ذلك الوقت انتهزت اسرائيل الفرصة وبدأت تنسحب من

اعضاء المؤتمر القومى يرفعون أيديهم معلنين موافقتهم بالاجماع على انتخاب الرئيس انور السادات رئيسا للاتحاد الاشتراكى .

المبادرة الامريكية وبدأت دعواها بالشكاوى ضد تركيب الصواريخ فى الجبهة وبدأت حملة تركيز لكى تضغط بكل ما تستطيع من مراكز الضغوط والقوى داخل الولايات المتحدة علشان تنضم لها فى عملية نسف المبادرة الامريكية .

وفى الاول سكتت أمريكا شوية وظننا احنا أنها واخدة الامور من زاوية الحقيقة ومن زاوية السلام فاعتقد نا أن هذا الامر من جانب أمريكا لابد وأنه حايكون له رد فعل بمعنى انه تضغط على اسرائيل عشان تبعت مندوبيها وينفذوا ما جاء فى المبادرة الامريكية .

وفى هذه الاثناء حصل اتصال بمندوب أمريكا هنا عشان الدعاوى الكاذبة اللى بتقولها اسرائيل وارسلت بيانات كاملة تثبت بما لايدع مجالا للشك كذب الادعاءات الاسرائيلية لانه فيه مواقع من المواقع اللى ذكرتها اسرائيل فى شكاواها للامم المتحدة ليست موجودة على الخريطة على الاطلاق .

وانتظرنا ييجى رد من أمريكا لان دى مسائل مافيهاش شك ومافيهاش جدل بدل ما ييجى الرد من أمريكا بدأت حملة ضغط مسعورة من أمريكا على مختلف المستويات كلها تتهم فيها اسرائيل فى أن مصر خرقت وقف اطلاق النار وركبت قواعد صواريخ كذا وادخلت صواريخ وتبنوا ادعاءات اسرائيل كلها .

حقيقة موقف أمريكا

وفى هذا الوقت زى ما حكيت لكم الموقف العربى باين انه مهزوز لانه فيه مزايدات والمسائل بقى واضح للمعسكر الاخر أن الامة العربية مشغولة داخل نفسها بمعركة واحنا عارفين أن أعدائنا سواء كان اسرائيل أو الدوائر الاستعمارية فى الولايات المتحدة بينتهزوا اى فرصة عشان يحققوا اهدافهم مبقتش بس امريكا بتتبني ادعاءات اسرائيل لا ابتدت فى شن حملة نفسية كبيرة جدا ضدنا وصلت الى الحد اللى صرح فيها كبار المسئولين حتى الرئيس الامريكى نفسه للاسف انه فيه خطورة من مواجهة بين أمريكا وروسيا فى المنطقة وبقوا يصعدوا العملية عشان عملية حرب نفسية وارهاب وتخويف بكل ما يملكوا من أجهزة . ما كتفوش بكده ابتدوا يعطلوا فى اجتماعات الدول الاربع الكبرى وابتدت أمريكا تأخذ خط واضح عشان تنسف اجتماعات الدول الاربع الكبرى وتعطلها تماما . نفس الموقف الامريكى رجعنا له تانى اللى فى مايو ٦٧ بيبعت تبليغ رسمى لنا ولاسرائيل وللمنطقة كلها أن أمريكا ضد من يطلق أى طلقة فى المنطقة وان أمريكا مع السلامة الاقليمية ومع السيادة لكل دولة فى المنطقة وانها حاتكون ضد المعتدى، طيب اسرائيل اعتدت الكلام ده تبليغ رسمى جى من الحكومة الامريكية ايه اللى جرى بعد عدوان يونيو ؟ نسيوه أو بالتعبير بتاعنا احنا « لحسوه » كلامهم ده كله وجم فى مجلس الامن ولاول مرة فى التاريخ يصدر قرار بايقاف القتال ولا يذكرش فيه الانسحاب وكلنا عارفين أيه اللى عمله المندوب الصهيونى الامريكى اللى كان رئيس وفد أمريكا فى ذلك الوقت وبيفتخر بانه صهيونى كلنا عارفين اللى عمله والنشاط اللى عمله والضغط اللى عملوه ضدنا بعد العدوان فى مجلس الامن فى صيف ٦٧ .

البقية صفحة ١٣٩

نص الخطاب السياسى الهام
الذى ألقاه

السيد الرئيس أنور السادات

فى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة
١٩ نوفمبر ١٩٧٠

السيد رئيس المجلس ..

أيها الاخوة المواطنون أعضاء مجلس الامة

الان فلنمسح الدموع ولنتطلع الى المستقبل .. ولنسرع خطانا على الطريق .. ولتكن آلامنا طاقة ابداع واندفاع .. ولتتحول أحزاننا الى قوة ايجابية تعوض .. بل تضيف الى تصميمنا وعزمنا على أن نؤكد من جديد مسئولياتنا الجسام والتزاماتنا المقدسة وطنيا وقوميا ودوليا وانسانيا ..

ان العالم بأسره انتظر علينا .. والان انتهت ساعة الانتظار ...

وأمتنا العربية وقفت بجوارناحتى نتم عبور جسر الانتقال .. والان جاءت ساعة مواصلة السير ..

وشعبنا ظل رابط الجأش ثابتا فى انتظار أن نتأهب .. والان أزفت ساعة البدء فى الزحف ..

لقد دقت ساعة العمل الثورى

لقد واجه قائدنا الخالد مواقف قريبة الشبه مما نواجه الان .. وكان بينها يوم الانفصال فى سبتمبر ٦١ حين انشطرت دولة الوحدة الاولى الى شطرين بفعل مؤامرة استعمارية كارهة لامتنا ومعادية لها .. فماذا فعل جمال عبد الناصر ؟

لقد أتم بمقدرته الفائقة تبعات ما كان عليه ان يقرر فيه ويبت .. ثم كانت كلمته للجماهير ..

« لقد دقت ساعة العمل الثورى » .. أيها الاخوة أعضاء مجلس الامة صدى لصوته بعد تلك المحنة التى فرقت بين شطرى الجمهورية العربية المتحدة سنة ٦١ . وفى أعقاب محنة أخرى فرقت فى الدنيا بين القائد الخالد وشعبه الباقى .. استعيد صيحة عبد الناصر المدوية :

« لقد دقت ساعة العمل الثورى » ..

المهام التى تنتظرنا فى مرحلتنا المقبلة

علينا ـ أيها الاخوة ـ أن نثبت أن الامة العظيمة هى التى تصنع البطل العظيم .. وهى القادرة على استيعاب فكره وعمله وطاقته فى اطار حيويتها المتدفقة .. وفى مجرى حياتها المتصلة وفى تيار تاريخها المستمر ..

وعلينا الان ـ أيها الاخوة ـ أن نثبت أن كل ما قمنا به من يوم ميلاد الثورة الى يوم رحيل قائدها لم يكن مصادفة طرأت على تطورنا .. وانما هى حلقة فى سلسلة متصلة الحلقات من يقظة الشعب المصرى .. ومن كفاحه .. ومن مطامحه الحقة والمشروعة فى حرية الارض وكرامة الانسان ..

وعلينا الان ـ أيها الاخوة ـ أن نثبت أن عقولنا وايدينا قادرة على بناء أحلامنا وأمانينا .. وأننا نفرق بين التيه فى الوهم ... وبين الوقوف على ارض الواقع .. وأن هناك من ارادتنا صلة تربط بين ما نريد بما نستطيع وترفع الحاجز بين الوعد والوفاء بالوعد ..

لكى نكون واضحين ومحددين ـ أيها الاخوة ـ ازاء كل ما ينتظر عملنا .. فانى استأذنكم فى ان انتقل الى مهام المرحلة المقبلة كما أتصورها ... وكما اتمنى أن تتصوروها معى .. حتى ينعقد عليها لقاء فكرنا .. وتتوحد من أجلها جهودنا .. ومن ثم فاننا ـ بذلك ـ لا نخرج من هنا بمجرد خط عام .. وانما بطريق محدد .. يكون التزامنا به دليلا يقود عملنا ويوجهه .. ويكون فى نفس الوقت معيارا للمراجعة والتصحيح ..

ان مهام المرحلة المقبلة .. كما أتصورها تتحدد على النحو التالى :

حرص جميع اعضاء مجلس الامة على حضور الجلسة الافتتاحية للدورة البرلمانية وقد جلس السفراء فى شرفات الدور الاول للقاعة .

المعركة أولا والمعركة ثانيا وأخيرا

■ أولا

ان المعركة أولا .. والمعركة ثانيا .. والمعركة أخيرا .. ولا أقصد بالمعركة مجرد القتال .. وانما أقصد التحرير الشامل لكل الارض العربية المحتلة بعدوان سنة ١٩٦٧ .. ذلك أننا اذا لم نحرر هذه الارض فمعنى ذلك أننا خضعنا للعدو الاسرائيلى - الاستعمارى ومن هم خلفه .

وليس هناك من يقبل فى أمتنا تحرير بعض هذه الارض .. والتخلى عن بعضها الاخر .. لان القبول بذلك لا يمكن أن يسمى حلا وسطا .. ذلك لانه ليس هناك نصف خضوع .. ففيما يتصل بالمبادىء المقدسة وأقدسها جميعا سلامة الاوطان .. فان التنازل عن أى شىء يعنى التنازل عن كل شىء ..

ونحن نريد السلام .. ولم نربط سلامنا بشىء غير العدل وحده ..

لكن السلام .. اذا لم يرتبط بالعدل لا يصبح سلاما .. وانما يصبح قبولا بالامر الواقع المفروض بقوة العدوان .. وهو ما لا نستطيع أن نقبله أبدا .

واذا قبلنا بالتفريط بقوة العدوان .. وهو ما لا نستطيع أن نقبله أبدا ..

واذا قبلنا بالتفريط فى أرض من أوطاننا .. فمعنى ذلك - حتى لا نخدع أنفسنا - اننا سوف نكون مستعدين للتفريط فى أى مبدأ ..

وبالنسبة لاى وطن .. فان أرضه هى عرضه ..

واذا هنا فيها .. سهل الهوان .

لذلك فان المعركة هى أولى الاولويات فى مهام المرحلة .. وفى سبيلها كل شىء .

من أجلها العمل فى الداخل .. ومن أجلها العمل فى الخارج ..

على أساسها صداقتنا مع الاصدقاء .. وعلى أساسها عداوتنا مع الاعداء ..

مطالبها هى الاسبق .. وضروراتها قبل أى ضرورات ..

وليعرف الكل على أرضنا .. وعلى أرض أمتنا .. وفى العالم كله .. اننا فى هذا لا نساوم ولا نتاجر ولا نزايد ..

نحن طلاب سلام قائم على العدل ..

وفى نفس الوقت نحن أيضا حماة سلام قائم على العدل ..

نحن نعطى الحياة كلها لبناء السلام القائم على العدل .. ونحن على استعداد لان نأخذ الموت دفاعا عن السلام القائم على العدل ..

معركة اقتصادية واجتماعية بجانب القتال

■ ثانيا

- أن علينا ، وراء جبهة القتال ، عملا اقتصاديا واجتماعيا لا يجب له أن يتوقف لحظة .. ذلك أنه فضلا عن المعركة .. فانه يجب ان لا يغيب عنا ان هدف ثورتنا الاصيل هو بناء حياة حرة لشعبنا ..

ونحن على سبيل المثال .. لم نبن السد العالى لكى نحارب .. وانما حاربنا لكى نبنى السد العالى ..

ان معركة البناء الاقتصادى والاجتماعى تتصل من هنا اتصالا وثيقا بمعركة ميدان القتال ..

معركة القتال شرف الوطن ..

ومعركة البناء الاقتصادى والاجتماعى شرف المواطن .

ومعركة البناء الاقتصادى والاجتماعى فى وطننا معركة واحدة ٠٠ لان الاقتصاد مع الاشتراكية هو للمجتمع ٠٠

علينا استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة

وبالتفصيل ٠٠ فان علينا فى المرحلة الجديدة ٠٠ اتمام وتحقيق ما يلى :

١ ــ استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة كهدف رئيسى ٠٠ ونحن نقوم بذلك فعلا متمثلا فى مجمع الحديد والصلب ، الذى يجرى بناؤه الان ويتكلف ٣٥٠ مليون جنيه ٠٠ ومجمع البتروكيماويات الجديد ، الذى يوشك أن يبدأ تنفيذه ويتكلف ١٠٠ مليون جنيه ٠٠ والمجمع الفسفورى الذى بدأت بالفعل عملية التعاقد على بنائه ويتكلف ٤٥ مليون جنيه ٠٠ ومجمع الالمونيوم .. وقد تم التعاقد عليه هو الاخر ٠٠ ويتكلف ٤٠ مليون جنيه ٠٠ ثم البدء ببناء خط أنابيب البترول بين السويس والاسكندرية ٠٠ وهو مشروع يأخذ طريقه الان حثيثا الى التحقيق ٠٠٠

ان استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة هو الذى يكفل أن يكون اقتصادنا صناعيا بالدرجة الاولى ٠٠ وهذا هو القياس الحقيقى فى عصرنا للتقدم ٠٠

التحول الكبير الى الزراعة العلمية

٢ ــ اتمام عملية التحول الكبير فى الزراعة العلمية ٠٠ وقد بدأت بوادر ذلك تظهر فعلا فى انتاجنا من الحبوب ٠٠ وعلينا أن نواصل وأن نحقق فى ذلك الاكتفاء ذاتيا ٠٠ وأعتقد أن ذلك هدف نستطيع بلوغه فى فترة ما بين ثلاث سنوات الى خمس سنوات ٠٠ والى جانب استكمال التحول فى الزراعة العلمية ٠٠ فان علينا الاهتمام بتصنيع الزراعة ٠٠

ثم ان علينا واجبا كبيرا فى عملية استصلاح الاراضى الجديدة ٠٠ الى جانب حسن استغلال ما تم استصلاحه فعلا من هذه الاراضى خلال السنوات الاخيرة منذ بدأ جهدنا المنظم فى قهر الصحراء ٠٠ وفى هذا السبيل ، فان كل قطرة من مياه السد العالى يجب أن تترك أثرها على أرضنا خصبا طيبا ومزدهرا ٠٠

٣ ــ ان كهربة مصر كلها يجب أن يكون هدفا من أغلى اهدافنا ، ذلك أن الكهرباء هى التى ستضىء وجه مصر ، وهى التى ستدفع عجلة الحركة فى كل بقعة منها ٠٠

وانتاجنا من الكهرباء الان هو على مستوى المعدل الاوروبى ٠٠

ولكن استهلاكنا للكهرباء التى ننتجها حتى الان ليس كاملا ٠٠

٢٥٪ من طاقتنا ضائع بسبب الادارة ٠٠

■ **ثالثا**

ان الدولة الاشتراكية الحديثة هى فى الصميم منها دولة ادارة اجتماعية للموارد المتاحة والمحتملة للشعب ٠٠

وعلى هذا ، فان الحكم على نجاح الدولة يصبح هو الحكم على نجاح ادارتها ٠٠

ولقد أظهرت دراساتنا أن ٢٥ فى المائة من طاقتنا ضائع بسبب عدة عوامل ترجع الى مشكلة الادارة ، كتضارب الاختصاصات ونقص الكفاءة ٠

واذا استطعنا أن نضع مفهوما متطورا لادارة الدولة ٠٠

واذا استطعنا أن ننقذ من الضياع ما هو ضائع منا الان ٠٠

٠٠٠ اذا استطعنا ذلك ، فليس يخالجنا شك فى أننا سنكون قادرين على مواجهة تحدى العصر ٠

خصوصا وأن هناك مسئولية ذات طابع خاص وطارىء سوف تواجهنا فور انتهاء الحرب ، وهى مسئولية تعمير ما تركته الحرب من آثار ، خصوصا فى منطقة القناة ٠٠

ولقد أعيد التنظيم الحكومى ليخدم ، ضمن ما يخدم من أهداف ، عملية ادارة الدولة ، وذلك موضوع سوف يتحدث فيه تفصيلا أمامكم السيد رئيس الوزراء والسادة نواب رئيس الوزراء والوزراء ٠ كل فيما يخصه ٠٠

علينا الاهتمام الكبير بالبناء السياسى

■ **رابعا**

ان علينا أن نولى اهتماما كبيرا للبناء السياسى لكى تكون عملية بناء التنظيم ليست مجرد استكمال شكلى ٠ ولكنها حركة يتصل بذلك أن نتيح الفرصة فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة للممارسة الديمقراطية ، باعتبارها طريق الامان الى القرار الصحيح ٠٠

اننا عندما نقول بسلطة تحالف قوى الشعب العاملة ، فمعنى ذلك أننا نقول بحكم قوى الشعب العاملة ٠٠٠

والحكم فى حقيقته هو : اختيار ٠٠

اختيار ما بين احتمالات متعددة جرت دراستها بعمق وشمول وظهرت فوائد كل احتمال منها ومخاطره ٠٠

وعلى من يختار أن يوازن بين الفوائد والمخاطر ، وأن يقرر فى النهاية ما يشاء ومعنى ذلك أن الحكم اذا كان اختيارا ٠٠ فان الاختيار لا يمكن الا أن يكون مناقشة حرة مفتوحة تبغى وجه الحق والحقيقة معا ٠٠

لقد تحمل بناؤنا السياسى مسئولياته على صورة رائعة فى الفترات الصعبة التى مرت بنا ٠ وعلينا أن نعمل بكل وسيلة على تدعيمه حتى يستطيع أن ينهض بمسئولياته فى الحفاظ على الثورة واستمرارها وتطويرها ٠

الوحدة العربية ضرورة مستقبل ومصير

■ **خامسا**

ان الجمهورية العربية المتحدة وحدوية بايمانها ، ومضمون أصيل لهذه الحركة ، ووحدوية فى كل مقصد من مقاصدها ٠

وهى لا تعتبر أن الوحدة العربية دعوى تاريخ فحسب ، وانما هى ضرورة مستقبل ومصير قبل أى شىء آخر ٠٠

ومن هذه المنطلقات ، فان الجمهورية العربية المتحدة لن يتزعزع ايمانها فى أن الامة العربية أمة

واحدة ، حريتها واحدة وتقدمها واحد ،وآمالها فى الغد واحدة ..

وفى يقين شعبنا أن كل ما يشكك فى هدف الوحدة انما يشكك فى امكانية البقاء العربى واستمرار هذا البقاء ، كما يجب أن يكون البقاء بمعناه الايجابى : حياة وحرية ..

وليس بين جميع أهدافنا - هدف - يتعرض للغارات المعادية كما يتعرض هدف الوحدة ، وتلك شهادة لاصالة هذا الهدف ، كما أن ذلك فى نفس الوقت حافز يدفعنا الى حسن الدفاع عنه ، وأكثر ما يكون دفاعنا عن هذا الهدف حين نحميه ليس فقط من أعدائه ، وانما من الذين يتظاهرون به وهم لا يقصدون وجهه ولكنهم يناورون لخدمة مغامرات غير مدروسة وغير محسوبة ..

على هذه الاسس قام اتفاق القاهرة بين دول ميثاق طرابلس الجمهورية العربية الليبية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية المتحدة من أجل ايجاد النواة والقاعدة الصلبة لمستقبل عربى تصنعه وتشكله الادارة الواعية الحرة المتحررة .

نحن مع الاستقلال والقومية والحرية

■ سادسا

اننا جزء من هذا العالم ، بل نحن نقول اننا بحضاراتنا الانسانية فى تاريخه ، وبنضالنا المستمر فى تحرره وتقدمه ، جزء موثر .. جزء لا يعيش عالة على الكل ، ويرفض أن يعيش عالة على أحد ، ولكنه جزء يعطى قدر ما يأخذ ويتفاعل ويفعل ويكفى فى تبيان ذلك دورنا فى حركة التحرير الوطنى وحركة عدم الانحياز وحركة الثورة الاجتماعية فى القارات الثلاث : افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

ونحن نتمسك باستقلالنا وبقوميتنا وبرأينا الحر فى مشكلات السلام والحرب وذلك فى حد ذاته لا يجعل موقفنا موقف عزلة وابتعاد ولكنه يجعل موقفنا موقف نضال وجهاد لان ذلك يضعنا بالقطع فى الجانب المعادى للاستعمار ..

ان عداءنا للاستعمار موقف مع الاستقلال ومع القومية ومع الحرية السياسية والاجتماعية ..

وعداؤنا لاسرائيل ليس تعصبا عنصريا ولكنه فى الواقع جبهة من جبهات حربنا ضد الاستعمار نتيجة لموقفنا مع الاستقلال ومع القومية ومع الحرية السياسية والاجتماعية ..

وصداقتنا للاتحاد السوفيتى ليست انحيازا له وانما هى أيضا وبنفس المعيار ، انحياز للاستقلال وللقومية وللحرية السياسية والاجتماعية ..

وصداقتنا مع الاتحاد السوفيتى هى فى نفس الوقت وقفة تضامن تجمع كل القوى المعادية للاستعمار ..

كما أن نفور الاتحاد السوفيتى من اسرائيل ومطامعها التوسعية والعدوانية ودورها الارهابى فى هذه المنطقة هو - الى جانب موقف الصديق منا - موقف فى نفس الوقت ضد الاستعمار وأدوات الاستعمار ..

ولابد لى أيها الاخوة من ان أسجل هنا فى بيت الشعب . وأنوه بما قدمه ويقدمه لنا الاتحاد السوفيتى من معونة شريفة مخلصة . فى وقوفه بتجرد الى جانبنا فى أوقات المحنة والشدائد كصديق أكيد من ناحية ، وكقوة كبرى من قوى عالمنا من ناحية أخرى ، يسعى الى اقرار السلام القائم على العدل ، والى أن تسود شريعة الحق هذا العالم بدلا من شريعة الغاب والعدوان .

يجب ان ننتقل بالتعليم لعصر الفضاء

■ سابعا

ان علينا أن ننفتح على آفاق التقدم ، ذلك أن الحواجز فى عالمنا الجديد لن تكون حواجز بين الالوان أو الاجناس وانما سوف تكون الحواجز بين التقدم والتخلف .

والعلم يجرى بسرعة خارقة ، ونحن لا نستطيع الاكتفاء بالحديث عن العلم دون أن نخوض عوالمه والا كنا نكتفى بتشخيص المشكلة ونستغنى بذلك عن علاجها ..

نحن أكثر من غيرنا .. لا أمل لنا الا فى العلم ..

ونحن أكثر من غيرنا مدعوون الى الاخذ باسبابه وتلك ضرورة لا يصنعها اتساق ذلك فى حاضرنا مع ماضى حضارتنا فقط ، وانما هى ضرورة تصنعها حتمية ان تتسق آمالنا العريضة مع منجزاتنا الحقيقية وأول خطوة على هذا الطريق هى التعليم الذى يجب أن ننتقل به بأسرع ما يمكن وابتداء من العام الدراسى المقبل من بقايا القرن التاسع عشر الى آفاق عصر تفجير الذرة وغزو الفضاء ..

■ ثامنا

حوار مع الشباب

ان الشباب هو الغد ، وبمقدار ما يستحق الغد من اهتمامنا بمقدار ما يجب ان نعطى للشباب اليوم ..

والشباب اليوم فى حاجة الى شيئين :

الى حوار بين الاجيال بدلا من صراع بين الاجيال .. حوار تنتقل به التجربة وتنقل به المسئولية والى أمل لا تصده حواجز واخطر الاشياء ان يشعر شبابنا ان آماله فى وطنه مقيدة .

■ تاسعا

عن طريق استيعاب كل ما قدمت وعن طريق تفهمه فاننا نستطيع ان نقول انه سوف يكون بامكاننا ان نقيم على هذه الارض دولة عصرية لا يكون الحديث فيها عن العلم والتكنولوجيا مجرد شعارات ، ولكن يتحول فيها العلم والتكنولوجيا الى اسلوب عمل والى تحقيق عملى لاهداف مجتمع امامه مسئوليات عظمى .. وتملأه آمال اعظم .

أيها الاخوة المواطنون اعضاء مجلس الامة

بسم الله . ولنبدأ مسيرتنا ولنجعل منها تكريما لجمال عبد الناصر ، وتكريما لمبادئه ومبادئنا ، وتكريما لشعبنا وامتنا ، وتكريما لعروبتنا وانسانيتنا وتكريما لحق الله علينا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب والسلام عليكم ورحمة الله . ■

رسالة عبد الناصر

تحدث السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الى نحو ثلاثة آلاف من قادة النقابات العمالية المصرية والعربية الذين عقدوا مؤتمرا قياديا لتأبين الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الازهر فى مساء السبت الثامن من رمضان ١٣٩٠ – ٧ من نوفمبر ١٩٧٠ – تحدث السيد النائب مرة أخرى عن رسالة جمال عبد الناصر، مؤكدا أن خلفاءه وتلاميذه سيتخذون من رسالته ومن تعاليمه المشاعل التى تهديهم على الطريق الى النصر .

الشعب الخالد يقدم الرجال ويصنع المعجزات

وفيما يلى نص الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوة العمال ٠

اننا نجتمع اليوم وليس بيننا جمال ٠٠ ولكنه ملء كل سمع وموضوع كل مقال ٠٠٠

نجتمع اليوم ، وقد مضت أربعون يوما على رحيله .. رحل جمال عبد الناصر عنا بجسمه .. لكن وجوده معنا فى كل جمع .. فى كل موقف .. فى كل تصرف .. فى كل نفس يتردد .. نحس هذا الوجود فى كياننا .. نجده الى جانبنا .. فقد ترك فينا الهدف والطريق ٠٠ ترك لنا المدرسة التى يتخرج فيها الرجال ٠٠ ترك لنا المصنع الذى ينتج الابطال ٠٠ ترك لنا عزة الفلاحين والعمال ٠

ولنسمعه يقول وهو فى كل ما يقول يضرب المثل ويجسم القدوة :

قال الزعيم :

« انى لاشعر بعرفان غير محدود لجماهير شعبنا المناضلة ، تمنحنى كل يوم من رضاها ما يفوق طاقتى على الوفاء ، ولست أملك سوى عملى وحياتى ، وأحس مخلصا أن عطاء الامة أغلى من عمل وحياة أى فرد مهما صدق وتفانى ٠٠

ثم يقرأ قدره فى قوله :

« ولنفرض أيها الاخوة أن شيئا حدث لجمال عبد الناصر او لاى فرد من قيادة هذه الثورة ٠٠ هل هذا سيمكن الاعداء من هذا الوطن ؟ ٠٠ أبدا ٠٠ ان الحقيقة التى يتضاعف ايمانى بها كل يوم هى أن هذا الشعب هو مصدر القوة العظيمة للثورة ٠٠ وسر هذه القوة أن هذا الشعب قد تحرر ٠٠ وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ٠ ويصنع المعجزات : معجزة بعد معجزة ،فى ثبات ، وعزم ، واستمرار » ٠

أيها الاخوة العمال ٠

عندما دعيت الى الحديث فى اجتماعكم هذا فى يوم الاربعين .. عندما جاءنى الاخ عبد اللطيف بلطيه يدعونى لاتكلم فى هذه الذكرى ، وفى مجتمع العمل بالذات ، قلت لنفسى : لقد سبق أن تكلم من تكلم ، وكتب من كتب ، عن تعاليم جمال وعن مبادىء جمال ، وعن تراث جمال ، حتى اختلط الكلام ، واصبح واجبا علينا ومن حقنا ان نتبين كل ما قيل ، ونتعرف على الكلمة التى تلائم الموقف ، والتى تناسب الحدث ٠٠ حتى لا يكون

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

الحديث جسرا الى غاية ، أو تفاخرا أو اثارة لعواطف ليس الان مجالها ..

ان موقفنا اليوم اكبر من كل هذا ...

الامر جد لا يحتاج الا لقول فصل ..

والايام شداد .. والمسئولية كبيرة .. تحتاج الى كل الايمان والعزم والتصميم ..

أيها الاخوة من أبناء جمال .

لست أجد فى هذه المناسبة تعبيرا لما يجب أن نأخذ به أنفسنا فى هذه الايام العصيبة ، غير ثلاث عبارات صغيرة ، ولكنها احتوت كل الحق وكل الصدق ..

واننا حينما نتكلم عن جمال عبد الناصر ، يجب أن نتكلم من خلال حياته العريضة الحافلة بالكلمة الهادئة .. الكلمة التى تستقر فى موضع القلب من الاحداث .. تستقر فى موضع المحرك لهذه الاحداث.

اذكر اليوم ، وبعد ستة عشر عاما ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٤ وكل يعلم الاحداث التى مرت بنا فى ذلك العام .. وأراد ضباط الجيش أن يستمعوا الى كلمة الحق والصدق .. التمسوها عند جمال .. وجاءهم ليحدثهم فى ناديهم .. فقال وما تزال كلماته فى سمعى :

« اننى لن أنافق .. لن أضلل .. لن استجدى » .

وبهذا أخذ البطل موقعه الفذ .. حيث يقود ولا يقاد .. يوجه ولا يوجه .. يسير على راس القافلة — مهما كانت المخاطرة — ولا يكون ذيلا للقافلة .

كان بعباراته الثلاث القصار ، يعبر بوضوح واختصار .. عن فكر الزعيم والمعلم والقائد الذى يرى أن الامر لا ينبغى بالثورة أن ينتهى الى أشكال تقيد سيرها ، ولا بادعاء يحجب الروح والحقيقة .

انه قائد وانه ثائر ، يعلم ما يريد . ويحس الخطر قبل ان يقع فيه لا تأخذه الاشكال حتى يصبح حبيس واقع لا يرضاه .. ولا يدخل عليه حق أريد به باطل مهما كان بريقه ولمعانه .

هذا هو احساس الثائر والزعيم الذى يرى ثورته أمانة فى عنقه ، ومن أجلها فانه ليس على استعداد لان ينافق ، أو يضلل ، أو يستجدى .. فانه اذا رضى النفاق مرة فقد انتهى أمره .. واذا رضى التضليل مرة فلن يستمع اليه بعدها أحد .. واذا رضى الاستجداء مرة ، فقد أصبح فى حاجة الى من يقوده .

وحاشا لله أن يكون زعيمكم وزعيمى كذلك .

أيها الاخوة العمال :

اذا ما اتفقنا على هذا المعنى ليكون هدفا لتصرفنا ، واساسا لحركتنا ، وهاديا لمسيرتنا بعد جمال ، فاننا يجب ان نسأل انفسنا هذا السؤال ايها العمال :

لماذا قامت هذه الثورة ؟ ...

أهى حقا رد فعل لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ ؟ أم هى ضربة قدر للقضاء على الفساد الذى كان يحكم هذا الشعب ؟

دعونى أرسم لكم صورة الجيش الذى كنا نعيشه قبل الثورة ..

كانت الجندية وقفا على أبناء العمال والفلاحين وقفا على أبناء الكادحين أولئك الذين لم تتمكن اسرهم من دفع البدل . ٢٠جنيها تفتدى بها عزيزها الذى ارغم على الجندية ارغاما . . ولولا ذلك لاحس كل مواطن يومها بشرف الانتساب الى الجيش .. لكن الاستعمار وأعوانه ارادوا قتل روح هذا الشعب المحارب .. المجاهد .. الصابر .. الصامت .. أرادوا قتل حب الجندية المتأصلة فى الشعب المصرى منذ القدم ..

وليس أدل على ذلك من الحديث الشريف :

« اذا فتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فانهم خير أجناد الارض » .

وكنا نحن الضباط الاحرار ، نتعامل ونتعايش مع هؤلاء الجنود .. ضحايا مجتمع الطبقة .. أحسسنا بهم .. وأحس كل منا فيما بينه وبين نفسه أن الامور فى هذا البلد قد ساءت الى حد اعتبار الجندية مهانة .. وعزة القوة مذلة .. هل يكون الفقر وحده

هو السبب فى التجنيد ٠٠ ويكون الغنى هو السلم الى التحكم ؟ ٠٠

لقد كان احساسنا بهؤلاء الجنود ، أنهم يمثلون كل الوان الظلم الاجتماعى ، وكانت الثورة تتحرك فينا لاعتبارات اجتماعية ٠٠ كان احساسنا بوجودنا ، وانسانيتنا وآدميتنا واسلامنا الحقيقى ، هو الذى يجسد أمامنا الهوان المفروض فرضا على هؤلاء الجند ، وعلى أهلهم الذين عجزوا عن دفع ٢٠ جنيها فداء لهم من التجنيد ٠

وتمثلت فى رؤوسنا تلك الحقيقة التى يخاطب بها الله نبيه منبها ومحذرا ٠٠ لمن تكون الدعوة ٠٠ لمن تكون الرعاية ٠٠ لمن يكون الاهتمام ٠٠ أيكون للاغنياء ٠٠ الجواب من عنده تعالى مخاطبا نبيه المبعوث رحمة للعالمين :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ٠٠ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » ٠

بهذا المفهوم ، ايها الاخوة ، ومن هذا المنطلق ، كانت ثورة جمال عبد الناصر ، ثورة اجتماعية تعرف من هم أصحابها ومن هم جنودها ومن هم جماهيرها ، وان أعظم ما يزيدنى ايمانا وغبطة وثقة باستمرار رسالة عبد الناصر ، هو ما أسمعه بين الفينة والفينة من اخواننا العمال وهم يقولون : **اننا لم نفكر فى مطلب الا وجدنا جمال قد سبقنا الى أكثر مما نفكر وأكثر مما نحلم ٠٠**

لماذا يقول العمال هذا ؟ ٠ انهم يتحدثون عن مكاسب بأيديهم ، ولن تستطيع قوة فى الارض أن تنتزعها منهم ٠٠

ان الثائر العظيم قد عرف لماذا قامت هذه الثورة وما هو المحرك وما هو الدافع الى قيامها ؟

الملكية الفاسدة العميلة لم تكن سوى ستار ومعوق للثورة ٠٠ الفساد نفسه لم يكن سوى نتيجة حتمية لداء عضال يواكب اوضاع ما قبل الثورة ٠٠ ولكن الواجب الخطير هو أن تأخذ بيد الضعيف حتى يقوى ٠٠ أن ترد الحق للمظلوم من ظالمه ٠٠ أن تؤدى الامانة الى اهلها ٠٠ ان تقيم العدل بين الناس ٠٠ ان يكون الخير لكل الناس ٠٠ أن يكون كما قال وعمل جمال ـ لكل مواطن عامل نصيب عادل من ثروة وطنه ٠

وعن الكلمة الهادفة المؤمنة نأخذ منه المثل فى قوله بينكم فى مؤتمركم بحلوان منذ عامين :

« بدون فلاحين وعمال لا تكون هناك ثورة ولا يكون نظام ثورى ٠٠ سيفقد كل منهما مبرر وجوده ٠ هذه نظرتى للمسألة بأمانة ٠٠ اننى لم أعط حياتى للحكم والسلطة ٠٠ وبرغم سنوات طويلة مع العمل السياسى : فلا اعتبر نفسى حتى الان سياسيا محترفا ٠٠ وأدعو الله ألا أكون كذلك فى يوم من الايام ٠٠ كل ما أتمناه دائما أن أرى طريق الواجب ، وأحفظ الصلة باحساس هذا الشعب ٠٠ وبوجدانه ٠ بدون أى عوائق يصنعها الحكم أو السلطة ٠٠ ذلك أنه بدون الصلة المستمرة باحساس الشعب ، يصبح الحكم تحكما ، وتصبح السلطة تسلطا ٠٠ وذلك ما أدعو الله أن يقينى منه ، ويقى منه شعبنا فى نضاله حاضرا ومستقبلا » ٠

ايها الاخوة العمال ٠٠ هذا هو منطق زعيمكم الذى قال لكم فى مارس ١٩٥٤ : **أيها العمال ٠٠ فليرتفع صوتكم فوق كل صوت ٠٠ هذه الثورة ثورتكم ٠٠**

ولم يكن هذا كلاما ، بل كان عملا ، وكان قتالا ، أحس معه كل عامل أن وطنه يستحق البذل ، ويستحق التضحية ، وهو على ثقة من ان ابناءه من بعده سيجدون فى هذا الوطن خير أب ٠

وقبل البذل وقبل التضحية ، وجد العامل فى يديه حياته ٠٠ وجد العلم والعمل والتأمين والامان ٠٠٠ اللهم رحمتك وغفرانك وجزاءك لمن قاد هذا الجهاد ٠٠ لمن ناضل من أجل كل العباد ٠٠ لم تغره الدنيا ، ولم يترك وراءه مجرد بيت يأوى اليه أبناؤه ٠

لقد كان بسيطا فى حياته ، عظيما فى مماته ، فأحبه الناس ، وأحسوا بأنهم فقدوا أعظم الاباء ٠٠ ولكنهم يشعرون فى نفس الوقت ، وبقدر حبهم لهذا الاب ، أنه تركهم رجالا أعزة ، فيهم روح المؤمنين ، وارادة الثوار ، وصلابة المجاهدين ٠٠ تشربوا حب الوطن ، وعرفوا طريق الكفاح ، وتمرسوا على النضال ، وتعرفوا على العدو وعلى الصديق ٠٠ عرفوا الطريق ٠٠ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠

ولكن الزعيم الخالد كان حريصا على التنبيه المستمر الى التمسك بالعزة ٠٠ بحكم الشعب ٠٠ وكلنا قد سمعناه يقول :

« لقد كان شعورى دائما ضد الاعتماد على الفرد وضد توهم احتياج النضال الشعبى الى شخص بالذات ، مهما كرمته أمته ٠ ٠ وكنت أصدر فى ذلك عن يقين لا يتزعزع ، بأن الشعب وحده هو الباقى الخالد ٠٠ وأنه قادر فى كل مراحل نضاله على ان يخرج من بين صفوفه ، من يخدم امانيه ويحقق أحلامه » ٠

فاذا وصل الحديث بنا الى تحقيق الاحلام ، نجد انفسنا امام المعلم الذى يصنع هذه الاحلام ، ومازلنا نذكر كلماته فى المؤتمر القومى الاخير ، وهو يتكلم بملء سعادته عن انتهاء العمل فى بناء وكهربة السد

العالى ، ثم يربط بين البناء للرخاء وللسلام ، وبناء القوة التى تحمى الرخاء وتقر السلام .

وانه ليريد أن يقول لنا فى صراحة وجلاء : اننا قد استطعنا بارادة هذا الشعب التى تفجرت بالثورة ، أن نبنى سدا للخير فى الجنوب ، ثم نبنى سدا بشريا ضد الشر فى اقصى الشمال ، فى هـذا الجيش القوى الصامد فى جبهة القناة .

هذا بناء من حجر ، وهذا بناء من بشر .. هذا بناء يحفظ علينا ماء الحياة ، وهذا بناء يحفظ علينا ماء الوجوه .. هذا تعبير عن ارادة الحياة ، وهذا تعبير عن عزة الحياة .

يريد أن يقول : ياكل العاملين فى شمال الوادى أو جنوبه .. كلكم جنود معركة واحدة ، هى معركة تحرير الارادة العربية .

أيها الاخوة العمال .

فى أضواء رسالة عبد الناصر ، يجب أن يكون لقاؤنا دائما ، كما نلتقى اليوم ، وكما ينبغى ان نعلن من هنا الان .. لو قام فى كل بلد عربى جهد لبناء السدود وجهد لحماية الحدود ، فلن يكون هناك وقت للمعارك الجانبية ، والحزازات الشخصية ، فهى تضيع تاريخنا وتاريخ أمتنا ، وأمامنا ومن حولنا عدو يتربص بنا الدوائر .. **انهم ان يظهـروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة .. انهم سيجدون الفرصة السانحة فى اقتتال الاخوة .. وينفذون الى أحلامهم الضائعة من النيل الى الفرات .. واننا لنقولها عالية فى وجوه أعداء الله وأعدائنا : لن يكون ذلك ونحن أحياء .. لقد ترك عبد الناصر من ورائه رجالا أمناء بالكلمة وبالفعل على قضية أمتهم .. ان الاعلام التى رفعها عبد الناصر من الخليج الى المحيط ستبقى عالية .. وستبقى بجوارها الايدى التى سبقت الى رفع هذه الاعلام ..** اننا هنا فى قاعدة النضال العربى نؤمن ايمانا بغير حدود ، بأن الجهد العربى المنظم ، والدفع العربى الواعى ، والتخطيط الشامل لامكانيات العرب ، والعمل العلمى من أجل كرامة الانسان العربى ، هو السبيل الى اختصار الزمن ، وبلوغ غاية التحرير والنصر .

وفى ذلك يقول المعلم القائد جمال عبد الناصر :

«ان النصر عمل .. والعمل حركة .. والحركة فكر .. والفكر فهم وايمان .. وهكذا ترون كل شىء يبدأ بالانسان » .

ثم يركز فى دعوته قائلا :

« اذا أردتم النصر ، فعليكم بالعودة الى الله » .

أيها الاخوة العمال .. ياسواعد الانتاج للنصر والبناء . فلنبتهل الى الله داعين ، بقلوب خاشعة وعيون دامعة قائلين فى يقين : ربنا اننا مهما اقمنا من قوة ، وأعددنا من عدة ، فأنت وحدك الامل والرجاء ، ومن عندك النصر ، ولا نصر الا من عندك .. ولا غالب الا أنت .. لا حول ولا قوة الا بك ..

ولا يتصور أحد أننى بهذا الدعاء أركن الى ضعف أو تواكل .. فلامناص من الابتهال وكل منا فى موقعه يناضل .. ولكن مثل هذا الدعاء قد لا يكون له رنينه فى عالم فقد ارتباطه بالله وهو القاهر فوق عباده .. ومع هذا فاننى أدعوكم الى أن نربط حبالنا بحبال الله .. أقولها بكل فخر وبكل اعتزاز .. لاننى أومن بقوة الله فوق كل قوة ، وبأن لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل . ودينا ايمان وجهاد ، وتقوى الله كانت دائما سر انتصار الحق .

ونحن أيها الاخوة المناضلون الاحرار ، كما رسم لنا جمال خط السير .

« نحن نريد السلام ، ولكن السلام بعيد .. ونحن لا نريد الحرب ، ولكن الحرب من حولنا .. وسوف نخوض المخاطر مهما كانت دفاعا عن الحق والعدل . حق وعدل لا سبيل الى تحقيقهما غير طرد العدوان من كل شبر من الارض العربية المحتلة .. حق وعدل لا سبيل الى تحقيقهما بغير استعادة شعب فلسطين لحقوقه الشرعية .. ذلك أيها الاخوة هو الهدف والطريق .. انتصار السلام ، وسلام الانتصار » .

زعيمى واخى جمال .. أيها الخالد فى كل قلب .

ان تعاليمك ومبادئك ستظل الوعاء لروحك وهى تحمل أمامنا المشعل على الطريق ..

ان خلفاءك وتلاميذك سيبدأون من اليوم ، فى كل موقع للعمل ، مـراجعة دروسـك ، ومـواقفك ، وبطولاتك ، وتجاربك على اتساع الدنيا ، وستظل أبدا فى حياتنا وحياة أحفادنا النظرية ، وكل الاجيال بعدك التطبيق .

حديث مع

سفير نيجيريا بالقاهرة

سعادة الحاج عثمان أحمدوسوكا

لنيجيريا تاريخ مجيد امتد الى أكثر من الفى عام .. وحينما جاءها الاسلام عبر الصحراء من الشمال كما جاءها أيضا من الشرق . كانت نيجيريا تعرف بمملكة (سونفى) التى بلغت أوج عظمتها فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى .. وقد وصف عظمتها الرحالة المسلمون الذين كانوا يجوبون العالم الاسلامى ويؤرخون احداثه .

وأعقبت مملكة سونفى مملكة (بورنو) التى قامت هى الاخرى بجهود موفقة فى سبيل الاسلام داخل مناطق الصحراء الكبرى وفى مساحة واسعة من السودان . ومع الاسلام أقبلت الى نيجيريا قبائل الحوصا والفولا واحتلوا مراكز الصدارة فى نيجيريا .. ولا يستطيع أحد ان ينكر عراقة شعب نيجيريا التى تعتبر من اكبر الوحدات السياسية الافريقية واكثرها سكانا .. ونظرا لان المجال هنا لا يتسع للحديث عن مجد وعظمة نيجيريا فى مجاليها السياسى والدينى على مدى التاريخ الطويل .

لذلك توجهت الى سفارة نيجيريا بالقاهرة . وتحدثت مع سعادة السفير الحاج عثمان أحمدوسوكا حول نيجيريا الحديثة وتطور العلاقات بين بلدينا .. وموقف نيجيريا من أزمة الشرق الاوسط الراهنة ..

قال لى سيادة السفير فى بداية حديثه معى :

« .. ان العلاقات بين نيجيريا والجمهورية العربية المتحدة علاقات صداقة واخوة .. وكلاهما عضو فى منظمة الوحدة الافريقية ..

وكانت الجمهورية العربية المتحدة احدى الدول الافريقية التى أيدت اتحاد نيجيريا فى ازمته السياسية الاخيرة .. وكان تأييدها معنويا وماديا اثناء الحرب الاهلية وبعدها ..

ويعمل الان فى نيجيريا عدد كبير من الفنيين المصريين : أطباء ومهندسين ومدرسين .. وغير ذلك

ونحن نأمل وندعو الله ان تظل العلاقات قوية وان تزداد قوة مع الايام

ولقد زار الجنرال يعقوب جوون رئيس نيجيريا الاتحادية الجمهورية العربية المتحدة فى اوائل سبتمبر الماضى من هذا العام . بناء على دعوة رسمية وجهها اليه المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر ..

ودارت مباحثات بين الرئيسين اتسمت باتفاق وجهات النظر بشأن المشاكل الافريقية والدولية المختلفة .. كما يتضح ذلك من البيان المشترك الذى نشرته الصحف يوم ٩ سبتمبر الماضى .

وبالاضافة الى ذلك نوه البيان بعلاقات الصداقة القائمة بين بلدينا والرغبة فى توطيدها اكثر ... »

وكان الرئيس النيجيرى يعقوب جوون قد وصل الى القاهرة فى أول زيارة لسيادته يوم ٤ سبتمبر الماضى واستغرقت الزيارة ثلاثة أيام .

وفى البيان المشترك الذى صدر عقب الزيارة أكد الرئيس يعقوب جوون مساندة نيجيريا حكومة وشعبا لحكومة وشعب الجمهورية العربية المتحدة فى نضاله من أجل تحرير الاراضى المحتلة ..

الجنرال يعقوب جوون رئيس نيجيريا وسعادة سفير نيجيريا بالقاهرة

كما اشاد بالخطوات التى اتخذتها مصر من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن الذى ينص على انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة واعادة حقوق شعب فلسطين .

وندد البيان بالدول التى لا تتعاون مع الامم المتحدة والتى تتحدى سلطاتها وترفض تنفيذ قراراتها . وأكد البيان مساندة الجانب المصرى والنيجيرى للشعوب الافريقية التى تكافح من أجل استقلالها الوطنى ..

وقبل ان يغادر الرئيس جوون القاهرة عقد مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن انطباعاته عن اول زيارة يقوم بها لمصر بعد ان تحققت المصالحة الوطنية فى بلاده بانهاء المحاولة الانفصالية التى جرت فى اقليمها

الشرقى. وكان من بين ما قاله انه كان يتطلع بعد انهاء الحرب الاهلية فى نيجيريا لزيارة القاهرة لكى أعبر للرئيس عبد الناصر والشعب المصرى عن شكرنا وتقديرنا للتأييد المادى والمعنوى الذى قدمته مصر . وأشاد بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وقال انه مما أثار اعجابه اخلاص وبساطة الرئيس والطريقة التى يعالج بها الامور كما جذب اهتمامه تصميم الحكومة على تحقيق مستوى أفضل لحياة الشعب المصرى وأعرب الرئيس جوون عن سعادته بهذه الزيارة (فقد أتاحت لى الفرصة لكى التقى بالرئيس جمال عبد الناصر وأتعلم منه كيف يعالج المشاكل التى تواجه بلده كما انها كانت فرصة لبحث كافة المشاكل التى تواجهنا وخاصة مشكلة الشرق الاوسط والعلاقات الثقافية الممتازة بين البلدين) .

ومن هنا سألت سيادة السفير ان يحدثنى عن موقف نيجيريا من أزمة الشرق الاوسط الراهنة .. فقال لى سيادته :

« .. ان حكومة نيجيريا الاتحادية العسكرية تؤيد دائما قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن فى قراره الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ . بشأن مشكلة الشرق الاوسط والذى يقضى بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلتها فى حرب يونيه ١٩٦٧ — كأساس لاقرار السلام فى الشرق الاوسط . وتعتبر نيجيريا — مثلها مثل الدول الافريقية الاخرى — النزاع فى الشرق الاوسط الذى يمس بصفة خاصة الجمهورية العربية المتحدة — أحد أعضاء منظمة الوحدة الافريقية — تهديدا للسلام العالمى الدولى — وتبذل قصارى جهدها لدى المحافل الدولية فى تأييد حل عادل لهذا النزاع .

وفى ختام لقائى مع سيادة السفير .. حدثنى عن الاسلام والمسلمين فى نيجيريا .. قال لى :

— « .. ان دستور نيجيريا يكفل حرية العبادة .. وينتشر الإسلام والمسيحية وأديان افريقية أخرى فى ربوع نيجيريا .. ويبلغ عدد المسلمين ٢ر٣٠ مليونا ويبلغ عدد المسيحيين ٢٠ مليونا . ويبلغ عدد المنتمين لاديان أخرى ١ر٦ ملايين ..

وتتألف الغالبية العظمى من سكان نيجيريا من المسلمين. وتحاول الجمعيات الاسلامية فى نيجيريا بكل قوة لرفع شأن الاسلام ونشره .

ولذا اقاموا كثيرا من المعاهد الاسلامية لاستيعاب الاطفال المسلمين كما قامت بنشاط اجتماعى كبير من أجل الاسر . وتحاول ان لا يتخلف المسلمون فى حياتهم الحالية بالنسبة الى غيرهم من غير المسلمين ..

وبعد .. ان الحاج عثمان احمدو سوكا . ولد فى (سوكوتو) فى سبتمبر ١٩٢٦ . حيث بدأ دراسته .. ثم انتقل الى غانا للدراسة الثانوية . ثم أتم دراسته العليا فى لندن بمعهد التربية فى عامى ١٩٥٦—١٩٥٧ . وفضلا عن شهادة التدريس العام فانه يحمل شهادة التدريس فى انجلترا من جامعة نوتنجهام ولا زال عضوا منتسبا فى معهد التربية بجامعة لندن ..

وخلال حياته الدبلوماسية حصل على شهادة فى الدبلوماسية من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الامريكية (١٩٦١—١٩٦٥) — وقد قام بالتدريس خلال ثلاثة عشر عاما فى نيجيريا. ثم انتقل الى السلك الدبلوماسى فى عام ١٩٦٢ .. بدرجة سكرتير اول فى دار المندوب السامى النيجيرى فى لندن . ثم اصبح مستشارا فى سفارة نيجيريا بواشنطن .

ثم سفيرا لنيجيريا فى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٨ .

وعلى أثر فجيعة العالم كله بوفاة الرئيس الخالد جمال عبد الناصر أرسل الميجور جنرال يعقوب جوون رئيس حكومة نيجيريا الاتحادية والقائد العام للقوات المسلحة النيجيرية برقية عزاء الى السيد أنور السادات قال فيها :

« .. ان واجبى يقتضى ان اتقدم نيابة عن حكومة وشعب نيجيريا بأصدق المواساة وأخلص العزاء الى أسرة الزعيم الراحل وحكومة وشعب الجمهورية العربية المتحدة فى الخسارة التى لا تعوض بفقد صديقنا وشقيقنا المحبوب الرئيس جمال عبد الناصر . وبالرغم من اننى لم التق بسيادة الرئيس جمال عبد الناصر الا فى بداية هذا الشهر الا ان هذا اللقاء زاد من تقديرى لشجاعته واعجابى به كرجل وطنى عظيم وكرجل محب للسلام » .

وقال : « ان تأييد الرئيس عبد الناصر لقضية وحدة نيجيريا كان موضوعيا ومطلقا ولذلك فان ذكراه ستظل باقية وحبه لدى شعب نيجيريا ..

انه لمن المؤسف حقا ان تنتهى حياة مثل هذا الزعيم دون ان يعرفه العالم حق المعرفة كرجل شريف ومخلص يزخر قلبه بالرغبة فى تحقيق السلام لبلاده وللعالم أجمع ..

واختتم الرئيس النيجيرى برقيته بقوله : « ان وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ليست خسارة للجمهورية العربية المتحدة فحسب بل وللقارة الافريقية الحرة كلها وللمجموعة الدول النامية . فليرحم الله برحمته وعظمته روح الزعيم الطاهرة » .

التشريع
الفقه • الأبحاث
الدراسات الصوفية
فى الإسلام

تفسير سورة الغاشية

الأستاذ
أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

● هل أتاك حديث الغاشية •
● وجوه يومئذ خاشعة •
● عاملة ناصبة •
● تصلى نارا حامية •
● تسقى من عين آنية •
● ليس لهم طعام الا من ضريع •
● لا يسمن ولا يغنى من جوع •
● وجوه يومئذ ناعمة •
● لسعيها راضية •
● فى جنة عالية •
● لا تسمع فيها لاغية •
● فيها عين جارية •
● فيهاسرر مرفوعة •
● وأكواب موضوعة •
● ونمارق مصفوفة •
● وزرابى مبثوثة •
● أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت •
● والى السماء كيف رفعت •
● والى الجبال كيف نصبت •
● والى الارض كيف سطحت •
● فذكر انما أنت مذكر •
● لست عليهم بمصيطر •
● الا من تولى وكفر •
● فيعذبه الله العذاب الاكبر •
● ان الينا ايابهم •
● ثم ان علينا حسابهم •

« صدق الله العظيم »

سيدنا محمد وهذه السورة :

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الاعلى والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة •

وقال الامام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله ابن عبدالله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة ؟

قال : هل أتاك حديث الغاشية ·

رواه ابو داود عن القضبى والنسائى عن قتيبة كلاهما عن مالك به ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

سورة مكية :

سورة مكية باتفاق ولم يجر حولها خلاف وهى بكل (خصائصها) خصائص السور المكية التى شرحناها · حديث عن توحيد الالوهية ولفت نظر الانسان الى حقائق القدرة الالهية من حوله وتشتمل السورة : ككل السور المكية ، على الحديث عن البعث والنشور ويوم القيامة واهواله بالنسبة للكافرين والعصاة والجاحدين ، ومظاهر النعيم للابرار والمتقين وتنتهى السورة بلفت نظر سيدنا محمد أن لا يضيق بكفر القوم وعنادهم فما هو الابشير ونذير وان واجبه هو فى أن يذكر ويدع ما بقى بعد ذلك لله المتصرف فى عباده وهذا هو الدستور والطريق المفتوح أمام كل مؤمن وهو أن يؤدى واجبه ويدع ما بعد ذلك لله عز وجل ·

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة ● عاملة ناصبة ● تصلى نارا حامية ● تسقى من عين آنية ● ليس لهم طعام الا من ضريع ● لا يسمن ولا يغنى من جوع ●

هل اتاك : يقول بعض المفسرين ان الخطاب لسيدنا محمد ، ولكن الحديث موجه لكل من له اذنان للسمع وله عينان وقلب وعقل أو بالاحرى موجه لكل انسان عاقل

حديث الغاشية : الغاشية من أسماء يوم القيامة كالقارعة والحاقة والصاخة ، ويقول بعض المفسرين أن المقصود بالغاشية جهنم اذ ذكر فى القرآن الكريم « وتغشى وجوههم النار » وعندنا أن هذا ولع بالنقاش واللجاج الذى غرق فيهما بعض الناس والا فان سياق الكلام ونظمه يقطع بأن المقصود هو يوم القيامة اذ أن الايات تتحدث عن الجنة كما تتحدث عن النار ، على أن فى القرآن آية كريمة ترجح الرأى الذى يقول بأن الغاشية من أسماء يوم القيامة وهى قول القرآن الكريم : « **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ● يغشى الناس هذا عذاب اليم** » فتكون الغاشية هى يوم القيامة ويأخذ بلبنا أنه من علامات يوم القيامة هذا الدخان المبين والدخان بلغة العلم الحديث هو « الغازات » والاجماع بين علماء الفلك أن هذا الكوكب الارضى لابد أن تكون له نهاية كمئات والوف من الكواكب والنجوم التى وجدت فى هذا الكون فى وقت ما ، ثم تحولت لسبب ما الى غازات واشعاعات يزخر بها الكون والحق أن يوم القيامة بمعنى فناء الكوكب الارضى وكل صور الحياة قضية لا تحتمل أى شك أو تردد من الناحية النظرية أو العملية والتجريبية والعلمية .

فأما من الناحية النظرية فان لكل ماله بداية لا يمكن الا أن تكون له نهاية ومن المتفق عليه الان علميا أن هذا الكون من حولنا كان حيث لم يكن ، واذن ما دامت له بداية فلابدان تكون له نهاية وهذه النهاية هى التى يسميها القرآن يوم القيامة ونحن مأمورون أن نؤمن بها ، اما نهاية الحياة على ظهر هذا الكوكب الارضى ، بل نهاية الكوكب الارضى كله قد دخلت فى أيامنا هذه دائرة التجارب المادية فنحن نرى أنه مامن كائن حى الا ويموت ونحن نرى كذلك أن الموت الجماعى يقع من حين لاخر بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين والاعاصير وقد اضيف اليها اليوم عنصر انسانى وهو الحرب الذرية التى يرتجفون منها فزعا والتى يقولون انها قد تقع بطريق الخطأ وسوء الفهم ·

فيوم القيامة بمعنى نهاية الحياة مسألة باتت مؤكدة ، أما تجدد الحياة مرة ثانية ونعنى به البعث والنشور فقد ضرب القرآن له مثلا وهو النبات ، والمصريون لا يستطيعون تصور هذه الصورة لان بلادهم خضراء على مر العام أما فى بقية العام فانه ليهولك ان ترى كل شىء فى دنيا النبات ميتا حتى لترى الغابة من الغابات وكأنها تحولت الى أعمدة من الاحجار السوداء الكالحة ، ولا يكاد يأتى فصل الربيع حتى يخضر ذلك كله ويغص بالحياة وتتألق الازهار والورود والرياحين ، وتغص الغابة بكل أنواع الحياة فتغرد الطيور والعصافير وتتكاثر الحشرات وتجرى عيون المياه ويتكرر هذا البعث سنويا ·

وما لنا نذهب بعيدا ونحن نرى أنفسنا نموت موتا جزئيا كل ليلة ثم نبعث فى الصباح أوفر ما نكون صحة وعافية ·

وكل مافى الكون من حولنا ينتهى ليبدأ من جديد وهكذا ·

فلا يجب أن يمارى انسان كائنا من كان فضلا عن الانسان المؤمن فى أن يوم القيامة حق من حق وكذلك البعث والنشور ·

وكانت عرب الجاهلية فى مكة لا تؤمن بشىء من هذا فجاء القرآن الكريم يؤكده لهم ويثبته فى عقولهم عن طريق التكرار فى كل سورة مكية مع تغيير فى الالفاظ والكلمات للتعبير عن ذات الحقيقة .

وجوه يومئذ خاشعة :

خاشعة هنا أى ذليلة ، وهى وجوه الكفار والاشرار والطغاة والجبارين وكل المعتدين ·

عاملة ناصبة :

افترق المفسرون الى قسمين فى تفسير هذه الاية فقال فريق ، أى عاملة ناصبة فى الدنيا ، ومع ذلك فان عملهم وتعبهم فى الدنيا لم يفدهم شيئا لانهم لم يؤمنوا وضربوا لذلك المثل برهبان النصارى وأن كل ما فعلوه فى الدنيا لن ينفعهم يوم القيامة .

أما الفريق الثانى من المفسرين فيقولون « عاملة ناصبة » أى يوم القيامة ونحن من هذا الرأى فان الاعمال الصالحة فى الحياة الدنيا أيا كان مصدرها ، وكان فاعلها لابد أن تلقى جزاءها الحسن يوم القيامة واقرأوا ان شئتم .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ● ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

تصلى نارا حامية ● تسقى من عين آنية ● ليس لهم طعام الا من ضريع ● لايسمن ولا يغنى من جوع ●

آنية : آى حارة ملتهبة .

جاء فى القرآن الكريم يطوفون بينها وبين حميم آن .

الضريع : نبات صحراوى اسمه الشبرق عندما يجف ويصبح يابسا فيصبح نوعا من الاشـــواك السامة .

وقال البعض كلاما لا سند له من أن قريشا عندما نزلت آية « ليس لهم طعام الا من ضريع » قالوا ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت آية لايسمن ولا يغنى من جوع وقد وضحنا من قبل منهاجنا فى وصف النار والجنة فالقرآن الكريم يصف الوانا من العذاب يفهمها المخاطبون بالقرآن ساعة نزوله وهم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وهى العربية ومجمل مايستفاد من الايات الشقاوة بما عملوا من شرور فى هذه الدنيا وكفروا بالله وجحدوا جميل صنعه سوف يصلون نار جهنم فاذا أرادوا أن يشربوا لم يجدوا الا ماء أشد هولا وحرا من النار نفسها .

« وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه »

وان هم جاعوا جىء لهم بالطعام لا يقل عن النار نفسها .

« ولا طعام الا من غسلين » وأحيانا يسمى القرآن هذا الطعام بالزقوم ويحاول بعض المفسرين على ما أشرنا من قبل أن يرتبوا هذه الانواع من المأكولات وأن يصنفوها وعندنا أنها كلها كنايات عما سيلقاه أهل الشقاء من ألوان العذاب ونحن ندع الكيفية لله عز وجل وندعوه أن يجنبنا النار وويلاتها أيا كانت « ربنا انك من تدخل النار فقد أخـزيته وما للظـالمين من أنصار » .

وجوه يومئذ ناعمة ● لسعيها راضية ● فى جنة عالية ● لا تسمع فيها لاغية ● فيها عين جارية ● فيها سرر مرفوعة ● وأكواب موضوعة ● ونمارق مصفوفة ● وزرابى مبثوثة ■

لاغية : من اللغو وهو هذر الكلام ومجونه أو هو الكذب .

نمارق : جمع نمرقة وهى الوسائد .

وزرابى : أى الطنافس والسجاجيد

والمعنى العام تصوير لما يلقاه أهل السعادة ممن أنعم الله عليهم بالجنة بألوان من الحياة الرغدة التى حرموا منها فى الدنيا والخطاب بطبيعة الحال كان للعرب أيام النبى صلى الله عليه وسلم بما يفهمونه من أنواع النعيم ولذاته الحسية وقد اشتمل القرآن الكريم على أنواع أخرى من ملذات الجنة المعنوية كقول القرآن الكريم : « **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما** » « **ونزعنا ما فى صدورهم مـــن غل** » .

وهكذا يجد كل انسان فى الجنة ما يشتهيه من لذات حسية أو معنوية على حسب ما يشـاء ويختار . وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون »

ولذلك فجريا على خطتنا التى اتبعناها حتى الان لا نقف طويلا أمام تفاصيل النعيم كما يفعـل بعض المفسرين فيتكلمون كثيرا فى الاكواب الموضوعة وأنها موضوعة على حافة العيون الجارية وهى مليئة بالماء ويصفون الوسائد والسجاجيد والسرر المرفوعة ولا يكتفون فى كلمة مرفوعة أنها مرتفعة عن الارض بل يقولون انها تهبط حتى يجلس عليها المؤمن ثم ترتفع به فى الهواء ليشرف على ما أعد له من الوان النعيم . وكل هذه تفاصيل علمها عند الله ولم يكن السلف الصالح يخوضون فى هذه الكيفيات ونحن نقف عند ما وقفوا والله تعالى أعلم .

أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ● والى السماء كيف رفعت ● والى الجبال كيف نصبت ● والى الارض كيف سطحت ●

ينتقل القرآن وفقا لاسلوبه ومنهاجه للرد على ما قد يجول من خواطر فى صدور المكذبين والمتشككين بأن يدعوهم للتـأمل فى أنفسهم والى مايحيط بهم من مظاهر القدرة الالهية وأن الذى خلق هذه الكائنات قادر على أن يخلق غيرها من طرازها أو أعجب منها ويبدأ بلفت أنظار العرب وعقولهم الى هذه الدابة التى تقوم عليها حياتهم ونعنى بها الجمل أعجب الحيوانات على الاطلاق ذلك أن من بين الحيوانات ما استأنسه الانسان ليركبه وينتقل به من مكان الى مكان كالحصان أو الحمار ، ومن الحيوانات ما استأنسه الانسان لينتفع بلحمه ومنها ما استأنسه لينتفع بلبنه أو بوبره أو بجهده ولكن الجمل هو الحيوان الوحيد الذى يقدم للعربى كل شىء ويغنى عن بقية الحيوانات ولا تغنى عنه كلها .

فهو الذى ينقل العربى آلاف الاميال عبر الصحراء وهو الذى يقدم له غذاءه لبنا عذبا أو لحما شهيا وهو الذى يقدم له مسكنه فمن جلد الجمل أنشأ البدوى أول ما أنشأ مسكنه قبل ان يصنعها من وبره حتى الوقود الذى يصطلى به من البرد اذ يتخذه من روثه ومن هنا فقد قالوا ان ربع الفاظ اللغة العربية الجاهلية كانت تدور حول أسماء الجمل واجزائه واعماله وقد شذ بعض المفسرين فقالوا ان الابل فى هذه الآية تعنى السحب بمقولة ان الكلام عن السحب هو الذى يتفق مع الايات التالية التى تتحدث عن السماء والارض والجبال وذلك انه قدر لى أن أحج الى بيت الله الحرام منذ ثلاثين سنة كانت السيارة فى بلاد الحجاز لاول عهدها واخترت أن أستعمل الجمل لا السيارة وفيما أنا راكب فوق الجمل وهو يتهادى بى وقد تملكتنى نشوة روحية فرحت أسبح واهلل وأكبر وانشرح صدرى واحسست كأنما أحلق فى الهواء وحانت منى نظرة الى السماء فاذا هى زرقاء ممعنة فى الزرقة والصفاء بلا نهاية وأجلت البصر فيما حولى وقد كنا نسير فى أحد الوديان فاذا الجبال الشامخة عن يمين وشمال واذا الارض مبسوطة تحت قدمى الجمل فوجدتنى أقول بلا شعور « **أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ● والى الجبال كيف نصبت ● والى الارض كيف سطحت** » ؟ !

وهكذا كانت حياة العرب يقضون أكثر حياتهم فوق ظهور جمالهم تظلهم السماء من فوقهم وتحيط بهم الجبال وقد أجمعت أغلبية المفسرين الساحقة على أن الابل فى هذه الاية هى الجمال ويعجبنا أن خبراء المجلس الاسلامى الاعلى الذين ساعدوا على احدث تفسير مختصر وواضح للقرآن ونعنى به المنتخب فى تفسير القرآن قد وقفوا طويلا أمام هذه الايات وقالوا لنا كلمة العلم فى الجمل نرى أن نسجلها بنصها لتعم الفائدة .

« فى خلق الابل آيات معجزات دالة على قدرة الله ليتدبر فى ذلك المتدبرون . فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصحراء بحق ، فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان الى الخلف فضلا عن طبقتين من الاهداب تقيانها الرمال والقذى ، وكذلك المنخران والاذنان يكتنفهما الشعر للغرض نفسه . فاذا ما هبت العواصف الرملية انقفل المنخران ، وانثنت الاذن على صغرها وقلة بروزها ـ نحو الجسم . أما القوائم فطوال تساعد على سرعة الحركة ، مع ما يناسب ذلك من طول العنق ، وأما الاقدام فمنبسطة فى صورة خفاف تمكن الابل من السير فوق الرمال الناعمة ، وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الارض الخشنة الساخنة ، كما أن على جانبى ذيله الطويل شعرا يحمى الاجزاء الخلفية الرقيقة من الاذى .

أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع ، فهو فى الشتاء لا يطلب الماء ، بل قد يعرض عنه شهرين متتاليين اذا كان الغذاء غضا رطبا أو اسبوعين ان كان جافا كما انه قد يتحمل العطش الكامل فى قيظ الصيف أسبوعا أو أسبوعين ، يفقد فى أثنائهما أكثر من ثلث وزن جسمه ، فاذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد فى دقائق معدودات . والجمل لا يختزن الماء فى كرشه كما كان يظن . بل انه يحتفظ به فى أنسجة جسمه ويقتصد فى استهلاكه غاية الاقتصاد ، فمن ذلك انه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده الا أدنى العرق وذلك لان حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض فى الصباح المبكر ، ثم تأخذ فى الارتفاع التدريجى أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة الى تلطيفها بالعرق والتبخر ، وعلى الرغم من كمية الماء الهائلة التى يفقدها الجسم بعد العطش الطويل فان كثافة دمه لا تتأثر الا فى أدنى الحدود ومن ثم لا يقضى العطش عليه . وقد ثبت ان دهن السنام مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع ، ولكنه لا يفيده كثيرا فى تدبير الماء اللازم لجسمه » . ومازال العلماء يجدون فى الجمل كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالى لهم على النظر فى خلقه المعجزة .

كما يعجبنا من الامام الفخر الرازى فى تفسيره أنه وقف أمام آية [**والى الارض كيف سطحت**] اذ قال : **وقد استدل البعض بهذه الاية على بطلان كروية** الارض وهذا ليس بحجة فان الكرة عندما تكون كبيرة جدا يكون سطح أى جزء منها مسطحا ولانقل لك نص تعبيره : « ومن الناس من استدل بهذه الاية على أن الارض ليست بكرة وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت فى غاية العظمة يكون قطعة منها كالسطح » .

فانظر يارعاك الله كيف أن المسلمين كانوا هم مستودع العلم قبل أوربا بعشرة قرون فنحن نعلم ان خريستوف كولومبس فى القرن الخامس عشر الميلادى عندما قال لعلماء أوربا وملوكها انه يستطيع أن يبحر الى الهند عن طريق الغرب لان الارض كروية هزءوا به جميعا وسخروا من جهله وغبائه ولم يجد من يستمع اليه الا ملكة أسبانيا حيث كان العلم والحضارة الاسلامية هى التى تسيطر على المجتمع وكان فيلسوف الاندلس (ابن رشد) قد جعل كروية الارض من الحقائق الثابتة . ونحن قد جرينا فى تفسيرنا لمثل هذه الاية « **والى الارض كيف سطحت** » ان الله سبحانه وتعالى يلفت النظر على مر العصور كيف ان الارض كغيرها من الكواكب كروية الشكل ومع ذلك فهى تبدو فى نظر الانسان مسطحة ويقيم على ظهرها المسطح ويبنى وينشىء ويعمر أضخم المدن التى ما كانت لتقوم لولا هذا الظهر المسطح والذى يحجب عن الانظار كروية الارض .

وهنا يحضرنا حديث يتصل بهذه الآيات . يدور حول خالق السموات والارض جاء فى كتاب ابن كثير .

حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فكان يعجبنا أن يجىء من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد انه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال (صدق) قال فمن خلق السماء ؟ قال [الله] قال فمن خلق الارض . قال [الله] قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال (الله) قال فبالذى خلق السماء والارض ونصب **هذه الجبال آلله أرسلك** ؟ قال (نعم) قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا قال [صدق] قال : فبالذى أرسلك آلله امرك بهذا؟ قال (نعم) قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا قال (صدق). قال فبالذى ارسلك آلله أمرك بهذا؟ قال (نعم) قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال (صدق) قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهم شيئا ولا أنقص منهم شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ان صدق ليدخلن الجنة) وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان ابن المغيرة به .

القرآن فجر ينابيع العلم :

وقد كانت هذه الايات وأمثالها هى التى انتقلت بالعرب من شعب أمى غارق فى الجهالة الى شعب أضاء على الدنيا بنور العلم والمعرفة والحضارة عشرة قرون فالقرآن دعوة ملحة الى النظر والتأمل والتفكير فى عجائب الكون والمخلوقات ولذلك لم يتردد العرب وهم المسلمون الموحدون أن ينقلوا علوم الاغريق ، بل وأن يطلقوا على أرسطو فيلسوف الاغريق أنه المعلم الاول وأن يترجموا كتبه وينتفعوا **بها ولم تعلم أوربا الحديثة بهذه الكتب الا عن طريق** المسلمين .

فذكر انما أنت مذكر ● لست عليهم بمصيطر ● الا من تولى وكفر ● فيعذبه الله العذاب الاكبر ● ان الينا ايابهم ● ثم ان علينا حسابهم ●

لا اكراه فى الدين :

مصيطر اى متسلط جاء فى القرآن الكريم : « **وما أنت عليهم بجبار** »

وهذه من الايات المحكمات اللواتى هن أم الكتاب . وقد وهم بعض المفسرين القدامى فقالوا انهذه الاية قد نسختها آية السيف ، وهو وهم فعندما يقول الله عز وجل لنبيه ورسوله « **فذكر انما أنت مذكر** » ● **لست عليهم بمصيطر** ● فهو يؤكد حقيقة ربانية خالدة ، لا يمكن أن تتغير أو تتبدل ، فالرسول لم يأت لاكراه أحد على الايمان اذ لو شاء الله أن يكره الناس على الايمان لخلقهم مؤمنين ، ولما أعجزه ذلك فقد خلق الملائكة يسبحون بحمده آناء الليل وأطراف النهار وهم لايعصون ما أمرهم، ولكن شاءت حكمته لغاية لا يعرفها الا هو أن يخلق هذا الانسان وأن يزوده بالحرية والمعرفة ، وأن يدع لعقله وقلبه طريق الايمان بالله ، أو الجهل به « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » وقال بصريح اللفظ « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، وقال لنبيه فى أكثر من** موضع « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟** »

وقد روج أعداء الاسلام انه انتشر بالسيف ، وأخطأوا فهم معارك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعارك خلفائه من بعده مع أن هذه المعارك فى حقيقتها كانت تدور دفاعا عن هذا المبدأ وهو حرية العقيدة ، فقد كانت قريش أى كفار مكة يعذبون المسلمين ليردوهم بالقوة كفارا بعد ايمانهم ، وأمر المسلمون فى بادىء الامر بالصبر واحتمال الايذاء ثم أبيح لهم بعد ذلك أن يدافعوا عن أنفسهم « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** » فمعارك الاسلام حتى وان بدت بعض الاحيان أنها هجومية ، هى فى الحقيقة والواقع حرب دفاعية بحتة ولم يحدث أبدا فى كل تاريخ الاسلام أن أكره أحد على اعتناق الاسلام وليس أدل على أكذوبة انتشار الاسلام بحد السيف ، ان عدد من اعتنقوا دين الاسلام بعد أن زالت قوة العرب العسكرية يفوق أضعافا مضاعفة عدد الذين اعتنقوه أيام قوة العرب العسكرية بل ان الاسلام انتشر فى الشعوب التى انتصرت على العرب عسكريا كالتتار والاتراك . وكل المراكز الاسلامية الشهيرة فى قلب آسيا مثل سمرقند وطشقند كانت عواصم ملك التتار الذين هزموا المسلمين هزيمة ساحقة فى ميدان الحرب والقتال ثم انتصر عليهم الاسلام بقوته الذاتية قوة تعاليمه ونصاعتها ، وعلى راسها توحيد الالوهية توحيدا قويا صارما فعندما يقول القرآن الكريم لنبيه [**فذكر انما أنت مذكر** ● **لست عليهم بمصيطر** » فهو خطاب موجه لكل مسلم فى كل زمان ومكان أن يدعو لسبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن لا يضيق صدره بكفر من كفر أو شركه أو جحوده .

فان الله هو الذى خلقهم وهو الذى سيعيدهم اليه وهو الذى سيتولى حسابهم .

والحمد لله رب العالمين وهو أعلم بمراده وحقيقة خطابه .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

بين يدى المقال

عندما كنا نصلى صلاة الجنازة على بعض المسلمين بجامع عمر مكرم ٠٠ واذا بنا بعد الفراغ من الصلاة نسمع مجموعة من الناس تتلو سورة الاخلاص بصوت جهير ٠٠ فسأل بعض المصلين :

– هل فعل النبى ، صلى الله عليه وسلم ، مثل ذلك ؟

– فقلت : كلا !!

– فقال : أليس هذا من باب العبادة ؟

– فقلت : هم يظنون ذلك !!

– فقال : معنى هذا أن الله لم يشرعها ؟

– قلت : نعم ٠

– فقال : أو ليس السكوت على البدعة فى الدين منكرا ؟

– فقلت : بلى ٠

قال النبى صلى الله وعليه وسلم :

(من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد عليه) ٠

أى مردود عليه ٠

[٤٧]

خاض الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ٠٠ حروبا كثيرة مع جيوش الكفر ، الجمة ، الغفيرة ، المغرورة بوفرة العدد ، والعدد ، قتل فيها من الطرفين من قتل ، وأسر من أسر ٠

ولم يسم الله سبحانه وتعالى زمن غزوة بأنه (ساعة العسرة) الا زمن غزوة واحدة ، ولم ينزل عز وجل عددا من آيات القرآن فى غزوة واحدة مثل ما أنزل فى هذه الغزوة التى نزل بها نحو (٨٩ آية) من أول آية (٣٨) الى آخر آية (١٢٧) من سورة التوبة ٠٠ تلك الغزوة هى غزوة (تبوك) أو غزوة (العسرة) ٠

و (تبوك) بفتح التاء ، وضم الباء مخففة : مكان فى منتصف الطريق ، بين المدينة المنورة ودمشق ٠ وقدر العلماء المسافة بين المدينة وتبوك ، بنحو (٦١٠) من الكيلومترات ٠

و (العسرة) بضم العين ، وسكون السين : أصل معناها ٠٠ الضيق والشدة ٠ وسميت بذلك لما وقع فيها من العسر فى المال ، والماء ، والظهر ، والنفقة ، حتى أكلوا التمر المدود ، والشعير المسوس ، وخرجوا اليها بعد رجوعهم من السفر البعيد فى فتح (مكة) ، وما لاقوه من الشدة فى غزوة [حنين] فى وقت شدة الحرارة ، والناس فى شدة الحاجة الى الظلال والثمار التى بدأ نضجها ٠

ففى تفسير – عبد الرازق – عن – ابن عقيل – قال :

● خرجوا فى قلة من الظهر ، وفى حر شديد ، حتى كانوا ينحرون البعير ، فيشربون ما فى كرشه من الماء ، فكان ذلك عسرة فى الماء ، وفى الظهر (١) ، وفى النفقة ، فسميت ذات العسرة وقبل التعرض لما حصل فى هذه الغزاة – مما سيأتى فى حديث البخارى الذى هو موضوع المقال – نرجو من القارىء الكريم أن يضع أمامه آيات سورة التوبة التى تعرضت لهذه الغزوة ، ليتابع ما يمر عليه بفهم واعتبار ، ويتجلى له موقف رجال تتنزل بحبهم الرحمات ، وان كانوا قلة فى وسط أفواج من المنافقين ٠

وكان السبب فيها على ما ذكره (ابن سعد) أن المسلمين ، بلغهم من تجار الزيت الذين يقدمون به من الشام الى المدينة ، أن الروم جمعت جموعا ،

---

(١) الظهر ٠٠ بفتح الظاء المشددة وسكون الهاء ٠٠ ما يركبونه ، ويحمل متاعهم من الابل ، مع رغبة كثير من أقوياء الايمان من الصحابة فى السفر مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الغزوة الشاقة ، الى حد أنهم لما لم يجدوا ما يحملهم ، بكوا لحرمانهم من هذا الفضل العظيم ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم :

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ٠ ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) آيتا ٩١ ، ٩٢ سورة التوبة ٠

وفى قوله تعالى : (اذا نصحوا لله ورسوله) عبرة ، يجب التنبه لها ، تلك هى المحافظة على سلامة الجبهة الداخلية للدولة ، ويسميها العلماء الان باليقظة ، لمقاومة (الطابور الخامس) وهو ما يبثه العدو بين أفراد الامة التى يحاربها ، ليشيع فيها ما يضعف عزائم أبنائها ، فالله سبحانه يقول ، اذا عجز المؤمن عن القتال الفعلى ، أعفاه سبحانه من المسئولية بشرط أن يقوم بواجب محاربة الطابور الخامس ، فاذا لم يفعل كان مسئولا امام الله سبحانه يوم القيامة فضلا عما يلحق به من العار فى الدنيا ٠

واجلب – أى تجمع وسار معهم – (لخم وجذام) وغيرهم من متنصرة العرب، فندب النبى، صلى الله عليه وسلم، الناس الى الخروج وكان ذلك فى رجب سنة تسع، فهى قبل حجة الوداع بلا خلاف.

قال [الزهرى] :

● غزا، صلى الله عليه وسلم، غزوة تبوك، وهو يريد نصارى العرب والروم بالشام، حتى اذا بلغ [تبوك] اقام بضع عشرة ليلة، ولقيه بها وفد (أذرح) ووفد (أيلة)، فصالحهم على الجزية، ثم قفل من (تبوك) ولم يجاوزها.

ولم يصب المسلمين من التفرق فى غزوة من الغزوات مثل ما أصابهم فى هذه الغزوة، لاسباب منها ما تقدم، ومنها مرض النفاق الذى كان فى المدينة وما حولها، حتى كان المسلمون فى هذه الغزوة على أربعة أقسام :

١ – القادرون على الغزو وعدته، وسارعوا اليها، وهم الكثرة، ونزل فيهم آيات (٤٤، ٨٨، ١٠٠، ١١١، ١١٢، ١١٧) سورة التوبة.

٢ – القادرون، وتثاقلوا، ولكن .. أدركهم لطف الله، فأسرعوا بالسفر، ونزل فيهم آيتا (٣٨، ١١٧) التوبة.

ومن هؤلاء (أبو خيثمة) قال (الحافظ بن حجر) فى (فتح البارى) جزء ٨ صفحة ٨١ فى أثناء الكلام على حديث (كعب بن مالك) قال أبو خيثمة الانصارى :

● (تخلفت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى غزوة – تبوك – فبينما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يجد فى السير، دخلت بستانا لى فى يوم شديد الحر، فوجدت زوجتى، قد رشت كل منهما عريشا، كساه ورق العنب حتى صار ظلا ظليلا، ورأيت زوجتى فى أبهى ثيابهما، وأعدتا طعاما شهيا، فلما رأيت ذلك، تأملت قليلا فيما أرى، ثم قلت : والله ما هذا بانصاف .. ! رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى السموم، والحرور، وأنا فى الظل والنعيم .. ! وقلت : والله لا أدخل عريش واحدة، منكما، هيئا لى راحلتى، وبعض تمرات، وشيئا من الماء، ثم ركبت بعيرى، وأسرعت لالحق بالجيش، فلما طلعت على العسكر من بعيد، فبينما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين الجيش، اذ رأى رجلا منتصبا يزول به السراب، فقال، صلى الله عليه وسلم، – كن أبا خيثمة الانصارى – فقال أصحابه : هو يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. قال : فلما أنخت راحلتى، اقبلت على النبى، صلى الله عليه وسلم، وسلمت، واعتذرت فدعا لى النبى، صلى الله عليه وسلم، بخير).

٣ – عاجزون عن السفر، أو عن عدته، ونزل فيهم آيتا (٩١، ٩٢) التوبة.

٤ – المتخلفون مع القدرة من كل وجه، وهم أربعة أنواع :

أ – تخلف كسلا ولم يعتذر للنبى، صلى الله عليه وسلم، قبل السفر، ولما رجع، صلى الله عليه وسلم، اعترف هؤلاء بخطئهم، ونزل فيهم آيتا (١٠٦، ١١٨) التوبة، وهم أصحاب كعب الاتى.

ب – من اعتذر عن السفر قبله بأعذار باطلة، فاذن لهم، صلى الله عليه وسلم. وهو لا يعلم حقيقتهم، ومنهم عبد الله بن أبى بن سلول، ونزل فيهم أثناء السفر قبل الرجوع الى المدينة ايات (٨٣، ٩٤، ٩٥) التوبة.

جـ – بقية منافقى المدينة، والمنافقون من الاعراب حول المدينة، وهؤلاء تخلفوا بدون عذر، ولما رجع، صلى الله عليه وسلم، اعتذروا بأعذار باطلة، وصدقهم، صلى الله عليه وسلم، وقبل عذرهم، ونزل فيهم آية (١٢٠) التوبة.

د – المنافقون الذين سافروا معه، صلى الله عليه وسلم، لغرض خبيث، وهو محاولة قتله، صلى الله عليه وسلم، فى الطريق من المدينة الى الشام، ونزل فيهم قوله تعالى : (وهموا بما لم ينالوا) آية (٧٤) التوبة.

نص الحديث

روى البخارى عن كعب بن مالك، رضى الله عنه، قال : لم أتخلف عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى غزوة غزاها الا فى غزوة تبوك، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها، انما خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام، وما احب أن لى بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر فى الناس منها. كان من خبرى انى لم اكن قط اقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله، صلى الله عليه وسلم فى حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتاهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد، والمسلمون مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ. قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله. وغزا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون معه، ولم أقض شيئا، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فادركهم – وليتنى فعلت – فلم يقدر لى ذلك، فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم – أحزننى أنى لا أرى الا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرنى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ

تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب ؟

[فقال أحد الحاضرين كلمة ظنها معاذ بن جبل ماسة بكعب] فقال : والله يارسول الله، ما علمنا عليه الا خيرا ، فسكت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم • قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه قافلا ، حضرنى همى ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،قد أظل قادما زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب فأجمعت صدقه •••

•••

شرح الحديث :

[كعب بن مالك] الانصارى السلمى — بفتحتين : شهد العقبة ، وبايع بها وتخلف عن بدر ، وشهد أحدا وما بعدها ، وتخلف فى تبوك ، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم •

(غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر) قال الحافظ •• هو استثناء من المفهوم فى قوله لم أتخلف الا فى تبوك ، فان مفهومه أنى حضرت فى جميع الغزوات ما خلا غزوة تبوك ، والسبب فى كونه لم يستثنهما معا بلفظ واحد بأن يقول : الا فى غزوة تبوك وبدر مثلا كونه تخلف فى تبوك مختارا لذلك مع تقدم الطلب ووقوع العتاب على من تخلف ، بخلاف بدر فانه لم يطلب منه الخروج اليها ، فلذلك غاير بين التخلفين • (انما خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم) الى بدر (يريد عير قريش) وهى قافلة الابل التى كانت قريش أرسلتها للشام لتحمل ما تحتاج اليه من قوت وغيره ، وكان على رأس القافلة — أبو سفيان • (حتى جمع الله بينهم) أى بين المسلمين [وبين عدوهم] أى فلم تكن مقصودة بالقتال حتى يكون التخلف عنها مذموما • (ولقد شهدت مع رسول الله) الخ ، يريد بهذه الجملة ، أن يؤكد بعده عن صفات المنافقين الذين تخلفوا معه فى تبوك ، ببيان أن له فى الاسلام مواقف تتضاءل أمامها واقعة بدر ••

(ليلة العقبة) بمنى مع الانصار • (حين تواثقنا) أى أخذ بعضنا على بعض العهد والميثاق لما تبايعنا (على الاسلام) والايواء والنصر وذلك قبل الهجرة • (أن لى بها) أى بدلها ، لان ظهور الاسلام كان سببه التعاقد تلك الليلة • (أذكر) أى أعظم ذكرا ، وفى رواية مسلم « وان كانت بدر أكثر ذكرا فى الناس منها » • (لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه] صلى الله عليه وسلم [فى تلك الغزاة] أى غزوة تبوك • (والله ما اجتمعت عندى قبله) أى قبل زمن تلك الغزوة (راحلتان قط) واستمر عدم اجتماعهما (حتى جمعتهما فى تلك الغزاة) أى الغزوة • (الا ورى بغيرها) أى أوهم أنه يريد غيرها ، والتورية أن يذكر لفظا له معنيان : قريب وبعيد ، فيوهم ارادة القريب وهو يريد البعيد • ولم يورِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الغزوة ، بل بينها للناس ، ليستعدوا لها وذلك لما صحبها من قحط شديد وغيره مما تقدم •

[كانت تلك الغزوة] أى غزوة تبوك [مفازا] أى فلاة لا ماء فيها (وعدوا كثيرا) وذلك أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة ، وأجلبت معها (لخم ، وجذام ، وغسان) كما تقدم • (فجلى) أى أوضح الرسول (للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم) أى ما يحتاجون اليه فى السفر والحرب (بوجهه) أى ، بالجهة التى يقصدها وهى تبوك (كثيرون) فى رواية أنهم يزيدون على عشرة آلاف ، وقيل : كانوا أكثر من ذلك (قال كعب) بن مالك (فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له) تغيبه ، أى ، لايظهر لاحد أنه تغيب لكثرة الجيش (ما لم ينزل فيه وحى الله) الذى يخبر عن المغيبات (حين طابت الثمار والظلال) وفى رواية : فى قيظ شديد فى ليالى الخريف والناس خارفون فى نخيلهم • فمعنى طابت الظلال : صارت لذيذة محبوبة عند النفوس لشدة القيظ (فطفقت) أى شرعت (أغدو) أذهب لاعد نفسى (ولم أقض شيئا) من جهازى (أنا قادر عليه) متى شئت (فلم يزل يتمادى بى) أى فلم يزل التردد ملازما لى (حتى اشتد بالناس الجد) وهو الجهد فى الشىء والمبالغة فيه (أتجهز بعده) صلى الله عليه وسلم (فغدوت بعد أن فصلوا) أى شرعت فى الاستعداد بعد أن ساروا وبعدوا عن المدينة (ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا) يحكى بهذا مبلغ حيرته وتردده وعدم قطعه فى الامر برأى (فلم يزل بى) أى ، التردد المفهوم من السياق [حتى اسرعوا وتفارط الغزو] أى : فات وسبق وفى رواية : حتى أمعن القوم وأسرعوا وهممت ان أرتحل فأدركهم [وليتنى فعلت] جملة اعتراضية بين ما كان يتمناه وما وقع فعلا (فلم يقدر لى ذلك) فيه : أن المرء اذا لاحت له فرصة فى الطاعة ، فحقه أن يبادر اليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها (رجلا مغموصا عليه النفاق) أى ، يظن به النفاق ويتهم به • قال الحافظ : أى مطعونا عليه فى دينه ، متهما بالنفاق (قال كعب) ابن مالك (فلما بلغنى أنه) صلى الله عليه وسلم (توجه قافلا) أى راجعا الى المدينة (حضرنى همى) أى ، حزنى وغمى مما فرط منى (فطفقت) أى ، شرعت (أتذكر الكذب) وعند ابن أبى شيبة : وطفقت أعد العذر لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذا جاء ، وأهىء الكلام (واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى) أى ، صرت أستشير أهلى وأستخرج ما عندهم من الرأى فى ذلك (قد أظل قادما) أى ، قد دنا قدومه (زاح) أى ، زال (عنى الباطل) أى ، ذهب عنى ما كنت أحاول أن أعتذر به كذبا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (أخرج منه) أى ، من سخطه (فأجمعت صدقه) أى ، عزمت على ألا أقول لرسول الله الا الصدق ، ولابن أبى شيبة : وعرفت أنه لا ينجينى منه الا الصدق

للبحث بقية

معانى السماء
فى القرآن الكريم

الدكتور احمد الحوفى

هل بالسموات مخلوقات

هل يعقل مفكر ان يكون الكون الذى لايعلم سعته وعظمته ونهايته الا الله خليا من مخلوقات حية غير التى نراها على الارض ؟ وكيف يعقل مفكر ان يختص الله تعالى هذه الارض – وهى فى ملكوت الله كذرة فى جبل – بالحياة الماثلة فى الانسان والحيوان والنبات ؟

فلنستقرىء بعض الآيات التى نستنبط منها أن فى الكون احياء غير التى على الارض .

وسنجد فى قسم من هذه الايات تعبيرا بكلمة (ما) وهى تدل فى الغالب على غير (العقلاء) وقدوصفت هذه المخلوقات بالتسبيح والسجود وبالنزول من السماء وبالعروج فيها .

وسنجد فى قسم آخر تعبيرا بكلمة (من) وهى تدل فى الغالب على العقلاء ، وقد وصفوا بالدبيب وبالتسبيح وبالسجود وبالطاعة وبالفزع وبالموت .

ثم نجد فى قسم ثالث ذكرا للملائكة .

١ – فمن القسم الاول قوله تعالى : « **يعلم ما يلج فى الارض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير** » سورة الحديد .

وقوله سبحانه ، « **الا ان لله ما فى السموات والارض، الا انوعد اللهحق، ولكناكثرهم لايعلمون** » سورة يونس .

وقوله تعالى : « **ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور** » سورة آل عمران .

وقوله سبحانه : « **وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض ، وكان الله غنيا حميدا** » سورة النساء .

وقوله تعالى : « **لله ملك السموات والارض وما فيهن ، وهو على كل شىء قدير** » سورة المائدة .

وقوله تعالى : « **ان فى اختلاف الليل والنهار ، وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون** » سورة يونس .

وقوله سبحانه ، « سبح لله ما فى السموات والارض **وهو العزيز الحكيم** » سورة الحديد .

وقوله تعالى : « **ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض ، من دابة والملائكة وهم لايستكبرون** » . سورة النحل

وقد ذكر الزمخشرى أنه يجوز أن يكون فى السماوات خلق تدب كما تدب الاناسى على الارض ، وقال ان الله خص الملائكة بالذكر من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم .

وقال فى تفسير قوله تعالى : « **سبحان الذى خلق الازواج كلها ، مما تنبت الارض ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون** » سورة يس .

خلق أصنافا لم يطلعهم عليها ، ولا توصلوا الى

معرفتها بطريق من طرق العلم ، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به ، لانه لا حاجة بهم فى دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ، ولو كانت بهم حاجة الى علمه لأعلمهم مالا يعلمون كما أعلم بوجود مالا يعلمون .

٢ ـ ومن القسم الثانى قوله تعالى : « **ومن آياته خلق السموات والارض ، وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير** » سورة الشورى .

وقد ذكر الزمخشرى فى تفسير هذه الاية ثلاثة أوجه :

(أ) أن الدواب فى الارض وحدها ، ولكن نسبت الى السماوات والارض ، مثل قوله تعالى : « **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** » وانما يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر الملح . . سورة الرحمن

(ب) أن الملائكة تمشى كما تطير ، فتوصف بالدبيب كما يوصف به الناس .

(ج) أن يكون فى السماوات حيوان يمشى مشى الاناسى على الارض ، **سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق .**

ويبدو أن الرأى الثالث هو الصواب لانه يتسق مع بقية الايات .

وقوله تعالى ، « **ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض** » سورة يونس .

وقوله سبحانه : « **الم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ، والله عليم بما يفعلون** » سورة النور .

وقوله تعالى : « **يسأله من فى السموات والارض ، كل يوم هو فى شأن** » سورة الرحمن .

أى يسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم ، وأهل الارض ما يتصل بدينهم ودنياهم ، وله سبحانه وتعالى فى كل يوم شئون يبديها ولا يبتدئها ، فهو يحدث أمورا ، ويجدد أحوالا ، ويغفر ذنوبا ، ويفرج كروبا ، ويرفع قوما ، ويخفض آخرين ، ويحيى ويميت ، ويعطى ويمنع ، ويشفى ويسقم ، ويعز ويذل الخ .

وقوله تعالى : « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن** » سورة المؤمنون .

أى لو اتبع الله تعالى أهواءهم لامر بالشرك والمعاصى ، ولما كان الها ، ولعجز عن امساك السماوات والارض .

أو لو صار الحق وفق أهوائهم لانقلب باطلا ، ولذهب ما يصلح به شأن العالم .

ولو جاء الاسلام على هواهم لكان شركا ، ولجاء الله بالقيامة ، ولاهلك العالم ، ولم يؤخره .

وقوله سبحانه ، : **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها ، واليه يرجعون** » سورة آل عمران .

والمراد بالطوع الاقتناع بالادلة ، والمراد بالكره الاسلام بمعاينة ما يضطرهم الى الايمان بالله ، كنتق الجبل على بنى اسرائيل ، وغرق فرعون .

وقوله تعالى : « **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب** » سورة الحج

والمراد بسجود الشمس والقمر والنجوم والجبال خضوعها لما يحدث فيها من افعاله ، ويجريه عليها من تدبير ، وتسخير لها ، فكأن هذه المطاوعة سجود المؤمنين الدال على الخضوع الكامل .

أو أن المراد بسجودها وتسبيحها أنها بلسان الحال تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته ، فكأنها تنطق بذلك ، وتنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها .

وقوله تعالى « **ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها** » . سورة الرعد

أى أنهم ينقادون لما اراده فيهم من أفعاله ، شاءوا أو أبوا ، لا يستطيعون الامتناع .

وقوله سبحانه : « **تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** » سورة الاسراء .

وقوله تعالى : « **ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم ، وعدهم عدا ،** وكلهم اتيه يوم القيامة فردا » سورة مريم

وقوله تعالى : « **وله من فى السموات والارض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون** » . **سورة الانبياء**

وقوله سبحانه : « **وربك اعلم بمن فى السموات والارض** » . سورة الاسراء

وقوله تعالى : « **ويوم ينفخ فى الصور ، ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين** » . **سورة النمل**

وقوله سبحانه : « **ونفخ فى الصور ، فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون** » . سورة الزمر

٣ ـ وأما القسم الثالث فمنه قوله تعالى : « **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** » . سورة النجم

وقوله تعالى : « **ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة ، والملائكة وهم لا يستكبرون** » . **سورة النحل**

السنا نجد فى هذه الايات ما يخولنا أن نستنبط منها أن فى الكون ألوانا من الحياة غير التى نعلمها ، وأصنافا من الاحياء غير الذين نعهدهم على الارض ؟

ولكن ما كنه تلك الحياة

وما حقيقة أولئك الاحياء ؟

انه سبحانه وتعالى المتفرد بعلم هذا وذاك ، وهو القائل : « **ويخلق ما لا تعلمون** » . **سورة النحل**

من أحكام الشريعة

لقد اوضحنا فى مقالنا السابق كيف يثبت هلال رمضان وطريق اثباته وهل تكفى شهادة واحد فى ذلك ام لا • كما بينا طريق اثبات هلال شوال والحكم فى يوم الغيم او الشك •

وسنعرض فى هذا المقال لما وعدنا به من بيان الحكم عند رؤية الهلال وهل تلتزم البلاد الاسلامية جميعها برؤية احدى البلاد أم أن لكل بلد مطلعها ؟ **كما** سنبين أيضا آراء الفقهاء فى صوم يوم الشك وحكم ذلك واليك البيان فى ذلك كله •

كان من حكمة الله العليم الخبير أن يتفرق سكان المعمورة على سطحها ، وكان نتيجة هذا التفرق اختلاف مواقع البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا •

وقد اقتضى نظام سير الشمس والقمر وجود الاختلاف والتفاوت فى مواقيت العبادات المؤسسة على شروق الشمس وغروبها وزوالها كالصلوات الخمس ، كما كان الاختلاف كذلك بالنسبة لعبادة الصوم المبنية على رؤية الهلال •

هذا ولا خلاف بين الفقهاء فى أن اختلاف مطالع الشمس معتبر شرعا فى الاحكام الشرعية المتعلقة بها وقد جرى العمل بمقتضى ذلك فى اوقات الصلوات الخمس لان الشارع قد أناط الحكم فى هذه الاوقات بوجودها — اذ يقول الله جل شأنه «**اقم الصلاة لدلوك الشمس**» ويقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « **وقت الظهر اذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر — ووقت العصر ما لم تصفر الشمس — ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق — ووقت صلاة العشاء الى نصف الليل الاوسط — ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر مالم تطلع الشمس** ! • رواه مسلم • وقد أفاد الحديث تعيين الاوقات الخمسة أولا وآخرا

والمعلوم أن فى تحركات الشمس اختلاف الاوقات فى الاماكن المتعددة فقد يكون الفجر فى مكان والزوال فى مكان آخر والغروب فى مكان ثالث وهكذا • ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلاة اليومية فى الاماكن المختلفة وعلى ذلك اجماع فقهاء المسلمين بالنسبة لاوقات الصلاة وان المعتبر عند كل قوم فجرهم وزوالهم وغروبهم ولا يلزمهم حكم غيرهم • أما الاهلة فقد أناط الشارع الحكم فيها برؤيتها وذلك لان الله جل شأنه يقول « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » — ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** »

واختلاف مطالع القمر من الامور المحسوسة المشاهدة ، فقد يرى الهلال فى بعض البلاد بعد غروب الشمس ولا يرى فى بعضها الا فى الليلة التالية ، وقد تكون رؤية الهلال متيسرة لبعض الاقطار دون بعض •

من أجل ذلك كان الخلاف بين الفقهاء فى اعتبار مطالع القمر وعدم اعتبارها ولعل لهذا الاختلاف فى المطالع تأثيرا فى ثبوت الاهلة والاحكام المتعلقة بها أو انه لا عبرة باختلاف المطالع •

فذهب الحنفية الى أنه لا عبرة باختلاف المطالع وفى ذلك يقول صاحب الدر المختار لا عبرة باختلاف المطالع فيلزم أهل المشرق برؤية أهل المغرب لعموم الخطاب فى قوله عليه الصلاة والسلام : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » وهذا الرأي هو الذى عليه الفتوى فى المذهب وان كان بعض فقهاء الحنفية قد ذهب الى القول باختلاف المطالع واختار ذلك الزيلعى •

اما فقهاء المالكية فقد روى عنهم فى اختلاف مطالع القمر ثلاثة أقوال

الاول — انه لا عبرة باختلاف المطالع مطلقا قربت البلاد أو بعدت وان الحكم بثبوت رمضان يعم كل من نقل اليه سواء كان ثبوته عند حاكم عام أو خاص — اذا نقل بشهادة عدلين أو باستفاضة •

الإسلامية وآدابها

فضيلة الشيخ محمد خاطر
مفتي الجمهورية

الثاني – انه يعتبر اختلاف المطالع اذا ثبتت الرؤية عند حاكم خاص ·

الثالث – يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة ·

وقد اختلف فقهاء الشافعية فى اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتبارها أيضا وفى ذلك يقول الامام النووى : اذا رأوا الهلال فى رمضان فى بلد ولم يروه فى غيره فان تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد بلا خلاف وان تباعدا فوجهان مشهوران أصحهما لا يجب الصوم على أهل البلاد الاخرى والثانى يجب · والصحيح الاول · ولهم فى اعتبار البعد والقرب عدة آراء منها أن التباعد باختلاف المطالع كالحجاز والعراق والتقارب بعدم اختلافها كبغداد والكوفة · ومنها أن التباعد مسافة القصر والتقارب دونها أو أن الاعتبار باتحاد الاقليم واختلافه فان اتحد فمتقاربان والا فمتباعدان ·

اما فقهاء الحنابلة فيقولون انه اذا رأى الهلال اهل بلد لزم جميع البلاد الصوم ·

وانت ترى ان جمهور الفقهاء يذهبون الى اتحاد المطالع وفى ذلك ما يؤكد الوحدة الاسلامية ·

هذا ومن ذهب من الفقهاء الى اعتبار اختلاف المطالع قد اعتمد على ما رواه مسلم عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية بالشام · قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسألنى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، ثم ذكر الهلال · فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة – فقال أنت رأيته ؟ فقلت نعم ، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية · فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت · فلانزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه · فقلت أولا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال لا ، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وقد استدل الجمهور على ما ذهبوا اليه من اتحاد المطالع بما جاء فى القرآن وفى حديث الرؤية الذى سقناه فى صدر الكلام · كما تأولوا ما جاء بخبر ابن عباس على أوجه مبسوطة فى كتب الفقه والسنة مما يرجح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ·

هذا وسنبسط القول فى مقال آخر ان شاء الله فى بيان الرأى فى الحساب الفلكى وأقوال الفقهاء فى ذلك وبيان الفروق الزمنية بالنسبة لاقصى بلاد المشرق وأقصى بلاد المغرب والحكم بالنسبة لاهل البلاد القطبية وغيرها كما سنبسط القول أيضا فيما وعدنا فى صدر المقال ببيان حكمه وهو صوم يوم الشك وآراء الفقهاء فى ذلك ·

العبادة حبا فى الله اعلى الدرجات

قال الثورى لرابعة العدوية : ما حقيقة ايمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء ، بل عبدته حبا له وشوقا اليه · وقالت فى معنى المحبة نظما :

احبك حبين : حب الهوى
وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا
واما الذى انت اهل له
فكشفك لى الحجب حتى اراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبها لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ·

الطريق الى الله

الأستاذ أحمد زين

لقد قدم لنا هذا الدين أسس بناء الانسان من الداخل .. الصبر والقوة .. والبعد عن الترف .. والشجاعة .. وعدم الخوف الا من الله .. مع الايمان بأن كل شيء يأتى من الله .

ان الله — تبارك وتعالى — موجود فينا جميعا ، ليس فى الخيرين فقط ، ولكن فى كل واحد فينا .. حتى أشد الناس قربا للاثم والخطيئة تجده يحن الى الله . شيء فى أعماقه يجذبه اليه ، يدفعه نحوه ، وأحيانا يفعل أشياء مدفوعا بحب الخير .. لكل لحظات خير .. حتى أكثر الناس اثما ..

لماذا يذهب الناس الى العمرة أو الى الحج ؟ لماذا يتهافت الملايين من المسلمين فى الذهاب الى بيت الله الحرام كل عام ؟ .. ألأن الله هناك ؟ !

هذا تفكير غير صحيح ، وغير سليم ، فالله موجود فى كل مكان ، انك تستطيع أن تتأمله فى زهرة صغيرة من خلقه ، فى نعمة تحدث كل يوم من نعمه ، فى رحمة يغمرك بها من رحمته ، وهو يعطى ويمنح رغم أننا لا نحس بهذه النعم .. وقليلا ما نشكره عليها ..

واذا كنا نستطيع أن نرى الله فى كل شيء حولنا ، وأن نرى معجزاته ودقة صنعه فى الكون ، فى كل ما هو موجود .. فلماذا نذهب الى بيت الله الحرام ؟

لكل شيء فى الدنيا حكمة ...

قد نفهمها وقد نعجز عن فهمها ..

ولكننى كما قلت فى — خواطر سابقة — كون أى شيء فوق مستوى العقل ليس معناه أنه غير موجود. ذلك أن الله قد بين لنا بالدليل القاطع وبالتقدم العلمى أن هناك امكانيات كانت فوق مستوى العقل منذ مئات السنين ولكنها الان موجودة يستطيع العقل البشرى أن يستوعبها ، والعقل البشرى فى مئات السنوات القادمة اذا كان فى عمر الدنيا مئات من السنوات القادمة قد يتطور ليكتشف من الامكانيات التى خلقها الله فى الارض والتى هى موجودة الان أشياء فوق مستوى العقل البشرى ، فى تلك السنين التى نعيشها . اذن فوجود أشياء هى فوق مستوى العقل البشرى حقيقة علمية كونية لا يستطيع أحد انكارها . وبالتالى وقوع أحداث نحن لا نستطيع أن نعرف

الحكمة منها هو حقيقة ٠٠ قد يكشف المستقبل عن أشياء كثيرة بالنسبة لها ٠

انتقل بعد ذلك الى النقطة الرئيسية وهى لماذا الحج ؟ولماذا زيارة بيت الله الحرام ؟ أولا هناك أماكن فى هذه الدنيا يشعر الانسان فيها أنه أقرب الى الله من أى مكان آخر ٠ فالمسجد يشعر فيه الانسان أنه أقرب الى الله من البيت ٠٠

والمسجد الحرام يحس الانسان فيه أن قلبه قد تعلق بالله ٠ يحس أنه ذاب ٠ أصبح لا شىء فى عالم لا نهائى ، كل شىء حوله تلاشى ، جاه الدنيا وزخرفها ، الحياة بكل ما تستطيع أن تمنحه من عظمة ٠٠ هنا يحس بخشوع لا يحسه فى أى مكان آخر ، أو هكذا أحسست على الاقل ٠٠ وهنا يحس قلبه ، شيئا ما ، نورا ما ٠٠ وفى عرفات تنظر حولك فترى الرجال ، كل الرجال يبكون وهم يستغفرون الله ٠ ما نظرت حولى ساعة الدعاء فى عرفات الا ووجدت دموع الرجال تنساب ، وأصواتهم وهى تطلب الغفران ، تخنقها عبرات الندم وأحسست أن القلب يمسه ايمان حقيقى من داخله ، فلا أحد هنا يحس بأحد ٠٠ ولا أحد يقبل يد أحد .. **ولا تمثيل حتى يصبح الواحد من أهل الحظوة الدينية عند أهل الدنيا ٠٠** بل اتجاه حقيقى من قطرات الدم ونبضات القلب نحو الله ٠٠

٠٠ ارادة الله

ارادة الله اختارت هذا المكان واختصته بهذه البركه ، وقضت على كل من يريد أن يذهب اليه ، أن يترك زخرف الدنيا والملابس الفاخرة وأن يرتدى ملابس الاحرام ٠٠ ليصبح الجميع سواء أمام الله٠٠ ويصبح الميزان هو الايمان الذى فى القلوب ٠٠

والنقطة الثانية ٠٠ أن هذا الدين بناء للانسان من الداخل أكثر منه زخرفا ، ان احدى معجزات هذا الدين أنه أخذ عددا من القبائل المتنافرة التى يقتل بعضها بعضا ٠ قبائل كانت تعتبر لاحضارية فى ذلك الوقت ليجعلها سيدة حضارات الدنيا ٠ لتهزم ، امبراطوريات لها حضارات عريقة ، ليثبت ماذا ؟ .. ليثبت أن أهم شىء هو الانسان ٠٠ هو الذى يستطيع لو أحسن بناؤه على أسس سليمة أن يملك العالم كله ٠ وهو الذى اذا فسد بناؤه انهار ولو ورث أضخم حضارات العالم ٠ ولقد قدم لنا هذا الدين أسس بناء الانسان من الداخل ٠٠ الصبر والقوة والبعد عن الترف والشجاعة وعدم الخوف الا من الله والامانة وكل ما قدمه الدين من قيم ٠ مع الايمان بأن كل شىء يأتى من الله.. بمقاييسنا المحدودة وعقولنا المحدودة لا نستطيع أن نعرف أين الخير والشر وقت حدوثهما ٠ ومن هنا لا يشلنا أى شىء يحدث ٠٠ ولا يعجزنا عن الحركة كل ما يقع ٠ بل نزداد ايمانا ونقول حسبنا الله ..

٠٠ هذه هى بعض القيم ٠٠ نقطة فى بحر كبير ٠٠ فى عالم لا نهائى .. وفى هذا العالم يجد الانسان اجابات على أشياء كثيرة قد تحيره فى حياته اليومية ٠

٠٠ نوع من الالهام

ولقد كنت أجلس مع طبيب مشهور له أبحاث علمية فقال لى انه يؤمن بأن النجاح فى البحث العلمى هو نوع من الالهام ٠ ذلك أن الباحث قد يتجه أحيانا الى الاتجاه الخطأ وربما يظل سنوات طويلة قبل أن يكتشف أن كل ما يفعله لا يوصل الى النتيجة المرجوة ٠٠ وأحيانا وفى لمح البصر تأتى فى ذهنه الفكرة .. ما الذى يجعلها تأتى بهذه السرعة ، وبهذه الصورة ويقوم ويجربها ويجدها فعلا هى الفكرة الناجحة ٠

واننى أعتقد ــ ومرة أخرى أنا أتكلم عن تجربة شخصية بحتة ــ أن فى كل نوع من أنواع الحياة نوعا من الالهام ، لحظات حاسمة يتخذ فيها الانسان قرارا ٠٠ تملا رأسه وعواطفه وجوارحه فكرة ما ٠ ويتحمس لها ويقوم وينفذها ، تنجح هذه الفكرة ، وتملا الدنيا ٠ انها نوع من الالهام ، بل فى حياة كل منا نوع من الالهام ونحن نتكلم ونقول فى كثير من الاحيان « ولا أدرى لماذا فعلت كذا ٠٠ ولكننى فعلته فكان فيه النجاة ٠٠ أو النجاح » ٠٠ تلك اللمحة تحدث لك وأنت هناك عند بيت الله ٠٠ لماذا تحدث ؟ وكيف تحدث ليتنى أدرى .. ولكنها تحدث بدرجات وتصل الى أعماق مختلفة ٠٠ والى مقالة قادمة ان شاء الله ٠

الفتوى

فى الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى

المستشار عبد الستار آدم

الفتوى أو الفتيا : هى اسم من أفتى العالم اذا بين الحكم

واستفتيته : سألته أن يفتى .. قال تعالى :
« **ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم** »

وقال عزوجل « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة» ويقال : ان أصله من الفتى وهو الشاب القوى والجمع فتاوى بكسر الواو وقيل يجوز الفتح للتخفيف لمن الفتوى « هى الجواب عما يشكل من الاحكام »

والمفتى هو من يلجأ اليه الناس فيما يشكل عليهم من أمور لكى يبين لهم الحكم فيما أشكل عليهم وذلك كى يلتزموه طواعية واختيارا .

ويجب أن يتصف المفتى بالعلم وأن يكون معروفا بالصدق حسن الطريقة ، مرضى السريرة عدلا فى قوله وصدقه .

ويجب على المفتى كذلك ألا يتسرع فى فتواه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **اجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار** »

والفرق بين المجتهد والمفتى أن المجتهد يستنبط الاحكام له أو لغيره من الناس فيما وقع له أو لهم من أمور ·· وأحيانا فيما لم يقع ·· أما المفتى فانه يبين الحكم فيما يقع ويسأل فيه

والمفتى اذا كان مجتهدا وجب أن تتوافر فيه شروط الاجتهاد بان يكون عالما ·· وان يعرف الاحكام ومسالكها ووجوه دلالة الالفاظ على المعانى ·· وان يعرف علوم اللغة بالقدر الذى يمكنه من فهم النصوص فهما صحيحا ··

ويقول البعض انه لا يجوز لغير المجتهد ان يفتى بمذهب أحد المجتهدين .

والفرق بين القضاء والفتوى : أن القضاء ملزم للطرفين المتنازعين .. فتقوم الدولة بتنفيذ الحكم الذى يصدره القاضى ، ولو باستعمال القوة الجبرية ·· اما الفتوى فهى غير ملزمة ·· بل اختيارية لمن يطلبها .. فله ان ينفذها او لا ينفذها .

وأول من قام بالافتاء فى الاسلام هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان أول قاض فى الاسلام ·· وكانت فتاواه وأحكامه - ولا تزال - نبراسا لكل مفت وقاض على مر السنين والايام .

وقام بالافتاء ،بعد الرسول الكريم - اصحابه ومن اهمهم ، رضوان الله عليهم اجمعين ، الخليفة الثانى عمر بن الخطاب والخليفة الرابع على بن ابى طالب .

وفى اعداد سابقة من هذه المجلة الغراء بسطت كثيرا من فتاوى الامام على ، كرم الله وجهه ، التى ارسى فى الكثير منها قواعد أصولية ومبادىء قانونية هامة لا يزال يجرى العمل بها - كلها أو جلها على الاقل - حتى يومنا هذا .. كما أنها تدل على علمه وذكائه وفطنته وألمعية ذهنه وحسن اجتهاده وسرعة بديهته .

ومن المفتين ايضا فى الاسلام عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، رضوان الله عليهم اجمعين .

وكانت السيدة عائشة بنت الصديق أبى بكر ،زوجة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من المفتين كذلك .. ولا غرابة فى ذلك .. فقد كانت رضى الله عنها ، دقيقة الفهم لمسائل الدين ، ولاسيما ما يتصل منها بحياة المرأة والاحوال الشخصية .. وكان الصحابة يعرفون لها ذلك ويستفتونها فى المشكلات ويأخذون بفتاويها .

قال ابو مسلمة :

« ما رأيت أحدا أعلم بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أفقه فى رأى اذا احتيج الى رأيه ، ولا أعلم بفريضة أو آية ، فيم نزلت ، من عائشة » .

* * *

اما الفتوى فى قوانيننا الوضعية .. فان الدولة قد خصصت وظيفة للافتاء يعين فيها أحد رجال الدين الذين اشتغلوا بالقضاء يساعده عدد كاف من رجال الدين .

وتتبع دار الافتاء وزارة العدل

وفى الازهر الشريف توجد لجنة للفتوى وتختص دار الافتاء ولجنة الفتوى بالازهر بالافتاء فى المسائل الدينية والشرعية .

وقد نصت الفقرة الثانية من المادة ٣٨١ من قانون الاجراءات الجنائية على أنه :

« ويجب على المحكمة قبل ان تصدر حكما بالاعدام ان تأخذ رأى مفتى الجهة الموجودة فى دائرتها المحكمة ويجب ارسال اوراق القضية اليه .. »

وفتوى المفتى فى هذا الشأن استشارية اما الفتاوى فى المسائل الاخرى فكانت تتولاها - قبل انشاء مجلس الدولة - ادارة قضايا الحكومة وقسم قضايا وزارة الاوقاف .

ولما انشىء مجلس الدولة بالقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٤٦ انشىء به قسم للرأى وقسم للتشريع .

وكان يختص قسم الرأى بابداء الرأى فى المسائل التى يطلب الرأى فيها مجلس الوزراء والوزراء والمصالح العامة .

ثم صدر القانون رقم ٩ لسنة ١٩٤٩ وضم قسم التشريع لقسم الرأى .

وبعد ذلك صدر القانونان رقم ١١٥ لسنة ١٩٥٢ ورقم ١٦٥ لسنة ١٩٥٥ بتنظيم مجلس الدولة

ثم صدر القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٩ بتنظيم مجلس الدولة وعدل اخيرا بالقانون رقم ٨٦ لسنة ١٩٦٩ .

وطبقا لهذا القانون الأخير معدلا بالقانون المشار اليه يتكون مجلس الدولة من ثلاثة أقسام :

١ - القسم القضائى

٢ - قسم الفتوى .

٣ - قسم التشريع

وقسم الفتوى - وهو موضوع مقال اليوم - منصوص عليه فى المواد ٤٠ : ٤١ : ٤٢ من القانون آنف الذكر .

وطبقا لهذه المواد فان قسم الفتوى يتكون من ادارات لرئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والوزارات والمصالح العامة والهيئات العامة

ويرأس كل ادارة مستشار أو مستشار مساعد من مجلس الدولة .

ويختص قسم الفتوى بالاتى : -

١ - ابداء الرأى فى المسائل التى يطلب الرأى فيها من الجهات المذكورة .

٢ - فحص التظلمات الادارية التى تقدم من العاملين فى تلك الجهات وتنص الفقرة الاخيرة من المادة ٤٠ المشار اليها على انه : -

« ولا يجوز لاية وزارة أو مصلحة من مصالح الدولة أن تبرم أو تقبل او تجيز اى عقد أو صلح أو تحكيم أو تنفيذ قرار محكمين فى مادة تزيد قيمتها على خمسة آلاف جنيه بغير استفتاء الادارة المختصة »

وتنص المادة ٤٢ من ذات القانون على انشاء لجان من ادارات الفتوى ذات الاختصاص المتجانس يرأسها أحد نواب رئيس مجلس الدولة ، واعضاؤها رؤساء هذه الادارات .. وتختص هذه اللجان بابداء الرأى فيما يرى رؤساء الادارات احالته اليها للاهمية . ويجب على هؤلاء الرؤساء أن يحيلوا اليها المسائل الاتية : -

١ - كل التزام موضوعه استغلال مورد من موارد الثروة الطبيعية فى البلاد أو مصلحة من مصالح الجمهور العامة وكل احتكار .

٢ - صفقات التوريد والاشغال العامة ، وعلى وجه العموم كل عقد يرتب حقوقا أو التزامات مالية للدولة وغيرها من الاشخاص الاعتبارية العامة أو عليها اذا زادت قيمته على خمسين ألف جنيه .

٣ - الترخيص فى تأسيس الشركات التى ينص القانون على أن يكون انشاؤها بقرار من السيد رئيس الجمهورية .

٤ - المسائل التى يرى احد المستشارين رأيا يخالف فيه فتوى صدرت من احدى ادارات قسم الفتوى أو لجانه .

وفتاوى ادارات الفتوى ولجانها فتاوى استشارية غير ملزمة لجهة الادارة .

وأخيرا نصت المادة ٤٥ من القانون سالف الذكر على انشاء الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع .. وهى تشكل برئاسة أحد نواب رئيس مجلس الدولة وعضوية نواب رئيس المجلس بقسمى الفتوى والتشريع ومستشارى قسم التشريع ومن رؤساء ادارات الفتوى .

وطبقا للمادة ٤٧ من القانون المذكور تختص الجمعية العمومية بابداء الرأى مسببا فيما يلى :ـ

(أ) فى المسائل الدولية والدستورية والتشريعية وغيرها من المسائل القانونية التى تحال اليها بسبب أهميتها من السيد رئيس الجمهورية أو من السيد رئيس الهيئة التشريعية او من السيد رئيس الوزراء او من السادة الوزراء او من فى درجتهم أو من السيد رئيس مجلس الدولة .

(ب) فى المسائل التى ترى احدى لجان قسم الفتوى رأيا فيها يخالف فتوى صدرت من لجنة أخرى أو من الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع .

(جـ) فى المسائل التى ترى احدى لجان قسم الفتوى احالتها اليها لاهميتها .

(د) فى المنازعات التى تنشأ بين الوزارات او بين المصالح العامة أوبين الهيئات العامة اوبين المؤسسات العامة أو بين الهيئات المحلية أو بين هذه الجهات وبعضها البعض ـ ويكون رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع فى هذه المنازعات ملزما للجانبين .

ويبين من هذا النص الاخير أن الفتاوى التى تبديها الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع هى آراء استشارية ـ كالفتاوى التى تبديها ادارات الفتوى أو اللجان ـ وذلك فيما عدا ما نص عليه بالفقرة الاخيرة من المادة المذكورة ، وهى الخاصة بالمنازعات التى تنشأ بين الوزارات أو بين المصالح العامة أو بين الهيئات العامة أو بين المؤسسات العامة أو بين الهيئات المحلية أو بين هذه الجهات وبعضها البعض ، اذ أن فتاوى الجمعية العمومية فى هذه المنازعات ملزمة للجانبين المتنازعين .. وعلى ذلك تكون فتاواها فى هذا الشأن كالاحكام تماما واجبة التنفيذ .

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والسداد

من قصص السنة

ان مقامات العبادة كلها مطلوبة ، والانسان فى حاجة الى أن يتحصن بها فى دنياه وفى أخراه ، وهى فوق أنها وقاية له من عذاب الله فى الاخرة فهى كذلك للمخلصين فى عبادتهم السالكين طريقهم على نور منجاة لهم فى الدنيا كذلك من هموم الحياة ، وشدائدها ، وفرج اللهسبحانه وتعالى لا يكون الا بعد الصبر على سلوك هذه المقامات والقصة الاتية تبين مقامين منها هما بر الوالدين ، والتوكل .

عن ابى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته أمه فجعلت كفيها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها اليه تدعوه فقالت « يا جريج أنا أمك كلمنى فصادفته يصلى « فقال اللهم أمى وصلاتى » فاختار صلاته» فرجعت ثم عادت فى الثانية فقالت يا جريج أنا أمك فكلمنى قال : « اللهم أمى وصلاتى فاختار صلاته فقالت « اللهم ان هذا جريج وهو ابنى فانى كلمته فأبى أن يكلمنى اللهم فلا تمته حتى تريه وجوه المومسات » قال ولو » دعت عليه ان يفتن لفتن » وكان راعى ضأن يأوى الى ديره قال « فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى فحملت فولدت غلاما فقيل لها « ما هذا » قالت « من صاحب هذا الدير قال فجاءوا بفئوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلى فلم يكلمهم قال « فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل اليهم فقالوا له « سل هذه » قال « فتبسم ثم مسح رأس الصبى فقال « من أبوك » قال أبى راعى الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا « نبنى ماهدمنا من ديرك

التحصن بالعبادة

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

بالذهب والفضة » قال لا ولكن أعيدوه ترابا كما كان ثم علاه رواه البخارى ومسلم واللفظ له وقد جاءت قصة جريج مفصلة عند الامام أحمد والطبرانى هكذا : ان أم جريج لما غضبت قالت ابيت أن تطلع الى وجهك لا أماتك الله حتى تنظر فى وجهك زوانى المدينة فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بغى منهم ان شئتم لافتننه • قالوا : قد شئنا فأتته فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأمكنت نفسها من راع كان يؤوى غنمه الى أصل صومعة جريج فلما ولدت من الزنا أخذوها وكان من زنى منهم قتل فاتهمت جريجا فاقبلوا على صومعته يهدمونها فلما رأى ذلك تدلى اليهم بحبل فسبوه وضربوه وأخذوه الى الملك ومروا فى طريقهم ببيوت الزوانى فلما نظر اليهن تبسم فقالوا لم يضحك حتى مر بالزوانى فلما أتوا للملك قالوا له : ويحك يا جريج كنا نراك خير الناس فأحبلت هذه اذهبوا به فاصلبوه فطلب أن يمهلوه فتوضأ وصلى ودعا ثم أتى الطفل وفمه فى ثدى أمه يرضع منها فمسح رأسه وقال : من أبوك يا بابوس — يعنى يا رضيع فترك الطفل ثدى أمه وقال أبى الراعى فأبرأ الله جريجا وأعظم الناس أمره وجعلوا يقبلونه واقترحوا أن يبنوا ديره الذى كان يعبد فيه من ذهب وفضة فطلب أن يكون من طين كما كان وسألوه بالله مم ضحكت ؟ فقال : ما ضحكت الا من دعوة دعتها على أمى وقد ورد فى الحديث أن جريجا من بنى اسرائيل وأنه كان تاجرا وكان ينقص مرة ويزيد أخرى فقال ما فى هذه التجارة خير لالتمسن تجارة هى خير من هذه فبنى صومعته وترهب فيها • « كما جاء فى كتاب القصص الحق لسيد الخلق : تأليف الشيخ محمد الخطيب » • وكانت أمه تؤنبه فيكلمها حتى جاءته مرة وهو يصلى فلم يكلمها احتراما للصلاة ، ومذهب الشافعية أن الاصح ان كانت الصلاة نفلا وعلم الولد أن الوالد يتأذى بترك الاجابة وجب عليه أن يجيب والا فلا وان كانت فرضا وضاق الوقت لم تجب الاجابة وان اتسع الوقت ففى وجوب الاجابة قولان الاصح أنها لا تجب ومذهب الاحناف أن المصلى لايقطع صلاة الفرض اذا ناداه أحد أبويه الا فى حالة الاستغاثة أما صلاة النافلة ففيها تفصيل فاذا كان أحد الابوين لا يعلم أنه فى الصلاة وناداه وجب عليه أن يجيبه، أما اذا كان يعلم أنه فيها وناداه فلا بأس أن لا يجيبه • وأما المالكية فيرون أن اجابة أحد الوالدين فى صلاة النافلة أفضل من الاستمرار فيها •

وقد ذكر السمرقندى : أن الله قد أنطق له فروع الشجرة ، وذلك أن المرأة اتهمته أنه زنا بها عند شجرة فذهب الى الشجرة يسألها ، وقال يا شجرة أسألك بالذى خلقك من زنا بهذه المرأة ؟

فأجاب كل غصن منها : راعى الغنم •

ويستفاد من هذه القصة أمران عظيمان ينبغى على كل مسلم أن يحافظ عليهما تمام المحافظة •

الامر الاول : عظم حق الام • ومكانتها عند ربها سبحانه وتعالى وأن دعوتها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تستجاب فى ولدها ان تغير عليه قلبها فجريج هذا مع ما كان عليه من التقوى والورع وكثرة العبادة الا أنه لما تغير قلب امه عليه حينما دعته ونادته فلم يجبها حيث كان متلبسا بالصلاة فاستجيب لها دعاؤها ، فما بالنا بكثير من المتسهترين العاقين لابويهم التاركين لحقوقهما ، ما بالنا بمن تدعو عليه أمه لاهانتها ، ان ذنبه لخطير ، وان خطبه لجسيم •

وقد أظهر الله سبحانه وتعالى حق الوالدين بما لا يدع مجالا للكلام بعده اذ أنه سبحانه وتعالى قضى وأمر ببر الوالدين بعد عبادته مباشرة قال تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ، وقال تعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك » •

وقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك • — وفى رواية : يارسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك •

بهذا يتبين لنا مدى ما للام من مكانة جليلة حيث أكد رب العزة سبحانه وتعالى الوصية بها ، وكررها ٠

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال :

أقبل رجل الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الاجر من الله تعالى فقال : هل لك من والديك أحد حى ؟

قال : نعم بل كلاهما ٠

قال : فتبتغى الاجر من الله تعالى ؟

قال : نعم ٠

قال : فأرجع الى والديك فأحسن صحبتهما ، متفق عليه ٠ وهذا لفظ مسلم ٠ وفى رواية للبخارى ومسلم : جاء رجل فاستاذنه فى الجهاد قال : أحى والداك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد ٠

الامر الثانى : صدق التوكل على الله والالتجاء اليه وماله من أثر عظيم فى حياة المؤمن حيث يصبح فى عناية الله ورعايته خصوصا عند الشدائد كما التجأ جريج وليس بينه وبين الموت الا القليل فاذا بعناية الله تتجلى ، وتظهر قدرته العظيمة فينطق الله الرضيع :

« **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون ؟** »٠

ان صدق التوكل على الله سبحانه وتعالى يصنع العجائب والخوارق كما حدث لهذا الرجل ٠٠

فقد أنطق له الرضيع ٠ وأنطق فروع الشجرة كما ذكر السمرقندى ، وعلى كل فالتوكل على الله من أعظم الحصون المنيعة التى يحتمى بها المؤمن الصادق الايمان وكما قلنا فى هذا المعنى :

ان التوكل ملجا — يسمو على كل الحصون

فالطير يغدو جائعا — ويروح ممتلىء البطون

هو حسبنا وعليه فليتوكل المتوكلون

وقد وصى الله تعالى فى القرآن الكريم كثيرا بالتوكل عليه سبحانه ٠

قال الله تعالى :

« **وتوكل على الحى الذى لا يموت** » وقال تعالى : « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » وقال : « **فاذا عزمت فتوكل على الله** »٠

والتوكل على الله هو منجاة للعبد فى دنياه ، وفى أخراه ٠

أما انجاؤه له فى دنياه فيظهر فى وقت البلاء ، وحين نزول الشدائد ، فان التوكل حينئذ يأخذ العبد الى حيث الامان والاطمئنان ، ولقد كانت الكلمة **المشرقة والمضيئة التى اتخذها الانبياء شعارا للتوكل** على الله ونداء لربهم وقت الشدة هى :

« **حسبنا الله ونعم الوكيل** » ٠

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ٠ وقال محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخارى ٠

وأما فى الاخرة : فان التوكل على الله يأخذ بأربابه الى الجنة بل ان المتوكلين يدخلون الجنة بغير حساب ، ذلك لان التوكل مقام عظيم من مقامات الرضا والقبول فى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى ليس معه أحد اذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة متفق عليه ٠

وهكذا يرى المتصفح للقصة السابقة ، المستلهم منها العبرة أنها تشير الى هذين المقامين الكريمين ، فجريج العابد هذا لما لم يجب نداء أمه وأحزنها وأغضبها كانت عاقبته أنه وقع فى فتنة من فتن الحياة ، وهذا يعطينا أهمية رضاء الام والوالدين عامة كما أنه حين عاد الى ربه والتجأ له فى وقت الشدة نجاه الله سبحانه من شدته وفرج عنه الكرب « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون »٠

حق الله والمجتمع في المال

الأستاذ عبد المنعم مغربي

المال الذى يقع فى ايدينا هل هو ملك مطلق لنا نتصرف فيه كيف نهوى أم هو ملك مقيد تخضع فيه تصرفاتنا لحدود الله وقوانين المجتمع ؟ ان للاسلام اجابة صريحة على هذا التساؤل : المال الذى فى ايدينا هو ملكنا على التجوز لا على الحقيقة : ونحن مستخلفون فيه لينظر الله عزوجل ماذا نعمل به؟ فاما حكمت تصرفاتنا لنا أو علينا : والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله [وآتوهم من مال الله الذى آتاكم] وقوله « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » . وسئل اعرابى عن مال جسيم يمتلكه فقال: هو لله عندى!! وهى اجابة موفقة تنطق بايمان الرجل وحسن بصره بالامور .. وقد فهم بعض الناس ان مساءلة اصحاب الاموال عن تصرفاتهم المالية انما تقع فى الدار الآخرة كما جاء فى الحديث الشريف « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن ماله من اين اكتسبه ؟ وفيم انفقه ؟ » ولكن مطالعة النصوص والسوابع الاسلامية تؤكد ان هذا الحساب معجل فى هذه الدار قبل يوم الحساب !! .

ان الاسلام لا يقر التملك الحرام وقد قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » كما يرفض عبث الايدى السفيهة بشتى الثروات «**ولاتؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما** » ويصف عباد الرحمن بالقصد والاعتدال فى نفقاتهم « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** »

واذا كان المال عصب الحياة ووقود الحركة الدائبة فيها فان النبى صلى الله عليه وسلم قسم الناس طوائف شتى بالنسبة الى عملهم فيه وموقفهم منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **انما الدنيا لاربعة نفر .. عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم ان لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل ! وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان . فهو بنيته ، وأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل منه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته ووزرهما سواء** » .

وتستطيع القول ـ على ضوء الاسلام ـ بأن الثراء وظيفة اجتماعية لا نعمة شخصية ،فان من النعم مالا يكاد يتجاوز صاحبه كالصحة والجمال مثلا ، وصلة المجتمع بهذا النوع من المواهب الخاصة محدودة لكن الغنى ليس من هذا القبيل فقد ربط الاسلام بالثراء من الحقوق العامة مالايحصى، وجعل الغنى فى ثروته اشبه بالموظف الذى يسند اليه منصب ما فان قام باعبائه بقى فيه والا عزل عنه والواجبات المنوطة بالمال كثيرة ، اذا لم يؤدها رب المال تعرض لانواع شتى من العقوبات ،قد يكون بينها ما يلقى فيه حتفه ويفقد ثروته .. وقد رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم آثار لطيفة تشير الى هذا المعنى منها حديث عبد الله ابن عمر « **ان لله عند اقوام نعما اقرها عندهم ..**

ما كانوا فى حوائج الناس ، مالم يملوهم ، فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم ». وفى رواية : « ان لله اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم » وعن عبد الله بن عباس : « **ما من عبد انعمه الله نعمة فاسبغها عليه ، ثم جعل حوائج الناس اليه ، فتبرم بها، الا عرض تلك النعمة للزوال** » ! وهذه الاحاديث

جميعا ينتظمها معنى الاية الكريمة « **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم** » .

حقا ان المال لله خلقا ورزقا، استخلف الانسان فيه لينظر ايحسن ام يسىء ؟ وقد خلقه ومولـه ، وجعل الايمان به حق الخلق الذى ابرزه من عدم ، وجعل النفقة فى سبيله حق العطاء الذى اغناه من فقر .. والحقوق المربوطة بالمال كثيرة ، لا تنتهى ما بقى فى المجتمع معوز يطلب النجدة ، او موات يطلب الاحياء ، او عدو يفرض فى حربه الجهاد. وعندما نتدبر آيات الكتاب العزيز . نتأكد من كثرة الحقوق المالية المفروضة على الاغنياء قال تعالى : « **ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة** » فهـذه الاية جمعت بين نوعين من الانفاق ايتاء المال بعض الفئات من الناس ، ثم ايتاء الزكاة لتوضع فى مصارفها المقررة ..

ومن ذلك ايضا قوله تعالى « **لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار** » فالقرض الحسن لله جل شأنه وجه آخر من النفقة غير ايتاء الزكاة ..

وذلك كله غير مطالب الجهاد العسكرى الذى يفرض على الامة سيلا من المغارم والتضحيات لا آخر له .. !!

على أن الاسلام قبل ان يغرى بالانفاق الواسع ، ويبين حقوق الله والناس فى المال ، يلفت الى مصادر الكسب نفسها ليتبين حقيقتها ويستكشف خبيئتها ، فان وجد ريبة فى المال ندد به ، وحكم على صاحبه بالويل ، فان الله تبارك اسمه لا يقبل كسبا من سحت ولا نفقة من حرام . عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم ، وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين الا من احب ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قالوا : وما بوائقه ؟ قال غشمه وظلمه** » ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النـار ، ان الله تعالى لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث .

والواقع ان المجتمع يستريح من شرور ثقيلة لو ان الناس حاسبوا انفسهم بدقة فيما ياخذون من مال ، ولو أنهم راقبوا الله ورفضوا ان يستولوا على قرش بغير حق ، او بغير جهد مبذول وعمل مكافىء يرضى الله ومن الملاحظ ان تقلب المال فى المجتمع يستتبع احوالا معنوية خطيرة ، فان تكدسه فى ناحية ، وجفافه فى ناحية اخرى يقلب موازين الحياة ، ويشيع الترف هنا والبؤس هناك ، بل لقد ثبت ان للاحوال الاقتصادية اثرا عميقا فى شيوع الفضائل او الرذائل فلا عجب اذا تدخل الاسلام بتعاليمه ليمحو ويثبت

٢ ــ حق الله والمجتمع فى المال

ويقر وينكر ، فان رسالة الاديان تقوم على اصلاح الحياة العامة واقامة الموازين القسط بين شتى الطبقات ، قال تعالى : « **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » وقال : « **الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب** » وهذا الميزان هو ضبط شئون الامة بحيث يتم التوازن بين طبقاتها وتشيع العدالة الاجتماعية فى ارجائها .

والاسلام ــ اذ يتدخل فى شئون المال ويراقب تداوله بين الناس يهتم بعدة امور .

١ ــ ان المال فى ذاته وقيمته وسيلة لاغاية ، وان الغرض من جمعه وانفاقه يجب ان يستقيم مع الغاية العليا لوجود الانسان على الارض .

٢ ــ ان الآداب المقررة من عفاف وايثار وعدالة ورحمة يجب ان تهيمن على سائر التصرفات المالية ، فلا يسمح للكنز والاحتكار والشح والاثرة أن تفسد النفوس ولا أن توهن بناء الامة .

٣ سيوجد المكثرون والمقلون ،أو اصحاب الدخل الواسع والدخل الضيق لان هذه سنة الله فى المجتمعات البشرية مذ وجدت والى يومنا هذا . ولكن الإكثار والاقلال لا يسمح لهما بتمزيق اوصال المجتمع ، وجعل الرفعة والضعة هنا وهناك تنشأ لاسباب مادية بحته ، فينتفخ جزء من الامة ويضرى ، ويضمحل جزء آخر ويذوى بسبب الغنى والفقر .

.. لذلك ، ولا يجوز ان تنسى ان **عناية الاسلام بالشئون المدنية والاقتصادية جزء من عنايته بالآخرة** وما يمهد لها ، ومن ثم جاءت عنايته بابراز حقوق الله وحقوق الانسان فى المال ، ليشعر كل فرد ان رغبته فى الثراء لابد ان يحكمها اطار صلب من التقوى والاخلاص ، ومن السماحة والبذل .

السعادة
إحدى ثمرات الإيمان

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

مما لا ريب فيه أن السعادة مطلب جليل ، وغرض هادف نبيل ، تتشوق اليه النفوس ، وتحن اليه الافئدة ، السعادة ضالة كل انسان وغاية يرجوها كل عاقل لا لنفسه فقط بل لنفسه ولكل من تحويه شفقته ويهواه فؤاده لذا نرى الوالدين كثيرا ما يدعوان لولديهما بالسعادة ، وما هى هذه السعادة المطلوبة والضالة المنشودة ؟

للناس فى بيان معنى السعادة أفهام كثيرة لا يلتقى غالبها مع الحقيقة ، ولا يوافق الواقع بل هى أفهام تعبر عن آمال وأمانى يود أصحابها تحقيقها وفق رغباتهم ويعدون فى تحقيق هذه الامال والامانى سعادتهم العاجلة والاجلة ــ فالفقير المعدم يرى السعادة فى ثروة ينالها ، والمريض يطلب السعادة فى عافية يحصل عليها . والخائف يجد نفسه فى الامن والسلامة والغنى ينشد السعادة فى الجاه العريض والسلطان الواسع والشاب يرى سعادته فى زوجة جميلة غنية وما الى ذلك من كل ما تميل الى النفوس من المتع واللذائذ الفانية التى يعدها دهماء الناس لذة ومتاعا ويظنون فى هذا السعادة لا · لا · فرغبات الناس مختلفة وغاياتهم متشعبة وكل يحدد معنى السعادة وفق رغبته · حسب غايته وليس فى هذا بيان لحقيقة السعادة ولا تعريف بمعنى السعادة · فالناس لا يستطيعون لبيان حقيقتها سبيلا انما السبيل الى بيانها والتعريف بها حقا هو الدين الاسلامى الحنيف وتشريع الله فى دستوره القويم وبما انا مسلمون ومرتبطون بتعاليم هذا الدين ، عليها فى كل الشئون نعول · وعنها فى كل أعمالنا نصدر فانها جماع الخير وينبوع الفضل على البشرية جمعاء ، فعلينا أن نرجع الى الاسلام ونستفسره فى تحديد معنى السعادة ونسأله هل المال سعادة ؟ وهل الاولاد سعادة ؟ وهل الزوجة الجميلة الغنية سعادة ؟ وهل الجاه العريض والسلطان الواسع سعادة ؟ وهل التبسط فى المأكل والمشرب والملبس سعادة ؟ وها هوذا الاسلام يجيب قائلا ليس كل المال سعادة وليس كل الولد سعادة قال تعالى « **انما أموالكم وأولادكم فتنة** » وقال الرسول « **لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال** » وما حادثة ثعلبة بن حاطب الذى أطغاه ماله حتى أخرجه من حظيرة الاسلام والمسلمين ببعيدة عن الاذهان تلك الحادثة التى نوه الله عنها بقوله « **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب** » وليست الزوجة الغنية الجميلة سعادة بل قد تكون نكبة لذا يقول الرسول « **لا تزوجوهن لجمالهن فعسى جمالهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لمالهن فعسى مالهن أن يطغيهن** » ويقول « **ما تركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء** » وكيف يكون التبسط فى المأكل والمشرب سعادة والرسول يقول ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه ــ بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » ·

فالاسلام بهذا يقرر أن متع البدن ولذائذ الحياة ليست هى السعادة فان المتعة التى يقطعها سيف الموت واللذة التى يفاجئها التنغيص شىء لا تطمئن اليه النفس العاقلة ولا تركن اليه الشخصية الحازمة · ومن اعتقد أن هذه المتع الدنيوية سعادة فهو غاش لنفسه متجن على العلم مشوه للحقيقة اذ كيف يعد نفسه سعيدا من ينعم بلذائذ الحياة ومتعها وهو بها يحارب ربه ويعاند خالقه · كيف يكون سعيدا من يحصل اللذات ويجرى وراء الشهوات ثم يمتهن بها حمى الشرع ويدك صرح الحق ·· كيف يكون سعيدا من تحلل من الالتزامات الشرعية وعاش عيشة أقرب ما تكون الى الفوضى والهمجية · كيف يكون ــ سعيدا من أهمل مقتضيات الاخاء وعاث بالفساد فى روابط الاسرة ــ لا ــ ليس هذا سعيدا ولكنه الشريد الطريد والحقير المهين فليست السعادة مالا يجمع · ولا جاها يطلب · ولا متعا تراد · ولكنها كما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معالمها اذ يقول « **قد أفلح من**

أسلم . ورزق كفافا . وقنعه الله بما آتاه » أى فاز وسعد من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه - أمور ثلاثة جعلها رسول الله أسسا لفلاح الانسان ، ونجاحه وركائز لفوزه وسعادته فى الدنيا والاخرة - أولها الاسلام - ثانيها الرزق الكفاف - ثالثها القناعة بماآتاه الله وهى كلمات قصار ولكن تحمل فى طيها المعانى الكبار التى لا غنى لاى مخلوق عنهاليعيش عيشة راضية . ويحيا حياة طيبة . وهذه هى السعادة الحقة واليك بيان هذه الاسس وايضاح هذه الركائز رجاء اتباعها والعمل على نهجها لنكون من السعداء الامنين .

أولها الاسلام والاسلام سلم لمن دخل فيه . وأمن لمن لاذ به . وحمى لمن احتمى بتعاليمه ومبادئه فانه مما لاشك فيه أن مبادئه تورث العزة وتعاليمه تكسب الحرية والقوة واخلاقه تدعم روابط الاخاء بين الناس وتبعث فيهم روح المودة والالفة ولقد صدق الله اذ يقول « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » ولا عجب فأن اللهعزوجل جعل من الاسلام نظاما يكفل سعادة الفرد والجماعة . نظاما لم يترك بابا من أبواب الخير الا أمر به ونظمه ولا طريقا الى الحياة الطيبة والسعادة الوارفة ألا هيأ وسائله ووضح معالمه ولم يدع عنصرا من عناصر الفساد الا حذر منه وبين عواقبه . ولا عاملا من عوامل الشر ألا نفر منه وسد نوافذه - كل هذا تبصرة للانسان فى حياته وتوجيها له فى سلوكه وتنشئة له على ما به يصلح أن يكون خليفة لله فى أرضه . وأن يكون لبنة صالحة فى المجتمع العام الانسانى والوطنى - هذا قليل من كثير ما يمكن أن يقال عن النظام الاسلامى الذى وضعه الله لبنى الانسان هذا النظام الذى كفل حق الانسان المادى والروحى فان الانسان عبارة عن جسم وروح ولكل منهما رغبات ولكل منهما متع وحظوظ وقد راعى الاسلام فى نظامه هذا كفاية كل من الجسم والروح من احتياجاته ومتعه وحظوظه لم يرفع أحدهما على حساب الاخر ولم يهمل أيهما اكتفاء بما فى الاخر من أدب رفيع واستقامة اذ ا ما فى سعادة الانسان وشقاوته سواء لا غنى بأحدهما عن الاخر ولا تتحقق سعادة الانسان الا فى استكمالهما وتنظيم حقوقهما من غير تفريط ولا افراط لذا ترى ان كل ما أمر به الاسلام وكلف الانسان بأدائه أمرا كان أو نهيا وان كل ما جاء به من عقائد وعبادات غذاء للروح وتهذيب لمطالب الجسم وشهواته فلم يترك مطالب الجسم وشهواته - وهى قوة دافعة لا قبل للانسان بها - تفعل أفاعيلها بالانسان حتى تحرفه وتخرج به عن الجادة وتجرفه فى مهاوى الرذيلة بل نظم هذه المطالبوهذب هذه الشهوات تهذيبا حكيما متزنا لا يحرم الجسم من رغباته ولا يدعها تجره الى بؤر الفساد ومهاوى الرذيلة وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

ثانى هذه الاسس - الرزق الكفاف - وهو الذى لا يزيد عن الحاجة فيطغى صاحبه « **ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » ولا يقل عن الحاجة فيعرض صاحبه للذلة والمهانة والضعة لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول « **اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا** » وهذا لاشك يورث النفس هدوءا والقلب طمأنينة ويجنب الانسانيةالتعلق بشهوات الحياة قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم « **من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » .

ثالث هذه الاسس - القناعة والتعفف والثقة بأن الوضع الذى أراده الله للانسان خير للانسان من أى وضع يريده الانسان لنفسه فأن علم الانسان قاصر وأفقه محدود والله بكل شىء عليم وبشئون العباد خبير « **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس** » ولقد كان بين أصحاب رسول الله مثل عليا فى القناعة والعفة حتى كانوا مضرب الامثال فى كل واد فاكسبتهم هذه قوة من ضعف وعزا من ذل وهذا واحد منهم يقول فى خطبة طويلة - هو عتبة بن غزوان - ولقد رأتنى سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام الا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت برده فشققتها بينى وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد الا أصبح أميرا على مصر من الامصار وأنى أعوذ بالله أن اكون فى نفسى عظيما وعند الله صغيرا » رواه مسلم ولقد روى عن أم المؤمنين زينب أنها كانتتدعو اليتامى فتقص أظافرهم وتغسل بيدها الكريمة رءوسهم ووجوههم وأقدامهم ثم تطعمهم وتطعم معهم حتى اذا هموا بالخروج تشيعهم بنظراتها ويشع بريق السرور من وجهها وتقول حسبى هذا من كل سعادة .

هذه هىالاسس التى ناخذها من قول الرسول أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وهذه ولاشك تدعو الى تطهير النفس بالعقيدة الصحيحة وتكسبها قوة بالايمان الكامل كما تدعو الى التحلى بالاخلاق الفاضلة ومران الاعضاء على الاعمال الصالحة وتزويد العقل بالعلوم النافعة ولا جرم أن فى هذا كله هدوء النفس وراحة الخاطر ورضا الضمير ورغد العيش ومتعة الحياة الدنيا وضمان النعيم فى الدار الاخرة وهذه هى السعادة التى لا تنقطع والمتعة التى لا تضر والسرور الذى لا يزول هذه هى السعادة الحقيقة بالطلب الجديرة بالرغبة يؤيد هذا قول الله عز وجل « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهومؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فىالارضكما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » والله ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق .

الصحة البدنية والشريعة الإسلامية

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضري

الشريعة الاسلاميةهى الشريعة التى جاء بها سيد الانبياء وخاتم المرسلين • صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه • فهى خاتمة الشرائع • وآخر رسالات السماء • التى أرسل الله سبحانه وتعالى بها رسله لاسعاد البشرية • وتخليصها من الفساد والظلم • ومن شوائب الجهالة والانحرافات التى تتنافى مع الانسانية • والتى تأباها الفطر السليمة • وتمجها الطباع الكريمة ••

أرسلهم الله تعالى معلمين وهادين • ومبشرين ومنذرين مبشرين بالجنة ونعيمها من أطاع الله • ومنذرين بالنار وجحيمها من عصى الله ••

والشريعة الاسلامية هى الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان • المستكملة لكافة الاسس والدعائم التى تسعد بها الانسانية • وهى باقية الى أن تقوم الساعة . ويرث الله الارض ومن عليها . وهو خير الوارثين • وهى تهدف الى تحقيق مصالح الافراد والجماعات • والى تكوين مجتمع صالح كريم • تسود فيه العدالة والمساواة بين الناس • ويتحقق فيه تكافؤ الفرص لكافة الافراد . . وتكون الاخوة والمحبة • والاخلاص والصدق والايثار • وسائر الخصال الحميدة – هى أساس التعامل • وهى الميثاق الطبيعى المقدس • الذى يحترمه المسلمون • ويطبقونه فى سلوكهم ••

فقد دعت هذه الشريعة الى التعاون على الخير • وحثت عليه وأوجبته • ونهت عن التعاون على الشر وحرمته – يقول جل ذكره « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب** » من الاية رقم ٢ من سورة المائدة ••

فهذا أمر عام من الله سبحانه وتعالى لعباده المسلمين • أى ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى • ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم والعدوان • وهدد من يخالف ذلك • وأوعده بالعقاب الشديد •• والبر • الخير – والتقوى – الحذر والخوف من الله تعالى – والاثم • المعصية – والعدوان • الظلم – وقال ابن عباس رضى الله عنهما – البر • متابعة السنة – وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه أنه قال (**سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال – البر • حسن الخلق – والإثم • ما حاك فى صدرك • وكرهت أن يطلع عليه الناس**) رواه الامام مسلم رحمه الله ••

والشريعة الاسلامية • جعلت للفقراء والمساكين حقا فى أموال الاغنياء • وفرضت على الابدان زكاة تعطى كذلك للفقراء – فللاموال زكاة • وللابدان زكاة – يقول جل ذكره « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير** » الاية رقم ١١٠ من سورة البقرة – وأخرج الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى • عن ابن عمر رضى الله عنهما • قوله صلى الله عليه وسلم **بنى الاسلام على خمس • شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •**

واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت .

فمن دعائم الاسلام وأسسه التى قام عليها ، اخراج الزكاة ، واعطاء قدر معلوم من المال للسائل والمحروم - أخرج الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قوله صلى الله عليه وسلم (**فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو انثى من المسلمين**) .

والشريعة الاسلامية ، الزمت الناس المحبة ، بل جعلتها شرطا فى تحقيق الايمان - يقول صلى الله عليه وسلم (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه**) أخرجه الشيخان رحمهما الله تعالى عن أنس رضى الله عنه ..

وينبغى أن تكون هذه المحبة خالصة لله تعالى وحده ، ليكون الايمان كاملا - يقول صلى الله عليه وسلم (**من سره أن يجد حلاوة الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله**) أخرجه الحاكم رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه ..

ويقول صلى الله عليه وسلم (**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) أخرجه الامام مسلم والامام احمد فى مسنده ، رحمهما الله تعالى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ..

وقدرغبت الشريعة فى عيادة المريض ، وجعلت عليها ثوابا عظيما - قال صلى الله عليه وسلم (**عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الاخرة**) رواه أحمد والبزار وابن حبان رحمهم الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه - وقال صلوات الله وسلامه عليه (**من عاد مريضا ناداه مناد من السماء ، طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا**) رواه الترمذى رحمه الله عن أبى هريره رضى الله عنه - وفى رواية (اذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة) أخرجه ابن حبان رحمه الله - وقال صلى الله عليه وسلم (**ما من مسلم يعود مسلما الا يبعث الله اليه سبعين الف ملك يصلون عليه فى أى ساعات النهار حتى يمسى ، وفى أى ساعات الليل حتى يصبح**) رواه ابن حبان فى صحيحه ، رحمه الله ..

فانظر يا أخى هذا الفضل العظيم ، والجزاء الكريم - وصلاة الملائكة - على العبد ، استغفارهم وطلبهم الرحمة والخير له ..

ويسن لمن عاد مريضا أن يطلب منه أن يدعو له ، فان دعاءه مستجاب - قال صلى الله عليه وسلم (**عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم فان دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور**) رواه الطبرانى رحمه الله فى الاوسط ، عن أنس رضى الله عنه ..

والشريعة الاسلامية ، تحافظ على حقوق الناس ، وتطلب من المجتمع الاسلامى ان يحافظ عليها . وتهدد كل جماعة يضيع بينها حق لاحد منهم باللعن والطرد من رحمة الله تعالى ، يقول صلى الله عليه وسلم (**لعن الله قوما يضيع الحق بينهم**) وهو حديث ذائع مشهور ..

وهكذا فان الشريعة الاسلامية تهدف دائما لخير الافراد والجماعات ..

ولقد كان من اعظم اهدافها صحة البدن - فأوجبت على كل امرىء أن يرعى صحته ، ويحافظ عليها ، وينأى بها عما يضرها ويتلفها ..

والناظر فيما افترضه الله علينا من واجبات ، يرى أنها كثيرا ما تهدف الى صحة البدن ..

فمثلا (الصلاة) التى هى عماد الدين .. وان كان القصد الاول منها احياء القلب بذكر الله تعالى ، وتعمير النفس بالايمان به سبحانه ، والاعتراف بالعبودية له ، وتقديم الشكر على جزيل نعمه وعظيم احسانه وعطائه - فانها ايضا رياضة بدنية تكسب الجسم صحة ، والبدن عافية ، ولا سيما اذا راعى المصلى آدابها .. وحقق الافضل من أفعالها - فمثلا .. يسن فى الركوع أن يجعل المصلى رأسه مع ظهره على استقامة واحدة ، بحيث يصنع الجسم فى هذا الوضع زاوية قائمة ، ويضع يديه مفرقا أصابعهما على ركبتيه - كذلك فى السجود يفرق أصابع يديه متجها بها الى القبلة ، ويتحامل برأسه على الارض بحيث لو كان تحته قطن مثلا لانكبس ، ويتحامل ببطون أصابع قدميه على الارض ، وقد قرر الاطباء وهم علماء الصحة البدنية ان التحامل ببطون الاصابع على الارض ، يقوى العضلة الموجودة بباطن القدم ، مما يفيد القدمين ويقويهما ويجعلهما قادرتين على المشى الكثير فى سهولة ويسر - كذلك فان رفع اليدين تجاه الرأس عند الاحرام ، وعند الاعتدال بعد الركوع ، وعند القيام الى الركعة الثالثة فى الصلاتين الثلاثية والرباعية ، أمر مشروع ومثاب عليه ..

فهذه الاداب روعى فى تشريعها الصحة البدنية ، وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يفعلها ، مع قوله (صلوا كما رأيتمونى اصلى) صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه ..

(**والصيام**) **فضلا عن تهذيبه للنفس** ، وتعويدها على الصبر ، وتنمية صفة الرحمة بالفقراء ، وغير ذلك من الصفات الطيبة الكريمة .. فانه يفيد البدن ، ويكسبه الصحة والعافية .. بل قال الاطباء ، ان بعض الامراض لا يشفيها الا الصوم ..

ومع هذا ، فان الشريعة الاسلامية تقرر أن الصوم اذا كان ضارا بصحة البدن ، لسبب من الاسباب ، فانه لا يكون واجبا مع أنه ركن من أركان الاسلام فى رمضان - بل انه يكون حراما اذا تحقق وقوع الضرر منه للبدن .. فانظر سماحة هذا الدين الحنيف

وعدالته ! .. والشريعة تحث الصائم على السحور وعلى تأخيره . وتطلب التعجيل بالفطور . كل ذلك رعاية للصحة البدنية - يقول صلى الله عليه وسلم (**تسحروا فان فى السحور بركة**) رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عن انس رضى الله عنه - ويقول ايضا صلوات الله وسلامه عليه (**لاتزال امتى بخير ما عجلوا الافطار وأخروا السحور**) أخرجه الامام مسلم رحمه الله عن أبى ذر رضى الله عنه ..

وقد قرر علماء المسلمين أنه اذا حضر الطعام ، وكان المرء جائعا وهو لم يكن صلى الفريضة بعد - فان الافضل له أن يقدم تناول الطعام على أداء فريضة الصلاة .. رعاية للصحة البدنية - ولتكون نفسه فى راحة واطمئنان وهو يصلى بعد الشبع ..

(والوضوء) فيه نظافة للوجه والعينين ، وتطهير للفم والانف من الغبار المنتشر فى الجو ، وتنقية لليدين والراس والقدمين مما يعلق بها أثناء الحركة والمشى ، وهذا الوضوء مرتبط بالصلاة لا تصح الا به ..

(والاغتسال) وفيه نظافة الجسم ، وانعاش للروح ، ولا تصح الصلاة بعد الجنابة الا به - وهو مشروع يوم الجمعة لصلاتها ، ولصلاة العيدين ، والكسوفين ، ولدخول مكة ، ولزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولحضور كل مجتمع يحضره الناس ، ما ذلك الا رعاية للصحة البدنية ..

(والسواك) تحث الشريعة على استعماله حثا أكيدا - يقول صلى الله عليه وسلم (**السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب**) اخرجه البخارى والنسائى رحمهما الله تعالى - ومعناه ان استعمال السواك يطهر الفم وينظفه - وأن فى استعماله رضوان الله سبحانه وتعالى ، أى الاثابة عليه .. وهذا فضل كبير من الله تعالى علينا ، حيث يثيبنا على ما فيه مصلحتنا وصحة أبداننا ..

والواقع الذى لا مرية فيه ، ان فائدة استعمال السواك فائدة كبرى للصحة البدنية ، ولا سيما بالنسبة للاسنان . فالاسنان هى المعدة الاولى للجسم ، وهى سبيل التغذية - فلو أهملنا تنظيفها والعناية بها ، ترتب على ذلك مضار كثيرة - ذلك أن متخلفات الطعام فى الاسنان ، تحدث التهابا قد يترتب عليه وجود صديد باللثة ، هذا الصديد يتسرب أثناء المضغ الى داخل الجسم ، فيحدث أمراضا كثيرة - ولذا فان كثيرا من الاطباء يأمرون مرضاهم بعلاج أسنانهم قبل أى علاج آخر ..

والشريعة الاسلامية ، حينما حرمت الخمر .. فانما حرمته محافظة على العقل ، وعلى البدن أيضا فان الخمر وهى أم الخبائث ، تضر بالبدن ضررا بليغا ، وتتلف الكبد ، وتودى بالصحة - قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» الاية رقم ٩٠ من سورة المائدة ..**

والميسر ، القمار - والانصاب جمع نصب ، بفتح النون وضمها مع اسكان الصاد ، أو بضمهما ، وهو الصنم - والازلام جمع زلم ، بفتح الزين وضمها ، مع فتح اللام ، وهو واحد الاقداح والسهام التى كانوا يستقسمون بها - والرجس ، المستقذر ، والمراد هنا الحرام .. فالمولى سبحانه وتعالى حرم الخمر ، وسماها رجسا ، وذكرها مع هذه القبائح ، من لعب القمار ، وعبادة الاصنام ، والاستقسام بالازلام ..

وقال صلى الله عليه وسلم (**اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر**) رواه الحاكم رحمه الله تعالى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال صلى الله عليه وسلم (**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه**) رواه الحاكم رحمه الله ، عن أبى هريرة رضى الله عنه - وقال صلى الله عليه وسلم (**من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يشرب الخمر ، من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر**) رواه الطبرانى رحمه الله عن ، ابن عباس رضى الله عنهما - وقال صلى الله عليه وسلم (**لعن الله الخمر وشاربها ، وساقيها ، ومبتاعها وبائعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها**) أخرجه ابن ماجة رحمه الله ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ..

والمبتاع ، هو المشترى - والمعتصر ، هو من يطلب من غيره عصرها - ومعلوم انها نجسة ، وان ثمنها لا يملك ، كفانا الله شرها ..

وواجب ولى الامر ، أن يحد شاربها ، بضربه اربعين جلدة تأديبا له ، وزجرا لغيره ، روى الامام مسلم رحمه الله ، عن أنس رضى الله عنه قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يضرب فى الخمر بالجريد والنعال أربعين) ..

والشريعة الاسلامية كذلك حرمت تناول لحم الخنزير ، رعاية لصحة الابدان - فقد اثبت العلم الحديث انه يشتمل على مواد تضر الجسم ضررا كبيرا ، ولاسيما فى البلاد الحارة ..

وقد جاء تحريم تناول لحم الخنزير فى القرآن الكريم فى أكثر من آية ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكثر من حديث ..

ومما ينبغى التنبيه عليه ، أنه لا يجوز شرعا أن يرهق الانسان نفسه فى عمل بدنى أو فكرى - يقول صلى الله عليه وسلم (ان لبدنك عليك حقا) وهو حديث مشهور ، وهو أساس عظيم فى وجوب رعاية البدن ، والعناية به - ويقول صلى الله عليه

وسلم (**ان لكلّ شيء شرّه ، ولكلّ شره فتره ، فانْ صاحبها سدد وقارب فأرجوه ، وان أشير اليه بالاصابع فلا تعدوه**) رواه الترمذى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه ٠٠ وهو حديث صحيح ٠٠

والشرة بكسر الشين ، الحرص على الشيء ، والنشاط والرغبة فى الخير أو الشر – والفترة ، الوهن والسكون والضعف – وقوله (فان صاحبها) ان شرطية . وفعلها محذوف . فاعله صاحبها . وتقديره . فان سدد صاحبها وقارب . فانى أرجو له الخير ٠٠

ومعنى الحديث ٠٠ ان لكل شيء فى هذه الحياة ، ولكل عمل من الاعمال ، حالة شدة ورغبة فى خير أو شر ، وله حالة وهن وضعف – فان سدد المرء فى عمله وقارب ، وجعل عمله متوسطا ، وتجنب طرفى الشدة والضعف ، فانى أرجو له الفلاح والنجاح ، لانه يستطيع الدوام والاستمرارفى عمل الخير – وان اجتهد وبالغ فى العمل ، وحمل على نفسه ، وكلفها مالا تطيق ، ليشار اليه بالاصابع ويشتهر أمره بين الناس ، فلا تعدوه ولا تعتدوا به ، ولا تحسبوه من الصالحين العاملين ، لمخالفته ما ينبغى أن يكون عليه من التوسط والاعتدال ٠٠

ويقول صلى الله عليه وسلم (**أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل**) رواه الشيخان البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى ، عن عائشة رضى الله عنها ٠٠

فأولئك الذين يرهقون أنفسهم فى أعمالهم الخاصة ، أو أعمالهم الوظيفية ، ويكلفونها مالا تطيق . انما يرتكبون اثما كبيرا ٠٠ ولاسيما المرضى بمرض القلب . وتصلب الشرايين . ومرض السكر ونحوه ، والذين ينصحهم أطباؤهم بالرفق بأنفسهم ، والاعتدال فى مباشرة اعمالهم – فان عدم استماعهم لهذه النصائح ، واستمرارهم فيما اعتادوه من ارهاق واجهاد ٠٠ انما هو بمثابة انتحار ! ٠٠ وكلنا نعلم وزر المنتحرين ٠٠

واذا كان المولى سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » من الاية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة ٠٠ والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ، وقد عادوا من احدى الغزوات . اثناء صعودهم مرتفعا . وهم يرهقون انفسهم فى ذكر الله تعالى ويرفعون اصواتهم بذلك (اربعوا على انفسكم) اى ارفقوا بها . ولا ترهقوها – فما بالنا نرهق انفسنا فى العمل . ونحملها مالا قدرة لها عليه ! ٠٠ ؟ ٠٠

كذلك ينبغى للمرء أن يروح عن نفسه ، فلا يحزن لكل أمر لا يرضاه ، ولا يداوم التفكير فى ذلك ٠٠ ولا يكدس على نفسه الهموم والاحزان ٠٠ بل يقابل الامور بالايمان والرضى والاطمئنان – وحسبنا أن نذكر دائما قول الله تعالى فى الحديث القدسى . الذى رواه سيد الانبياء ، وخاتم المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، عن ربه عز وجل (**أنا عند ظن عبدى بى ، فان ظن بى خيرا ، كنت له خيرا**) فليحسن المرء الظن بالله ، وليرض بقضائه ٠٠ ولا يتبرم ، ولا يتأفف ، ولا يثور ، ولا يغضب ، بل يعيش هادئا ، هانئا صابرا ٠٠

كذلك علينا أن نذكر قوله صلى الله عليه وسلم (**لو** كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ماسقى الكافر منها شربة ماء) أخرجه الترمذى رحمه الله ، عن سهل بن سعد رضى الله عنه . . وهو حديث صحيح ٠٠

فعلينا أن نزهد فى هذه الدنيا . والا نجعلها كل همنا – وأن نؤدى ما علينا من واجبات لله تعالى ، وان ننتهى عما نهى الله عنه من محرمات ، وأن نعامل الناس معاملة طيبة حسنة ، يرضى عنها الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن نقول دائما كلمة الحق والخير والصدق ، وأن نعيش عيشة هادئة كريمة ، راضين بما قسم الله لنا ، قانعين به ، ذاكرين الله تعالى ، مطمئنين لعدله وكرمه وفضله واحسانه . وليكن ظننا فيه حسنا . ورجاؤنا فى جنابه كبيرا ٠٠ وهو سبحانه ولى الهداية والتوفيق ،

وبعد

فقد بينا أن الشريعة الاسلامية الغراء ، تحرص كل الحرص على الصحة البدنية ، وتأمرنا بأن نحافظ على أبداننا ، وتحثنا على العناية بأنفسنا ، وعلى أن نرفع دائما معنويات أرواحنا ، بالبشر والراحة ، والاطمئنان والمرح البرىء ، والايمان الخالص بالله تعالى – وفى هذه المحافظة ، وفى تلك العناية ، خير كثير لنا . وفى الدنيا . بالصحة والعافية . وفى الاخرة ، بالجزاء الوفير ، والثواب الجزيل والنعيم الخالد المقيم ،

فيا أخى أليس هذا فضلا كبيرا من الله علينا ؟ أليس من واجبنا . الذى يحتمه العقل والفكر الرشيد ، أن نلقى قيادنا لهذه الشريعة فى كل أمر وأن نمشى على هداها فى كل سبيل ؟ ٠٠

ان الواجب علينا ، **أن نطبق أحكام الشريعة الإسلامية فى سلوكنا وسائر تصرفاتنا ومعاملاتنا ٠٠ مع أنفسنا وأولادنا وذوينا وعشيرتنا ٠٠ ومع كافة عباد الله تعالى . فى البيع والشراء . وفى الاخذ والعطاء ، وفى جميع المعاملات ، وأن نسترشد بهديها فى كل ذلك . لنحظى بالسعادتين . سعادة الدنيا وسعادة الاخرة ٠٠ وأن نحمد الله تعالى ونشكره ، على ما أولانا من فضل . ومنحنا من شريعة كريمة غراء ، وأن نستعين به ونستهديه ، فهو جل ذكره قريب مجيب . وهو حسبنا ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير ٠٠**

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير

الناس جميعا من جهة النسب أبوهم آدم • وآدم من تراب • فليس فى الاسلام انسان أبيض أكرم من انسان أسود ، ولا غربى أكرم من شرقى ، كما تزعم العنصرية اليوم .. ومن العجيب انها تتغنى بالحرية والعدالة الاجتماعية كذبا وادعاء وزورا • والى القراء هذه القصة « لقد حدث أن جلست امرأة زنجية على مقعد للبيض فى احدى سيارات الركاب العمومية هناك فطلب منها الانتقال من مقعدها فابت • فساقها رجال الشرطة للمحاكمة فحكم عليها بالغرامة ، فقاطع الزنوج فى تلك الولاية السيارات العامة احتجاجا على ذلك فاعتقل زعماؤهم ثم حوكموا فى مارس سنة ١٩٥٦ !!!

هذه قصة تعلمنا أن الله قد من علينا بنعمة الاسلام الذى سوى بين صهيب الرومى وسليمان الفارسى وبلال الحبشى . لذلك وجب علينا أن نعتصم بتعاليمه ، ونتمسك بأهدافه ، ففى ذلك نصرة للحرية الرشيدة والسلوك الرضى والحق المبين •• وقد جاء الخطاب مصدرا فى الاية التى بدأنا بها هذا المقال بقول الله يأيها الناس •• ليشعرهم بالتساوى فى الاخوة الانسانية والابوة الادمية . لان الانسان أخ للانسان • ولكن البعض قد يتميز بالمواهب الالهية على أخيه بالذكاء • أو الانتاج أو النفع العام للمجتمع بقدرة وبمواهب يمنحها الله لعباده ويختص بها من يشاء •• وهناك فرق بين المنح الالهية ، وبين الاستثناءات وتسخير طبقة لطبقة فلا طبقية ولا عنصرية فى الاسلام !!

أما الوزن الحق فقد وضع الاسلام قاعدته الاساسية « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » •

ولم يمنح الاسلام أى امتياز أمام العدالة بين انسان وانسان فأمر القاضى بألا يفرق بين قريب وبعيد وضعيف وقوى وفقير وغنى بل أمر بالحق والعدل • فقال عز وجل « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى** أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . » وقال « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين** »• « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » •

والعدل مظهر من مظاهر المساواة التى تسود فيها روح الاخوة الانسانية ليصير الدين سلوكا وعملا وتطبيقا •

والمساواة تفرض التناصر والتناصح وتحرم التخاذل والتناحر على متاع الحياة الدنيا • والتخاذل يسبب الضوائق للنفوس الحرة الابية ولذلك كان التعاون على البر والتقوى من أعمال البر ، وكانت الالفة بين القلوب نعمة من الله على الناس • « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » •

هذه لمحات صادقات من تعاليم الاسلام • جاءت تقريرا للحق وتأكيدا للعدل وتوضيحا لهداية القرآن الكريم •

ومنهج القرآن فى تربية الانسان ، يدعم المساواة ، ويحقق العدل ، ويحمى السلام ، ويصون الامن ، ويزيل الحواجز المصطنعة بين الناس ، الحواجز التى صنعها الانسان لنفسه بنفسه لابكده وجده •

والله يريد من العباد ان يجدوا ليرتفعوا الى أعلى الدرجات ، ويود منهم ان يبلغوا الذروة فى الانتاج والعمل .. ليصلوا بذلك الى مرضاته ويريد منهم الاخلاص فى عبادته ليكونوا جنده وحزبه،وحزب الله هم المفلحون « **من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو**

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

« **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** »والله قد جعلهم خلائف فى الارض ليتحقق بهم الانتاج وتعمر بهم الدنيا ..

« **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » ..

والعبرة بالاعمال والايمان ، لا بالاقوال والاموال ..

وما كان الله ليضيع أجر الكادحين : ولا ثواب الصابرين الصادقين فهو الذى يرفع الناس بأعمالهم درجات . وهو كريم لا يضيع أجر المحسنين الذين تستقيم بهم الحياة وتعمر بهم الدنيا ويتحقق بهم الخير ..

« **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » ومن كان الله معه فلن يضره شىء فى الارض ولافى السماء « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** . » .. والله هو القائل « **أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** »

والله سيحاسب الناس غدا عن أوقاتهم وأموالهم « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » ..

ولذلك أرسل الله الرسل وانزل الكتب لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وليقوم الناس بالقسط وليهتدوا الى سواء السبيل ..

فلا تفاخر ولا غرور ، ولا بغى ولا فجور ، مادام الناس جميعا متساوين فى أصل الخلقة ومادامو هم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد. فلا داعى للتعالى والكبرياء والطغيان والاستعلاء ، لان لله ملك السموات والارض وحده لا شريك له « **له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى** »

ولقد كان الامر للجهالة والرأى للضلالة قبل الاسلام ، فلما بعث النبى العربى الامى أخرجهم من الظلمات الى النور ومن الضلالة الى الهدى ، فسار الاسلام على قاعدة العدل والحق والحرية والمساواة التى شرعها رب العالمين ، وجعلها سمحة فاضلة نبيلة . اذ قرر أن لااكراه فى الدين ، « **ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » .

وبذلك اطمأن اهل الكتاب الى امن الحياة ، وحرية الاعتقاد ، وعدالة القضاء فى الاسلام الذى يأمر ببرهم والاحسان اليهم ما لم يعتدوا أو يظاهروا المعتدين !!!

« **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** » ..

من هذا يتبين ان لهم مالنا . وعليهم ماعلينا . ماداموا على العهد وعلى الواجب الانسانى الذى شرعه الله للناس ليعيشوا آمنين مطمئنين فى هذه الدنيا .. أو ليس القرآن هو القائل للنبى ؟ « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن** » ويقول الله لرسوله الكريم « **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » ويقول للمسلمين « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** » ..

هذا هو الاسلام الذى أعلن حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قائلا « **الناس سواسية كاسنان المشط** » ولذلك كان رسول الله رحمة للعالمين ، رحمة للمستضعفين فى الارض بسبب قلة المال بالعدل ورحمة للارقاء بالعتق . ورحمة للنساء بانقاذ البنات من الوأد ، واعطاء النساء حقهن المقرر فى شريعة الاسلام . ثم كفل الرزق للفقراء بالزكاة ، وضمن العز للضعفاء بالعدل والمساواة وبذلك محق الطبقية العاتية ، فى تلكم الجاهلية الباغية . ولقد أعلن الاسلام حرية الرأى والفكر فأمر بالنظر فى ملكوت السموات والارض ليهتدى الناس الى المعرفة السليمة ، وليدركوا أن الله سخر الكون لخدمة البشر ليستخدموا ما فيه من اكتشافات وخيرات تنفع العباد .

« **الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** »

ان الله الذى سخر الكون لخدمة البشر ، هو الذى سخر البشر لتعمير الارض ، ليعيش الناس متعاونين على بناء الحياة بناء سليما قويما متكاملا « **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** » .. وليس التسخير هنا تسخير تسلط وتحكم . كلا .. فقد تعالى الله سبحانه عن ذلك علوا كبيرا .. ولكن الناس يتفاوتون فى أعمالهم قوة وضعفا ، علما وجهلا ، واجتهادا وكسلا . والله يهب لمن يشاء مواهب يختص بها بعض عباده . ولكنه منح الكرامة الآدمية لبنى آدم جميعا. وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا . « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » فلم يخص لونا دون لون ولا جنسا دون جنس بهذا التكريم. لتقوى الروح المعنوية ولتسمو بذلك القيمة الانسانية ، ولقد كان الاسلام ثورة على الطبقية والعنصرية اذ أعلن هذا المبدأ الذى جاء به ليرفع مستوى الافراد وليتمكن الجميع من المشاركة فى عمل الخير للجماعة وليأمن كل على مستقبله . « **لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى** » .

هذا هو منهج الاسلام فى تقرير الحقوق الانسانية للانسان ٠

وهل هناك شبه بين هذه المبادىء الخالدة وبين ما تسير عليه أمم الحضارة الحديثة خصوصا ما تفعله بعض الامم الغربية فى معاملة المواطنين فى بلادهم أو المستعمرات الخاضعة لنفوذهم انها تعاملهم بقوانين جائرة تتنافى مع أبسط قواعد الحرية الانسانية ٠٠ والعدالة الاجتماعية.. تعاملهم بالعنصرية فقد حدث أن :

تقدمت فتاة زنجية فى احدى الولايات الامريكية للالتحاق بالجامعة ، فرفضت الجامعة قبول الفتاة لسواد لونها فلجأت الفتاة الى المحكمة ٠ فأصدرت محكمة برمنجهام حكمها بقبول الفتاة وأصدرت للجامعة أمرا بذلك فى أول يولية سنة ١٩٥٥ فلما علم بذلك الطلاب والطالبات قاموا بمظاهرات عنيفة وانتظموا فى مسيرة تحوى سبعة آلاف طالب يمثلون كليات الجامعة ٠٠ !!

خرجت هذه الالاف تهتف وتنادى بشنق الفتاة الزنجية لاعتدائها على الجامعة وجرأتها على الاوضاع الاجتماعية ٠٠ وعدوانها على كرامة الجامعة !! فلتشنق معلقة على فرع شجرة ! كما يفعل الامريكيون مع الزنوج ٠٠ ولم يكتفوا بالمظاهرات ٠ بل اعتدوا على الطالبة ، ورجموها بالحجارة ٠ وضربوها بالبيض الفاسد ٠٠ وصمموا على ألا يسمحوا لها بأن تجلس الى جوارهم لتتلقى العلم أبدا ورضى أولياء الامور لا فى الجامعة عن هذه المظاهرات فاصدروا قرارا بوقف الطالبة عن استئناف الدراسة على الرغم من حكم المحكمة بقبولها !! ولكن الجامعة أبت فلزمت الفتاة دارها خوفا من ثورة الجماهير ، وابقاء على حياتها !! ورفعت الدعوى مرة ثانية تطالب بالغاء قرار الجامعة بوقف استئناف دراستها ٠٠ ولكن التهديدات لم تنقطع عنها حتى وهى فى بيتها بالتليفون حتى اضطرت الفتاة الى الاختفاء فى مكان ناء للتخلص من الوعيد والتهديد والمضايقات التى طاردتها ..

وفى يوم ٢٩ _ ٢ _ ١٩٥٦ أصدرت المحكمة حكمها بأن تستأنف الطالبة دراستها فى الجامعة ٠٠ ولكن مجلس الجامعة اجتمع بعد صدور الحكم بساعات وقرر فصل الطالبة من الجامعة نهائيا ٠٠ متحديا بذلك حكم المحكمة ومتعللا بأن الطالبة المذكورة نسبت للمسئولين فى الجامعة تهمة كاذبة حيث اتهمتهم بتحريض الطلاب على المظاهرات التى كانت ضدها ٠٠ وقالت الجامعة انها تخشى أن تقتل الفتاة بأن يغتالها البيض ٠٠ الخ

هذه ملامح المدنية العنصرية المعاصرة !! فهل هذه أعمال انسانية تحررية فى هذه المسالك مع الناس ؟ وهل هذه حرية تحقق تكافؤ الفرص ؟ ! ٠٠ ولكن الاسلام يحض على طلب العلم ويجعله فرضا على كل مسلم ومسلمة ٠

لان العلم وسيلة لمعرفة الله ، وهو دليل على ارادة الخير وطريق للهداية « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين** » والاسلام يعمل جاهدا على صيانة العقل من الخرافات وعبث الاتجاهات فيأمر بالبحث الدقيق وبالنظر العقلى لاستنباط الادلة وقد أخذ الله على المشركين تقليدهم لآبائهم « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** »

وقد لفت الاسلام النظر الى التوجه الى معرفة الله عن طريق العقل المستنير بالمعرفة ٠ وقد جمع الله المسلمين على كلمة التقوى ، وأقام دعائم الامة المحمدية على المودة والرحمة ومكارم الاخلاق وفى سبيل تحقيق وحدة المسلمين يوجههم الى رب واحد ، ونبى واحد ، وكتاب واحد ، يعلم مكارم الاخلاق وقد رفع الله شأن العلماء فقال « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »

والاسلام يقرن العلم بالعمل ليتحقق الكمال الانسانى الذى تطهر به القلوب ٠ ولم لا يكون المؤمن نقى السريرة طيب السيرة وقد جاء الاسلام بالمبادىء التى تكفل حرية الافراد والجماعات وتضمن تماسك الصلات والعلاقات وتقرر العدل الذى يصون الحقوق دون ميل مع الهوى ٠ وتؤكد الاحسان الذى يفتح باب الايثار ، فأمر بالبر والخير ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لينشىء أمة تفعل المعروف وتنهى عن الشر والضر وتلك هى صفات أمة المؤمنين « **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ٠٠ » ولو علم الناس فى مشارق الارض ومغاربها بحقيقة هذا الدين لردوا اليه كل فضل أخلاقى ونبل انسانى ، فهو الذى أعلن التكافؤ فى الدم ومحق الفوارق الجنسية وأمام هذا تتضاءل أغشية الاوهام الكاذبة والعظمة الزائفة التى تملأ ادمغة المستكبرين بالانانية الكريهة التى تتهكم بالناس استهزاء وازدراء !!!

وما كان ينبغى أن يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء لان للناس عند الله درجات لا يعلمها الا هو ، ولكل عبد منزلة عند من لا تخفى عليه خافية لا يعلمها الا من يعلم ما تكسب كل نفس

ولكى تهدأ النفس المتمردة بغرورها وصلفها يأمر الاسلام بالتواضع المهذب يقول عليه السلام « **ان الله اوحى الى ان تواضعوا حتى لايبغى أحد على احد ولا يفخر أحد على أحد** » ٠

والاسلام قادر على أن يهذب النفوس ويربى الوجدان ليصبح المرء مرهف الحس رقيق الشعور ، ذكى الادراك نقى السلوك نظيف السمعة ، فلا يطغى على بنى جنسه ليذيقهم من بأسه ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** ٠٠

تلك هى آداب الاسلام وأخلاقه _ فمن أراد أن

يعيش قوى الارادة يقظ الضمير فليتجه الى الله الذى يأمر بالاحسان الى الناس - الى كل من رماه الدهر بنكباته وأصابه بويلاته - يأمر بتحمل المسئولية الانسانية نحو الاخرين ..

فاذا اراد الاباء للابناء نجاحا وصلاحا ولاهليهم وذويهم فلاحا فليتجهوا الى آداب القرآن وأخلاقه . ليكون الدين هو المربى المؤدب والمعلم المهذب. واذا أحب العمال مرضاة ربهم . فليخلصوا فى عملهم طمعا فى رحمتـه . « **ان رحمـة الله قـريب من المحسنين** » « **ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** » . فلا يرى أحد منهم أنه أفضـل من أحد الا بالتقوى وصالح العمل .

ويجب أن يرى كل عامل منهم أنه مجاهد فى سبيل الخير ، يتحمل المتاعب ، ويستسهل الوعر ، وبذلك يكون السلطان للضمير الحى الذى يوجهه ايمان سليم وعقل قويم ، وتلك الامانة هى القوة المهيمنة على الانسان وليس من المروءة فى الاسلام أن يكون المرء ممن يقضون أوقاتهم فى تتبع عيوب الناس والتنبيش عن عوراتهم وتسقط أخبارهم . ومن يفعل ذلك فذلك هو التسلى بالخلق الدنىء المنبعث من اللسان البذىء والله يقول « **ولا تلمزوا أنفسكم** » يعنى لا تعيبوا أنفسكم .

وبديهى أن التنابز [التعاير] بالالقاب الرخيصة يوغر الصدر ويحط القدر ويسبب الضغينة والوقيعة . والتعاير بالالقاب يصدر عن حقد وكبر وبغض ولؤم لذلك نهى عنه رب العالمين .

ان الاسلام يحفظ للاداب الاجتماعية قواعـدها الثابتة الخالدة فنهى عن التجسس - يقـول عليه السلام : « **لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته . حتى يفضحه ولو فى جوف بيته** » والله يقول ولا تجسسوا . واتهام الناس من غير دليل بالعيوب . هو سوء الظن بعينه . والذين يفعلون ذلك لاخلاق لهم .. يقول عليه السلام « **من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه** »

فلا ينبغى أن يلوث المرء لسانه بالبحث عن عيوب خلق الله ونشرها وشهرها حقدا وغلا - والله يقول ان بعض الظن اثم . . هذا اذا كان المتهم بالصفات المرذولة التى تسىء الى السمعة من ذوى السمعة الطيبة - من ذوى الاعتدال والاستقامة .. أما المجاهرون بالمعاصى فهم شر البرية .

والاسلام يفرض على الناس صيانة الاخلاق وحماية أحاسيس الناس . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة** » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر** » ..

والسعاية والوشاية من علامات الرذيلة فى النفس البشرية « **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما** » وفى الحديث : « **لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** » .

هذه بعض آداب الاسلام التى تهذب المشاعر وترقى الاحاسيس وتغرس بذور الحب فى نفوس المسلمين، الحب الانسانى الخالص والتراحم المبرأ من الغل والكيد والغدر .. فتختفى المنازعات ليحل محلها السلم والامن . وبالسلوك المهذب والمعاملة الكريمة تنتظم شئون الحياة .

ان الاسلام يكره الخيلاء والكبر على العباد « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** » .. « **ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا** » والنفوس تكره المختالين المغرورين ولو لم يسيئوا الى أحد ، والمتكبرون الذين يهزأون بالناس يحملون الناس على الكبر عليهم وعلى احتقارهم ردا عليهم . لذلك منع الاسلام اثارة الاحقاد فى النفوس مستعينا بهذه الاداب النفسية والاجتماعية التى جاءت فى القرآن الكريم .

والله يقول « **وقولوا للناس حسنا** » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام أفضل ؟ قال « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » .

ويقول عيسى عليه السلام « **البر ثلاثة : المنطق والنظر والصمت : فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا . ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها . ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها** » .

هكذا تريد التعاليم الاخلاقية تصفية الجو بالادب والخلق والمودة ولا يضير المرء أن يكون متواضعا مهذبا ولكن يضيره أن يكون أنانيا ممقوتا - وكثيرا ما يكون غرور المال سببا فى الصلف الغشوم والاسلام عدو للعاطلين بالوراثة - وأولئك الكسالى الخائبون كذلك هو عدو للبطالة والتعطل باسم الورع والتدين لان الله يقـول « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** » وويل للذين لا يجدون للناس عيوبا فلا يجدون حيلة الا أن يلفقوا ويزوروا لهم عيوبا ليشهروا بها وينشروها تشنيعا وتشفيا - وفى التشهير متنفس لحقدهم الكريه وخلقهم السخيف . !

« **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** » .

ان الذين يشوهون الحقائق والذين ينشرون الشائعات الضارة والذين لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة - كل أولئك قد فسدت ضمائرهم وضعف فيها الوازع الدينى ولا دواء لدائهم الا بالتقوى التى تربيهم على طاعة الله وعلى طهارة القلب وسمو الخلق وعفة اللسان وتنقية النفس والوجدان من وساوس الشيطان « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » .

وجود الله عز وجل

فضيلة الشيخ
عبد الوهاب الساكت

— ٢ —

تكلمنا فى العدد السابق عن وجود الله تعالى ، وأن آيات الله تعالى مكشوفة لمن يريدها ويستقيم الى مغزاها : وبينا أن أولى ما يستضاء به فى هذا السبيل ما اشتمل عليه القرآن فليس بعد بيانه بيان ، وتكلمنا عن بعض الايات التى تنبه الى وجود الله تعالى ، وفى هذا المقال نتكلم ان شاء الله تعالى عن بعض المسالك التى سلكها القوم فى اثبات الصانع وأن منها ،

الاستدلال بحدوث الجواهر ، بمعنى أن العالم الجوهرى ، أى المتحيز بالذات ، حادث وجد بعد عدم ، وكل حادث فله محدث ، كما تشهد به بديهة العقل ، وقد ذهب أكثر مشايخ المعتزلة الى أن هذه المقدمة استدلالية . استدلوا عليها تارة بأن أفعالنا محدثة ومحتاجة الى الفاعل لحدوثها ، وكذا الجواهر محدثة لان علة الاحتياج مشتركة بينهما ، وتارة أخرى يستدلون بأن الحادث قد اتصف بالوجود بعد العدم فهو قابل لهما فيكون ممكنا وكل ممكن محتاج فى ترجيح وجوده على عدمه الى مرجح .

والاستدلال بحدوث الجواهر على اثبات الصانع جل وعلا، قيل انه طريقة الخليل ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال، [لا أحب الآفلين] أى فضلا عن عبادتهم لان الآفل حادث لحدوث عارضه الدال على حدوثه وهو الافول وما كان حادثا فله محدث مغاير له فلا يكون مبدأ لجميع الحوادث ، فلا يكون صانعا للعالم ولا يكون محبوبا للعاقل .. ثم أن الافول أعنى الغيبة وان عم الجوهر والعرض الا أن قوله عليه الصلاة والسلام لا أحب الآفلين نفى لربوبية الجوهر، فلهذا قيل بأن طريقة سيدنا ابراهيم عليه السلام الاستدلال بحدوث الجواهر على اثبات الصانع . وابراهيم عليه السلام أبو مدرسة التوحيد ، أراه الله من ملكوت السموات ماقصه من الكواكب ومن ملكوت الارض والبحار والجبال والاشجار ونحو ذلك مما استدل به ، وقال الراغب فى قوله تعالى : (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين**) أراه ملك الله عز وجل وسلطانه .. وقيل عجائبهما وبدائعهما كشف له عن السموات والارض حتى العرش ، وقيل أراه آياتهما ، والمراد اطلاعه على حقائقهما وتعريفهما من حيث الدلالة على شئونه عز وجل ولا ريب أن ذلك ليس مما يدرك بالحس ، وليكون من زمرة الراسخين فى الايقان البالغين درجة اليقين من معرفة الله تعالى أريناه ملكوت السموات والارض، فان الوصول الى تلك الغاية كمال مترتب على ذلك التبصر والاراءة هذه ، وقوله تعالى ، [فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى » قيل هذا لتقرير الحجة على قومه فاظهر موافقتهم ، فلما أفل ، أى غاب ، قرر الحجة وقال ما تغير لا يجوز أن يكون ربا . وقال

النحاس : ومن أحسن ما قيل فى هذا ما صح عن ابن عباس انه قال فى قول الله عز وجل « نور على نور » قال كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل بقلبه ، فاذا عرفه ازداد نورا على نور وكذا ابراهيم عليه السلام عرف الله عزوجل بقلبه واستدل عليه بدلائله ، فعلم أن له ربا وخالقا ، فلما عرفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال : (أتحاجونى فى الله وقد هدان) وقيل أن قوله هذا ربى هو على معنى الاستفهام والتوبيخ منكرا لفعلهم ، والمعنى أهذا ربى ، ومثل هذا يكون رباح (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) أى ان لم يثبتنى ربى على الهداية [لاكونن من القوم الضالين] انتهى كلام القرطبى .

وقال ابن حزم فى الملل والنحل ، والصحيح أنه عليه السلام انما قال ذلك موبخا لقومه لانهم كانوا على دين الصابئين ، يعبدون الكواكب، ويصورون الاصنام على صورها وأسمائها فى هياكلهم ، ويقيمون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين ، ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ، ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر حجمها ، فأراهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين أنهم مخطئون وأنها مدبرة تنتقل فى الاماكن : ومعاذ الله أن يكون الخليل عليه السلام أشرك قط بربه أو شك فى أن الفلك بكل ما فيه مخلوق : وبرهان قولنا هذا أن الله تعالى لم يعاتبه على شىء مما ذكر ولا عنفه على ذلك ، بل صدقه تعالى بقوله : [**وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء**) وأيضا فقد قال الله تعلى ، (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**) فمحال أن يكون من آتاه الله رشده من قبل الحجاج مع قومه يدخل فى عقله أن الكواكب ربه أو أن الشمس ربه من أجل أنها أكبر قرصا من القمر ، هذا ما لا يظنه عاقل : والصحيح أنه انما وبخ قومه كما قال ذلك فى الكبير من الاصنام .

وقال الامام ابو السعود فى تفسيره قوله (هذا ربى) مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب ، فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأى خصمه ثم يكر عليه بالابطال : ولعل سلوك هذه الطريقة فى بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من أول الامر كما فعله فى حق عبادة الاصنام لتمادوا فى المكابرة والعناد ولجوا فى طغيانهم يعمهون .

وقوله تعالى : [**لا أحب الآفلين**] أى الارباب المتنقلين من مكان الى مكان ، المتغيرين من حال الى حال، فانهم غير مستحقين للربوبية قطعا ، ولهذا قال : (**ياقوم انى برىء مما تشركون**) معلنا البراءة من شركهم ، ثم أعلن اتجاهه الى الله قائلا ، [انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) هذا وان المادة ملزومة للصورة والصورة لازمة للمادة لا تنفك عنها ، فلو كانت المادة الملزومة قديمة لكانت الصورة اللازمة قديمة لعدم جواز انفكاك اللازم عن الملزوم لكن هذه الصورة ليست بقديمة بدليل قبولها العدم فالمادة ليست بقديمة أيضا .. ونقول للماديين ان الحادث لابد له من أمر يحدثه ويترجح به وجوده على عدمه ، والا فيلزم الترجيح بلا مرجح ، وهو من المحاولات البديهية ، واذا ثبت أن المادة حادثة فلابد من شىء حدثت عنه تلك المادة وترجح به وجودها على عدمها ، وهذا الشىء لابد أن يكون موجودا لان المعدوم لا يوجد عنه شىء . وهذا الموجود هو الله تعالى ولابد أن يكون قديما والا احتاج الى ماحدث عنه ولابد أن يكون قديما لذاته لا لغيره ، والا انتقل الكلام الى ذلك الغير ، فلم يبق الا انه قديم لذاته باق الى غير نهاية يستحيل عليه العدم .

أما طريقة سيدنا موسى عليه السلام فى الاستدلال فهى الاستدلال بامكان الاعراض مقيسة الى محالها حيث قال الله تعالى حاكيا رده على فرعون حين سأله (من ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) أى أعطى كل شىء صورته الخاصة وشكله المعين المطابقين للحكمة والمنفعة المنوطة به، وذلك ان الاجسام متماثلة متفقة الحقيقة لتركبها من الجواهر المتجانسة ، فاختصاص كل من الاجسام بما له من الصفات جائز فلابد فى التخصيص من مخصص خارجى ، لان اختصاص كل جسم بما له من الصفات ليس لذاته ، والمشهور أن المتكلمين استدلوا بأحوال خصوصيات الاثار على وجود المؤثر فقالوا ان الاجسام محدثة فكذا الاعراض فلابد لها من صانع ولا يكون حادثا .

وقوله تعالى : (**الذى أعطى كل شىء خلقه**) فكل شىء ثانى مفعولى أعطى ومفعولها الاول هو خلقه والمعنى أعطى خليقته كل شىء يحتاجون اليه ويرتفقون به .. أو أن خلقه مفعول ثان والاول هو كل شىء . والمعنى أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به فى قول الضحاك (ثم هدى) أى عرفه كيف يرتفق بما أعطاه وكيف يتوصل اليه سواء كانت الهداية من طريق الفطرة أم من طريق العقل وتأمل كيف أطلق للهداية ولم يذكر متعلقها ليشمل اللفظ بعمومه هداية المخلوق والهداية اليه : ولله ما أجمع هذه الجملة على اختصار لفظها وما ابين معناها وما أدلهما على قدرة الله تعالى وعظمته وحكمته .. ولو نظر الانسان فى هذا الكون أرضه وسمائه ونباته وحيوانه ويابسه ومائه لايقن أن الله تعالى أعطى كل شىء من خليقته ما يتطلبه فى حياته وما يحتاجه لاداء وظيفته (ثم هدى) وهى كقوله

تعالى : (**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**) فخلق الرحمن يشبه بعضه بعضا فى الكمال والاتقان واستيفائه ما يتطلب ، وليس المعنى أن لا تفاوت فيه أصلا والا فبعضه علوى وبعضه سفلى ، والبعض نورانى والبعض ظلمانى ، والبعض مادى والبعض روحى، بل المعنى ان لاتفاوت فيه من حيث الكمال والاتقان، فهو متشابه فى كماله وقيامه بوظيفته فضوء النهار كمال فيه وظلمة الليل كمال فى الليل مادام النهار قد أعده الله للمعاش والليل قد أعده لنسكن فيه والعقل فى الانسان كمال فيه مادام الانسان قد خلقه الله ليسخر له ما فى السموات والارض ولا يتم له هذا التسخير بدون العقل ، وسلبه من البهائم كمال مادامت قد خلقت لتكون ذلولا للانسان مسخرة له ، وهذا التشابه الذى نراه فى خلق الرحمن آية كبرى من آيات وحدته ٠

اما قوله تعالى : (**أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**) فتراه جليا واضحا فى كثير من خلقه ، فالكواكب أعطاها خلقها ، ثم هداها كيف تسير ، وكيف تؤدى وظيفتها فى هذا الكون ، فجعل بعضها مضيئا بذاته كالشمس ، والبعض الاخر مضيئا بواسطة انعكاس أشعة غيره عليه كالقمر ٠ وجعل جميعها خاضعة لنظام الجاذبية وبواسطة ذلك النظام الذى وضعه لها تؤدى وظيفتها فى هذه الحياة ، فتسير على النحو الذى رسمه الله تعالى لها ، (**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقرلها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**) وقال الامام أبو السعود فى تفسيره : أعطى كل شىء صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة الرجل بالمرأة والبعير بالناقة ثم هداه الى طريق الانتفاع بما اعطاه ، وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما فى الحيوانات أو طبعا كما فى الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ٠ ولقد ساق جوابه على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى قادر عالم مختار خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفصيل ، وضمن جوابه أن ارساله تعالى اياه الى فرعون من جملة هداياته تعالى اياه بعد أن هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة ٠

وقال الامام القرطبى فى قوله : (**ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**) أنه تعالى يعرف بصفاته ، وأنه خالق العالم ، وهو الذى خص كل مخلوق بهيئته وصورته (ثم هدى) قال ابن عباس : أعطى كل شىء زوجه من جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ٠ وقال الحسن وقتادة : هداه الى الالفة والاجتماع . وقال مجاهد : أعطى كل شىء صلاحه وهداه لما يصلحه ٠ قال الضحاك : أعطى كل شىء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له ، يعنى اليد للبطش ، والرجل للمشى ، واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والاذن للسمع ٠ وقال غيره : أعطى كل شىء ما الهمه من علم او صناعة . والآية بعمومها تتناول جميع هذه الاقوال ، ومنها قوله تعالى : (**الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى**) فقد وضع خلق الكائنات على نظام كامل لاتفاوت فيه ولا اضطراب ، كما تراه فيما يظهر لك فى جميع المخلوقات ، وقدر لكل حى ما يصلحه مدة بقائه وهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع بما فيه منفعته ووجه الهرب مما يخشى غائلته ٠

وكل هذا دليل على وجود الله رب العالمين ٠

هذا ولو تأمل الانسان آية الله فى الحيوان، وكيف أعطاه خلقه ثم هداه لما سخر له ، أعطاه السمع والبصر ثم سلبه العقل ليطيع (**أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون**) ولو تأملنا خلق الزرافة مثلا لوجدنا أن رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق بعير ، وأظلافها أظلاف بقرة ، وجلدها جلد نمر ، حتى زعم بعض الناس أن نتاجها من فحول شتى ، لعرفنا أن الله تعالى جعل من خلقه ما هو متشابه وما هو مختلف التركيب والشكل والصورة ليرى عباده أنه يخلق ما يشاء ويختار ، والامثلة كثيرة، وآيات الله فى الكون متنوعة لمن يريد البحث عن أسرارها وعجائبها ليصل الى عظمة الله وآثار رحمته (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب**) ٠

دقة التشبيه فى البيان النبوى

التشبيه والتمثيل اداة فطرية لاظهار صورة ذهنية عند المتكلم فى مسلك هو اشد وضوحا واكمل أطرافا، لانه قياس يلحق الناقص بالكامل ،والمبهم بالواضح ، ومتشكوك الامكان بما تأكد فى الاذهان،ويضيف أثره الى الحقيقة فتزيد به معنى يخايل النفس فتندفع الى الحقيقة شوقا ، او تنأى كراهية وبغضا ، والاشياء المحدث عنها ، منهاما يكفى اللفظ المجرد فى بيانه ، والوصف القائم فى الدلالة عليه ، ومنها ما لا تكمل دلالته ولا تتمكن فى القلب صورته ، ولا يملك الوجدان مدلوله الا باخراجه هذا المخرج التصويرى ، الذى تتعاون قوى النفس من فكر وخيال معا فى احكامه وبث الحياة فيه .

وليس التشبيه والتمثيل مختصا بلغة أو جيل أو فرد ، ولذلك قلنا : انه أداة فطرية ، وانما يكتسب الاختصاص من المنهج أو الطابع أو دقائق السمات التى يمهر بها عند دالمنشئين ، حتى يمكن ان يوضع تحت عنوان كهذا فى الحديث عن بلاغتهم .

والبيان النبوى يضرب بسهم وافر فى هذا الميدان، ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة ناجحة فعالة للوصول الى هدفه ، من شغل الحس الظاهر والباطن وامتلاك النفس بكل ما فيها ، لان هذه الوسيلة أقرب اليها وهى بها آنس ولها أميل ، ولا سيما أن الرسالة التى جاء بها البيان النبوى تجديد للقيم ، وتعديل للمفاهيم ، وتعريف بأنماط من المعانى ، لايسيغها العقل الدارج على ضدها الا مأخوذا بقهر العاطفة وتأثر الوجدان يثنيانه ليعيد النظر ويختبر الدليل ، وانما يهزهما فيهز العقل ليخلى مكانه الى مكان جديد ، ذلك التصوير المقنع الذى ينتجه المتكلم بكل قوى نفسه ، ليسكن أغوار نفس صاحبه ، وسنرى فى هذا الفصل كيف استطاع عليه السلام أن يختص بالعصمة من الزلل فى استعمال تلك الوسيلة ، فلا نقد على تشبيه ، ولا اخفاق فى تمثيل ، ولا جموح فى عبارة ، ولااسفاف فى دلالة ، لان شيئا من ذلك انما يكون عند كذب العاطفة أو نقص الشعور بالتجربة ، أو التباس المعنى أو الجهل باللغة ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا وأمثاله مما يعوق الرسالة ويثقل خطو البلاغ .

١ ــ التشبيه الحسى :

أقرب مراحل التشبيه قياس الحسى بالحسى، وأيسر صوره الحاق المفرد بالمفرد ، ومع هذا سنرى البيان النبوى قد اتخذ من الصور البسيطة أدق الدلالات وفاء بحق المعنى مما تعجز عنه الصور المركبة .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « **أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » .

بعد القاء النظرة المعجبة بالفعل الذى سبق القول امتلاكا لكل ما لدى المخاطب من قوى الادراك ، ننظر الى الصورة التشبيهية الكريمة .

الغريب وعابر السبيل لايتعلقان فى دار الغربة بما يثقلهما عن السفر ، أويعوقهما عن المضى ، من المآرب الحسية أو المعنوية ، زاهدان فى أكثر مما يبلغهما المحل من زاد وثوب ومركب ، لان فى الزيادة مغرما يشق عليهما ، وانما يحرص على مثل ذلك المقيم .

هذه حال يعرفها ابن عمر ، ويعرفها كل الناس ، لانها من المقرر المشتهر والمكرر المعلوم ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يطلب من صاحبه عبد الله أن يكون فى الدنيا شبيها بالغريب أو عابر السبيل ، فى عدم التعلق بما يثقله من متاعها الخارج ، الذى يعوق همته ويشغل قلبه عما هو احق ، اذ الدنيا طريق غربة يفضى بكل نفس الى دار اقامة وقرار .

ولما كنا فى الدنيا وجدنا ، وعلى آثار ابائنا درجنا ، وجعل الله لنا فيها تملكا يباح ، وأوطانا تصان ، وعنها يدافع ، لم يظهر معنى الغربة للانسان فى داره ، ولذا كانت البلاغة النبوية تقتضى فى التشبيه وضع الاداة (كأن) لحمل حال بحاجة الى أن تتقرر على أخرى مقررة معلومة ، وهذه العبارة أقرب الى طبيعة الناس والحياة ، مما لو كانت العبارة :

الدكتور عز الدين على السيد

انك فى الدنيا غريب أو عابر سبيل ، لان العبارة الاولى تجعله مشبها للغريب ، فتعطيه حق المقيم لعمارة الدنيا فى قصد وعرفان غاية ، والثانية تنزع هذا الحق فتصرفه صرفا وتجعله سفيها فى تشبثه به مهما كانت العلاقة بينه وبينه •

وهذه الصورة التشبيهيةتترك خيال ابن عمر وخيالنا يجد فى تصوير صفات الغريب وعابر السبيل ، يمثلها لنا عند وقوفنا من الدنيا على نوافذ الامال وأبواب المطامع ، فتحد من جموحنا الشارد أو تورطنا المهلك ، وعند نظرنا الى ماتعودت الاقدارأن تسلبه منا ، فلا نحزن لفقده حزن الهالكين ، كما توحى الينا فى سعةآن خلودا فى دار ثانية ينتظر خطونا ويعقب غربتنا ، وانه اولى بنا أن نتزود له من هذه الغربة بما لابد منه هنا لانه سبب السعادة المنشودة لنا هناك •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « **دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم أجد عندى شيئا غير تمرة ، فاعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تاكل منها ، ثم خرجت ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار** » •

عرفت جاهلية العرب بوأد البنات خشية عار أو املاق ، وجاء الاسلام يرفع شأن الحياة ويصعد معانى الخير ويعطى القيم مكانها لينتظم الوجود ، وهذه قصة صغيرة لكنها عجيبة آثرتها من جانبين : أنها تبين بالتطبيق العملى ما كان بيت النبوة يحققه من القدوة للمؤمنين فى تصور الغربة السابقة ، فيتخفف من زاد الدنيا حتى لا يوجد فيه لاهله وللسائل غير تمرة • وانها تقرر بقوله صلى الله عليه وسلم : « كن له سترا من النار » ما تقرر من عظيم المعنى •

ابتلاء من الله أن يولد لانسان بنت فى ذلك الوقت السابق على الاسلام ، وابتلاء من الله أن يولد لانسان بنت فى ذلك الوقت الذى نزلت فيه أحكام الاسلام • وابتلاء من الله أن يولد لانسان بنت فى وقت الناس هذا ، الذى يسمونه عصر التحضر وازدهار الحياة •

أما أولا فيكفى أن يصور ذلك القرآن الكريم بقوله ، **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الاساء ما يحكمون** » •

وأما ثانيا فلاتصال هذا الزمن بما قبله ولتأصل تلك العادات وصعوبة التحول حسا ومعنى دفعة واحدة •

واما ثالثا فلما يحسه كل والد ووالدة من ان البنت اشد حاجةللرعاية ، واعظم كلفة فى اليقظة ، لما يناط بها من الشرف ويتمثل فيها من الكرامة •

لهذه المعانى كان التعبير الكريم مصورا كل التصوير بقوله : « من ابتلى ••• » أما كلمة « شىء » فلعموم العدد ابتداء من اقله وهو الواحدة ، زرعا للامل فى قلوب الاباء والامهات واكبارا لرعاية الجنس فى أى عدد منه •

من كان حظه هكذا فأحسن الى ما رزقه الله جاعلا الحب مكان البغض ، والاستبشار مكان الانكار ، وحسن الصحبة محل سوء العشرة ، والتأديب بأدب الاسلام والتربية بخلق القرآن دون ما سواهما — من كان لهن كذلك فى الدنيا « كن له سترا من النار » فى الاخرة •

والستر هو الحائل الحاجب ماوراءه ، والفاصل بين ما هنا وما هناك ، وما هنا هو من أحسن الى ما رزقه من البنات ، وما هناك هو نار جهنم بحرها وشرها ، انسان ضعيف كل الضعف ، واجف القلب ، مرتعد الفريصة ، فى موقف هوله كبير وشرره يطير • !

كم تعلق النفس بالساتر الواقى وكم تتأكد رغبتها فى الحامى الشفيع ؟ وكم يكون ذلك الساتر الحامى حبيبا عظيما كريم الصنيع ؟

انه هذه البنت التى أحسن أبواها اليها بما سلف ، فأحسن الله اليهما بها ، حجابا بينهما وبين النار •

ترغيب عظيم فى الرضا بالبنات ، والاحسان اليهن ، نقل الاحساس بهن لحما ودما انسانيا وصورة جميلة من البشرية الضعيفة ، الى الاحساس بهن سترا حصينا قويا ، يقف بين النار وهولها ، والاجسام الواهية وخوفها •

انى منذ قرأت هذه العبارة ، أتمثل ابنتى سترا دون وجهى يعصمه من النار ، ويسبح خيالى بسقوط حرف التشبيه فى المدى الواسع من الهول ، الذى أرجو أن أكون وقيته ، فان سقوط هذا الحرف لا يجعل البنات شيئا والستر شيئا آخر فيهز الثقة ويضعف الامل ، بل يجعلهما شيئا واحدا كما هو الاصل فى كل ذات سميت باسم ووصفت بآخر على طريق الابتداء والاخبار •

من أخلاق القرآن

التفكر

فضيلة الدكتور أحمد الشرباصي

« التفكر » كلمة فيها معنى النظر والتفهم ، وقد عرف الراغب الاصفهانى التفكر بأنه جولان قوة الفكر بحسب نظر العقل ، ويستعمل الفكر فى المعاني ، وهو فحص الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها : ولذلك تقول اللغة ان الفكر هو اعمال النظر فى الشيء • ولكن التفكر بالمعنى الاخلاقى الاسلامى القرآنى هو أن ينظر الانسان فى الشيء على وجه العبرة والعظمة ، لتقوية جوانب الخير والصلاح ، ومقاومة دواعى الشر والفساد •

ولذلك نجد المفسرين يتعرضون لمعنى قوله تعالى : «كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون» فيقولون فىمعنى « لعلكم تتفكرون » : أى لكى تتفكروا فى أمر الدنيا وأمر الاخرة ، فتتجنبوا ما يجلب عليكم البلاء والشقاء فيهما ، وتعتصموا بما هو لائق بالمؤمنين من الاخلاق والمكارم ، وتستنبطوا الاحكام ، وتفهموا المصالح والمنافع المنوطة بها ، فتأخذوا بالاصلح ، وتبعدوا عما يضركم ولا ينفعكم ، أو يضركم أكثر مما ينفعكم •

ولقد جاء ذكر التفكرفى القرآن الكريم عدة مرات ، فقال الله تعالى فى سورة البقرة : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيلوأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيهامن كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت، كذلك يبين اللهلكم الايات لعلكم تتفكرون » وقال فىسورة الانعام : «قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » • وقال فى سورة الرعد : «وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » • والجزء الاخيرمن هذهالاية الكريمة ورد مثله فى سور الروم ، والزمر ، والجاثية ، كما ورد قوله تعالى : « ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون» فى سورة النحل مرتين •

كما جاء فى سورة النحل أيضا قوله تعالى :« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » • وجاء فى سورة يونس: « كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون » • وفى سورة الاعراف : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » • وفى سورة الحشر : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » •

ولو تتبعنا المواضع التى جاء فيها ذكر التفكر فى القرآن الكريم ، لوجدنا أن هذا الذكر يأتى غالبا بعد الحديث عن أمر أو مشهد يثير فى النفس معنى من معانى الاعجاب بالخير والفضيلة والميل اليهما • أو معنى من معانى النفور من الشر والرذيلة والضيق بهما ، أو هكذا ينبغى أن يكون لدى الانسان القويم • وهذا يؤكد لنا المعنى الاخلاقى القرآنى لفضيلة التفكر ، وهو النظر على وجه الالفاظ والاعتبار ،

فالانسان يتفكر فى أمر المعاصى وأمر الطاعات ، أو يتفكر فى الصفات المهلكة والا صفات المنجية ، فيتبين حينئذ ـ أو هكذا ينبغى له ان يتبين ـ أهو متلبس بمعصية فينتهى عنها ، أو هو سائر فى طاعة فيزداد منها ؟•

وكذلك يتفكر الانسان فى الفرائض والواجبات : أهو يؤديها أم مقصر فيها ؟• ويتفكر فى الصفات

المهلكة : أهو متلطخ بشيء منها ؟» ويتفكر فى الصفات الجميلة : ما الذى يحتاج اليه منها ، وهكذا .

ولقد عرض الامام الغزالى فى حديثه الممتع الواسع عن التفكر نموذجا للتفكر فى الطاعات فقال عن الانسان المتفكر ، « فينظر أولا فى الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها ، وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير ، أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ، ثم يرجع الى عضو عضو ، فيتفكر فى الافعال التى تتعلق بها مما يحبه الله تعالى ، فيقول مثلا : ان العين خلقت للنظر فى ملكوت السموات والارض عبرة ، ولتستعمل فى طاعة الله تعالى ، وتنظر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة ، فلم لا أفعله؟ وأنا قادر على أن أنظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه ، وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله ؟

وكذلك يقول فى سمعه : انى قادر على استماع كلام ملهوف ، أو استماع حكمة وعلم ، أو استماع قراءة وذكر ، فمالى أعطله وقد انعم الله على به ، وأودعنيه لاشكره ، فمالى أكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله ؟» .

وكذلك يتفكر فى اللسان ويقول : انى قادر على أن أتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب أهل الصلاح ، وبالسؤال عن أحوال الفقراء ، وادخال السرور على زيد الصالح ، وعمرو العالم ، بكلمة طيبة ، وكل كلمة طيبة فانها صدقة ؟ .

وكذلك يتفكر فى ماله فيقول : أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلانى ، فانى مستغن عنه ، ومهما احتجت اليه رزقنى الله تعالى مثله ، وان كنت محتاجا الان فأنا الى ثواب الايثار أحوج منى الى ذلك المال .

وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله ، بل عن دوابه وغلمانه وأولاده ، فان كل ذلك أدواته وأسبابه ، ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها ، فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ، ويتفكر فيما يرغبه فى البدار الى تلك الطاعات ، ويتفكر فى اخلاص النية فيها ، ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله ، وقس على هذا سائر الطاعات » .

والتفكر ليس خبط عشواء ، ولا اضطراب عمياء ، ولا شرود عجماء ، وانما للتفكر حدوده وقيوده ، ولعل مما يشير الى ذلك الحديث القائل : **« تفكروا فى خلق الله ، ولا تتفكروا فى الله ، فانكم لن تقدروا قدره »** .

وكذلك روى : **«تفكروا فى آلاء الله ، ولاتفكروا فى الله »، وقد جاء فى السنة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون ، فقال لهم : مالكم لا تتكلمون ؟ . فقالوا : نتفكر فى خلق الله عز وجل . فقال : « كذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ، ولا تتفكروا فيه »** .

وكذلك ليس من التفكر الاخلاقى الاسلامى أن يتفكر الانسان فى طرق الوصول الى الشهوات والملذات ، ولا فى وسائل العدوان على الانفس أو الاعراض أو الاموال أو غير ذلك من حرمات الناس ، وليس من التفكر الاسلامى القرآنى أن يستجيب الانسان لدواعى الحسد ونزعات الحقد والبغضاء . أو غير ذلك مما يجعله فريسة لخبيث المشاعر وسيىء النوايا .

ولقد أشار السابقون من علماء الامة وبصرائها بمنزلة التفكر السليم القويم ، فذكر حجة الاسلام الغزالى أن الفكر هو مصباح الانوار ، ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم ، ومصيدة المعارف والفهوم ، وقال خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز : **« الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة »** . وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

وثمرة التفكر ثمرة يانعة ممتعة ، نامية سامية ، فمن وراء التفكر يكون التعقل والارتداع عن كل ما يقبح ويسوء ، والاقبال على كل ما هو جميل ومقبول ، ومن وراء التفكر يكون الادراك الواعى البصير لجلال الله وعظمته ، وكثرة نعمه وآلائه ، ومن وراء التفكر يكون الاعتزاز بالله وحده والذل لوجهه سبحانه والترفع عن الهوان مع غيره ، ومن وراء التفكر تكون الطاعة والاجتهاد فى العبادة والازدياد من القربات ، ومن وراء التفكر يكون احياء الجوانب الفاضلة المشرقة فى ذات الانسان ، ويكون ازهاق النوازع الخبيثة الرديئة ، ولذلك يقول بشر : « لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ما عصوا الله عز وجل » .

ويرى الامام الغزالى أن من ثمرات التفكر تكثير العلم وتوسيع المعرفة ، والمعارف اذا اجتمعت لدى الانسان وترتبت أثمرت معرفة أخرى ، لان المعرفة نتاج المعرفة ، فاذا حصلت معرفة جديدة أدت الى معرفة أخرى ، وهكذا يمتد النتاج ، ويمضى الفكر الى غاية بعيدة . وما أجمل الامام الشافعى فى تصويره لثمرة التفكر بقوله : **« صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور ، والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم** ، والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، **ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم »** .

واذا كان التفكر بهذه المنزلة ، وثمرته بتلك المكانة فالمصيبة كبيرة حين يحرم الانسان فضيلة التفكر ، ولقد روى أن الحسن قرأ قوله تعالى فى سورة الاعراف : **« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا**

سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » • ثم ذكر الحسن أن معنى « الصرف » هنا هو أن الله جل جلاله يمنع هؤلاء الاشقياء التفكر فى أمر الله عز وجل •

● ● ●

ولقد يسأل سائل عن طريق التفكر ، والجواب أن التفكر يتحقق أولا على وجهه الكامل بنور الهى فى القلب يحصل بالفطرة ، وقد يتحقق التفكر بالمحاولة والتعلم والممارسة ، فيحمل الانسان نفسه على أن تتفكر وتتدبر ، ويكرر ذلك فاذا التكرار يورثه عادة ، واذا العادة تعمق جذورها فكأنها طبيعة •

ويعاون على التفكر الصمت والسكون ، حتى يسبح الفكر فى آفاق التذكر والتدبر ، ولذلك جاء فى حديث منسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها** » ، وفى آخر الحديث قال : « **وأن يكون نطقى ذكرا ، وصمتى فكرا ، ونظرى عبرا** » • وقيل لعيسى عليه السلام : **ياروح الله ، هل على الارض اليوم مثلك ؟** • أجاب : **نعم ، من كان منطقه ذكرا ، وصمته فكرا ، ونظره عبرة ، فانه مثلى** • وقال الشافعى : **استعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الاستنباط بالفكر** •

ولكن ليس كل صمت يؤدى الى فضيلة التفكر ، فقد يصمت الانسان عن غفلة ، وقد يسكت عن بلادة ، وقد يسكت عن شرود ، ولذلك قال الحسن : من لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو •

● ● ●

ومن الخير لنا فى مقامنا أن نتذكر أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، كان اذا قام للتهجد والتعبد بالليل ، تطهر واستاك ، ونظر الى السماء ، ثم تلا قول ربه تبارك وتعالى فى سورة آل عمران : « **ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » • ثم يأخذ فى صلاته وتعبده •

وكذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتلو هذه الايات ويقول : « **ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها** » • والتفكر فى خلق السموات والارض هو أن يتدبروا ذلك الخلق ، ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ، فيكون ذلك داعيا الى قوة الايمان فيهم وعمق اليقين عندهم ، ويكون ذلك داعيا الى مضاعفة الجهد فى العبادة والطاعة لله عز وجل •

ولقد روي أن بلالا رضى الله عنه جاء الرسول يؤذنه بصلاة الفجر ، فوجده يبكى ، فقال : يارسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ • فقال النبى : ويحك يابلال ، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » • ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها •

وقد قيل للامام الاوزاعى : ما غاية التفكر فى هذه الايات ؟ • فأجاب يقرأهن ويعقلهن • ولابد من أن يكون الاوزاعى أراد بعقل هذه الايات فهمهن فهما صحيحا ، والتأثر بهذا الفهم ، والاستجابة لمقتضى هذا التأثر وهو شكر الله وطاعته وعبادته • ومن هنا كان سفيان بن عيينة يتمثل كثيرا بقول القائل : « اذا المرء كانت فكرة ، ففى كل شىء له عبرة » ! •

وما أوسع المجال للتفكر عند تلاوة آيات القرآن ، فان وراء كل آية من الاسرار والاشارات والنفحات الشىء الكثير ، واللائق بالمؤمن المتفكر أن يردد الاية التى يريد التفكر فيها ـ كما ينصح الغزالى ـ ويعيدها مرات ومرات ، بتمعن وتدبر ، فان تحت كل كلمة أسرارا واسعة ، وقراءة آية بتدبر وتفكر وفهم خير من كثير القراءة بلا وعى •

وليت كل واحد منا يستمع الى حجة الاسلام ويستجيب حين يراه يحث على التفكر الواسع النطاق بذلك الاسلوب البليغ ، « فانظرى الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ، ولا تظنن أن معنى النظر الى الملكوت بأن تمد البصر اليه ، فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها ، فان البهائم تشاركك فى هذا النظر ، فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله : (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض**) لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة ، وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت . والله تعالى عالم الغيب والشهادة ، وجبار الملك والملكوت ، ولا يحيط أحد بشىء من علمه الا بما شاء ، وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول •

فأجل أيها العاقل فكرك فى الملكوت ، فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك فى أقطارها ، الى أن يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن ، فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبى ربى . وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى ، وأدنى شىء اليك نفسك ، ثم الارض التى هى مقرك ، ثم الهواء المكتنف لك ، ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ، ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ، ثم السموات السبع بكواكبها ••• » الخ •

ان الانسان المتفكر يكون متعلقا بأسباب الله عز وجل ، يذكره ويراقبه ويخشاه ، وكان التفكر معه رائد يهديه الى طريق ربه ، ويحول بينه وبين الانصراف عنه ، وثمرة ذلك هو الاستقامة على الصراط المستقيم •

أسس التربية الاجتماعية

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

من سنن الله الكونية أنه جعل المخلوقات فى حاجة بعضها الى بعض ، فلا يستطيع أى كائن فى عالم الحيوان والنبات والجماد أن يؤدى وظيفته الا فى ظل رابطة او روابط تشده طوعا أو كرها الى كائن آخر فى عالمه أو فى عالم غير عالمه ، ولا يجهل أحد منا قوانين الجاذبية بين الكائنات ، وتبادل النشاط بين عالمى الحيوان والنبات ، وسر التكاثر والانتاج فى الوجود .

وكلما كانت مهمة الكائن أعظم وأخطر ، كان الترابط والتعاون له الزم وأوجب ، ورسالة الانسان فى هذا الوجود هى أعظم رسالة وأخطرها ، والنشاط الذى يبذل من أجلها لابد أن يكون متكافئا معها .

والانسان ، كفرد ، لا يستطيع وحده أن ينهض بهذه الاعباء الجسام ، وانما يمكنه ان ينهض بها كنوع تتكافل وتتعاون أفراده لاداء هذه الرسالة السامية .

وعلى ضوء هذه الحقيقة لابد أن توضع قواعد التربية الاجتماعية ، وأن تعمق جذورها فى نفس الانسان . فهو فى حاجة ماسة الى التعاون - كقانون تفرضه السنن الكونية . وهذا التعاون يلزمه التخلص من الانانية والاثرة وحب الذات ، ومن السلبية والانعزاليةوالانزواء . **ويدعم اركانه الشعور بالاخوة الانسانية الجامعة ، التى يتجاوز نطاقها حدود الاسرة والعشيرة والقبيلة والبلد والوطن ، فتشمل العالم كله بجميع الوانه ، وفى مختلف بيئاته : وعلى تفاوت مستوياته .** تلك الاخوة التى تجعل القلب يفيض بالرحمة والمحبة والالفة والمودة والمشاركة الوجدانية فى السراء والضراء . وتدفع الى المسارعة فى النصرة والمعونة ، والدفاع عن الحرمات وصيانة المقدسات ، والبذل والتضحية والايثار ، وتتوارى معها العصبيات والاحقاد ، وتزول الفوارق العارضة ، التى تنتج الحزبية والتفرق ، وتغرى بالظلم والطغيان ، وتدعو الى الدس والمؤامرات .

وهذه الاسس التربوية المتينة للحياة الاجتماعية جاء بها الاسلام أصولا واضحة ، وحدد مفاهيمها وبين معالمها ، واكد الدعوة اليها ، فأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وقرر ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . واحب منهم ان يجاهدوا فى معركة الخير صفا كأنهم بنيان مرصوص . وان تتوزع بينهم المسئولية ، كل فى النطاق الذى يحسنه ، وبالجهد الذى يستطيعه ، فالكل راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، وأن يكونوا يدا واحدة فى دفع السوء عن المجتمع ، وتطهيره من العابثين ، فالفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة .

قرر الاسلام أن الناس جميعا اخوة ، يجمعهم نسب واحد ، ويدينون لرب واحد ، وانه لم يجعلهم شعوبا وقبائل ليتناكروا بل ليتعارفوا ، وأن التفاضل بينهم لا يقوم على أساس من الجنس أو اللون أو اللغة أو الجاه أو الغنى ، بل على أساس الكمال النفسى والخلقى .

وهو حين يقرر هذه الحقائق يناديهم للايمان بها ، والعمل بمقتضاها ، بعنوان شامل لا يخص به فردا معينا ولا طائفة خاصة « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

ان الاسلام حين يضع أسس التربية الاجتماعية يعمق جذورها فى نفس المؤمن،فيجعلها دينا يقدر على أساسها الايمان وتوزن الاعمال ، ففى الحديث الشريف « **لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه** » **رواه البخارى ومسلم عن أنس** • « **خير الناس أنفعهم للناس ، وأحب الاعمال الى الله سرور تدخله على مسلم** » **رواه الاصبهانى عن عبد الله بن عمر** • ويعد بالثواب الجزيل علىكل عمل يحقق الخير للمجتمع ، مهما صغر شأنه ، ففى الحديث « **من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين** » رواه الطبرانى عن ابن عباس • ويحذر أشد التحذير من كل عمل يتنافى مع الروح الاجتماعية ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم **ما من مسلم يخذل مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته** » **رواه ابو داود عن جابر وصححه** •

والاسلام فى هذه التربية الاجتماعية لا يريد ان يكون العمل الذى يقدم للمجتمع تفضلا واحسانا ، بل يأمره به فرضا والزاما ، فهو ضريبة لازمة ، ونوع من الاعتراف بالجميل ، والشكر على المعروف الذى قدم اليه من يوم أن ولد الى أن شب وصار بشرا سويا ، يفهم ذلك من امر الله ببر الوالدين مكافأة على ما قدما له من معروف « **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » ومن قوله صلى الله عليه وسلم « **على كل مسلم صدقة : قيل : أرأيت ان لم يجد قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قيل : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف،قيل،ارأيت ان لم يستطع ؟قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قيل : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فان امساكه عن الشر صدقة** » **رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى** •

وقد جعل الاسلام كل أفراد المجتمع متضامنين فى ارساء قواعد هذه التربية ، والسهر على تنفيذها ، قال تعالى « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » وفى الحديث « **الدين النصيحة** » والله سبحانه يقول « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** » ويقول « **والعصر ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » •

وبعد ، فان التربية الاجتماعية لابد ان تغرس بذورها فى محيط الاسرة ، وتنمى فى معاهد التعليم ومجالات النشاط المختلفة • والله هو الموفق والمعين •

الصَّبرُ

هناك أخلاق اسلامية كثيرة لم تتضح لكثير من الناس مفاهيمها ، يتخلقون بها وهم يجهلون غاياتها ومراميها ، ولهذا عقمت فلم تنتج مايريده الدين منها ، وشك بعض الناس فى فاعليتها او تظاهروا بالتخلق بها على غيرايمان واقعى بفائدتها، ومن هذه الاخلاق فضيلة الصبر ، الذى ظنه بعض الناس استسلاما للاحداث يرجع بهم الى الوراء ، أو يقعدهم حيث حل بهم الامتحان فلا يفكرون فى متابعة السير واقتحام ما اعترض طريقهم من عقبات •

ان الصبر بمعناه العام حبس النفس عن مقتضيات الطبع وبواعث الشهوة ، وللنفس شهوات ان طاوعها الانسان تنزلت به الى درك الحيوان ، والدين يسمو بها ويدفعها الى التعلق بالمثل الحية الرفيعة ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : **الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه ، صبر على أداء فرائض الله، وصبر على محارم الله ، وصبر على المصيبة** •

والصبر منزلته عظيمة فى نظر الاديان جميعا ، وبخاصة دين الاسلام الذى أوصى به كثيرا ، وقد قال عنه على كرم الله وجهه : منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد • وحوادث الايام تتقلب بالانسان بين ما يسره فيجب الشكر عليه ، وبين ما يحزنه فيجب الصبر عليه ، ولا يجمع بين الشكر والصبر الا المؤمن الكامل كما ورد فى الحديث الشريف « عجبا لامر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » •

والصبر الى جانب الثواب الموعود به فى كثير من الايات والاحاديث ، له آثار دنيوية عظيمة يفيد منها الفرد ويفيد منها المجتمع) وليس أجمع لهذه الاثار من قول النبى صلى الله عليه وسلم « **واعلم أن النصر مع الصبر** » • نعم ، النصر فى كل معارك الحياة ،

دفعة الى الأمام

فضيلة الشيخ عطية صقر

وجميع ميادين النضال، فى المجالات السياسية والحربية والعلمية والاقتصادية وغيرها، أساسه الاول هو الصبر والتحمل والمثابرة والامل، على أساس من الايمان باللهوالاستعانة به، والثقةبنصره للمخلصين، كما قال تعالى **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » ٠ قال بعض المفسرين لهذه الاية : يأيها الذين آمنوا اصبروا فى الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله، لعلكم تفلحون ٠

فالصبر يدفع الى العمل، والايمان يشرح الصدر بالامل، والثقة تدفع عن النفس الضيق والالم، ومداومة الكفاح للوصول الى الهدف تفتح آفاقا جديدة أمام الانسان، وتوصله الى نتائج عظيمة قد لا تكون فى الحسبان ٠ ومفاجآت العلماء والمخترعين المكتشفين تشهد لهذه الحقيقة . والمطالب العليا لا تنال الا بالصبر والمثابرة، والراحة الحقيقية لا تنال الا بعد التعب وبذل الجهد، كما يقول الشاعر :

بصرت الراحة العليا فلم أرها
تنال الا على جسر من التعب

والعوامل التى تساعد على الصبر كثيرة، أهمها الايمان بالله وبما أعده للصابرين، فان هذا الايمان يهون على النفس الالام، ويذلل للمؤمن العقبات، ويعوضه راحة نفسية عظيمة يجد لها لذة تشرح صدره، وتملا نفسه ثقة وأملا ٠

كما أن الايمان بقانون الحياة وسنن الله فى الكون يدفع الى الصبر، فالحياة تتقلب بالانسان بين اليسر والعسر، والفرح والحزن، والفرج والضيق، والصحة والمرض، والغنى والفقر، الى غير ذلك من المتقابلات التى تتوارد على الانسان وتتعاقب على البشر ما بقيت هذه الحياة، يقول الشاعر الحكيم :

لا يكون الامر سهلا كله
هون الامر تعش فى راحة
انما الدنيا سهول وحزون
قلما هونت الا سيهون
تطلب الراحة فى دار العنا
ضل من يطلب شيئا لا يكون

وما أحسن قول موسى بن عبد الله بن الحسين بن على فى هذا المقام :

تعودت مس الضر حتى ألفته
وأسلمنى طول البلاء الى الصبر
ووسع صدرى للاذى الانس بالاذى
وان كنت أحيانا يضيق به صدرى
وصيرنى يأسى من الناس راجيا
لسرعة لطف الله من حيث لا أدرى

ومما يدعو الى الصبر أيضا اعتقاد أن الالام امتحان لمدى قوة الايمان ومدى صلابة العزيمة ومضاء الارادة، فهذه المتاعب فى ثناياها خير كثير، وهذه الدروس الشديدة لها نتائج باهرة، قال تعالى « **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » وقال « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم** » ٠ وعندما جاء خباب بن الارت يشكو للنبى صلى الله عليه وسلم أذى قريش قال له « **والذى نفس محمد بيده ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون** » ٠ وهل الصبر الذى أمر به الاسلام يعنى اليأس والاستسلام ؟ وهل الرضا بقضاء الله وقدره يدعو الى السلبية أو يرجع بالانسان الى الوراء لا ،

لا، ليس المراد بالصبر على الالام الاستسلام لها والوقوف من الاحداث موقفا سلبيا يقوم على مجرد الرضا، فهناك من الالام والمتاعب ما يمكن دفعه وما يستطاع تلافيه، وهنا يجب على المؤمن ان يقف منها موقفا ايجابيا صلبا، يصحح الاخطاء، ويرفع العقبات من الطريق، ويأخذ بالاسباب التى توصل الى الغاية المنشودة ٠ ولابد للحياة من هذه الحركة، ولا طعم لها من العجز واليأس، وأقوى دليل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى معرض تمجيد القوة « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شىء فلا تقل : لو انى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فان**

الصوفية فى إلهامهم

نور البواطن

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

لو تفتح عمل الشيطان » . والله سبحانه ينهى عن اليأس والقنوط فيقول « **لا تقنطوا من رحمة الله** » ويقول « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » .

وفى التاريخ أمثلة كثيرة على أن المتاعب لا ينبغى أن تسلم المسلم الى اليأس ، بل يجب أن تدفعه الى مواصلة السعى والعمل ، وخير قدوة لنا فى ذلك الانبياء والمرسلون الذين قاموا بدعوة الاصلاح ، وصمدوا أمام التحديات ، وتخطوا كل العقبات ، حتى كتب الله لهم النصر ، كما قال تعالى ، **كتب الله لاغلبن أنا ورسلى** » . وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان مثلا أعلى فى الصبر والمصابرة والجهاد والكفاح والنضال ، وهو الذى قال ، وقد أحاطت به الهموم ، « **والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » .

لقد مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة فى عام واحد ، واشتد أذى قريش عليه وعلى القلة المؤمنة بعد حصار طويل ، ومقاطعة شاقة ، ثم يطلب نصيرا فى ثقيف فترده أقبح رد وتغرى به السفهاء ، فيشكو الى الله فيطلب منه جبريل أن يدعو الله عليهم ليطبق عليهم الاخشبين ليريحه منهم ، ولكنه بقلبه الكبير وأمله الواسع وايمانه القوى بالله يقول « **لا ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئا ، اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون** » .

ويصور لنا عتبة بن غزوان نتيجة الصبر والتحمل ومداومة النضال ، فيقول وهو أمير على البصرة : ولقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا . ولقد التقطت بردة فشققتها نصفين بينى وبين سعد بن مالك ، فاتزرت بنصفها ، واتزر سعد بنصفها الباقى ، وما منا أحد اليوم الا وقد أصبح أميرا على مصر من الامصار .

هذه مثل توضح لنا طريق السير فى طريقنا المحفوف بالاشواك ، لابد فى مسيرتنا نحو تحقيق أهدافنا من التحمل الكبير ، مع الامل الواسع ، مع الثقة فى بلوغ الهدف بعون الله الذى نقوى صلتنا به عن طريق الايمان الصحيح والسلوك القويم ، ولا ينبغى أبدا أن نعيش مع الماضى عيش الحزين المتأسف ، بل عيش المعتبر المتأمل ، نأخذ من هذه الذكريات قوة تدفعنا الى الامام ، فقانون الحياة لا يرحم أبدا ، البقاء فيها للاصلح ، الاصلح بمبادئه ومثله ، الاصلح بخططه ونظامه ، الاصلح بعمله وسلوكه ، الاصلح بغاياته وأهدافه .

فلنتذرع دائما بالصبر الايجابى فى كل ميدان ، ولنستعن بالله فى كل كفاح ونضال ، فالصبر فى الله غناء ، والصبر بالله بقاء ، والصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء . وهو نعم المولى ونعم النصير .

« ويتحول الاشراق من الظاهر الى الباطن ، فبعد ان كنت ترى الولى مشرقا تراه قد انطفأ الى الحالة العادية حتى لتناجى نفسك اين النور الذى كنت أراه ولاتدرى أنه مع الله ، زهد الخلق وتركهم وترك أحوالهم فلا يعلمه الا الله ومن ماثله فى ترقى الدرجات والمقامات » .

ذلك مما كتب سيدى وشيخى العارف بالله الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه لتلميذه الصالح المبارك الصديق الوفى السيد سالم جمعه حفظه الله ورعاه ، وهى سطور من نور ترينا الا نقف فى الحكم على الناس عند الظواهر وتعلمنا أن قلوب الاولياء تحتجب أنوارها ولا تشع على الجوارح وتبقى خفيةلا يعلمها الا الله ، وقد يكشفها بماشاءلبعض خواصه فيقول بعضهم لبعض :

لا تخف ما فعلت بك الاشواق
واشرح هـواك فكلنا عشاق

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل طيب الله ثراه الهاما فى وصف هؤلاء المحبين الكرام الذين كتموا حبهم بين الجوانح فلم يتعرف اليهم الا أمثالهم :

احن على ذل وأهوى على هـدى
وأسرى على علم بقلبى أواصلـه
وهـل يدرك الآيات الا رجـالهـا
وهـل يعـرف الوجدان الا مـزاوله
وذو الوجد لا يغضى عن الحب لحظـة
بـه عـاش حتى لو أصيبت مقـاتله
شـهدنا وشـاهدنا وطـابت نفوسـنا
فهـامت بـه أرواحنـا اذ نسـائله
اسـامر ليلى خاليـا بشـهوده
وقلبى بنور الحـق فاضـت منـاهله

أما عن زهد الخلق وترك احوالهم استغناء بالله عنهم فيقولفيهم فيما نقلناه من الهامه الفورى رضى الله عنه :

تخـل ولا تحفـل بجـن ولا انس
وعش فى هدى الرحمن تسـعد بالأنس
واقبل على مولاك بالقلب مخلصـا
وأسلم وسلم واتجه طالب القدس
وخـذلك بالايمـان أصـدق وجهـة
وطـهر بهـا نفسـا عن الغى والرجس
تجـرد تجـد مـولاك اكبر ناصر
وفـوض له ما كان فى الغـد والأمس
اذا قيـل لى اطلب قلت ربى مطلبى
وان قيل لى اشرب قلت أنواره كأسى

ويقول ايضا فى الهامه الفورى رضى الله عنه :

نحـن فـى عـالم اليقين رجـال
قـد غسـلنا نفوسـنا ثم غبنـا
وشراب الرجـال علم وحلـم
انمـا نحـن فـوق ذاك شربنا
فتـح البـاب ثم قـال لجـوه
فـولجنا وبعدهـا قـد وصـلنا

أما سيدى القطب الكبير ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه فيصف حال الاولياء الاخفياء بقوله :

يقولون لى ما العلم ما السر ما الذى
هـو الجـوهر الغالى عن البحر خبرنا
فقلت لهم هـذى مطـالع نورنا
ومغـربهـا فينـا ومشرقهـا منـا
تركنـا البحـار الزاخـرات وراءنا
فمـن أين يدرى النـاس انى توجهنـا

ويقول الامام الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الاحياء :

ان الله تعالى شرابا يسقيه فى الليل قلوب احبائه ، فاذاشربوا طارت قلوبهم فى الملكوت الاعلى حبا لله تعالى وشوقا اليه .

ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى الرسالة :

« أول رتبة فى القرب القرب من طاعة الله والاتصاف فى دوام الاوقات بعبادته ، وأما البعد فهو التدلس بمخالفته والتجافى عن طاعته ، فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق هو البعدعن التحقيق ، قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الحق سبحانه : **« ما تقرب الى المتقربون بمثل أداءما افترضته عليهم ، ولايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى يحبنى واحبه ، فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبى يبصر وبى يسمع .**

« فقرب العبد أولا قرب بايمانه وتصديقه ، ثم قرب باحسانه وتحقيقه . وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان ، وفى الاخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان .

« ولا يكون قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق ، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون .

« وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة ، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ، ثم بخصائص التأنيس للاولياء .

« ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فاقله دوام مراقبته اياه ، لان عليه رقيب التقوى ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء ، وانشدوا :

واخوان صـدق قـد سئمت حـديثهم
وأمسكت عنهم ناظرى ولسـانى
ومـا الزهـد أسـلى عنهـم غير أننى
وجـدتك مشـهودا بكل مـكان

ومن كلام الامام القشيرى تدرك ان ما يدعيه اعداء التصوفعلى السادة الصوفيةمن القول بالحلول والاتحاد ، انما هى دعوى باطلة أقامها هؤلاء الاعداء واستندوافيهاالى شطحات لبعض الصوفية لم يقصدوا بها ظاهر الالفاظ وانما يجب تأويلها تأويلا يليق مع حسن اعتقادهم فى الله تعالى وتفانيهم فى حبه . ويقول سيدى أبو الحسين النورى رضى الله عنه فى دفع تلك التهمة عن السادة الصوفية فيما ورد عنه فى رسالة الامام القشيرى رضى الله عنه ما نصه :

« أما القرب بالذات ، فتعالى الله الملك الحق عنه ،فانه متقدس عن الحدود والاقطار ، والنهاية والمقدار ، وما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت صمديته عن قبول الوصل والفصل .

« فقرب هو فى نعته محال ، وهو تدانى الذوات .

« وقرب هو واجب فى نعته ، وهو قرب بالعلم والرؤية .

« وقرب هو جائز فى وصفه ، يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف .

اقول ، وقرب الفضل باللطف هذا هو ماعبر عنه الامام القشيرى اجمالا بقوله : وخصائص التأنيس للاولياء ، كما تقدم : وهو مقام

فى التصوف قال عنه الامام الغزالى رضى الله عنه « يضيق نطاق النطق عنه ، فهو يذاق بالوجدان ويعجز عن وصفه اللسان ، كما قالوا :

لا تسـل وصـف حبهـم فهـو سر
بسـوى الذوق مـاله افشـاء

أو كما قال الامام الغزالى نفسه فى ذلك المقام :

فـكان مـا كان ممـا لسـت أذكره
فظـن خيرا ولا تسـأل عـن الخبر

أو كما قال سيدى الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وارضاه « أول منزل يطؤه المحب للترقى منه الى العلا النفس ، فاذا اشتغل بسياستها ورياضتها الى ان انتهى الى معرفتها وتحققها اشرقت عليه انوار المنزل الثانى وهو القلب ، فاذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم يبق عليه منه شىء أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح ، فاذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا الى تمام نهاياته ، وهذه طريق العامة – وأما طريق الخاصة فهى طريق مسلوك تضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها .

وسبحان ربى الذى فضل العباد بعضهم على بعض (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات : التفضيل على أقسام ، فالعباد (بتشديد الباء) فضل بعضهم على بعض ولكن فى زكاء أعمالهم ، والعارفون فضل بعضهم على بعض ولكن فى صفاء أحوالهم ، وزكاء الاعمال بالاخلاص ، وصفاء الاحوال بالاستخلاص ، فقوم تفاضلوا بصدق القدم ، وقوم تفاضلوا بعلو الهمم ، والتفاضل فى الاخرة أكبر فالعباد تفاضلهم بالدرجات واهل الحضرة تفاضلهم بلطائفهم من الانس بنسيم القربة بما لا بيان يصفه ولا عبارة ، ولا رمز يدركه ولا اشارة ، منهم من يشهده ويراه مرة فى الاسبوع ، ومنهم من لا يغيب عن الحضرة لحظة ، فهم يجتمعون فى الرؤية ويتفاوتون فى نصيب كل احد .

ومن اروع الامثلة التى ضربها الله لخواصه من الاولياء قصة اهل الكهف ، وقد شرحها الله تعالى فى سورة الكهف شرحا وافيا ، ويتعرض الامام القشيرى باشاراته المنيرة الكاشفة لمواقفهم فيقول فى روعة ظاهرة :

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) قوله تعالى (من آياتنا) يفيد ان قلب العادة من لدن الله غير مستنكر ويقال الاشارة فيه الا تتعجب من قصتهم ، فحالك – أى رسول الله صلى الله عليه وسلم – أعجب فى ذهابك الينا فى شطر من الليل حتى قاب قوسين أو أدنى (قرب مكانة وتكريم) وهم قد بقوا فى الكهف سنين .

وعند قوله تعالى **(فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا)** يقول رضى الله عنه : اخذناهم عـن احساسهم بأنفسهم ، واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقائق مـا كاشفناهم به من شهود الاحدية ، واطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية .

وعند قوله تعالى **[انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى]** لقاهم أولا التبيين ثم رقاهم عن ذلك باليقين .

وعند قوله تعالى **[وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله]** .

يقول رضى الله عنه : كانوا فى متسع من الكهف ولكن كان شعاع الشمس لا ينبسط عليهم مع هبوب الرياح عليهم ،

ويقال أنوار الشمس تتقاصر وتتصاغر بالقياس الى أنوارهم ، ان نور الشمس ضياء يستضىء به الخلق ونور معارفهم أنوار يعرف بها الحق ، فهذا نور يظهر فى الصورة ، وهذا نور يلوح فى السريرة ، وبنور الشمس يدرك الخلق وبنورهم كانوا يعرفون الحق .

وفى قوله عز اسمه **(ذلك من آيات الله)** فيه دلالة على أن فى الامر شيئا بخلاف العادة ، فيكون من جملة كرامات الاولياء .

وعند قوله تعالى **[من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا]** يقول رضى الله عنه ، فالله يهدى قوما بالادلة والبراهين ، وقوما بكشف اليقين ، فمعارف الاولين قضية الاستدلال ، ومعارف الاخرين حقيقة الوصال ، فهؤلاء مع برهان ، وهؤلاء على بيان كانهم أصحاب عيان .

(ومن يضلل الله) أى من وسمه الله بسمة الحرمان ، فلا عرفان ، ولا علم ، ولا ايمان .

وعند قوله تعالى **(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)** يقول رضى الله عنه : يقال كلب خطا مع أحبابه خطوات فالى يوم القيامة يقوم الصبيان **(وكلبهم باسط ..)** وهو قول الحق ، فهل ترى أن مسلما يصحب اولياءه من وقت شبابه الى وقت مشيبه يرده يوم القيامة خائبا ؟ لانه لا يفعل ذلك .

وعند قوله تعالى **[وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم]** يقول رضى الله عنه : أيام الوصال عندهم قليلة وان كانت طويلة ، ولو كان الحال بالضد لكان الامر بالعكس ، وقد لبثوا طويلا ولكنهم كانوا ماخوذين عنهم ولم يكن لهم علم بتفضيل احوالهم .

أقول وأنشد بعضهم فى هذه المناسبة :

واللـه لو حلف العشـاق انهمـو
موتى من الحب مـا ماتوا ومـا حنثوا
ترى المحبين صرعى فـى ديارهمـو
كفتيـة الـكهف لا يدرون كم لبثـوا

وعند قوله تعالى **(قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل)** قال الامام القشيرى رضى الله عنه : لما كانوا من أوليائه فلا يعلمهم الا خواص عباده ، ومن كان قريبا فى الحال منهم ، لان الله تعالى يستر اولياءه عن الاجانب ، فلا يعلمهم الا اهل الحقيقة ، فالاجانب لا يعرفون الاقارب ، ولا تشكل أحوال الاقارب على الاقارب ، كذلك قال شيوخ هذه الطائفة : **الصوفية أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم** .

وهذا الذى قاله يفسر لك ما قاله سيدى الشيخ عبد السلام فى آخر عبارته التى جاءت فى صدر المقال : زهد الخلق وتركهم وترك أحوالهم فلا يعلمه الا الله ومن ماثله فى ترقى الدرجات والمقامات . وزهد الخلق وتركهم يكون بصرف القلب عن الاشتغال بهم أو الركون اليهم ، لان الاشتغال بعيوبهم يصرفه عن الاشتغال بعيوب نفسه ، كما يصرفه عن ذكر ربه ، والركون اليهم يضعف توكله على الله **[ومن يتوكل على الله فهو حسبه]** أى كافيه . وشعار كل ولى **(حسبى الله)** وان استعان الولى باحد من الناس فانه يركن الى ربه فى تسخير الناس باعتبارهم أدوات يحركها الله كيف يشاء .

وقد يكون اعتزال الخلق بالجسد والقلب معا ، كما اعتزل اهل الكهف قومهم الكافرين ، وقد حكى الله عنهم فى اعتزالهم قلبا وقالبا فقال تعالى : **[واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهىء لكم من امركم مرفقا]** . ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى ذلك : العزلة عن غير الله توجب الوصلة بالله ، بل لا تحصل الوصلة بالله الا

بعد العزلة عن غير الله ، ويقال لما اعتزلوا ما عبد من دون الله آواهم الحق الى كنف رعايته ، ومهد لهم مثوى فى كهف عنايته ، ويقال من تبرأ من اختياره فى احتياله ، وصدق رجوعه الى الله فى أحواله ، ولم يستعن ــ بغير الله ــ من أشكاله وأمثاله آواه الى كنف أفضاله ، وكفاه جميع أشغاله ،، وهيأ له محلا يتفيأ فيه فى برد ظلاله ، بكمال اقباله ٠

وكذلك اعتزل سيدنا ابراهيم الخليل أهله عندما أصروا على الكفر وحكى الله عنه (**واعتزلكم وماتدعون من دون الله وادعو ربى عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا**] ومعنى ما تدعون أى ما تعبدون ، وادعوا ربى أى أعبده ، وكانت نتيجة ذلك الاعتزال ما حكاه الله تعالى [**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا**) ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه : لما أيس من أصله انسه الله بما اكرمه من نسله ، فأنبتهم نباتا حسنا ورزقهم النبوة ولسان الصدق بالذكر لهم على الدوام (بالصلاة عليه وعليهم فى التشهد) فقال تعالى : (**ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا**) ٠

واعتزل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبابه قومه حين سفهت نفوسهم بعبادة الاصنام ، وخلا فى غار حراء بربه ، ينشد وصاله فى أنس لا يعرف الوحشة ، وهمة لا تعرف الكلل ، وجهاد لا يشوبه الملل ، وعزم لا يعتوره الوهن ، وشوق متقد ، وحب يملأ الجوانح ، وذلك بتوفيق الهى ، واستعداد ربانى ، يشهد بهما قوله تعالى [**فانك بأعيننا**] وفى الميقات الذى أراده الله جاءه جبريل عليه السلام بأولى آيات الشفاء والرحمة والنور والحكمة (**اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الاكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم**) ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم صفوة الخالق ورسوله للخلائق ، اصطنعه لنفسه وأجرى على يديه رحمته للعالمين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

وان تعجب فاعجب لهذا الرسول الاكرم ، يتقلب فى الدنيا ويطرحها من قلبه ، ويمشى فى الناس بنوره ، ويركن فى كل أحواله الى ربه ويقول له حين رده أهل الطائف ردا غير كريم :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، ام الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بى غضبك أويحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله » ٠

وأولياء الله وهم المتقون يناجيهم الله فى أسرارهم بعلوم شتى من كلماته التى لا تنفد ، ولئن كان سبحانه يكلم أنبياءه ورسله وحيا ، فانه يخاطب الاولياء الهاما ، ولذلك يقول احدهم حدث كذا نقيل لى ، أى الهمنى ربى بسر خفى فى باطنه مستتر عن الناس ، وقد يكتمه الولى فيما بينه وبين ربه ، وقد يفصح عنه تعليما لغيره باذن ربه كما يقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل رضى الله عنه ٠

طال ليلى وحبيبى قال لى
لذ بجاهى انه أكرم جاه
وتعلق بى تجد من رحمتى
ما تمناه وما لست تراه

قلت يا مولاى انى مذنب
ما احتيالى وفؤادى فى أساه
والخطايا حملتنى حملها
وجبال الوزر فوقى ما تراه
قال لا تخف منا اذا ما جئتنا
من أتانا قد شفى الله بلاه
واذا المؤمن قد يممنا
أدركته وحمتى حتى أراه

ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه ان ما يخص الله به أولياءه من لطائف العلوم لا حصر له ، فان أعلم البشر ، وسيد العرب والعجم ومن شهد له الحق بخصائص العلم حين قال : (**وعلمك مالم تكن تعلم**) يقال له (**وقل رب زدنى علما**) ليرجع الى ربه فى الاستزادة من العلم ٠ وما يقذف الله فى قلوب أوليائه من العلوم والمعارف انما يزيدهم به اطمئنانا الى صحة سلوكهم الى الله تعالى واتصالهم به سبحانه على هدى الشرع الشريف فلا تنازعهم نفوسهم الى الخروج عنه او التوانى فى طلب الله او الغفلة عنه ٠

وفى هذا المقام يحكى السادة الصوفية ان تلميذا لسيدى سهل التسترى رضى الله عنه ، يقال له اسحق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا فى نشأته فخرج من جميع ما كان له ثم تاب وصحب سهلا رحمه الله ، فقال يوما لاستاذه سهل رضى الله عنه : ياأبا محمد ، ان نفسى هذه لا تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام ، فقال له أستاذه : خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله ، فقال له : ومن امامى فى ذلك حتى أفعله ؟ فقال الامام سهل : امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال :

(رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى] ٠

فالنفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك ، فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام : أرنى كيف تطمئن نفسى ، فانى مؤمن بذلك ، والنفس لا تطمئن الا برؤية العين ٠ وكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم ، أما معجزات الانبياء فان الله يعطيها لهم للاحتجاج بها فى الدعوة الى الله والدلالة عليه والاقرار بوحدانيته سبحانه ٠

والدليل على وقوع العلوم اللدنية للاولياء ان بعض الاميين منهم آتاهم الله من العلوم ما علموا به جهابذة علماء الشرع فى أزمانهم ، كما وقع بين سيدى على الخواص (وهو أمى) وبين سيدى عبد الوهاب الشعرانى (وهو عالم وقته) ومن يطلع على كتاب درر الغواص على فتاوى الخواص يرى ما يدهش الالباب ولا حرج على فضل الله تعالى ٠ وكذلك كان شيخنا الاكبر سيدى الحاج محمد أبو خليل أميا وتصاغر العلماء فى ساحته حين لمسوا بأنفسهم ما حباه الله به من فضل كبير ولقد أدركت بحمد الله رجالا ممن رباهم فما وجدت نظراء لهم فى هذا الزمان لا فى علمهم ولا فى عملهم ولا فى الفتوحات الربانية التى تعلمنا منها الشىء الكثير والتى نقلنا وننقل منه للسادة القراء ما يزدادون به يقينا ٠

ويصف المرحوم الشيخ عبدالبارى الشرقاوى وكان من علماء الازهر الافاضل سيدى الشيخ أباخليل وقد عاشره طويلا وانتفع من علمه اللدنى :

انما يشغ كالسماء مقاما
يحسب المرء أفقها منتهاها
فيراها محدودة بحدود
لو أتاها لما رآها وتاها

وراىَ فوقــهُ السَّـــماء كمـــا كانت
وبانت له حـــدود ســـواهـــا

مـــن يرى الشيـــخ فـــى علو مقـــام
وجـــلال وهيبـــة يلقـــاهـــا

لم ير العـــــارف الولى ولـــكن
كـــرة العـــالم العظيـــم رآهـــا

فانظر رعاك الله كيف نفذ الشيخ الامى بروحه ونوره وعلمه الى رجل فاضل من العلماء المتخصصين فى علوم الشرع حتى شبه الشيخ بالسماء مقاما ، وحقا لقد سما الشيخ حتى كان السماء وصفا حتى كان الضياء ·

وانى أقرب للافهام مايقع فى القلوب من الهام الله بواقعة وقعت لى فى شرخ الشباب وكنت أتصدر حلقة علم فى مسجد قريتنا بامر من شيخى رحمه الله وكان الدرس يومئذ فى خصائص مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت ان من خصائصه الشريفة أن الغمامة كانت تظله فتقيه حرارة الشمس اكراما من الله تعالى ، وكان يجلس فى الحلقة ضيف لى من أهل العلم فاعترضنى علانية وفى شىء من الحدة وقال : ليست هذه خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم وانما هى عامة فى سائر المرسلين ، فاجبته فى هدوء اذا كان لديك الدليل على العمومية فهات الدليل ونحن نسلم لك فسكت واذا بهامس لطيف يهمس فى قلبى : قل له اذا كان تظليل الغمامة عاما للمرسلين فلماذا حكى الله عن سيدنا موسى عليه السلام وهو من الكبار أولى العزم فقال تعالى (**فسقى لهما ثم تولى الى الظل**) فلو كان مظللا بالغمامة ما تولى الى الظل ، وسرنى هذا الخاطر الرحمانى كل السرور وقدجاءنى ببركته صلى الله عليه وسلم ولكنى كتمته حتى صلينا وخرجنا فالقيت به لضيفى سرا وصارحته بأنه من الهام الله ، وراعيت أنه فى ضيافتى فلم أشأ أن أحرجه بين الناس ، ولكنى افهمت الناس بعد ذلك ما كان ·

وكذلك وقع لى وأنا فى الحرم النبوى الشريف أنى كنت أتكلم مع بعض القوم فى موضوع التوسل به صلى الله عليه وسلم فقلت لبعض السامعين : من الذى ينعم علينا قالوا ربنا سبحانه ، قلت هل ينعم أحد معه سبحانه قالوا : لا حاشا وكلا قلت لهم فلماذا يقول الله تعالى فى قصة سيدنا زيد بن حارثة رضى الله عنه : (**واذ تقول للذى انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله**) فسكتوا ، فقلت لهم ، لا يتنافى انعام الله وانعام رسول الله لان انعام الله هو انعام المسبب سبحانه وهو فى معرض التوحيد وانعام رسول الله هو انعام السبب الذى أقامه الله تعالى بحكمته وهو فى معرض الاسباب ، فالله تعالى أنعم قضاء وقدرا والرسول صلى الله عليه وسلم أنعم سببا تنفيذا للقضاء ، فأسلم زيد على يده واعتق من الرق على يده وتزوج من السيدة زينب القرشية على يده صلوات الله وسلامه عليه ، وكل ذلك بمشيئة الله تعالى ، فالتوسل به صلى الله عليه وسلم هو استدرار رحمة الله تعالى وقد جعلها الله جارية على يده ومن أسبابه التى أجراها تعالى وقال مخاطبا له [**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**] فهو صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة ، وتكلمت طويلا بالهام من الله تعالى فى هذا المقام حتى قال قائلهم « عجيب » والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ·

واذا كنا ونحن لا نساوى شيئا بالقياس الى السلف الصالح يلهمنا الله تعالى فى قلوبنا ما لا عهد لنا به فكيف بهؤلاء السلف الذين أخلصوا دينهم لله ، وطرحوا الدنيا وزينتها عن قلوبهم ، وعاشوا للاخرة التى خلقوا لها والزمهم الله كلمة التقوى فكانوا أحق بها واهلها ، ورحم الله من قال :

واذا لم تر الهـــلال فســـلم
لاناس رأوه بالابصـــــار

اللهم اجمع قلوبنا على محبتك ، واجعلنا بفضلك من اهل صفوتك ، واكتب لنا مع عبادك الصالحين عزتك التى قلت فيها (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) ·

مع القرآن

فضل القرآن

حظى القرآن بعناية الامة خلفا عن سلف ، فانه روح الشريعة وكتابها الخالد · فالعناية به والمحافظة عليه سياج لهذا الدين وحفاظ عليه ·

وذلك سر التوجيه النبوى لاصحابه بقراءة القرآن وترديده والعمل به ·

واليك ما ورد عن النبى الامين وصحابته الاخيار وتابعيهم فى فضل القرآن المجيد والمحافظة على قراءته والعمل بما فيه ·

روى الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **انه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، فقلت ، ما النجاة منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، من تركه تجبرا قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الاراء ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، من علم علمه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن**

الكريم

دكتور عبد الله محمود شحاتة

حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم » .

وقال أنس بن مالك فى تفسير قوله تعالى (**فقد استمسك بالعروة الوثقى**] « البقرة ٢٥٦ » ، **قال : هى القرآن .**

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد علم الاولين والاخرين فليثق بالقرآن » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اتلوا هذا القرآن فان الله عزوجل يأجركم بالحرف منه عشر حسنات أما انى لا أقول ألم حرف ولكن الالف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف »** .

وقال : « **ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »** . مسلم .

وقال : « **الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » البخارى ومسلم**

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى آخر خطبة خطبها وهو مريض :

« **يا أيها الناس انى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله بينكم وبينه ، طرفه بيده وطرفه بأيديكم ، بسببه لن تعمى ابصاركم . ولن تضل قلوبكم ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، فاعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، ألا وعترتى وأهل بيتى هم الثقل الآخر فلا تسبوهم فتهلكوا »** .

وقيل لجعفر الصادق : لم صار الشعر والخطب يمل ماأعيد منها ، والقرآن لا يمل ؟ فقال : لان القرآن حجة على أهل الدهر الثانى كما هو حجة على أهل الدهر الاول ، فكل طائفة تتلقاه غضا جديدا ولان كل امرىء فى نفسه متى أعاده وفكر فيه تلقى منه فى كل مرة علوما غضة ، وليس هذا كله فى الشعر والخطب .

وقيل لحميد بن سعيد : ما هذا الترديد للقصص فى القرآن ؟ فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ فى الاعتبار .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله »** .

وقال عليه السلام : « **ما من شفيع أفضل عند الله من القرآن لا نبى ولا ملك »** .

وقال عليه السلام : « **أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن »** .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : « **من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه »** .

وحدث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتى آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن »** .

وروى ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **أشراف أمتى حملة القرآن »** .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الاية :

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) « فاطر : ٣٢ »

فقال عمر : سابقكم سابق ، ومقتصدكم ناج ، وظالمكم مغفور له .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ألا ان أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله .**

وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق ومن شفع له القرآن نجا ، ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله لوجهه فى النار : وأحق من يتشفع له القرآن أهله وحملته ، وأولى من محل به القرآن من عدل عنه وضيعه »** .

وقال ابن مسعود مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا : فأنزل الله تبارك وتعالى : **(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الاية « الزمر : ٢٣ »** .

ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : قص علينا يا رسول الله فأنزل الله تعالى : **(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) « يوسف : ٣ »** .

وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه »** . البخارى .

وقال عبد الله بن مسعود : ان كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه ، وان أدب الله القرآن .

ومر أعرابى على عبد الله بن مسعود وعنده قوم

يقرءون القرآن فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال له ابن مسعود: يقتسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى: (**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**) «يونس: ٥٨» قال: الاسلام والقرآن.

وقيل لعبد الله بن مسعود: انك لتقل الصوم. فقال: انه يشغلنى عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب الى منه.

وقال قوم من الانصار للنبى عليه السلام: ألم تر **يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها وحولها أمثال المصابيح؟ فقال لهم: فلعله قرأ سورة البقرة.**

وفى هذا المعنى حديث صحيح عن أسيد بن حضير فى تنزل الملائكة فى الظلمة لصوته بقراءة سورة البقرة أخرجه البخارى.

ويروى أن أهل اليمن لما قدموا أيام أبى بكر الصديق سمعوا القرآن فجعلوا يبكون فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

من هذه الاثار يتضح مدى حب المؤمنين لكتاب الله وتسابقهم لحفظه، وبكائهم عند سماعه وتقربهم الى الله بقراءته، ولذلك ظل كتاب الله وحيا يتلى ونورا يهتدى به وهديا يطبق وخلقا عمليا يتحلى به فليس المراد بقراءة القرآن ترتيل الفاظه فحسب، بل امتثال معانيه والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

وفى تفسير قوله تعالى: [**انا سنلقى عليك قولا ثقيلا**) قال أحد الفقهاء: **أى علم معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه.**

وقد وردت الاحاديث النبوية توضح قيمة العمل وتبين آداب حملة القرآن والسمت الذى يجب أن يلتزموه.

روى الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه، لا ينبغى لحامل القرآن أن يجد مع من وجد، ولا أن يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله** ».

وعن أبى ذر قلت: يا رسول الله أوصنى، قال: **عليك بتقوى الله فانه رأس الامر كله، قلت يا رسول الله زدنى، قال: عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك فى الارض، وذخر لك فى السماء.** ـ ابن حبان.

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتا بالقرآن. فقال: **الذى اذا سمعته أو رأيته تخشى الله تعالى.**

لقد كان القرآن مدرسة خرجت هؤلاء الرجال فقادوا الدنيا وسادوا العالمين، وأرسوا معالم حضارة خالدة وصبغوا الدنيا بصبغة القرآن وتوجيه الرحمن وهدى محمد عليه السلام.

قال عتبة بن عامر: عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال: «عليكم بالقرآن».

أبو جهل

ربما كان هذا الرجل من أشد المعاندين لرسول الله عليه السلام، واقواهم شكيمة واعزهم نفرا وربما كان هذا الرجل من اكثرهم عداوة لمحمد النبى وتربصا به وغيظا منه، وربما كان هذا الرجل من أخطر المشركين الذين وقفوا فى مكة ضالين ومضلين ليغيروا معالم الطريق، ويسدوا منافذ النور، ويعوقوا ثورة الاسلام التى اندلعت بشدة، وأراد الله لها أن تكون..

انه قرشى والنبى قرشى، وكلا الرجلين من مواليد مكة، ويعيشان تحت ظلالها بجوار بيت الله الحرام الذى يأوى اليه الحجيج من كل فج عميق، فيجدون فى هذا البلد الزاد والماء والامان، ويجدون فيها راحة القلب وسعادة النفس وصفاء الوجدان ثم يرجعون من حيث أتوا الى أوطانهم شاكرين للمكيين حسن ضيافتهم وبشاشة لقائهم، وانسانياتهم التى لن تتوافر فى قبيلة من قبائل العرب ولا فى بلد من بلاد الله..

ولقد استفادت مكة من هذه المزايا، وزخرت بالمال والثراء والجاه، وأصبحت ممرا عالميا لتجارة الشرق والغرب، ومركزا هاما يجد فيه المسافرون الطريق المعبد الخالى من السلب والنهب، وقطاع الطرق وأوكار المجرمين ويجدون فيه أشبه ما يكون بنقط حراسة، ترشدهم ان ضلوا المسالك، وتأويهم اذا أفلت الشمس، وتقدم لهم المساعدات وما يلزمهم من حاجيات..

وفى هذه الاونة ازدهرت مكة، وفاقت عواصم العالم، وبز أهلها الاكاسرة والقياصرة وسادة الناس، ومن هنا عاش القرشيون فى حياة صاخبة ناعمة، ترتع بيوتهم بالقيان والعبيد والخمر والميسر واللهو البرىء وغير البرىء، ومع هذه النعم الغزيرة، والخيرات التى تسيل من غير حدود، كان المكيون يسجدون للاصنام، ويدعون الطاغوت، ويقدسون تقاليد الشيطان.

وفى ساعة محددة، ويوم مشهود، وبداية تاريخ أزهر، أذن مؤذن فى مكة أن كل شىء سوف يتغير، وأن التلاعب بالدين سوف يزول، وأن صوت الحق سيرتفع صداه عاليا، وان العبادة الخالصة سينبثق بريقها وتغمر ملكوت الله..

وسمع القرشيون صوت الداعية يهز الافق هذا، وسمعوا هتافاته المنطقية الحالمة تشد قلوبهم وتحرك

وغزوة "بدر" الكبرى

فضيلة الشيخ محمد على الطمى

ابدانهم ، فثاروا فى وجهه وادروا له ظهورهم وسبوه سرا وعلنا ، وكان على رأس هؤلاء وأولئك أبو جهل الذى يعتبر من ألد خصوم الدعوة المحمدية ، وأكبر المناوئين لرسالة السماء ، والذى كان يتعقب الرسول فى صلاته ودعواته ، وقيامه وقعوده ، ويزرع الشوك فى طريقه ، ويصب عليه البلاء صبا .. ومن نكد الدنيا أن يكون أبو جهل جارا للنبى عليه السلام فيرصد تحركاته ويرى الكثير من اعماله الهادئة الطيبة ، فكان يتحرق غيظا ويحاور الرسول ويطارده ويتفنن فى عرقلته بكل جهد مستطاع انه قرشى والنبى قرشى ، وكلا الرجلين من مواليد مكة ، ويعيشان تحت ظلالها بجوار بيت الله الحرام ، فلا غرابة اذا حقد أبو جهل على محمد واتخذه عدوا لدودا لأن الله اصطفاه دونه ، واختاره من بين سائر العرب . وأرسله رحمة للعالمين .. ثم ان أبا جهل من بنى مخزوم ، والنبى من بنى عبد مناف ، والبيتان قرشيان ، يتزاحمان من بعيد على زعامة القبيلة وشرف الرئاسة ، ومجد الدنيا والدين ، فاذا بالنبوة تأتى لبنى عبد مناف ، وتجعل بنى مخزوم فى المرتبة الاقل كما كانوا ابدا .. ان هذا لشىء عجاب ..

اذن .. فليحاول أبو جهل أن يردع محمدا ، ويثنيه عن عزمه ويسفهه على رؤوس الاشهاد ، وليحاول أن يقفل فى وجهه كل باب مفتوح ، خصوصا وأن دعوته لم تلق نجاحا يذكر الا عند سفهاء العشيرة وأرازل العبيد والخدم ، وسفلة القوم المنحطين ..

ومشى أبو جهل فى اتجاه عكسى طويل ، ولا هم له الا متابعة الرسول بالمضايقات والتشنيع عليه بالفحش ، وقذفه بالروث وما يكرهه الناس ، وفى الوقت نفسه يسب أصحابه المؤمنين ، ويتوعدهم بالنكال ، ويأخذهم بضرب قاس شديد ، ويطرحهم على الرمال الساخنة والصخور الملتهبة وهم صابرون عليها ، موقنون بنصر الله وفرجه القريب ..

أيام مرت على الرسول وأصحابه كانت كالحة موغلة فى المصائب ، وأبو جهل راض عنها محب لها ، يزيدها من سخفه وبالا ، ذهب له مرة ، وقال يا محمد ان صلاتك التى تصليها تؤذينى ، وتجعلنى فى حيرة من أمرى ، وما أنا بمستريح اليك حتى تضرب عن قراءة هذا القرآن ، فان لم تفعل اذقتك معنى الصفع ، وعلمتك الادب والاحترام ورد الرسول على أبى جهل ردا غليظا قاسيا ، وبلغة فيها تهكم وتهديد ، فقال .. أتهددنى يا محمد وأنا أكثر أهل النادى مالا وولدا ؟ وذهب الرسول للصلاة وذهب أبوجهل لمنعه ، ولكنه سرعان ما ارتد خائبا فقالت له قريش مالك لم تفعل شيئا فى محمد يا أبا الحكم ؟ فأجابهم بأنه وجد حوله خندقا من نار ، وملائكة لهم أجنحة وأسدا عظيما كاد أن يفترسه فنزل قوله تعالى « **أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت أن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب** » .

لم يرتدع أبو جهل بنزول هذه الايات ، وراح يتقفى النبى بالشرور والمذمة .. وكانت قريش تفاخر بكراهية أبى جهل للرسول ، وترى فيها متنفسا لما تضمره له من غليل وبغضاء ، ولما رأى حمزة بن عبد المطلب أن أبا جهل أسرف فى البغى ، وتزيد فى الايذاء أعلن اسلامه ، وكاد يقتل أبا الحكم الاخرق المجنون ..

ومن عجيب الامور أن أبا جهل كان يطرب لسماع القرآن ، وكان يرى فى سماعه لونا يسيطر على مشاعره وأحاسيسه ، وكان اذا جن الليل ونامت العيون ، **يهرع الى منزل النبى عليه السلام ، فيصغى للقرآن آية** آية وسورة سورة ، وفى ليلة ذهب كعادته وجلس فى مكان بحيث لا يراه أحد ، فلما طلع الفجر رأى ابا سفيان والاخنس بن شريق يتسللان لواذا فى الطريق ، فعرف أنهما كانا يستمعان مثله فلامهم ولاموه ، واتفقوا على ألا يأتوا مرة ثانية خشية ان تعلم قريش الحقيقة فتثور ثائرتها ، وفى الليلة الثانية دفع الثلاثة الشوق ، فخرجوا واستمعوا محمدا ، ثم جمعتهم الطريق فتنابذوا وأجمعوا على عدم الحضور ، وفى الليلة الثالثة تكرر نفس المنظر ، فتعاهدوا عهدا لا مرية فيه أن يتناسوا قرآن الرسول ولا يقيموا له وزنا ، وفعلا نفذوا ما تعاهدوا عليه ..

وفى الصباح ذهب الاخنس الى أبى سفيان وقال له ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال أبو سفيان انه والله لصادق فيما يقول ، ولكننا لا نتبعه بحال من الاحوال ، ثم ذهب الاخنس الى أبى جهل ، وقال له عما سمع من محمد ، فقال أبو جهل ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نمشى وراءه ابدا ..

ظل أبو جهل يصب جام غضبه على الرسول ، والرسول يصبر ويأمر أصحابه بالصبر ، حتى جاءت الهجرة وبرزت معالم النصر ، وتحرش المسلمون بكفار قريش وخرجوا على تجارتهم القادمة من الشام ، وكان أبو سفيان قائدا للقافلة ، فأرسل رسولا للمكيين يخبرهم بأن تجارتهم تعرضت لخطر الهجوم ، ومع ذلك استطاع أن يفلت من المسلمين وينجو بالعير المحملة بالمتاع .

ووصل ضمضم الغفاري رسول أبى سفيان ـ الى مكة ، وصرخ فيها باعلى صوته وهو راكب على جمل مقلوب الرحل ، اللطيمة ٠٠ اللطيمة ٠٠ الغوث الغوث ، فجزع أهل البلد الحرام ، وخرجوا من بيوتهم شيوخا وشبابا ونساء واختلط بعضهم ببعض فكان منظرهم مثيرا فعلا ٠٠

وعلمت قريش بهول الفاجعة ، فاخذتها العزة بالاثم وكبر عليها ان يعترض محمد مالها ، فأقسمت على الحرب ، وحاول عقلاؤهم أن يصدوهم عنها فأبوا ، وقال لهم أمية بن خلف وكان رجلا شجاعا عاقلا ، لا داعى للقتال وقد نجت تجارتكم من أيدى المسلمين فغضب أبو جهل وذهب اليه ومعه عقبة بن أبى معيط ، وقال له أبو جهل ، اكتحل ـ أبا على ـ فانما أنت امرأة : وكانت معه مكحلة ومرود ، أما عقبة فوضع مجمرة بين يديه ، وقال له استجمر ـ يا امية ـ فانما أنت من النساء ، فغضب أمية غضبا لعينا واشترى بعيرا قويا وخرج مع ركب قريش، فخرج كل رجل قادر على القتال ٠٠

نفرت قريش للمعركة وتحركت كاملة العدد والعدد ، وهناك فى بدر وجدت رصيدا كبيرا من المسلمين على رأسهم الرسول عليه السلام وقد استعد جميعهم للجهاد فى سبيل الله ، وذهب عمير بن وهب ليرى رأيه فى أصحاب محمد ، فرجع الى قريش وقال يا معشر قريش رأيت البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منصة الا سيوفهم فتبلبلت أفكار قريش ، ورأى قوم منهم عدم القتال ، فانبرى ـ ابن الحنظلية ـ أبو جهل والحنظلية اسم لامه ، وقال نفخكم محمد بسحره ـ وقال لعامر الحضرمى قم وانشد ثارك فنادى عامر ٠٠ واعمراه ٠٠ واعمراه ، فهاجت النفوس وغلت الصدور ، وزحف الجيشان للتراشق بالنبال والضرب بالسيوف والطعن بالرماح ٠

والواقع أن المعركة بدأت عنيفة ساخنة ، ففى نفسيات قريش غيظ على مقدساتها الضائعة ، وشرفها المهزوز ، وفى نفسيات المسلمين غيظ أكبر فقد تركوا ديارهم وأموالهم ومزارعهم فى مكة ظلما وعدوانا ، فكان حتما ان ينفجر الموقف ويتمخض عن قتال مرير ٠٠

ومن غريب الاوضاع أنه لما التقت الفئتان المتقاتلتان استفتح أبو جهل بهذا الدعاء « اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة » أى أهلكه ، وطبعا يقصد الرسول عليه السلام ٠٠ وتقدم المسلمون نحو عدوهم يقتلون ويثخنون ويأسرون فما هى الا جولة حتى اندك صرح الباطل وظهر أمر الله على قريش ، ففر من رجالها الابطال ، وآخرون وقعوا صرعى فى جبهة القتال ٠٠

لكن أين أبو جهل ؟

لقد كان الرجل يومها مقاتلا شجاعا ، يتقدم صناديد قريش ، وكان فى أثناء المعركة يرتجز قائلا

ما تنقم الحرب العوان منى
بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى امى

قال عمرو بن الجموح جعلت أبا جهل فى ذهنى ، وأردت أن أخلص اليه وأقتله فضربته ضربة ـ أطنت ـ أى أطارت قدمه بنصف ساقه ، فأصبحت كالنواة ، ولولا ابنه عكرمة ضربنى على عاتقى لقضيت عليه ٠٠

ومر معوذ بن عفراء على أبى جهل ، فطعنه طعنة أنفته على ظهره ، وبسببها راح يئن فى أنفاس لاهثة متقطعة ، وبينما هو على هذه الحالة الكريهة اذ قدم عليه عبد الله بن مسعود ، وكان الرسول أمره أن يتفقد قتلى قريش ، وأمره أن يبحث بينهم عن أبى جهل ، وقال له « انظر ان خفى عليك فى القتلى الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش فى احداهما جحشا لم يزل أثره به » فلما رآه ابن مسعود جده فى الرمق الاخير ، فقال له هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال وبماذا أخزانى **لمن الغلبة اليوم** ؟؟ قال ابن مسعود **لله ورسوله** ، فقال لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم ، فوضع ابن مسعود رجله فوق عنقه واحتز رأسه وجاء به لرسول الله عليه السلام ، **وقال يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل ، فقال عليه السلام الحمد لله الذى أخزى القوم المشركين ٠٠**

انتهت غزوة بدر بنصر الله المبين ، وانتهت بصدق وعده لهؤلاء المسلمين المعذبين فى الارض والذين ظلوا صابرين حتى أنقذهم الله من قيود الذل والهوان وجعلهم مشاعل يهدون الناس الى الصراط المستقيم ، ثم جعلهم سادة الارض يحكمون اقطارها وقاراتها ، ولهم فيها الكلمة النافذة والسلطة المهابة والامر الذى لا يرد ٠٠

وغزوة بدر تعطينا صورا صامدة هادفة تجعلنا نثق فى وعد الله الذى لا يتخلف ، وتعطينا ان الباطل وان كثر عدده وكثرت عدده سوف ينهار ولا يجد له معينا ، وتعطينا أيضا أن أعداء النور سيجدون فى طريقهم حفرا يقعون فيها ، وتكون لهم بمثابة ردم أبدى مهما كانوا أقوياء ٠٠ ثم انها تبين لنا أن من أهم **أسباب النصر كان تماسك المسلمين وتلاحمهم فى كل ميدان ينزلون فيه ، ولولا وحدة المسلمين الخالصة مظهرا ومخبرا ، ولولا صفوفهم المترابطة ، وايمانهم العميق لما قتل أبو جهل واميه وعقبة بن أبى معيط ، وهم من عتاة قريش وعظمائها الاشرار ، ولولا جمع الكلمة من المهاجرين والانصار لما انهزمت قريش فى تلك المعركة التى تعتبر أول نصر فى الاسلام ٠٠ فعلى العرب والمسلمين اليوم أن يتذاكروا غزوة بدر ، ويأخذوا منها دروسا تحفزهم على توحيد الهدف ، وتوحيد الجهاد المقدس ، ليحرروا مسجدهم الاقصى ، وأرضهم المنهوبة ، وديارهم السليبة ، وحتما سيلقى عدوهم الغادر مالاقى أبو جهل وأشياعه فى غزوة بدر الكبرى التى كانت فى شهر رمضان المبارك ٠٠ فهيا الى معركة فاصلة ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٠**

الجهاد والجندية في تعاليم الإسلام

أمير البحر

سماحة الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

ـ ١٨ ـ

لقد ذكرنا فى القسم السابق من هذا البحث تقدم العرب المسلمين فى مجال صناعة السفن الحربية فى ظل دولة الاسلام ، كما ذكرنا مهارتهم فى ركوب البحار وبعض غزواتهم البحرية مع ما رويناه عن مقدمة ابن خلدون من نص يدل على مدى تقدم العرب فى هذه الصناعة الحيوية .

ونزيد ونقول : ولما تعددت المصانع البحرية للمسلمين وازدادت على سواحل بحر الروم [وقد جعلوها مقر قواهم البحرية) أخذ كل مصنع يصنع بحرية ، يتعين لها قائد حربى ، ورئيس للاسطول ، وكانت مهمة القائد ادارة أمور السلاح والقتال البحرى ، ومهمة الرئيس ادارة أمور جريان الاسطول البحرى عن طريق الرياح أو بذريعة المقذوفات [وقد أشار اليه ابن خلدون فيما روينا عنه) كما كان من اختصاصه معرفة طرق البحر وتدبير مسالكه بواسطة دهنما [آلة علمية خاصة] ودلالة النجوم . وحينما تتجمع الاساطيل فى أمكنتها مستعدة لعمليات الحرب كان يتعين رجل من الطبقات العليا بمنصب « أمير البحر » وذلك من قبل خليفة المسلمين ، ويقال : ان « أمير البحر » أصل كلمة « أميرال » الافرنجية .

وبهذا وذلك كان المسلمون فى ذلك الوقت قد أصبحوا سلاطين البحر كما كانوا سلاطين البر .

كان عدد المراكب البحرية فى مصر [وحدها] أيام المعز لدين الله الفاطمى ستمائة قطعة ، كما كانت أساطيلها فى غاية الاستحكام والاتقان ، تسير بأحسن صورة وأحكم أصول فى ذهابها وايابها .

البحرية الاسلامية ، والهند ، والشرق الاقصى

ولما اتسعت سلطنة المسلمين وفتحوا بلاد السند وسائر أقاليمه الهندية واختلطوا بالهنود وعاشوا معهم عيشة الفاتحين ، اقتبسوا منهم أيضا فريد الاقتباس فى صناعة السفن وتفوقوا عليهم فكانوا يصنعونها بتطور واتقان ، ويستعملونها بأصنافها المختلفة فى بحر فارس والمحيط الهندى لمحاربة الهنود فى أنحاء القارة الهندية ، حتى انتصروا عليهم فى مواقع عديدة . وقد فتح المسلمون فى تلك الاوقات أكثر الممالك الشرقية ، ومهدوا بحارها وذللوها وادخلوها تحت سلطتهم ، ومن نتائج هذه الفتوحات

أن اتسع نطاق تجارة المسلمين فيما وراء البحار بالشرق الاقصى .

السفن الحربية فى الانهار

كما أن المسلمين فىذلك العهد استعملوا أنواعا كثيرة من سفنهم الحربية والنقلية فى محارباتهم عبر الانهار ، وكان من جملة ما استعملوه من هذه السفن فى نهر دجلة وفرات « صلاع » [سفينة صغيرة للنقل) و « معابر » (السفن الخاصة لعبور الجيش من جانب الى جانب] و« سنابيك » [القوارب] وقد اشتهرت هذه السفن (بعضا) فى حرب المسلمين ضد أهل زنج بالعراق. ولما امتدت فتوحات المسلمين الى أفريقيا وما بعد الصحراء الكبرى ، أخذوا بارسال أنواع من هذه السفن الى تلك الديار ، مفككة الاجزاء محمولة على قوافل من الابل .

ديوان الاسطول الاسلامى

وفى عهد السلطان صلاح الدين الايوبى تأسس ديوان خاص باسم « ديوان الاسطول » وقد عهد صلاح الدين رئاسة هذا الديوان الى الملك العادل ، واعتمد ميزانية خاصة لشئونه .

وهكذا تقدمتقوة الاسلام وتغلبت فى البحار وعلت كلمته العليا ، الى يوم خرجت فيه الصقلية من يد المسلمين ، وقد كانوا قد فتحوا قبل ذلك جميع جزائر البحر الابيض المتوسط ، ومهدوا كورسكة وسردانية وكريد وقبرص ومالطة وغيرها، واستحكموها . كما تطرقوا نحو البر الشمالى حتى دخلوا فرنسا . ثم شيدوا قلاعا وحصارا وهزموا الفرنسيين والايطاليين وأقاموا مدة فى تلك الممالك من قارة أوربا .

وبقيت السفن الاسلامية ملكة للبحر الابيض المتوسط الى أن ارتبكت دولة بنى أمية فى الاندلس ودولة الفاطميين بمصر، وفى نتيجة ذلك نهضت الملل الواقعة فيما وراء البحر وأخذت فى كسب القوة شيئا فشيئا وأعادوا بعض الجزر والبنادر (التى فقدوها) الى تصرفهم .

ولم يكن هذا الا أن تلك الملل استيقظوا من رقدتهم العميقة ، بفضل تأثرهم من تمدن العرب ، والعلوم والصناعات التى اكتسبوها من العرب المسلمين ، كما يعترف به المستشرقون وعلماء أوربا .

ولما شبت نار الحرب الصليبية بين المسلمين والصليبيين أجرى الفريقان مراكبهم العديدة فى البحر واستعملا كبرى السفن الحربية مما فى أيديهما ، التى لم يسبق مثلها فى المتانةوالعظمة .

ومع فداحة الخسارات فان القوى البحرية الموجودة فىحيازة ملوك المغرب قد بقيتمحفوظة عن التدمير والافناء . ذلك لانهم كانوا يملكون قوى عظيمة ، وفى عهد أولئك السلاطين ، وصل أحمد الصقلى (قائد أساطيل المغرب فى القرن السادس الهجرى) الى أوج النبوغ والشهرة فى القيادة البحرية .

فان أساطيل المسلمين فى أيام قيادة أحمد الصقلى وفعاليتها وصلت الى درجة لم ينالوها من قبل ، ولكن قوة المسلمين فى البحر انما أخذت تضعف بعد المرابطين والموحدين ، باستثناء قوة بعض الملوك فى مصر والمغرب . وكانالمسلمون على هذه الحالة ، الى أن ظهرت الدولة العثمانية ، وكسبت قوتها البحرية عظمة غير مسبوقة ، حيث وصلت أساطيلها الى نهاية الكثرة والمتانة . ودامت الى أن انحطت البحرية العثمانية فى القرن الثالث عشر من الميلاد .

كما أن بحرية المسلمين عموما قد واجهت الضعف والانحطاط مرة أخرىبعد سقوط الجزائر بيد الافرنج .. ثم ان الاوروبيين تفننوا فى صناعة أنواع المراكب البحرية والاساطيل الحربية ، وأنما ذلكبعد أن كسبوا من العرب المسلمين دروسا كثيرة فى مجال هذه الصناعة ، مما كان باعث نهضتهم وتقدمهم فى مدنيتهم الجديدة .

ومما يذكر هنا :

لم تمض من تاريخ وفاة رسول الاسلام،محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، سنوات تذكر ، الا وقد فتح المسلمون المدن الكثيرة من قارة الهند ، وفتحوا جزرا عديدة فى البحر الابيض المتوسط ، وكان ذلك عنطريق غزواتهم البحرية ، ولا شك فى أن هذه النهضة وهذه الفتوحات مما يحير عقول البشرية ، ولم تدون أمثالها فى صفحات تاريخ أية ملة من ملل العالم قبل ذلك .

ان العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون على سطح البر ، بحيث لم تتحرك همتهم نحو ركوب البحر طول حياتهم ، ولميفكروا فى قطع الاسفار عبرالبحار نحو الممالك التى كانوا يجهلونها ، لكى يعرفوها ويطلعوا على ما فيها . ولكن العرب لما دخلوا ساحة الدولة الاسلامية ومحيطها الكبير الواسع النطاق سرت فى قلوبهم قوة من الاسلام ، وجرت فى عروقهم (جريان الدم] روح قوية واتسعتفى انتشارها بين حاضرهم وباديهم ، انتشارا لم ير مثله فى حياتهم الجاهلية .

وكان ذلك لحكمة ، الا وهى حتى يتحقق ما اراده الله العلى القدير من اعلاء كلمته ونشر دينه الحق فى كل بقعة من بقاع هذا الكون العظيم ، التى يمكن وصول داعى الحق ومبلغ الاسلام الى ساحتها ، وقد تحقق ذلك ، وها هو دينه الحق الدين الاسلامى يسود

على مايبلغ سبعمائة مليون من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وليسود (ويزيد سيادة) الى أن تقوم الساعة ، « **ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » الاية ٣٠ ـ سورة الروم •

علم النجوم

ومما يذكر هنا : أن خلق النجوم أيضا من نعم الله سبحانه التى لاتحصى والتى تستوجب الشكر على ذمة العالم الانسانى ، ذلك لانها يهتدى بها الانسان فى ظلمات البر والبحر فى أسفاره التجارية وغيرها وخصوصا فى غزواته ، وقد قال الله تعالى : « **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر** والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » ٩٧ ـ الانعام •

قال العلامة الخازن فى تفسيره « يعنى والله الذى خلق لكم هذه النجوم لتهتدوا بها ، اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه » وقال الامام البغوى « والله تعالى خلق النجوم لفوائد ، أحدها هذا ، وهو أن راكب السفينة والسائر فى القفار يهتدى بها فى الليالى الى مقاصده » •

اقول : ان سياق الآية امتنان من الخالق سبحانه على خلقه ، وبيان لبعض آيات وجوده ودلائل قدرته وسوابغ نعمته ، مع ارشاد عباده الى علمها والتذكر بها ، مما فيه تقوية لايمانهم بالله سبحانه وبذاته وصفاته ، ومزيدة لمعرفتهم وشكرهم على نعمه ، « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » الاية

ومن هنا : نعلم وجوب تعلم علم النجوم فى تعاليم الاسلام ، **فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا »** •

وقال على كرم الله وجهه : « **اياكم والنجوم ، الا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر** » •

ولهذا فان فقهاء الاسلام قد صرحوا بجواز (أو وجوب] تعلم علم النجوم على قدر الضرورة ، ذلك لان علم النجوم وسيلة لعلم أوقات الصلاة وعلم القبلة ، كما أنه يحتوى على فوائد كثيرة مهمة فى أسفار البر والبحر وقطع المسافات فى الصحارى والقفار ، كما أسلفنا فى تفسير الاية آنفا . ولعلم النجوم ارتباط مهم فى الشئون العسكرية من ناحية سوق الجيش ، ذلك لان حركات الجيش لها ظروف مختلفة ومنها السير فى ظلمات الليل ، ولهذا فان سوق الجيش فى حاجة شديدة لهذا العلم ولهذا كان المسلمون الاولون حينما كانوا يريدون سوق جيوشهم الى أى ناحية ، كانوا يأخذون معهم رجلا له علم من النجوم وخبرة فى كونية البحر والبوادى والصحراء ، ليكون لهم دليلا فى الاسفار •

ونذكر بطريق المثال : أن خالد بن الوليد لما قاد الجيش الاسلامى سنة ١٣ هـ نحو العراق والشام اتخذ رافع بن عمير الطائى دليلا ، حيث كان لرافع علم من النجوم وخبرة فى كونية البر من الصحارى والبوادى ، وقد قدم رافع خدمة فى قطع المسافات أثناء ظلمات الليل ، وساعد لحركات الجيش مساعدات سجلها التاريخ [ص ٢٧٩ ج ٢ — تاريخ ابن الاثير]

البوصلة ، والاسطرلاب

ومن المخترعات العلمية لدى المسلمين ما يسمونه فى تركستان « قبله نما » وبالعربية البوصلة ، فقد كانوا يستعملونها فى الاسفار البحرية والبرية ولا سيما فى الغزوات ، ويسترشدون بها فى تحديد الجهات وفى تعيين القبلة للصلوات ، وهذه الالة معروفة فى الاستفادة منها منذ اختراعها فى السفن والسيارات الصحراوية ، والطائرات فى زماننا هذا ، **مما يعد نعمة علمية ثمينة لصالح العالم البشرى ، كالاسطرلاب الذى اخترعه الفلكى المسلم أبو اسحاق ابراهيم بن حبيب بن سليمان** ، وقد نظم الشعر كثيرا من التنجيم ، وألف كتبا فلكية مختلفة ، وتوفى سنة ٧٧٧ من تاريخ الميلاد ، كذا فى معرض دار الكتب المصرية للاسطرلاب •

وقد استخدم الاسطرلاب أيضا فى عالم البشرية منذ اختراعه الى العصر الحاضر بنجاح • وقد لعب دورا فى السير قدما بركب المدنية ، مما يثبت خدمة تاريخية هامة من اتباع الاسلام ، لجميع الملل والنحل فى هذا الكون العظيم •

فضيلة

صلة الإنسان بالله

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

قال الله تعالى « سبح اسم ربك الاعلى • الذى خلقفسوى • والذى قدر فهدى •والذى أخرج المرعى • فجعلهغثاء أحوى » آية ١ ــ ٥ سورة الاعلى •

سبحانه وتعالى جل شأنه وارتفع مكانه • لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يمنعها عن معرفته ، أنزل الأديان وجعل أساس الدين هو معرفة الله عز وجل ، وتمام ايمان الانسان التصديق بوجود الله ، وكمال الايمان التوحيد ، وكمال التوحيد الاخلاص لله عز وجل • وكمال الاخلاص هو نفى الصفات عنه • وطاعته مع نقاء السريرة وعدم التفكير فى أى شىء يغضب الله • والقيام بعمل كل ما يحبه ويرضاه •

جاء فىالحديث القدسى • عن رب العزة ــ قال رسول الله • صلى الله عليهوسلم • يقول الله سبحانه وتعالى • أنا عند ظن عبدى بى • وأنا معه حين يذكرنى • فان ذكرنى فى نفسه •ذكرته فى نفسى . وان ذكرنى فى ملأ . ذكرته فى ملأ خير منه . وان اقترب الى شبرا . اقتربت منه ذراعا . وان اقترب الى ذراعا اقتربت اليه باعا • وان أتانى يمشى •أتيته هرولة ــ رواه الترمذى •

وصلة الانسان بالله عز وجل • هى أقوى الصلات رباطا • وأعلاها منزلة •وأسماها غاية • لانها صلة بين المخلوق وخالقه ، صلة بين العبد المحتاج الفقير الى ما عند ربه ملك الملوك وقاضى الحاجات ، من سأله أعطاه • ومن توكل عليه كفاه •ومن قام على بابه قبله ، ومن دعاه أجابه ــ« **هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين** » آية ٦٥ سورة غافر .

وصلة الانسان بالله تنمو وتقوى بالعمل الصالح ومراقبةاللهفى كل شىء • لانه عز وجل لا يغيب عن علمه شىء ــ « **يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور • والله يقضى بالحق** » آية ١٩ ، ٢٠ سورة غافر •

فعلى العبد أن يتجه بقلبهوفكرهوعقله الى ربه يدعوه خوفا من عذابه وطمعا فى جنته • وحبا لذات الله « **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد • ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز** » آية ١٥ ــ ١٧ سورة فاطر •

فالناس جميعا محتاجون الى فضل الله واحسانه أكثر من حاجتهم الى الماء والهواء • لانه عز وجل هو خالق الماء والهواء وكل شىء ، وبيده أسباب الحياة جميعها ــ قال تعالى فى قرآنه الكريم « **الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباعيزيدفىالخلق ما يشاءان الله على كل شىء قدير . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم •يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الا هو فانى تؤفكون** » آية ١ ــ ٣ سورة فاطر •

والاتجاه الى الله وتمنى رضاه يملك زمام النفوس حتى لا تتبع أهواءها فتضل وتشقى ، وتبتعد عن حقوق الله وتتعدى حدوده وتنسى ان الله عز وجل هو الواحد القهار وتتبع الهوى وتغوى بغواية الشيطان ،وذلك هو الخسران والضلال • الذى يفقد الصلة بين العبد والرب •

قيل لابراهيمبن أدهم • ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا ، قال • لانكمعرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه • وقرأتم القرآن ولم تعملوا به ولا بحدوده • وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وتركتم سنته • وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وواطأتم الشيطان على المعاصى • وقد قال الله تعالى « **ان الشيطان لكم عدو** » وقلتم نخاف الناروأهرقتمابدانكم فيها • وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها • وأكلتم نعمة الله • ولم تؤدوا شكره • ودفنتم موتاكم ولم تعتبروابهم ، واذا قمتم منفرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم • وافترشتم عيوب الناس أمامكم • فأسخطتم ربكم • فكيف يستجيب لكم ؟

نعم كيف يستجيب الله دعاء من قطع الصلة بينه وبين ربه وارتكب الفواحش وانحرفبنفسه • وجعل شرائع الاسلام وأحكام الدين التى أمر اللهبها وراء ظهره واتخذ الهه هواه فأضل نفسه وابتعد بها عن الطريق المستقيم الذى يصلها بربها •

فحق مفروض على كل مؤمن ذى عقل وبصيرة • أن يصل قلبه وفكره بربه ، ولا يكون ذلكالا بحمد الله على نعمهوشكره وذكره والتفكير فى ذات الله ويشغل قلبه بربه الذى بيده ملكوت كل شىء •

عن أبى هريرة رضىاللهعنه • قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ان لله ملائكة سياحين فى الارض ــ فضلا عنكتاب الناس ــ فاذا وجدوا أقواما يذكرون الله • تنادوا • هلموا الى بغيتكم • فيجيئون فيحفون بهم الى سماء الدنيا • فيقول الله : على أى شىء تركتم عبادى يصنعون فيقولون . تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك :قال • فيقول • فهل راونى ، فيقولون : لا ، قال :فكيف لو رأونى ، قال • فيقولون • لو رأوك لكانوا أشد لك تحميدا وأشد تمجيدا • وأشد لك ذكرا ، قال • فيقول • وأى شىء يطلبون ، قال • فيقولون • يطلبون الجنة • قال • فيقول • وهل رأوها •قال • فيقولون • لا • قال • فيقول : فكيف لو رأوها • قال • فيقولون : لو رأوها كانوا أشد لها طلبا • وأشد عليها حرصا • قال • فيقول : من أى شىء يتعوذون • قالوا : يتعوذون من النار ، قال : وهل رأوها • فيقولون : لا ، فيقول . فكيف لو رأوها . فيقولون . لو رأوها كانوا أشد منهاهربا واشد منها خوفاواشد منها تعوذا ،قال .فيقول : فانى اشهدكم انى قد غفرت لهم . فيقولون : ان فيهم فلانا الخطاء لم يردهم . انما جاء لحاجة . فيقول : هم القوم لا يشقى لهم جليس ــ رواه الترمذى .

والصلة بينالله والمخلوق •تنيرالقلوب وتهديها وترشد الانسان الى عمل البر والخيرات •وتجعلهيواصل فعل الصالحات • دون كلل او ملل لان قلبه عامر بالايمان فينتهى عمـــا نهى عنـــه الله ويأتمر بما أمر الله • ويصل ما أمر الله به أن يوصل ، ابتغاء صلته بالله ، « **والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب • والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاةوأنفقوامما رزقناهم سراوعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئكلهمعقبى الدار • جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهموأزواجهم وذرياتهم والملائكةيدخلون عليهم من كل باب** » ــ آية ٢١ ــ ٢٣ من سورة الرعد •

وكلما ازداد الانسان قربا وصلة من الله ازداد أجره وثوابه وأحبه الله • وأصبحمنالمقربين الاطهار الذين لا تمسهم النار • لانهم استجابوا لله والرسول وحرصوا على صلتهم بربهم فلم يأتوا بفحشان ولم يرتكبوا منكرا ولم يقترفوا سيئة • بل داوموا على الامر بالمعروف • وتمسكوا بالحق والعدل • ايمانا واحتسابا لله عز وجل ، وتركوا الدنيا ومغرياتها وراء ظهورهم حتى تلهيهم عن عبادة ربهم ، لان كل همهم تعميق صلتهم برب الناس ملك الناس ــ الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة والذى انزل القرآن • هداية للبشرية وصلة للانسانية • لانه هو الرباط المقدس بين الله والعباد والحبل المتين الذى يربط العباد بالخالق • من تركه ضل ومن تمسك به اهتدىواتصل بالله اتصال العلم واليقين •

من آداب

الدعاء

الأستاذ مهدى عبدالحميد مصطفى

فى العدد الصادر غرة شهر رجب عام تسعين وثلاثمائة والف من مجلتنا الغراء « منبر الاسلام » كتبت تحت عنوان : « الدعاء سلاح المؤمن » ان الدعاء مخ العبادة ، واساس الطاعة ، وعماد الدين ، وذروة اليقين ، ويعتبر من ارقى مظاهر العبودية ، التى تظهر فيها عظمة الخالق وضعف المخلوق ، كما بينت ان الدعاء سبيل لرضا الله سبحانه ، والالحاح فيه طريق الى حب الله لعبده ، وان انصراف المسلم واعراضه عن الالتجاء الى الله ، والابتهال اليه ، وسؤاله من فضله ، يعرضه لغضب الله ومقته ، مصداقا لقول سيد المرسلين ، وخير خلق الله اجمعين ، محمد — صلى الله عليه وسلم — : « من لم يسأل الله يغضب عليه » . واوضحت كذلك ان الدعاء ينفع مما نزل ومالم ينزل من قضاء الله وقدره وان الانبياء والمرسلين قد رفعوا أكفهم الى الله ضارعين ، وبحماه لائذين ، راجين منه تفريج الكروب ، وازالة المحن والخطوب ، فاستجاب الله لهم ، وأيدهم بعونه ونصره ، وقد أوردت على ذلك مثلا رائدة مشرقة ، لناخذ منها العظة والعبرة .

وكان لزاما على — توفية للموضوع حقه — ان أضع أمام القارىء العزيز صورة واضحه للاداب والشروط التى يجب توافرها فى الدعاء ، حتى ينال القبول ، ويحظى بالاستجابة ، غير انى ارجأت الكتابة فى آداب الدعاء وشروطه الى مقال لاحق ، حتى نعطى الموضوع حقه بشىء من الايضاح والتفصيل ، فاقول — وبالله التوفيق — : من آداب الدعاء ما يلى :

اولا : استقبال القبلة ، ورفع اليدين مع ضم الكفين ، وغض البصر ، لما روى جابر بن عبد الله ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أتى الموقف بعرفة ، واستقبل القبلة ، ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس » .

وروى سلمان عن رسول الله — عليه افضل الصلاة وأزكى السلام — انه قال : « ان ربكم حيى كريم يستحيى من عبيده اذا رفعوا ايديهم اليه ان يردها صفرا » .

وروى ابو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه قال : « **لينتهين أقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن ابصارهم** » ، وللداعى ان يمسح وجهه بكفيه بعد الدعاء ، فقد ورد عن عمر — رضى الله عنه قوله : « **كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه** » .

ثانيا : ان يتحرى فى دعائه الاوقات الشريفة ، والاحوال الشريفة ، ومن الاوقات الشريفة : **يوم عرفه ، وشهر رمضان ، وليلة النصف من شعبان ، ويوم الجمعة ، ووقت السحر** ، فقد اثنى الله سبحانه على عباده الصالحين بقوله : « **وبالاسحارهم يستغفرون** » وروى ابو هريرة ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « **ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير ، فيقول عز وجل : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فاغفر له** » وورد ان يعقوب — عليه السلام — حين قال لاولاده : « **سوف استغفرلكم ربى** » أنه لم يستغفر لهم فى الحال ، لانه كان ينتظر وقت السحر ، فلما جاء وقت السحر أخذ يدعو ، وأولاده من خلفه يؤمنون على دعائه ، حتى أوحى الله عز وجل اليه : **انى قد غفرت لهم جميعا وجعلتهم انبياء** .

ومن الاحوال الشريفه : الدعاء فى حالة الغربه ، وعند الزحف لملاقاة الاعداء فى سبيل الله ، وعند وقوف المسلم للصلاة فى اللحظة ما بين الاذان والاقامه ، لما روى أنس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « **الدعاء بين الاذان والاقامه لا يرد** » ، وفى حالة صيام الداعى ، لقول سيد المرسلين — صلوات الله وسلامه عليه — : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها ابواب السماء** ، ويقول الرب جل علاه : **وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين** » وفى حالة السجود للملك المعبود لماروى أبو هريرة — رضى الله تعالى عنه — عن رسول رب العالمين أنه قال : « **أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا فيه من الدعاء** » .

ثالثا : ان يقدم للدعاء بذكر الله عز وجل ، او بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، ثم يعقب هذا الذكر أو هذه الصلاة بالسؤال ، فقد قال سلمة بن الاكوع : « ما سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يستفتح الدعاء الا استفتحه بقول : « **سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب** » وروى أبو طالب المكى عن أبى الدرداء عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه

قال : « اذا سألتم الله عز وجل حاجة ، فابدئوا بالصلاة على ، فان الله تعالى أكرم من ان يسال حاجتين فيقضى احداهما ويرد الاخرى » بل ومن الافضل — ايضا — ان يختم الدعاء بالصلاة والسلام على رسول الله ، فقد قال ابو سليمان الدارانى — رحمه الله — : من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على رسول الله ، فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما .

رابعا : ان يؤدى الدعاء بصوت وسط بين المخافتة والمجاهرة ، لان فى المخافتة ضياع لمظهر العبودية التى يظهر بها الداعى بين يدى المعبود ، وفى المجاهرة تفريط فيما وصف الله به نفسه من انه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه ، وفى كلتا الحالتين خروج عن التذلل والتضرع المطلوبين فى الدعاء مصداقا لقول الحق سبحانه : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** » ، وعلى هذا جاء تفسير أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — لقول الله عز وجل : « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** » ان المقصود بالصلاة : الدعاء، وقال ابو موسى الاشعرى — رضى الله عنه — : قدمنا مع رسول الله ، فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ، ورفعوا اصواتهم ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « **يا أيها الناس . ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب ، ان الذى تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم** » .

خامسا : — ان يكون المسلم عند دعائه ربه جازما لهذا الدعاء، واثقا من تحقيق الرجاء ، موقنا بالاجابة ، حاضر الذهن والقلب ، فلا يعلق الاجابة على المشيئة ، ولا يغفل قلبه حين يدعو ربه ، فقد روى ابو هريرة — رضى الله عنه — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قوله : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، وأعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل** » .

وقوله : لا يقل احدكم اذا دعا : اللهم اغفرلى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له » .

وقوله : « **اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة : فان الله لا يتعاظمه شىء** » وقال سفيان بن عيينة — رحمه الله — : « لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس — لعنه الله — اذ قال : « **رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين** » .

سادسا : — الالحاح فى الدعاء ، وتكراره ، وعدم استبطاء الاجابة ، لان الله سبحانه اذا كان يحب من يدعوه ، ويرضى عنه ، فحبه ورضاه اعظم اذا كان الداعى ملحا فى دعائه ، قال ابن مسعود — رضى الله عنه — : « **كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا ، واذا سأل سأل ثلاثا** » ، وروى البيهقى عن أبى هريرة ان رسول الله — صلوات الله وتسلامه عليه — قال : « اذا سأل احدكم ربه مسألة ، فتعرف الاجابة ، فليقل : « **الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات** ، ومن ابطأ عنه شىء من ذلك فليقل : « **الحمد لله على كل حال** » كما روى ابو هريرة — ايضا — قول رسول الله : « **يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول : قد دعوت فلم يستجب لى ، فاذا دعوت ، فاسأل الله كثيرا ، فانك تدعو كريما** » .

سابعا : — ان يكون السائل فى حالة خشوع وخضوع ، وتضرع ومسكنة ، ورغبة ورهبة ، فهذه انسب صورة لمظهر الدعاء ، لان الله سبحانه حينما اثنى على عباده الصالحين وصفهم بقوله : « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا** » ، ويقول سيد المرسلين — صلى الله عليه وسلم — : « **اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه** » .

ثامنا : — عدم تكلف السجع فى الفاظ الدعاء ، لان ذلك لا يتناسب مع ما تستدعيه حال الداعى من تضرع وخشوع ومذلة ، ولذلك قال بعض الصالحين : « ادع الله بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق » ، وقيل فى تفسير « المعتدين » فى قول رب العزة جل شأنه : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين** » الاعتداء هنا : التكلف للاسجاع ، وقد حذرنا سيد البشرية — صلى الله عليه وسلم — من السجع فى الدعاء بقوله : « اياكم والسجع فى الدعاء ، حسب احدكم ان يقول : « **اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ، واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل** » .

تاسعا : — سلامة قلب الداعى من الاحقاد ، وان يطهر نفسه ظاهرا وباطنا بالتوبة الى الله ، ورد المظالم الى اصحابها ، والبعد عن الحرام من الطعام او الشراب ، وبذلك يكون الانسان قريبا من ربه ، فيكون مستجاب الدعوة .

روى ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عم النبى — صلى الله عليه وسلم — فدعا عمر ، ثم دعا العباس فقال : « **اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك — صلى الله عليه وسلم — وهذه ايدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وانت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير ، وارتفعت الاصوات بالشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » ، قال عمر : فما أتم العباس كلامه حتى نزل الغيث .

وورد من ضمن وصايا سيدنا رسول الله — عليه صلوات الله وسلامه — لاحد الصحابة الاجلاء : « **وأطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** » وما اروع واشمل اجابة ابراهيم بن ادهم — رحمه الله — حين سئل : مابالنا ندعو فلا يستجاب لنا ، وقد قال الله تعالى: « **ادعونى استجب لكم** » فقال : لان قلوبكم ميتة ، قيل : ماالذى أماتها ، قال : عشر خصال : — عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم : نحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتركتم سنته ، وقلتم : نخشى الموت ، ولم تستعدوا له ، وقال الله تعالى : « **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** » فواطأتموه على المعاصى ، وقلتم : نخاف النار وأرهقتم ابدانكم فيها ، وقلتم : نحب الجنة ، ولم تعملوا لها ، وأكلتم نعمة الله ، ولم تؤدوا شكره ، ودفنتم موتاكم ، ولم تعتبروا بهم ، واذا قمتم من فرشكم رميتم عيونكم وراء ظهوركم ، وافترشتم عيوب الناس امامكم ، فاسخطتم ربكم ، فكيف يستجيب لكم ؟

وبعد : فهذه آداب الدعاء ، وتلك شروطه ، فعلى الداعى ان يلتزم بهذه الاداب ، وان يتقيد بهذه الشروط ، فى المثول بين يدى ربه ، والخضوع امام خالقه ، يرجو رحمته ، ويخشى عذابه ، ويبتغى عفوه ، ويسأله من فضله ، حتى يحظى بنفحات القبول، ويرضى عنه اكرم مسئول ، ويعطيه من فضله الذى يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الإسلام والحضارة العالمية

عالمية الإسلام

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى

يقول الله تعالى : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) - (ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ، ومارسلناك الا رحمة للعالمين] .

اذا كانت الديانات السابقة على الاسلام قد جاءت لامم مخصوصة ولاقوام باعيانهم ، فقد جاء الاسلام وكتابه القرآن الذى هو الكتاب الام لكل الكتب - جاء الاسلام وكتاب الاسلام (القرآن الكريم) لسائر الامم فى جميع العصور منذ آدم وابنائه من الرسل بتعاليم أنزلها الله اليهم لسائر اممهم منذ بدا الله الخليقة حتى يرث الارض ومن عليها ، وقد جاءت تلك التعاليم متدرجة مترقية حتى اذا بلغ العقل الانسانى رشده انزلها الله بها مجتمعة جامعة شاملة على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه الفرقان .

فقد جاء محمد نبى الله . ورسوله كما بين الله سبحانه فى كتابه مبشرا ونذيرا للناس كافة ورحمة لسائر العالمين على اختلاف اممهم والوانهم وانواعهم .

فكان هو الدين البسيط الاحكام العظيم المبانى والمرامى والغايات البسيط فى تعاليمه لانه دين الفطرة عرفه الله سبحانه وتعالى فى كتابه بقوله : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وتدور أصول الاسلام كلها وتعاليمه واحكامه على محورين اثنين أحدهما أساسى وهو التوحيد له المشمول بالتنزيه ، فهو الواحد الاحد الذى لايشبهه شىء او يماثله شىء أو يشاركه فى أحكامه وتدبيره مشارك (قل هو الله احد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد - (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) - (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) .

تلك هى الدعامة الاولى فى الاسلام وهى الركن الركين الذى جاء به الاسلام ليوحد المعتقد فى الله عز وجل .

واما المحور الثانى فهو العبادة الصحيحة الخاليةمن التوجه لغير الله والدينونة التامة لرب واحد وسيد فرد يتوجه العبد اليه فى الدعاء ويتبتل له فى العبادة .

وهذا يدل ضرورة على ان كل دين صحيح من الديانات السابقة جاء من عند الله تعالى انما جاء ممهدا لذلك الدين العالمى الكامل وهو الاسلام .

جاءت الاديان متطورة فى تعاليمها مرتقية مع ترقى العقول وتكاملها الى أن جاء الدين الشامل وهو الاسلام والرسول الكامل وهو محمد خاتم الانبياء والمرسلين . جاء الاسلام كتابا ممحصا متفقا مع العلم والعقل فى سائر اطوارهما الزمنية والتقدمية ولم يجىء فيه شىء من التعاليم يأباه العقل أو يتعارض مع العلم .

نقول هذا ظنا انه قد يخال لبعض الذين لم يتعمقوا فى تاريخ الاديان وخصوصا علم الدين المقارن ان الاسلام جاء كواحد من الديانات السماوية فيعتبر فى عدادها كواحد منها .

وقد لا يدور في خلد هؤلاء أن الاسلام هو دين الله العام الذى كان ولايزال ملة جميع الانبياء والرسل والاتباع المخلصين للرسل والانبياء ولذا يخاطب الله المسلمين وغير المسلمين فى كتابه بقوله : (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

وهذا يدل على ما يؤيده الواقع وهو أن الكتب المنزلة قد ختمت بكتاب الله الكريم (القرآن) الذى جاء مصدقا لما بين يديه وما خلفه من كتاب منزل ونبى مرسل .

واذا كانت الديانات السابقة على الاسلام قد جاءت لامم بعينها وشعوب معروفة باسمائها فقد جاء الاسلام للامم كافة فكان هو المعيار القسط والصراط الحق لكل معتقد سليم ولكل عبادة له خالصة .

وأما علاقة الاسلام بالواقع الملحوظ فهى اندفاع سائر النفوس فطريا وبما غرس فى النشأة الاسلامية وراء تلمس العقيدة النقية المبرأة من الزيغ ومن الظنون والفروض والاساطير والاوهام اندفاعا غريزا يشعر به كل كائن ذى وعى وتفكير ولا سيما أن ذلك الشعور العميق والبحث عن عقيدة نقية هو من مميزات عصرنا الحاضر (القرن العشرين) فقد أصبحت هذه النزعة بعدما فشلت النظريات المادية المسفسطة فى اقناع الناس بان لاوجود الا للمادة المحسة ونكران ماوراء ذلك مما لايحس ولا يلمس .

وفى هذا العصر قد تفتت الكتلة المادية المحسة الى اشعاعات غير منظورة وكذلك أصبح لا ينطلى على الناس جمود النزعة الالحادية لما يشف الكون عنه لما وراءه من عوالم خفية واسرار ، وقد جد علماء العصر فى البحث عن تلك الحقائق

لرعاية مستقبل الشعوب والامم ، ذلك الامر الذى له بالاسلام
ارتباط وأيما ارتباط ولكنهم كانوا لا يعلمون ذلك ، فجد متنورو
العلماء واجتهدوا فى ايجاد دين للبشرية يتفق وقواعد العلم
واصول النظريات العلمية فوجدوه وقد سموه بالدين الطبيعى :
ولم يعلم منهم سوى القليل أن ما يسمونه بالدين الطبيعى هو
الاسلام نفسه ، وذلك لان الدين الذى استنبطوا قواعده وركنوا
أصوله يؤمن بوجود اله واحدوبدوام الحياة وباليوم الاخر
وهكذا .

ويسبب ذلك ان الانسان فى عصرنا بعد البحث والاخذ والرد
ودراسة أساليب العلم ومناهج الفلسفة لم يجد بدا ولا محيصا
من الرجوع بمعتقده الى أصل الفطرة لا سيما وأن العلوم
النفسية قد كشفت عما تنطوى عليه الفطرة من بصيرة والهام
وذوق فطرى ، تلك الحقائق التى يرجع اليها الانسان بتفكيره
عندما تدلهم أمام نظره وعقله مشاكل هذا الوجود وتتشابك ثم
تتعقد مسائله ووسائل حلها وهذا واحد من اعاظم كتاب
الانجليز ، ألا وهو برنارد شو : (اذا كان النقد التاريخى قد
هدم الاشكالات العارضة فى الديانات التى كـــانت تخفى
حقائقها ، فان هذا النقد لم يستطع أن يمحو تلك الغريزة الدينية
الثابتة (الفطرة) ، بل قد شهد باستمرارها وشيوعها فى كل
دور من أدوار التاريخ ، وأن كل دور من الادوار المتعاقبة على
الديانات يشهد بأن الانسان مفطور على الاعتقاد بالله شاء او
ابى وان لديه بواعث ذاتية تجعله محبا للخلود وفى كل زمان
وكل مكان قد شوهد احتياج الانسان الى الدعاء والصــلاة
والتضحية .

وتلك هى الشرارة النفسية المشرقة التى استخلصها الانسان
من تاريخ المقارنة بين الاديان وواقع الحياة فمن المستحيل
على الانسان أن يطفئها ولكنه سينقلها الى العصور المستقبلة .

ولطالما اجتهد أهل الغرب من دينيين وعلمانيين وسياسيين
ومصلحين اجتماعيين وجدوا حتى عمدوا الى الوسائل التى
تهديهم الى الرجوع بالطبيعة الانسانية فى فطرتها الاولى ،
وبعبارة أخرى الى دينها الفطرى القويم .

وهذا ليس بعجيب .. !! لما قدمنا من أنه منذ زمن بعيد قد
ألف بعض الفلاسفة والعلماء لانفسهم ماسموه « بالديانة
الطبيعية » قال الفيلسوف (كارو) عنها فى كتابه الابحاث
الاخلاقية فى العصر الحاضر « ان قواعد الديانة الطبيعية هى
الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها وهو متميز
عن سائر العوالم الكونية وعن النوع الانسانى ونستدل على
وجوده بوجود روح فى جسم الانسان خالدة بخلوده ! ويقول
أيضا أحد كبار علماء الطبيعة : « آه لو توصلت بعض القرائح
السامية بعد أن تمزق أغلفة التعصب الدينى والعلمى فى آن
واحد الى كشف النقاب عن حقيقة العلاقة الاكيدة الموجودة بين
الشعور الدينى وبين الفكر العلمى ولو تسنى لنا ذلك لا نحسم
الداء الذى كان يؤلم نفوسا كثيرة منذ قرون » .

هذا ونحن لو تتبعنا فضل الاسلام والمسلمين على أهل الشرق
أهل الغرب ولو تتبعنا أقوال العلماء فى ذلك لطال بنا القول .
وغاية مانريد ان نقول : ان الاسلام وهو دين الله العام والملة
السمحاء التى تؤاخى بين سائر ابناء الانسانية وتقيم لهم صروح
حياة اجتماعية واشتراكية فاضلة يؤثلها الاخاء والحب ،
والوحدة والتوحيد .. حياة تبغض لهم التنازع والحرب .

ومن المعلوم لاصل الشرق والغرب أن تلك الملة السمحاء
والدين القيم قد أنزله الله وحيا على قلب محمد صلى الله عليه
وسلم فى القرن السابع الميلادى ومازال يتقدم بالناس الى
الرقى والنظرة السليمة للحياة حتى القرن العشرين .

ويعبر الشاعر جوته الالمانى عن مزايا الاسلام لما اطلع على
مضمونه بقوله : (ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعا
عائشين فيه) .

قال ذلك شعورا منه بأن الاسلام هو الدين الفطرى القويم
الذى يخاطب القلوب مباشرة ويناسب العقول القوية المستبصرة
ويتفق والحق فى كل طريق ويتلاقى والفطرة السليمة والالباب
الراجحة فى كل سبيل .

فان تقـــرر هذا وهو الحـق الصراح فقــــد ظهـــر
بأجلى الادلـة ان الاســلام الذى عنوانه وشعاره [لا اله الا
الله محمد رسول الله) وجانباه وهما : التوحيد والتنزيه
بأخص معانيهما وعبادة الله عبادة خالصة عن الاساطير
والاوهام فنقاء هذا الدين وخلوصه يدلان على أنه هو الدين
الحق الذى سيئوب اليه سائر البشر المفرطون فى المعتقد الباطل
والمفرطون فى المعتقد الحق أيضا وأنهم سيتلاقون من انفسهم مع
ذلك الحـق الذى قد يتعصبون به عليه الان تحزبا لاهوائهم أو
معتقداتهم التى تمنع الالفة بين العقل والطبع ، وسوف يعلمون
ان هذا الدين السهل السمح هو الدين الذى يتفق مع طبيعة
الحياة والفكر ولابد للاحياء من دين يتفق عليه الجميــع
ويكون ذلك الدين وسطا بين التفريط والافراط وكذلك يكون كتابه
محفوظا من التحريف والتخليط ولا شك أن ذلك هو الاسلام
الذى يبحث عنه بوصفه وخصائصه وان لم يكن باسمه وشعائره
كبار علماء اوروبا المتفوقين والذين يعرفون شيئا عن فضـل
الاسلام والمسلمين على الشعوب والامم وعلى العلم والعلماء
لا سيما فيما يختص بالتمدين والحضارة واتساع نطاق المعرفة
مما يرد ذكره على ألسنة مؤرخيهم أنفسهم وهذا مصداقالقول
الله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق) .

وانظر يارعاك الله الى ما يقول العلامة كميل فلامريون
واصفا الحالة التى عليها أخلاق الغالبية من الاوربيين الحالة
التى لا علاج لها الا بالاسلام وبأخلاق الاسلام وقد ذكرنا أن
المصلحين منهم كونوا لهم دينا اسمه الدين الطبيعى وما هو الا
نسخة مصغرة من الاسلام ولكن أكثرهم لا يعلمون فاسمع لما
يقوله العلامة كميل فلامريون (لا يجوز لنا أن نخجل مع تقدمنا
العلمى من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط الخلقى
والعقيدة ذلك الانحطاط الذى رضينا به مرغمين حتى أصبحت
عقولنا متشبعة بالاثرة والانانية فلا هم لها سوى أغراضها
الذاتية - أو ليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع
الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ثم الحصــول على المجـد ولو
بطريق الاغتيال وقد تحجرت الضمائر حتى اكتســبت الجمــود
وعدم الاهتمام بالاخلاق والواجبات وان من التناقض البين المؤلم
أن نرى مع الرقى الباهر الذى حصلنا عليه فى العلوم والذى لا
مثيل له فى التاريخ وكل هذه الفتوحات المتوالية التى تمت
للانسان فى الطبيعة كل ذلك التقدم بينما رفع عقولنا الى
المدركات العالية فقد هبط بانسانيتنا الى أحط الدركات المادية
ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم
تنطفىء - حرارة قلوبنا وتتصوح زهرة حياتنا الادبية والقلبية
بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية على مجتمعنا
الحاضر .

ولا رجاء لنا ازاء ذلك الا فى أن يبعث الله من سماواته
رسالة قوية تهدى نفوسنا الى سبيل الحق] .

هذا ولم يعلم فلامريون أن تلك الرسالة قد جاءت الى
الانسانية منذ ثلاثة عشر قرنا وهى رسالة الاسلام وعلى لسان
محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

الإسرائيليات في التفسير والحديث

الأستاذ محمد دياب

هذه قضية علمية هامة مازالت تشغل المفكرين الدينيين وجماهير المسلمين بصفة عامة .

القضية هى دخول الاسرائيليات فى تفسير القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ·· والإسئلة التى تعكس الاهتمام بتلك القضية لا تخرج عن واحد من التساؤلات الثلاثة التالية

- **كيف عمد اليهود الى ادخال خرافاتهم فى كتب التفسير والحديث ·· وما هو هدفهم من وراء ذلك ؟**
- **ماهو موقف الفكر الاسلامى من الاسرائيليات فى ضوء علوم التفسير ومصادره الاساسية ؟**
- **ثم ماهو الاسلوب العلمى لتحرير كتب التفسير من هذه الاباطيل والخرافات ؟·**

وبين يدى وأنا أكتب هذه السطور ·· **كتاب بعنوان « الاسرائيليات فى التفسير والحديث »** يحوى دراسة منهجية ممتازة تتصدى لهذه القضية التى طالما شغلت الاذهان ... وارى من المفيد جدا أن نديرفى فقرات هذا المثال شبه ندوة حول هذه الدراسة التى قام بهاواحد من علماء الاسلام الدارسين هو الاستاذ محمود يونس ·· ندوة أحاول فيها قدر جهدى ان تكون حوارا ايجابيا مع بعض ما يخطر على الفكر من تساؤلات حول مشكلة الاسرائيليات فى التفسير والحديث ·

وفى البداية هناك ملاحظة هامة ··

اننا حتى نستوعب قضية الاسرائيليات بصورة موضوعية ·· لابد أولا أن نعرف عددا من الحقائق العلمية عن طرق التفسير وأصوله ومصادره ·· لان معرفة هذه الحقائق فى حد ذاتها تكشف لنا بسهولة كل الاكاذيب التى حاول علماء بنى اسرائيل أن يلصقوها بتفسير القرآن والحديث ·

ونقلب الصفحات ·· فماذا نجد من هذه الحقائق ؟

ها نحن فى رحاب كوكبة ·· من العلماء والمفكرين يكشفون لنا فى نور العلم عن مصادر التفسير ·· ابتداء بالطبرى وابن كثير والقاسمى وانتهاء بالدكتور احمد أمين ·

تفسير الطبرى مثلا يحدد لنا وجوه تفسير القرآن فى ثلاثة أوجه :

أولا : ما لا يمكن الوصول الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ·

ثانيا : ما لا يعلم تأويله الا الله سبحانه وتعالى ·· مثل وقت قيام الساعة ·· والنفخ فى الصور ·· ونزول عيسى ابن مريم ·· وغير ذلك .

ثالثا : ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن

وابن كثير يقول فى تفسيره : ان أصح طريق فى التفسير ·· هو أن يفسر القرآن بالقرآن ·· فما أجمل فى مكان فانه قدبسط فى موضع آخر ·· فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له ·· فاذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا الى أقوال الصحابة ·· فاذا لم نجده فى أقوالهم رجعنا الى أقوال التابعين ·

والقاسمى فى تفسيره :ا يرى أن أمهات مآخذ التفسير أربعة ·· هى النقل الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم · والاخذ بقول الصحابى ·· والاخذ

بمطلق اللغة ٠٠ والتفسير بالمقتضى من معنى الكلام وقوة الشرع ٠

اما الدكتور احمد أمين ٠٠ فانه يذكر من مصادر التفسير فى كتابه « فجر الاسلام » و «ظهر الاسلام» مصدر التفسير بالمأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام ٠٠ ومصدر الاجتهاد لاهل الاجتهاد وعلى رأسهم عبد الله بن عباس ٠٠ والتفسير العقلى الذى ظهرت حركته فى العصور الاولى وتوالت على يد المعتزلة وبلغت ذروتها على يد الزمخشرى ٠

من هذا العرض السريع لاقوال هؤلاء الائمة والعلماء فى مصادر التفسير .. نجد أن هذه المصادر سبعة هى، تفسير القرآن بالقرآن ٠٠ والتفسير بالاحاديث الصحيحة ٠٠ والتفسير بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين اذا أجمعوا على شىء ٠٠ والتفسير بعموم لغة العرب لاهل علم اللغة والتفسير بالاجتهاد لاهل الاجتهاد ٠: والتفسير العقلى ٠٠ على أن هناك أيضا تفسيرا صوفيا للصوفية ٠

بعد ذلك نقف مباشرة أمام قضية الاسرائيليات فى التفسير والحديث ٠٠

وهناك أسباب علمية قدمها الكتاب كأساس لرفض هذه الاسرائيليات وتنزيه القرآن والحديث عنها ٠

أول هذه الاسباب ٠٠ أن الاسرائيليات ليست من مصادر التفسير المعتبرة عند العلماء والائمة ٠٠ ثم ان جعل هذه الاسرائيليات تفسيرا لايات القرآن وأحاديث النبى الصحيحة معناه تصديق لاهل الكتاب ٠٠ مع أن النبى صلى الله عليه وسلم يحثنا على عدم تصديقهم فى قوله : « لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم . »

كذلك فان دخول الاسرائيليات فى التفسير معناه اثبات لاخبار الغيب بغير ما يجب اثباتها به من القرآن والحديث ٠٠ ودخول هذه الاسرائيليات معناه أيضا تفسير القرآن والحديث بالاقوال الكاذبة والخرافات الباطلة ٠٠ ومعناه تلبيس للحق بالباطل ٠٠ **والله تعالى يقول : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون »** ٠

لهذه الاسباب نجد ان الامام القاسمى يقول فى تفسيره المعروف : ان كتب الكتابيين كأقوالهم لا يعتمد عليها كلها لظهور الكذب والتناقض فيها الى اليوم ولظهور تلفيقها ٠٠ فهى مثل كتب القصص عندنا ٠٠ فيها شىء من القرآن والسنة ممزوج بالاكاذيب والاراء المقتبسة من الامم ٠٠ ثم ان موافقة القرآن الكريم أو الحديث الصحيح لبعض ما فى كتبهم دون بعض ٠٠ يدل على أن الله تعالى بين حق كلامه من باطله وصدقه من كذبه ٠٠ وهذا معنى قوله تعالى : « **ومهيمنا عليه** » ٠

ويقول الامام الشيخ محمد عبده فى تفسير المنار : انه يجب الاحتراس فى قصص بنى اسرائيل وغيرهم من الانبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين ٠٠ فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم اليوم يقولون معنا انه لا يوثق بشىء من تاريخ تلك الازمنة التى يسمونها أزمنة الظلمات الا بعد التحرى والبحث واستخراج الاثار ٠٠ فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التى لا يوثق بها لحسن قصدهم ٠٠ ولكننا لا نعول على ذلك بل ننهى عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعداها وانما نوضحها بما يوافقها اذا صحت روايته ٠

ونمضى مع الصفحات أيضا .. لتطالعنا أمثلة تطبيقية لبعض الاسرائيليات ٠٠

واحد من أمثلة الاسرائيليات فى تفسير القرآن ٠

يقول الله تعالى فى معرض تشجيع المؤمنين على القتال « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، ان الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ٠

والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت ٠٠ هم قوم من بنى اسرائيل وقع الطاعون فيهم ففروا ٠

ولكن الاسرائيليات تقول فى تفسير هذه الاية الكريمة ان بنى اسرائيل بعد ان ماتوا أحياهم الله بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل ٠٠ فعاشوا دهرا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن ٠

وما جاء فى القرآن الكريم نفسه يؤكد كذب ذلك ٠٠ فاحياء الموتى قد ذكره القرآن لعيسى بن مريم فقط ولم يذكره لحزقيل .. بل ان كتب العهد القديم نفسها — كتبهم — لم تذكر احياء الموتى فى نبوة حزقيل ٠

وقول التفسير الاسرائيلى « انهم عاشوا دهرا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن » ٠٠ يعتبر ٠٠ من أخبار الغيب غير المعقولة وغير الثابتة بالقرآن ولا بالحديث ٠٠ ومثل هذا التفسير يؤدى الى الطعن فى القرآن ٠

مثال آخر من الاسرائيليات فى الحديث ٠٠ هو ما اخرجه الجلال السيوطى من « أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة » !

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على ذلك الحديث المكذوب قائلا : أن الذين حاولوا تحديد عمر الدنيا ومعرفة موعد قيام الساعة ارضاء لشهوة الاتيان بما يهم جميع الناس ٠٠ لم يشعروا بأنهم يحاولون تكذيب آيات القرآن الكثيرة الناطقة بأن الساعة من علم الغيب الذى استأثر الله تعالى به ٠٠ وأنها تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ٠

ويشير الشيخ رشيد رضا الى مناهج علماء الكون فى عمر الارض وتاريخ البشر ٠٠ والى أمم الحضارة الاولى من الهنود والصينيين وغيرهم .. وكيف أثبتت هذه المناهج وتلك الحضارات أن عمر الدنيا الماضى يعد بألوف الالوف من السنين ٠٠ وهذا ينقض ما فى سفر التكوين ولكنه لا ينقض أحاديث الرسول الصحيحة التى لا شبهة فيها للدسائس الاسرائيلية ولا للمكائد الفارسية المجوسية ولا ينقض حرفا واحدا من القرآن ٠

وصدق الله تعالى اذ يقول فى محكم آياته : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ! .

العيد

حديث العيد

دكتور علي حسن عبد القادر

تمر الايام وتنسلخ الليالى وهى متجانسة متشابهة متكررة ، لا يبعثها من ركودها او يجدد من قديمها الا هذه الايام التى يصطلح الناس عليها ، ليقفوا الفينة بعد الفينة مستروحين ، ثم ليبدأوا من جديد فى عجلة الزمن التى تدور ثم تدور الى نهايتها المحدودة .
وهكذا يجرى الزمن وفى هذه الأعياد نقف فى مراحله كما يقف السائر فى الطريق فى مراحله ، لنستجم ونستروح من متاعب الطريق ونتأمل من ورائنا ومن أمامنا ونتذكر ونجدد بهذه الذكريات والتأملات عزائمنا حتى لا تبلى قوانا او تضعف نفوسنا او تبلى عزائمنا ، فان المنبت فى الارض لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى .

وفى هذا العيد نقف خاشعين لنذكر فراق عزيز علينا ، على الامة العربية والامة الاسلامية ، فراق بطل الامة وقائدها ومعلمها ومحررها المغفور له جمال عبد الناصر . ونحن فى هذا الوقوف الخاشع لا نجزع بهذه الكارثة أو تزوغ ابصارنا ، ولكنا نعتصم بالصبر ونجدد العهد على المضى فى الطريق الذى رسمه ، وعلى المبادىء التى ارسى دعائمها ، وان فى خليفته الامين الرئيس انور السادات الامل الكبير الذى تضعه الامة فى ايمانه واخلاصه وروحه الصافية للسير بالركب فى طريق النصر ان شاء الله .

ان شهر رمضان حقا كان نفحة قدسية للمؤمنين ورحمة لهم وبركة عليهم ، استجموا من طغيان المادة وحب الدنيا ، وصفت قلوبهم من الاباطيل والاثم ، فكانوا فى ختام هذا الشهر ابرارا اطهارا مغفورا لهم ، جاء فى الحديث « اذا كان ليلة الفطر نادى الله يا معشر الملائكة ما جزاء الاجير اذا اوفى عمله ، فتقول الملائكة : يوفى أجره ، فيقول الله اشهدكم انى قد غفرت لهم » .

فلا غرو ان يكون اليوم الذى يفطر فيه الناس يوم عيد وشكر بأداء هذا الواجب وانجاز هذا العمل وأخذ الاجر عليه كاملا ، ومن أجل هذا سمى هذا اليوم « بيوم الجوائز » . جاء فى الحديث : « اذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة فى أفواه الطرق ، فنادوا يا معشر المسلمين أغدوا على رب كريم رحيم ، يمن بالخير ويثيب عليه الجزيل، لقد امرتم بصيام النهار فصمتم ، وامرتم بقيام الليل فقمتم ، واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم » . وسمى هذا اليوم فى السماء « بيوم الجوائز » .

ونكمل فضائل هذا الشهر بأداء زكاة الفطر التى هى طهرة للصائم وطعمة للمساكين ، فرضها الله على الصائم ومن يعوله غنيا كان أوفقيرا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اما غنيكم فيزكيه الله ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما اعطى ، فهى ليست زكاة مالية مفروضة على نصاب خاص ، ولكنها صدقة من الصدقات التى تعود على المتصدق فى نفسه وبدنه والعافية من الاسقام والامراض والهموم ، وتدفع عنه الضرر والاذى كما يقول الرسول « تصدقوا وداووا

مرضاكم بالصدقة فان الصدقة تدفع عن الاعراض والامراض ، وهى زيادة فى اعماركم وحسناتكم » وقال عليه السلام ايضا

« تداركوا الهموم والغموم بالصدقات ، يكشف الله تعالى ضركم وينصركم على عدوكم » .

واذا كانت الاعياد اياما تجدد فيها من حياتنا، فان من شأن هذا ان يشيع فى اجواء هذه الاعياد الحب والصفاء والمودة ، فتتجدد الصلات بين النـاس وترفع عنهم حواجز التكلف وتخلع من نفوسهم عوامل الكبرياء والشحناء .

وفى هذه الايام المباركة تجتمع قلوب الناس على ذكر الله وتوحيده ، وهذه هى فكرة الاجتماع فى الاسلام « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون» وتلك الفكرة الثابتة التى تقوم عليهارسالة الاسلام لم تتغير ولم تتبدل ، ولم يختلف فيها احد فكرة التوحيد ، توحيد الله واخلاص الدين لـه ، وتوحيد الدين والمجتمع ، ولا يعرف التاريخ نداء ابلغ واروع من هذا النداءالالهى نداء الـوحدة والتوحيد بكلما يحمل من معان ، وشعورالامة بالتماسك الذى يصدر الناس فيه عن قلب واحد وفى سبيل هدف واحد تتجلى فيه روح الوحدة الاجتماعية لتتحقق القوة الذاتية لمجتمعنا التى تحميه من الاطماع التى تتربص به والافات والبوائق التى تصيب الجماعات المتفرقة ، فليس هناك شىء يدخل الخوف والجزع فى القلوب مثل التفكك والتفرق ، وليس هناك شىء يمكن الثقة والامن مثل الاعتصام بحبل الله وحبل الاخوة .

ان الامم الحية تذكر دائما وتستفيد من ذكرياتها وتمجد من رجالها الذين يقودونها الى العزة والنصر، فاذا كنا نذكر ابطالنا وشهداءنا فلنذكر دائما هـذه المبادىء والمثل التى قاموا من اجلها ، فنعرف الطريق الذى يؤدى الى النصر ، ونعرف لهؤلاء الذين قادونا الى النصر فضلهم وجهادهم ، ولنذكر دائما هذه الصفحات الرائعة فى الصبر والايمان والكفاح ، فان من هذه الذكرى ما يحيى فى نفوسنا روح القوة وروح العزة والايمان والذكرى تنفع المؤمنين .

فى هذه الايام المباركة وفى هذه الاجواء الزكية بالعبادة والدعاء ، ما احرى بنا أن نقف ونجدد العهد ونغتنم الدعاء عندما تصفو النفوس وتطهر القلوب وترق الحواس ،ثم نبدأ دورة جديدة من عجلة الزمن فى عزم جديد وروح جديدة وبعث جديد ان شاء الله . اللهم انا نسألك فى هذا العيد المبارك من عندك رحمة تهدى بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتلم بها شعثنا وترد بها الفتنا وتزكى بها أعمالنا وتلهمنا بها الرشد وتعصمنا بها من كل سوء انك أرحم الراحمين ..

النابغة ينشد الشعر لدى النبى [صلى الله عليه وسلم]

وفد ابو ليلى :نابغة بنى جعدة على النبى (صلى الله عليه وسلم) فانشده شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وانا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم) : الى اين يا ابا ليلى ؟ قال : الى الجنة فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : ان شاء الله .

فلما انتهى الى قوله :

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

فقال له النبى [صلى الله عليه وسلم]: « لايفضض الله فاك. فعاش مائة وثلاثين عاما لم تنفض له سن ، وبقى حتى وفد على عبد الله بن الزبير فى ايامه بمكة وامتدحه ، فقال له : يا أبا ليلى ، ان أدنى وسائلك عندنا الشعر ولك فى مال الله حقان : حق برؤيتك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحق بشركتك أهل الاسلام فى، فيئهم ثم أحسن صلته وأجازه .

عيد الفطر

الدكتور مصطفى الرافعى

كان عيد الفطر اسبق العيدين عند المسلمين وذلك لان الصوم فرض قبل الحج الذى لم يفرض الا فى أواخر اعوام الهجرة وقرابة اكمال الدين . وكان الهدف من عيد الفطر الاحتفال بعودة مظاهر الناس وخوافي نفوسهم الىحياة الفطرة ونظام العادة من احلال الطعام والشراب وما تدعو اليه الحياة بعد أداء فريضة شاقة تدوم شهرا كاملا احتسابا لله وابتغاء لرضوانه .

وابتغاء الرضوان مطلب من مطالب النفوس الساعية ابدا وراء الاجر والمنفعة ولا عتب عليها ان هىطلبته ثم هى تطلبه من يد غنى كريم وقد وعدها به . اما الاحتساب فهو اعلى درجات من الابتغاء حيث يجعله الانسان حبا لله من غير طلب للجزاء او ترقب للثواب والعطاء وهى درجة الاولياء والسعداء .

وقد اهتم الاسلام بهذا العيد اهتماما روحيا وحسيا وبعث فى المسلمين رغبة في استقباله وجدا فى لقائه ففرض فيه اجتماعا وصلاة وخطبة وتهليلا وتكبيرا وقد قال عليه الصلاة والسلام «زينوا اعيادكم بالتكبير » والتكبير مع كونه تمجيدا لله وتعظيما لشأنه فى النفوس فهو جهر بالفرحة واعلان لمكنون النفس من الرضا بأداء الفرض واكماله ــ سواء فى ذلك من ابتغى الجزاء او أداه احتسابا - وهو كذلك تخويف للاعداء وانذار لهمبما عليه المسلمون منقوة وتماسك والتجاء الى الله والتماس لرضاه .

وفرض الاسلام فىعيد الفطر زكاة وبذلا وزيارات وودا ، وهذهالزكاة التىافترضها وتسمى « الفطرة » او زكاة الفطر هى ابعد فى الانسانية وامكن فيها من كل صدقة او زكاة فحيث لا تجب زكاة الاموال والزروع والتجارة الا بعد عام كامل يكتمل فيه نصابها وتدفع منها لاصحاب الفروض نسبة من هذه الاموال تجب زكاة الفطر على كل مسلم من غير ان يكتمل له نصاب من المال ، بل ويدفعها المسلم عن نفسه وعن كل الاشخاص الذين يتعلقون به من أصول وفروع ولواحق وهو مسئول عنهم . ثم ان نسبة ما يدفعه من هذه الزكاة محددة ، لا بنسبة ما يمتلكه من مال ولكن بنسبة ما يكفى آخذ هذه الزكاة ولسد حاجته ويدخله فى العيد مع كافة الناس . وهذا عمل انسانى ينفرد به الاسلام من بين كل الاديان ويكاد يتحقق فيه ما اراده الله سبحانه بقوله : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

ولم يحرم الاسلام اهله وهم يؤدون هذه الفروض ويقومون بهذه التكاليفمن ان يهىء لهم الفرحة بما ادوا والسرور بما اطاعوا ، وادخل عليهم فرحتين : فرحة فى داخل نفوسهم بما احتملت ابدانهم من صبر على الصوم وبما احتملت اموالهم منبذل فى الزكاة،

وفرحة فى خارجها باجتماع كل جماعة من أهل الملة على التلاقى والتزاور والبشر والابتهاج ٠

وقد حرص الاسلام على ان تكون اعياده فى حدود اللهو المباح واللذة التى لا تخرج بالمبتهج الى عيب او اقتراف محرم : وكانت هذه ميزة اعياده من اعياد الامم والجماعات كلها فلا اسفاف ولا خروج عن الاداب ولا استحلال للمحرمات ٠

والحق الذى لا شبهة فيه ان مجىء العيد فى أثر عبادة شاقة كعبادة الصوم الذى فرض الله فيه على الصائم ان يراقب نفسه ويراعى ربه ـ ان مجيئه بعد هذه العبادة يمنع الانسان من الخروج منها فجأة الى لهو عابث او مجون صارخ : لان النفس التى التزمت وقارا شهرا كاملا فى ليله ونهاره لا تستسيغ الخروج فجاة الى ضده ٠ ومن ثم كان طبع العيد الاسلامى طبعا وقورا تطمئن فيه النفوس فلا تنقلب وتهدأ الجموع فلا تضج ولا تنزعج ٠

غير ان الانتعاش الذى يصيب القلوب الكسيرة بما يدفع اليها من الزكاة قبيل العيد يدخلها فى الفرحة بالعيد ويتم مظهر التكامل والتقارب بين المسلمين حتى فى الطعام والشراب والتجمل بالثياب ومظاهر البشر والسرور ٠

وهذه المظاهر الفرحة كلها قريبة من الجد وقد ابقى عليها الاسلام حتى لا تنماع النفوس ولا تتفرق القوى ولا سيما اذا كان بلد من بلاد المسلمين مهددا بعدو وينتهز فيه الفرصة ويترقب منه الغفلة ، بل يبقى المسلمون فى عيدهم على الحذر ويقيم الجند على الثغور والسلاح ، فاذا حانت من العدو غدرة يبيتها كان المسلمون على أهبة للقائه والاستعداد لقتاله ٠

وقد حدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تهيأ ت قريش وحلفاؤها لحربه فى أثر عيد الفطر حتى تسير الى المسلمين وهم يرفلون بالراحة ويستمتعون بالهناء : وفعلت قريش ذلك مرتين : مرة فى أحد ومرة فى غزوة الخندق او الاحزاب ٠

وخاب ظن العدو مرتين اذ لقيهم المسلمون فى الغزوتين لقاء مريرا : وكانت الاولى فى اليوم السابع من شوال وكانت الثانية فى الشهر ذاته : وانقض الاعداء على المسلمين ظنا بأنهم قد وقعوا فى اللهو والغفلة ، فكان من يقظة المسلمين ان تحطمت قريش ومعها اليهود والمنافقون جميعا ٠ وكان ذلك بفضل ما علم الاسلام أهله من الحذر والجد والامتناع ، وعدم الافراط فى المباهج والمسرات ٠

وعيد الفطر الذى يقدم علينا هذا العام يقدم وجندنا على الثغور والسلاح ، فلا منفذ للعدو الينا وجندنا فى قوة وحذر وامتناع ، يقدم علينا وعلى الامة العربية والشعوب الإسلامية والعالم اجمعه وهى جميعها فى حزن وأسى لفقد رائد مسلم وقائد حكيم وداعيه للعدل والسلام ٠

ولكنها حين فقدت هذا الزعيم العظيم فقدته وهو فى اوج عظمته وأعلى قمته وليس اعلى فى درجات الحر من ان يقضى وهو على قمة مجده وفى أعظم مكان لقدره ، وقد خلف عبد الناصر بعده صوتا داعيا وجهادا قائما واثرا باقيا وترك من ورائه تعاليم واضحة يسهر عليها اصحاب مخلصون وتنتظم فيها أمة باسرها ٠ فأعظم به من راحل كريم وذاهب وكأنه مقيم « وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى » ٠

المتصوف دائما يتهم نفسه

الاكابر من المتصوفين مع توفر الاخلاص فيهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم فى دقيق الأمور وجليلها والتزام الوقوف ببابه (سبحانه وتعالى) ـ مع هذه المقامات العلية والأحوال السنية لايدعون لانفسهم حالا ولا مقالا بل كانوا يقولون : ما احسن ان نتوب ! حتى قال قائلهم : ـ

يظنون بى خيرا وما بى من خير
ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم
والبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبوننى ولست أنا الذى
احبوا ولكن شبهوننى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم
ولا تخزنى يارب فى موقف الحشر

وقد قال بعض السلف الصالح لولده لما أن رأى منه شيئا لا يعجبه : يا بنى اما تعرف قدرك ؟ فقال : وما قدرى ؟ فقال له : أمك اشتريتها باربعمائة درهم ، وأبوك لا اكثر الله مثله فى الاسلام

جلال الذكرى فى جلال العيد

فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »
« **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا • ليجزى الله الصادقين بصدقهم** »

هذا هو العيد الاول ـ يامعلم الكرامة ورائد التحرر والعزة ـ يحل بأمتك العربية بعد أن لبيت دعاء ربك العلى الاعلى وحللت فى ضيافته الكريمة مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا •

لقد وافى عيد الفطر أمتك (ياجمال) وهى تتلفت هنا وهناك فلا تراك ، فغربت البسمة عن الشفاه وأدبرت البهجة عن القلوب ، وأضحى العيد اسما بلا رسم ، ولفظا بغير معنى ، فقد كنت لها عيدا فى غير الاعياد ، وابتسامة فى وقت العبوس ، ورخاء فى زمن الشدة •

وعزاؤها فيك أنك حى فى الحواضر والبوادى ، بما تركته فيها من مبادىء راسيات ، وما خلفته من باقيات صالحات « **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » « **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما** » •

دعتك أمتك بعد النكسة لتولى زمامها بعد أن تركت لها الخيار ، ولم ترض بغير قيادتك لها بديلا ، ولم تبغ لسفينها سواك ربانا ، فقد عرفتك قائدا محنكا ، وربانا لسفينتها ماهرا ، وأدركت أن النكسة قدر وقضاء ، ومحنة وابتلاء ، فلما دعتك لبيت الدعاء ، وبادلتها وفاء بوفاء ، اذ وهبتها عقلك وأعصابك ، وارادتك وراحتك ، وجعلت عزتها شغلك الشاغل ، وعاهدت ربك وأمتك على أن تحقق لها نصرا عزيزا ، وتسترد لها ما سلبه الاعداء من أرضها ، فأعدت بناء جيشها المظفر وسلحته بأحدث الاسلحة وأكثرها فاعلية وتدميرا ، ومكنته من ضرب الاعداء بعنف حتى فقدوا صوابهم ، وتوجسوا من سوء مصيرهم ، وأدركوا أنا فوقهم قاهرون « **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** »

يرحمك الله ياجمال ، **فلقد كنت أسطورة بين عظماء الرجال** ، فبرزت فى الصراع العالمى بين جبابرة الامم أخلص داع للسلام ، وأبرع مجمع للقوى المحبة للسلام ، ونصرت الامم المهيضة الجناح ، ودافعت عن حقوقها فى المعترك الدولى أنظف وأبرع دفاع ، وعلمت الامم الافريقية المكبلة بالاستعمار ، **كيف تسعى لحريتها وتنفض عن كرامتها الغبار ،** وربطت بينها بمنظمة الوحدة الافريقية فنشطت من عقال ، وذاقت ثمرات الكفاح والنضال •

يرحمك الله ياجمال ـ لقد كانت أحاديثك ضد المستعمرين تقلق منهم الخواطر ، وكان صوتك المجلجل يقض منهم المضاجع ، وكنت المعلم والمساعد الاكبر لثورات التحرر فى أمتك العربية ، وكنت البلسم الشافى لجراحها ، والمعالج الحكيم لاخطائها ، وكانت خطبك الرنانة فى الملمات اكسيرا شافيا لالامها ، وحقنا مقوية لنفوسها ، وقوى دافعة لارادتها ، وكانت آراؤك السديدة حلولا حاسمة لما استعصى من خلافاتها ، وعلاجا حاسما لما نزف من دمائها •

يرحمك الله يا جمال ـ لقد خلصت أمتك من الملكية الظالمة ، وأنقذتها من الاحزاب الفاسدة ، ووحدتها من بعد فرقة ، وقويتها من بعد ضعف ، ورفعت رأسها من بعد هوان ، وأخرجت المستعمرين مقهورين من أرضها وأعدت بناءها ، فشيدت آلاف المصانع • ترتفع مداخنها ، ويعلو الضجيج من آلاتها ، وتستوعب مئات الالوف من الرجال ، وتدر على الامة مئات الملايين من الجنيهات ، ونثرت تلك المصانع فى شتى المحافظات ، لتجلب على أهلها الارزاق حتى يتساوى الجميع فى فضل الله •

وشيدت الجامعات والكليات وآلاف المدارس هنا وهناك ، ونهضت بالعلم والعلماء ، وصمدت لعدو مشاكس أقامه الاستعمار لقهر العرب وتفريقهم ، وبددت أحلامه فى الاستسلام الذليل ، ومكنت لحق أمتك وكرامتها فى المجتمع الدولى ، وكسبت لها الانصار والاصدقاء ، حتى اذا ختمت سجل أعمالك العظيمة بحقن دماء العرب فى الاردن ، وحبست نزيف الدم بين اخواننا العرب هناك ، اختارك الله الى جواره راضيا مرضيا ، ، ألا وانا نحتسب على الله بما قدمت من بذل وفداء ، أن يصدق فيك قوله ـ عز من قائل ـ « **من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه • ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم** » فأنت من المؤمنين الذين عاهدوا ربهم وأمتهم على تحقيق العزة والكرامة والخير لها ، وقد قضيت نحبك مجاهدا فى سبيل الوفاء بما عاهدت عليه ، بعد جهد جهيد متواصل لم تعرف فيه للراحة طعما ، ولم تقم فيه لصحتك وحياتك وزنا ، كما نحتسب عليه سبحانه أن

يجزيك بصدقك فى العهد جزاء الصادقين بصدقهم ».

فيمن نزلت هذه الاية

نزل قوله تعالى « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** » الايتين فى جماعة من الصحابة نذروا أنهم ان لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ، وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ، وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين .

ويروى الامام البخارى فى وفاء بطل من هؤلاء الابطال (أنس بن النضر) حديثا عن أنس بن مالك فيقول « غاب عمى أنس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر فقال : يارسول الله . غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ [منهزما] فقال ياسعد بن معاذ الجنة ، ورب النضر انى أجدها من دون أحد ، قال سعد ، فما استطعت يارسول ما صنع ، قال أنس . فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد الا أخته ببنانه ، قال أنس . كنا نرى أو نظن أن هذه الاية نزلت فيه وفى أشباهه « **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** » الى آخر الاية وقال . ان أخته وهى تسمى الربيع كسرت ثنية امرأة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس يارسول الله . والذى بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها ، فرضوا بالارش [العوض] وتركوا القصاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره » والمراد ممن ينتظر من لم يستشهد فى هذه الغزوة وهو ينتظر الشهادة وقد استشهد بعدها كعثمان وطلحة .

وهاتان الآيتان وان نزلتا فى هؤلاء الكرام فهى قاعدة عامة يدخل تحتها كل من عاهد الله تعالى فى أى عصر من العصور على الجهاد فى سبيل الله باخلاص وصدق ، فقضى نحبه (أى توفى) وهو يجاهد ، فانه يستحق هذا الجزاء الذى تضمنه قوله تعالى « **ليجزى الله الصادقين بصدقهم** » فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

الشعب بعد جمال

ظهر شعب الجمهورية العربية المتحدة على سجيته من الوفاء للعاملين ، بما أبداه حيال صدمه الوفاة من الاسى العميق ، ومن الترابط والوحدة ، وبدت الامة العربية تجاه أمتنا فى ثوبها الحقيقى من الحب والولاء لجمال باعث نهضتنا ومجمع كلمتها ، ومن التعاطف معنا فى محنتنا وشد أزرنا ، والرغبة القوية فى وحدتنا وتماسكنا ، ليظل علم القيادة للامة العربية مرفوعا فوق روابينا ، بما مكن الله لشعبنا من كفاية فى جميع المجالات ، ووفرة فى العدد والعدة ، وسابقية فى الثورة . وحينما اخترنا لرياستنا (أنور السادات) أخا جمال فى النضال ، ونائبه عند الرحلة ، اطمأنت وفرحت وباركت ، لما يتمتع به من الكفاية والاخلاص والتقوى ، ولانه يسير على منهج جمال ويمضى على طريقه وفى مسيرته ، وأدركت أن أمر الامة العربية يتجه الى رشاد وتوفيق ، وأنها بحمد الله كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

الاتحاد قوة

لا يشك عاقل فى أن مصير العرب مبنى على اتحادهم ، فان هم ظلوا على ترابطهم وكانوا على قلب رجل واحد فلن يصيبهم ضيم ، أما ان تنازعوا (لا قدر الله) واصطنع زعماؤهم خلافات شخصية لا تمت الى المصلحة العامة بصلة ، فانهم سيفقدون قوتهم ، وينفذ اليهم عدوهم .

ولا يفسد أحوال الامم سوى الهوى والنزعات النفسية ، ورحم الله الامام عليا اذ قال [أخاف عليكم اثنين . اتباع الهوى وطول الامل ، فان اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الامل ينسى الاخرة] وجاء فى منثور الحكم : من أطاع هواه أعطى عدوه مناه ، وقال الشاعر .

اذ ما رأيت المرء يقتاده الهوى
فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الاعداء جهلا بنفسه
وقد وجدت فيه مقالا عواذله
وما يردع النفس اللجوج عن الهوى
من الناس الا حازم الراى كامله

فعلينا أن نحكم العقل فى أمورنا ونعتصم بالله ، وندع الرغبات الشخصية ، ونجعل المصلحة العامة رائدنا ، ونترك النزاع فى أمورنا فانه سبب الفشل والضعف قال تعالى « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » وليكن بعضنا لبعض ظهيرا ونصيرا فى سبيل المصلحة العامة قال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وعلى شعب الجمهورية العربية المتحدة ان يضرب المثل فى ذلك ليكون قدوة لغيره ، فليكن أمرنا مجتمعا بزعامة رئيسنا وصديق جمال (أنور السادات) لنشد أزره ونعلى كلمته ، فلا أمة بدون زعامة مؤيده ، ولا زعامة بدون أمة رشيدة مجتمعة ، ولنذكر قوله صلى الله عليه وسلم « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات . مات ميتة جاهلية » الى أن قال « ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفى بذى عهدها فليس منى » رواه مسلم فى صحيحه ، وعلينا أن نتحمل التبعات التى حملها لنا رئيسنا الراحل نحو أمتنا العربية ، بأن نجمع شملها ونرأب صدعها ، وندعم وحدتها ، وننسى خطأ من يخطىء منها ، ولنذكر قوله تعالى « **ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة** » والله تعالى يرعاكم ويسدد خطاكم .

الغائب الحاضر فى عيد الفطر

الدكتور على حسنى الخربوطلى

فى أول شوال من كل سنة : اعتاد المسلمون فى أرجاء الارض أن يحتفلوا بانقضاء شهر رمضان المعظم ، فيتوجهون الى المولى عز وجل بالشكر والحمد ، اذ منحهم القوة والعافية والعزيمة ، فأدوا فريضة من أسمى الفرائض الدينية ، وهى فريضة الصوم ..

واحتفال المسلمين بعيد الفطر هو أيضا تعبير واقعى عن راحة نفسية يشعرون بها لانهم ادوا واجبهم نحو الخالق العظيم . وهو نفس شعور المسلم حينما ينتهى من صلاته ، او بعد اخراج زكاته ، او ادائه مناسك الحج . فما أجمل ان يكتب الله تعالى التوفيق لانسان فيؤدى واجبه نحو خالقه ، ونحو اسرته ، ونحو اخوانه فى الوطن . وليس هناك أسمى من اداء الواجب ، فهو تعبير عن حيوية الفرد ، وعن انسانيته ..

والصيام فريضة وعبادة ، وهو تدريب للجهد وتهذيب للروح . وحينما يحتفل المسلم بعيد الفطر ، فهو يحتفل أيضا بانتصاره على شهوات الجسد ، وبانتصار روحه على غرائزه .. والصيام أيضا صورة اجتماعية رائعة ، تحفل بالمشاركة الوجدانية بين المسلمين ، وتبدو فيها صورة للوحدة الدينية والاجتماعية . ولذا فالصيام هو فى الحقيقة تعبير ايجابى عن وحدة المجتمع الاسلامى .

والمسلمون فى عيد الفطر ، انما يحتفلون بتوفيقهم فى اداء الواجب ، وبانتصارهم على أنفسهم ، وبنجاحهم فى ابراز وحدتهم .. والمسلمون فى هذا العيد أيضا يذكرون زعماءهم وأبطالهم الذين ادوا واجبهم ، نحو الله والوطن والمجتمع ، الذين حازوا انتصارات مشهودة على اعداء الله ، وأعداء الامة ، والذين حققوا الوحدة الوطنية والقومية والاجتماعية .

وفى عيد الفطر من هذه السنة ، يذكر المسلمون فى أرجاء العالم جمال عبد الناصر .. لقد غاب عنهم .. لم يعد يرونه حينما كان يخرج فى صباح كل أول شوال لاداء صلاة العيد بين جموع اخوانه فى الوطن وفى الاسلام .. لم يعودوا يسمعون كلماته الوطنية الرنانة التى تفيض حبا وصدقا واخلاصا .. انه غائب .. ولكنه غائب بجسده .. وحاضر فى قلوبهم .. وفى نفوسهم .. وفى عقولهم .. فأصحاب الرسالات يموتون .. والموت حق .. وقضاء من الله .. ولكن رسالاتهم لا تموت .. وأعمالهم شاهدة على عظمتهم . وأفكارهم تخلد أسماءهم .. وانتصاراتهم تجمع القلوب حولهم .. ووطنيتهم تطلق الالسنة بالدعاء الى المولى عز وجل بأن يكتب لهم الرحمة والرضوان وحسن المثوبة ..

وعبر العصور التاريخية المختلفة .. أكرم الله عز وجل المسلمين .. فكانوا فى كثير من أعياد الفطر التى مرت بهم .. يحتفلون بانتصاراتهم على أعدائهم .. ويتعاهدون على المضى فى طريق الجهاد ... لتحقيق المزيد من الامجاد .. ويذكرون أبطالهم وقادتهم الذين كرسوا حياتهم من أجل الاسلام والعروبة .. فيترحمون عليهم . ويمجدون ذكراهم ..

والتاريخ شاهد على مانقول .. ففى أول شوال من **السنة الثانية بعد الهجرة ..احتفل المسلمون بعيد الفطر .. فاحتفلوا بانتصارهم فى غزوة بدر فى رمضان ..** فقد نصرهم الله على قريش حاملة لواء الوثنية والجاهلية والرجعية .. فهو انتصار الحق على الباطل .. كما تذكر المسلمون شهداء بدر .. وتعاهدوا على الاستمرار فى الكفاح والنضال .. فمعركة بدر ماهى الا حلقة فى سلسلة الجهاد .. وما زالت قريش الباغية تترقب الفرص للثأر ..

ولنا فى هؤلاء المسلمين الاوائل قدوة وأسوة .. واننا فى عيد فطرنا هذا .. نترحم على شهدائنا الذين بذلوا ارواحهم فى سبيل وطنهم وأمتهم ..

ونتعاهد على المضى فى طريق الجهاد ‥ الطريق الذى خطه زعيمنا الراحل ‥ فما زالت اسرائيل الباغية تضمر الشر للاسلام والعروبة ‥ وندعو الله عز وجل أن يكتب لنا النصر كما كتبه للمسلمين يوم بدر ‥

واذا عدنا نقلب فى صفحات التاريخ مرة أخرى ‥ نجد المسلمين فى اول شوال من السنة الثامنة بعد الهجرة ‥ يحتفلون بانتصارهم المبين على قريش ‥ فقد فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فى رمضان ‥ وعاد المهاجرون الى وطنهم وديارهم ‥ وسقط أكبر معقل للوثنية والرجعية فى الجزيرة العربية ‥ ولكن كان على المسلمين المضى قدما فى طريق الجهاد ‥ فالمسلمون وان حققوا انتصارا داخليا عظيما ‥ الا أنه كان عليهم مواجهة عدو لدود آخر من الخارج ‥ فقد كان على الدولة الاسلامية الناهضة مواجهة الدولة الرومانية ‥ التى كانت تمثل القوى الاستعمارية فى العالم حينئذ ‥ ولذا ما كاد الرسول عليه الصلاة والسلام يفرغ من قريش ‥ حتى خرج بالجيش الاسلامى فى العام التالى [٩ هـ] ‥ وشهد رمضان فى هذه السنة عودة المسلمين منتصرين ‥ **وفى أول شوال ‥ وفى عيد الفطر ‥ توجهوا الى الله عز وجل بالشكر والحمد ‥ اذ نصرهم على أعدائهم فى الداخل والخارج ‥**

ونحن اليوم ‥ نشكر الله عز وجل ‥ اذ أعاننا على الخلاص من أدران الرجعية ‥ التى سادت مجتمعنا دهرا قبل الثورة ‥ لقد نجح عبد الناصر فى تنقية مجتمعنا من شوائب الماضى ‥ فقد قضى سنوات طويلة يجاهد ويكافح حتى انتصر تماما على أعداء الشعب والمجتمع ‥ وحقق لنا وحدة اجتماعية ‥ ما لبثت أن اتسعت فاصبحت وحدة قومية كبرى تضم العالم العربى أجمع ‥ وتواجه أعداءنا الخارجين ‥ الاستعمار ‥ وذنب الاستعمار اسرائيل ‥

لقد حققت ياعبد الناصر انتصارات رائعة على أعداء الشعب وأعداء المجتمع وأعداء الوحدة ‥ وانتصرت على الاطماع الاستعمارية العالمية ‥ وعلى الاحلاف ‥ وعلى العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ‥ وكنت صوتا داويا ينادى بتحرير الشعوب من قيود الاستعمار ‥ ثم استشهدت من أجل المحافظة على وحدتنا القومية حتى يتحقق لنا النصر التام على اسرائيل ‥ عدوة الله ‥ وعدوة المسلمين ‥ وعدوة العرب ‥ ونحن على طريقك ‥ لنحقق ما كنت تعمل من أجله ‥ وما استشهدت فى سبيله ‥ وسيتحقق لنا باذن الله النصر والفوز على قوى الشر والعدوان ‥ وسيعود المهاجرون الى ديارهم فى منطقة القناة ‥ كما عاد المهاجرون الاوائل الى ديارهم فى مكة ‥

والتاريخ سجل حياة ‥ وحقل تجارب ‥ ونحن فى حاضرنا ‥ وفى تطلعاتنا للمستقبل ‥ لابد أن نعود الى تاريخنا الماضى أيضا ‥ لنجد العبرة والعظة والقدوة ‥ وفى ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ كانت موقعة عين جالوت ‥ وهى موقعة حاسمة فى تاريخ الاسلام والعروبة والانسانية ‥ اذ نجح المسلمون فى كسر شوكة الزحف المغولى ‥ الذى هدد الاسلام والحضارة البشرية ‥ وبعد خمسة أيام من عين جالوت ‥ توجه المسلمون فى صلاة العيد بالشكر والحمد لله عز وجل أن نصرهم على أعدائهم ‥

لقد كان انتصار المسلمين على المغول بعد جهاد وكفاح ‥ فقد دخل المغول بغداد فى سنة ٦٥٦ هـ ‥ واجتاحوا جميع أراضى العراق والشام ‥ وقد لحقت الهزيمة بالعرب والمسلمين حينما كانوا متفرقين متنابذين ‥ وانتصروا حينما نجحوا فى توحيد صفوفهم ‥

وعبد الناصر هو بطل الكفاح والنضال ‥ ضد الصهيونية العالمية ‥ ووليدتها الممسوخة اسرائيل ‥ ربيبة الاستعمار ‥ وكان عبد الناصر يعلم أن طريق الوحدة هو طريق النصر ‥ ولقد استشهد فى سبيل المحافظة على هذه الوحدة التى جاهد سنوات طويلة لتحقيقها ‥ فقد آلمه أن يشهر عربى السلاح فى وجه اخيه العربى ‥ فكان الاسبوع الاخير فى حياة عبد الناصر هو أسبوع الجهاد من أجل سلامة الوحدة العربية ‥ التى هى الطريق الاول للانتصار ‥

واليوم ‥ ونحن نقف صفا واحدا ‥ فى المسجد ‥ لاداء صلاة العيد ‥ نعاهد المولى عز وجل أن نكون أيضا صفا واحدا لنواجه أعداء الله والاسلام والعروبة ‥ فالاتحاد قوة ‥ ويد الله مع الجماعة ‥

ان العرب يتميزون عن غيرهم من شعوب الارض بخصائص نفسية ، هى من مقومات الشخصية العربية ‥ وربما يكون الشعب العربى هو الشعب الوحيد الذى يذكر فى جميع أعياده الدينية أحباءه الذين فارقوا الدار الفانية الى الدار الباقية ‥ فيذكر العرب أعمالهم وجهادهم ‥ ويعددون مآثرهم وأفضالهم ‥

يا عبد الناصر ‥ انك لست غائبا عنا ‥ انك حاضر فى قلوب مائة مليون عربى تفيض بحبك ‥ حاضر فى آمالهم التى أحييتها ‥ حاضر فى قوميتهم التى بعثتها ‥ حاضر فى وحدتهم التى استشهدت من أجلها ‥

وان كانت الحياة دائما فراق ولقاء ‥ وان كنت يا عبد الناصر قد فارقت الحياة ‥ فاننا ـ نحن العرب ـ فى كل يوم على لقاء معك ‥ فى الطريق الذى رسمته لنا ‥ طريق الجهاد والكفاح من أجل النصر ‥ طريق الحرية والعزة والكرامة ‥ وهو ليس لقاء الاجساد ‥ بل هو لقاء المشاعر ‥ لقاء الآمال ‥ لقاء الجهاد ‥ لقاء الصف الواحد ‥ لقاء الهدف المشترك ‥ لقاء الارواح المؤمنة ‥ ولقاء القلوب الصادقة ‥

ذكريات العيد

الأستاذ عبد الحكيم النجار

ترتبط الاعياد الدينية بمناسبات واضحة : وذكريات روحية وتاريخية عزيزة ‥ على قلوب جمهور المؤمنين الذين وهبوا أنفسهم وأرواحهم لخالقهم ‥ ومناصرة أعز قضية عرفتها البشرية « قضية الإسلام ! الخالد …

ان عيد الفطر يذكرنا بأمور كثيرة تتصل ببدء نزول الوحى ، وبزوغ فجر الاسلام ‥ تتصل هذه الذكريات بعد أن توطدت أقدام الاسلام فى قاعدة المدينة ‥ وبعد أن أرسى الرسول العظيم سيدنا محمد صلوات الله عليه قواعد هذا المجتمع الجديد اقتصاديا وسياسيا وعسكريا واجتماعيا ‥ وحتى امتزج الدين بالحياة ‥ فى أعظم لقاء وأقدس مناجاة بين شعب وشعب عرف طريقه ورسم حياته على قاعدتين من العزة والكرامة …

ويذكرنا العيد بالمعارك الضارية التى خاضها المسلمون وأثبتوا فيها الحزم والعزم وقوة العقيدة ‥ حتى تحقق النصر الاكيد فى « غزوة بدر » الكبرى فى السابع والعشرين من رمضان قبل العيد فى العام الثانى من الهجرة ‥ والتى تعتبر أول تجربة يخوضها المسلمون دون استعداد سابق ‥ تجلى فيها كل معاني القوة المادية والروحية ‥ وحتى أصبحت ركيزة النصر الاكبر للمسلمين ‥ وحتى فتح الله للمسلمين مكة فى شهر النصر ‥

معركة عين جالوت

ويذكرنا العيد بمعركة عين جالوت فى الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨ هجرية ‥ ونحن نخوض معركة المصير العربى … حيث يقول ابن الاثير عن حوادث عام ٦١٧ هجرية ‥

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ‥ ، فانا اقدم رجلا وأؤخرى أخرى ، فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا …

لقد خرج قوم من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاد ساغون ، ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها الافاعيل ، ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا …

ثم ينحازون الى الرى وهمدان وبلاد الجبل وما فيه من بلاد الى حد العراق ، ثم يقصدون أذربيجان وأرمينية يخربونها ويقتلون أكثر أهلها ، ويشردونهم فى موجة لم يسمع بمثلها ‥

ويمضى ابن الاثير يقص علينا ‥ ما سمعه عن هذه الحوادث ، لقد حكى لى عنهم حكايات سامعها يكذب بها من الخوف الذى القاه الله ، سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم ، حتى قيل أن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا واحدا فلا يتجاسر أحد على أن يمد يده الى ذلك الفارس ، ولقد بلغنى ان واحدا من التتار أخذ رجلا ، ولم يكن مع التتر ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض حتى مضى التتر فجاء بسيف قتله به … ولسنا نحسب أنه يمكن تصور موجة الفزع التى غلبت المسلمين بأبلغ من هذا الذى سجله ابن الاثير ، بينما الاعصار المغولى يخرب ويدمر ، وقد أصيب المسلمون بالشلل …

سقوط بغداد ‥

وفى عام ٦٥٦ هجرية اى بعد اربعين سنة من هذا الذى وصفه ابن الاثير ، سقطت مدينة بغداد فى يد

هولاكو ، ولا يستطيع الانسان أن يصف ما حلّ ببغداد حتى وصل عدد القتلى أكثر من ٨٠٠ ألف قتيل ، وكانت فجيعة الحضارة الكبرى حرق واغراق وتدمير كتب العلم ، التى لم يكن لها نظير فى الدنيا ، فقد ألقى بها فى نهر دجلة لتكون معبرا تمر عليه الجيوش ..

هولاكو يهدد مصر ..

ثم استولى المغول على الشام ، فاستولى على حلب ، واجتاح دمشق وأرسل هولاكو من دمشق رسالة الى سلطان مصر المظفر قطز .. جاء فيها بعض الكلمات التى تعبر عن الغرور المغولى السافر — أى أرض تأويكم واى طريق تنجيكم واى بلاد تحميكم ، فما من سيوفنا خلاص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ...

قطز يقبل التحدى

وقبل قطز التحدى واجاب على رسالة هولاكو المليئة بالوعيد بقتل الرسل الذين حملوها وقطع رءوسهم وعلقها على باب زويلة ، وهكذا وضحت القضية اما انتصار على المغول واما الموت فى سبيل الله ...

نجاة الاسلام والحضارة

وبهذه الروح العالية المتفجرة من الايمان .. رسمت الاقدار معركة عين جالوت ليتحقق فيها نجاة الاسلام والحضارة ، فاضطر هولاكو أن يعود الى الشرق بعد وفاة الخان الاعظم .. وعهد الى قيادة المغول فى الشام الى أكبر قواده كتبغا الذى واصل زحفه الى مصر ، فاستولى فى طريقه اليها على مدينة غزة ، ونادى قطز المماليك ان يخرجوا لملاقاه المغول خارج الحدود ، فتقاعسوا وترددوا ، ولكن قطز صرخ فيهم منددا بهم وقال لهم أنا ألقى التتار بنفسى .. ثم ساروا وراءه ..

واسلاماه .. واسلاماه ..

وفى الخامس والعشرين فى رمضان عام ٦٥٨ هـ ٤ سبتمبر عام ١٢٥٩ م كان اللقاء بين جيش قطز وجيش المغول عند « عين جالوت » بين بيسان ونابلس .. وكان قطز قد أخفى معظم جيشه بين الاحراش والاشجار المحيطة بالعين ، وترك مقدمة الجيش فقط بقيادة بيبرس تتابع سيرها فى اتجاه المغول ، وجازت الخدعة على (كتبغا) فانقض على بيبرس ورجاله ، ففر أمامهم مستدرجا اياهم الى موقع الكمين ، فانقض الجيش المصرى من كل مكان عليهم .. ولكن التتار لم تذهلهم المفاجأة ، وثبتوا للصدمة ، بل نجحوا فى تشتيت المماليك فتفرقوا ، ولكن قطز ثبت مكانه ، وصرخ بصوت كالرعد (واسلاماه) ووقف للعدو بنفسه ، وتجمع المماليك حوله فى مشهد فدائى رائع تلبية للحق ربنا تبارك وتعالى فى سبيل اعزاز الحق ، وانقضوا على التتار فحملوهم على الانسحاب ، ولكن التتار سرعان ماانظموا صفوفهم من جديد .. وتجمعوا مرة اخرى ، وهاجموا الجيش المصرى ، **فعاد قطز الى نداءاته باسم رب السماء والارضين .. واسلاماه .. واسلاماه .. وشملها بدعاء حار لربنا تبارك وتعالى ..**

يارب انصر عبدك قطز على التتار . واثارت هذه الصرخة من جديد حمية المقاتلين من الجيش المصرى ، فحملوا خلف قطز على التتار ، وفى هذه المرة مكنهم الله منهم ، فهزموهم هزيمة شنعاء نكراء ، وقتلوا قائدهم المغرور [كتبغا] وتعقبوا الفارين منهم يقتلونهم ويأسرونهم بينما كان قطز ينزل عن جواده ، ويقبل الارض شكرا لله ولايترك مكان الموقعة الا بعد أن يصلى ركعتين لله .. على هذا النصر العظيم ونجاة الحضارة الانسانية كلها .

حكمة الله بالغة

وكانت حكمة الله بالغة ، ففى الوقت الذى تحالف فيه الصليبيون مع المغول ضد الامة الاسلامية ، التى لم تفق بعد من ضربات الصليبيين ، واتفق الجميع على تدمير الاسلام ، نرى علامات القدرة الالهية تتدخل **فنرى بأن الاسلام العظيم بسره العجيب وقوته الذاتية يغزو قلوب جماعة من (المغول) عرفوا بتتر « القفجاق » بزعامة بركة خان وفى هذه الاثناء نرى الظاهر بيبرس يخرج من هذه الظلمات الحالكة بتعاون مع هذه الجماعة المسلمة من التتار فتتحد الكلمة ، كلمة الاسلام ضد التتار الذين لم يسلموا ، وبعدها اتحدت الكلمة بين المماليك والتتار والمسلمين ، وقد كان فى هذه الوحدة قوة دافعة ، وطاقات كبرى لتحقيق النصر فى مواقع كثيرة ، وبفضل الاسلام وهدى الاسلام انكسرت حدة الاعصار المغولى .**

من أجل هذا علينا نحن المسلمين والعرب بأن نتمثل هذه الانتصارات الرائعة الخالدة ، التى كتبها الله للمسلمين فى معركتنا المقدسة امام قوى البغى والعدوان .. **وعلى هذه الصورة الرائعة من صور الفدائية الممزوجة بروح الايمان سيمضى الشعب العربى من وراء قواته المسلحة فيستجيب ويكافح فينتصر ، ويحشد قوته فى معارك الشرف : فيبتسم لهم النصر القريب ويفتح لهم طريق الخلود ..**

صدق وعده ونصر عبده

وتمر السنون والايام بكل ما تحمل فى طياتها من معانى الافراح والاحزان والانتصارات واصرار السنين بعزم الرجال بالأمل فى الأمل ترتفع الاصوات متذكرة صيامها وقيامها وبذلها وعطاءها وعزمها رافعة اعلامها مجددة عهدها الى ربها مع نشيد العيد ، الله أكبر الله أكبر .. صدق وعده **ونصر عبده .. وأعز جنده ..**

وأخيرا ..

ان العيد منحة ربانية يزيد القلوب بفرحة الايمان ودفء الاستقرار ويعلمنا الصبر .. والتماسك .. والصمود .. ويذكرنا دائما بالذكر والشكر والتزام الطاعات .. وتطويع النفس البشرية على السجود لخالقها ان تسلك الطريق السوى .. طريق الله .. ليمدها بكل قيم الدين والحياة حتى تنير القلوب بنورانية قدسية محمدية عملا وفكرا فى يوم العيد .. وغدا تشرق الشمس مرات ومرات ..

مظاهر العيد في مصر الإسلامية

دكتورة سعاد ماهر

اهتمت مصر فى العصر الاسلامى بختام شهر رمضان ومقدم العيد اهتمامها باستقباله ، وبالغ خلفاؤها فى الاحتفاء بهما بأشكال متنوعة ، خصوصا وأن عيد الفطر عندهم هو الموسم الكبير ويعرف بعيد الحلل والمعز لدين الله هو الذى أنشأ الدار المسماه بدار الكسوة ، فقد كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف اصنافهم وتباين درجاتهم ، كسوة الشتاء والصيف وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى الاعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى ذلك الموضع خزانة الكسوة . وكانت كسوة العيد توزع على جميع خدم الخلفاء وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ، وهى من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمناديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس .

ويقول المقريزى انه سمع من يقول ان الكسوة المخصصة للعيد تشتمل على الثياب الدبيقى (دبيق مدينة بمحافظة دمياط) والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسماية دينار ويخلع على أكابر الامراء وكان يخلع على الوزير عقد جوهر . والكسوة فى عيد الفطر تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة لذلك يطلقون عليه عيد الحلل ويذكر المقريزى على سبيل المثال ما صرف على كسوة العيد فى عصر الدولة الفاطمية سنة ٥١٦ هـ النص التالى :

« وصلت الكسوة المخصصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام

الافضلية (مدة حكم الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى) وهى تشتمل على ذهوب وخلع بلغت العشرين الف دينار وهو عندهم (اى عند الفواطم) الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة » أما فى غيرموسم العيد فهى تخلع وتهدى لكبار رجال الدولة والاعيان تقديرا لما يقومون به من جليل الاعمال فى السياسة وفى الحروب ٠

ويستطرد المقريزى فى الحديث عن حلل العيد فيقول فى وصف ما يختص بالخليفة من حلل فى هذا العيد : « فاحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو يرسم الموكب ٠ بدلة خاصة جليلة ، مذهبة ثوبها موشح وذيلها موشى عدتها بالفافات احدى عشر قطعة ثمنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول (أى الخيوط الذهبية) ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف ، كل مثقال اجرة غزله دينار من الذهب ٠

ويحدثنا ابن تغرى بردى فى كتابه النجوم الزاهرة عما عثر عليه فى خزائن الكسوة فى سنة ٥٦٧ هـ بعد وفاة الخليفة العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية فيقول : « وقال القاضى الفاضل وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بها بهاء الدين قراقوش » ٠

واذا ما تركنا كسوة عيد الفطر وما كانت عليه من جلال وأبهة وذهبنا الى خزائن الجوهر والطيب والطرائف بقصور الفواطم ما كان يوزع فى عيد الفطر ، لوقفنا مشدوهين أمام هذه الكنوز التى لا يعدلها الا كنوز سليمان ، فيقول المقريزى عن لسان ابن المأمون ان بها الاعلام والجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة فيعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزيةواضاف ان بعض شيوخ دار الجوهر بمصر استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من أهل الخبرة بقيمة الجوهر ، فقال بعض من حضر من الوزراء للجوهريين كم قيمة المجوهرات التى عرضت عليهم ؟ فأجابوا نعرف قيمة الشىء اذا كان مثله موجود او مثل هذا لاقيمةلهولا مثل ٠

ومن مظاهر العيد فى مصر الاسلامية ما يقدم للناس من دار الفطرة وقال المقريزى نقلا عن ابن الطوير ان أول من بنى دار الفطرة هو الخليفة العزيز بالله وكان موقعها خارج القصر قبالة باب الديلم من القصر الذىيدخل منه الى المشهد الحسينى ، ويكون ابتداء عمل الدار النصف الثانى من شهر رجب من كل سنة فى هذا الموعد تستقبل الدار جميع أصناف السكر والعسل والزعفران والطيب والدقيق وكان فى الدار مائة صانع للحلوى وكان مجموع مايقومون بصنعه شيئا هائلا يندب له مائة فراش لتفرقته على أرباب الرسوم خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفراشين الدائمين واضاف ان الخليفة ووزيره يذهبان الى ذلك الدار فى النصف الثانى من شهر رمضان فيشاهد الحلوى التى تم صنعها ثم يفرقها من ربع قنطار الى عشرة أرطال الى رطل واحد وبعد ذلك ينصرف الخليفة والوزير ثم ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يقوم الفراشون بتوزيعها على من خصصت لهم ٠

وكان الكعك أهم ماكانت تقوم بصنعه دار الفطرة واستمرت مصر تعنى بعمل الكعك وأصبح سكانها يتهادونه من وقتها الى الان ويتباهون باجادته وكانت اسواقه رائجة فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين فكانت تذخر به الحوانيت كما أن الفن لعب دورا هاما فى صناعته ، فعملت له القوالب المنقوشة والمكتوبة التى يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالعيد منها والتى كتب على بعضها العبارات الاتية : كل هنيئا وبالشكر تدوم النعم ونحو تلك العبارات الدعائية التى تنم عن سلامة الذوق ٠ وجميل آداب الضيافة ٠

أما عن صلاة العيدفكانت تؤدىخارج باب النصر فى المصلى الذى بناه القائد جوهر فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثماية ثم جدده العزيز بالله (١٠)

وصف المقريزى نقلا عن المسبحى ماحدث فى آخر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة فقال « بقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وكان القاضى محمد بن النعمان يرتب جلوس المتفقهة الشيعة على هذه المصاطب ، واستطرد المقريزى فى وصف موكب الخليفة فى العيد فيقول فى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الاتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر ٠ وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » ٠

وقال ابن الطوير : « اذا قرب آخر العشر الاواخر شهر رمضان خرج الزى من أماكنه بدار خزائن الجوهر ويركب الخليفة فى مستهل شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم ابدا ثلاثون يوما ٠ فاذا تهيأت الامور من الخليفة والوزير والامراء وارباب الرتب ، صار الوزير بجماعته الى باب القصر وركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة ولباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهى أجل لباسهم والمظلة كذلك فانها ابدا تابعة لثيابه ، ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر وقد انتظم القوم له صفين ويكون صاحب بيت المال قد تقدم لفرش المصلى فيفرش

الطراحات على رسمها فى المحراب مطابقة ويعلق ستربن يمنه ويسره فى الايمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الاعلى وفى الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز فى جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان ، فيدخل الخليفة من شرقى المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ فى جامع القاهرة (الجامع الازهر) فيصير الى المحراب ويصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضى ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى الستربن فاذا فرغ وسلم صعد المنبر لخطابة العيدية يوم الفطر ، فاذا جلس فى ذروة المنبر جلس على طراحة حريرية فيراه أهل ذلك الجمع ويقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة وصاحب الباب وكبار الموظفين ونقيب الاشراف الشيعين والاقارب ثم يشير الخليفة للوزير فيصعد المنبر الى الدرج السابع ويقدم للخليفة نص الخطبة التى أعدها ديوان الانشاء وتم عرضها على الخليفة والوزير وبعد مقدمات يستر الخليفة باللواءين المركزين فى جانبى المصلى وينادى على الناس بالسكوت والانصات فيقرأ الخليفة الخطبة التى قدمت اليه .

وعند انتهاء الخليفة من القاء خطبة العيد يلقى كل من فى يده شىء من اللواء خارج المنبر فينكشفون وينزلون القهقرى اولا بأول الاقرب فالاقرب . فاذا اخلى المنبر للخليفة هبط ودخل المكان الذى خرج منه ، فيلبث به قليلا ثم يركب بالصفة التى قدم بها الى المصلى فى طريقه التى أتى منها ، فاذا قرب من القصر تقدمه الوزير ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه .

الصبر والاقدام

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، واطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاثبتوا واكثروا من ذكر الله ، وان جلبوا وضجوا فعليكم بالصمت »

ومن كلام على رضى الله عنه : رب حياة سببها التعرض للموت ، ورب منية سببها طلب الحياة

وقالوا : أجمع كلمة قيلت فى الصبر [الصبر مطية النصر]

وقيل للمهلب بن ابى صفرة : [انك لتلقى نفسك فى المهالك ، فقال : انى ان لم آت الموت مسترسلا أتانى مستعجلا ، انى لست آت الموت من حبه ، وانما آتيه من بغضه ، وتمثل بقول الحصين بن الحمام :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل ان اتقدما

وهى من قصيدة مشهورة ومنها

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا
ولكن على اقدامنا نقطر الدما

البيعة العامة الغالية

قال الله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم

قال المفسرون : اعلى الله مقام المؤمنين المجاهدين فى سبيله ، فجعلهم بفضله مالكين معه ، ومبايعين له ، ومستحقين للثمن الذى بايعهم به ، واكد لهم امر الوفاء به وانجازه .

ويروى عن الامام جعفر الصادق [رضى الله عنه] فى معنى الاية : —

أثامن بالنفس النفيسة ربها
فليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها أشترى الجنات أن أنا بعتها
بشىء سواها ان ذلكم غبن
اذا ذهبت نفسى بدنيا أصبتها
فقد ذهبت منى وقد ذهب الثمن

وأخرج ابن ابى حاتم : وابن مردويه عن جابر بن عبد الله : أن هذه الآية نزلت على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وهو فى المسجد، فكبر الناس فى المسجد ، فاقبل رجل من الانصار ثانيا طرف ردائه على عاتقه ، فقال : يارسول الله ، أنزلت فينا هذه الآية . قال : نعم. فقال الاعرابى : بيع ربيح ، لا نقيل ولا نستقيل .. وأخرج ابن جرير : أن عبد الله بن رواحة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لنفسك ولربك . فقال : اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم . قالوا : فاذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة . قال : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل

قال العلماء : ثامنهم فاغلى ثمنهم

ومعنى نزولها فى مبايعة الانصار انها تدخل فيها دخولا اوليا لا انها خاصة بها ، وقد روى ابن مردويه من حديث ابى هريرة مرفوعا : [من سل سيفه فى سبيل الله فقد بايع الله]. وروى عن الحسن قوله : [ما على ظهر الارض مؤمن الا وقد دخل فى هذه البيعة]

الإسلام و المسلمون فى العالم الجديد

الدكتورة عنايات الطحاوى

اولا : التعريف الجغرافى للعالم الجديد :

يمتد العالم الجديد من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى وتتمثل فيه كل أنواع المناخ والنبات • فهو يمثل وحدة جغرافية كبرى تعرف بالامريكتين احداهما شمالية والاخرى جنوبية

والامريكتان منفصلتا نعن بقية العالم تبعدهما عنه اكبر مساحتين من الماء هما المحيط الاطلنطى شرقا والمحيط الهادى غربا •

ويقترب شمال أمريكا الشمالية الشرقى من القارة الاوروبية كما يقترب شمالها الغربى من قارة آسيا • ويفصلها عن هاتين القارتين مضايق مائية وجزر تدخل فى نطاق الاقليم المتجمد الشمالى •

أما امريكا الجنوبية فتدنو عند البرازيل من قارة افريقيا بالقرب من الرأس الاخضر •

وقد أثرت عزلة الامريكتين فى تأخير التعرف عليهما وكشفهما حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى • وظهرت الحضارات الامريكية الاصلية مستقلة عن حضارات العالم القديم •

ولم يمر حتى الان سوى خمسة قرون منذ اكتشاف العالم الجديد وها هو الآن به احدى اكبر دولتين فى العالم الا وهى : **الولايات المتحدة الامريكية**

وبه أغنى الموارد الطبيعية وأعلى مستوى للمعيشة •

ويضم بين أرجائه أوفر الغلات ومصادر الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية •

ولم يكتظ العالم الجديد بالسكان بعد فلا تزال به

غابات عذراء تنتظر من يقطعها ومراع واسعة تنتظر من يعمرها ومجالات جديدة للهجرة ترحب بمن يهاجر اليها .

ولم يكن عدد سكان العالم الجديد وقت اكتشاف كولومبس له لا يزيد عن عشرة ملايين نسمة أما فى الوقت الحاضر فيفوق عدد السكان على ٣٥٠ مليون نسمة .

وبينما تبلغ مساحة الامريكتين ٣١ فى المائة تقريبا من مساحة اليابس الا أن عدد سكانها يبلغ ١٣ فى المائة فقط من سكان العالم .

وعليه فقد وجد الاوروبيون والمهاجرون الاخرون أوطانا جديدة فى هذا العالم متنوعة البيئات ولكنها كانت بيئات راكدة لخلوها تقريبا من السكان فاضافوا اليها جهودا جبارة حولتها الى بيئات نشطة يسكنها خليط من البشر لكل منهم تقاليده ونظمه الخاصة .

ولكن فى النهاية تبلوروا الى قسمين رئيسيين .

١ – قسم سكسونى ساد أمريكا الشمالية حتى حدود المكسيك جنوبا .

٢ – وقسم لاتينى يسود المكسيك وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

كيف عمرت أمريكا اللاتينية بسكانها الحاليين :

لم يكن تعمير أمريكا اللاتينة بعد كشفها يتم طبقا لخطة موضوعة بل كان يتم اعتباطا وفى بقع متناثرة من أنحاء القارة .

ولا ريب ان العبء الاكبر فى هذا التعمير كان يقع على عاتق العناصر اللاتينية السائدة . كما ساهم المهاجرون من الشرق الاقصى أيضا بنصيب فى هذا التعمير ، وكذلك ساهمت أيضا العناصر العربية الاسيوية بنصيب يذكر .

ففى هذه القارة اختلط البيض والسود والحمر والصفر ولا يزالون يختلطون حتى الان . وليس لاى من هذه العناصر أغلبية صريحة مثل اغلبية البيض فى أمريكا الشمالية .

ومن الصعب أيضا تحديد نصيب كل من هذه العناصر فالمزيج عميق بين البيض والهنود الحمر وبين البيض والسود ، وكذلك بين السود والهنود الحمر .

وعليه فلا توجد تفرقة عنصرية فى أمريكا اللاتينية كتلك التى نجدها فى أمريكا الشمالية .

ويتقبل المكسيكى أو البرازيلى أصله الهندى الاحمر ويفخر به كما يفخر الامريكى فى الولايات المتحدة بأصله الالمانى أو الهولندى .

وأمريكا اللاتينية يقع ما يقرب من ثلثها بين المدارين . وتغطى الغابة الاستوائية شطرا كبيرا أيضا من وسطها . هذا الى جانب ان شطرا كبيرا ايضا من مساحة القارة تحتله سلاسل الانديز الشاهقة الارتفاع . وهذه السلاسل حائل مناخى كما هى حائل بشرى فاستطاعت أن تحجب الامطار عن نطاق متسع من القارة فأحالته الى صحارى مقفرة .

ومن ثم كانت طرق المواصلات فى هذه القارة هامشية كما أصبح العمران البشرى فيها هامشى أيضا .

وعليه فيمكن تلخيص السمات الهامة لامريكا اللاتينية فى النقاط الاتية :

١ – قارة يقع ما يقرب من ثلثها فى الاقاليم المدارية تقترن الرطوبة والحرارة معا فى اجزاء كبيرة منها وهى عقبات لم يستطيع الانسان أن يتغلب عليها بعد .

٢ – هذه القارة خالية من البحار الداخلية وتشغل وسطها الغابات الاستوائية أو الحشائش المدارية – سيئة الصرف – كثيرة المستنقعات . ومن ثم كان الاستقرار البشرى فيها هامشيا فى أطراف القارة . وفى هضابها المتوسطة أو الشاهقة الارتفاع بينما قلبها يكاد يكون خاليا تماما من السكان . كما يتجه للداخل مما أكد صفة الانفصالية فيها .

بعكس امريكا الشمالية المتماسكة المتصلة بفضل سهولها الوسطى التى تتمتع بمناخ معتدل يجذب اليها السكان .

٣ – صعوبة المواصلات وقسوة البيئات المدارية فى أمريكا اللاتينية جعلت الاستغلال الاقتصادى للارض صعبا فى معظم جهات القارة .

٤ – الاستغلال الاقتصادى فى القارة لا يزال فى مراحله الاولى فهى تعتمد على الرعى اعتمادا كبيرا – والزراعة فيها تقوم على نظام المزارع الواسعة والاقطاعيات الكبيرة .

وعليه يمكن تلخيص أهم مشاكل القارة فى ثلاث نقط هى :

ا – الحاجة الى اصلاح زراعى يقضى على الاقطاع .

ب – الحاجة الى مد شبكة من الطرق الجيدة داخل القارة لامكان استغلالها .

جـ – الحاجة الى مزيد من السكان لامكان استغلالها وتصنيعها .

وفيما عدا ما تقدم يمكن أن نلخص الظروف البشرية لامريكا اللاتينية تحت ثلاثة اقسام رئيسية هى .

١ – الهندى الاحمر وحضارته الاصلية .

٢ – الاستعمار الاوربى ونتائجه الاقتصادية والسياسية .

٣ – الاختلاط البشرى .

اولا : بالنسبة للهندى الاحمر فلا يزال يكون أغلبية فى بعض جمهوريات أمريكا اللاتينية وأقلية فى بعضها الاخر . ومن حيث الحرفة التى يحترفونها فهم اما فلاحون مستقرون وهؤلاء ينتشرون فى حياض المكسيك وعلى سفوح المرتفعات . ومنهم أيضا الزراع المتنقلين وأخيرا نجد الصيادين .

والهندى الاحمر الامريكى يميل الى التجمع نحو نقط سكانية مبعثرة وحول زعامات قبلية محليةونقط التجمع هذه متباعدة لا يكاد يربط بين بعضها والاخر رباط اقتصادى أو اجتماعى وان كانت قد خضعتفى النهاية لنظام سياسى معين .

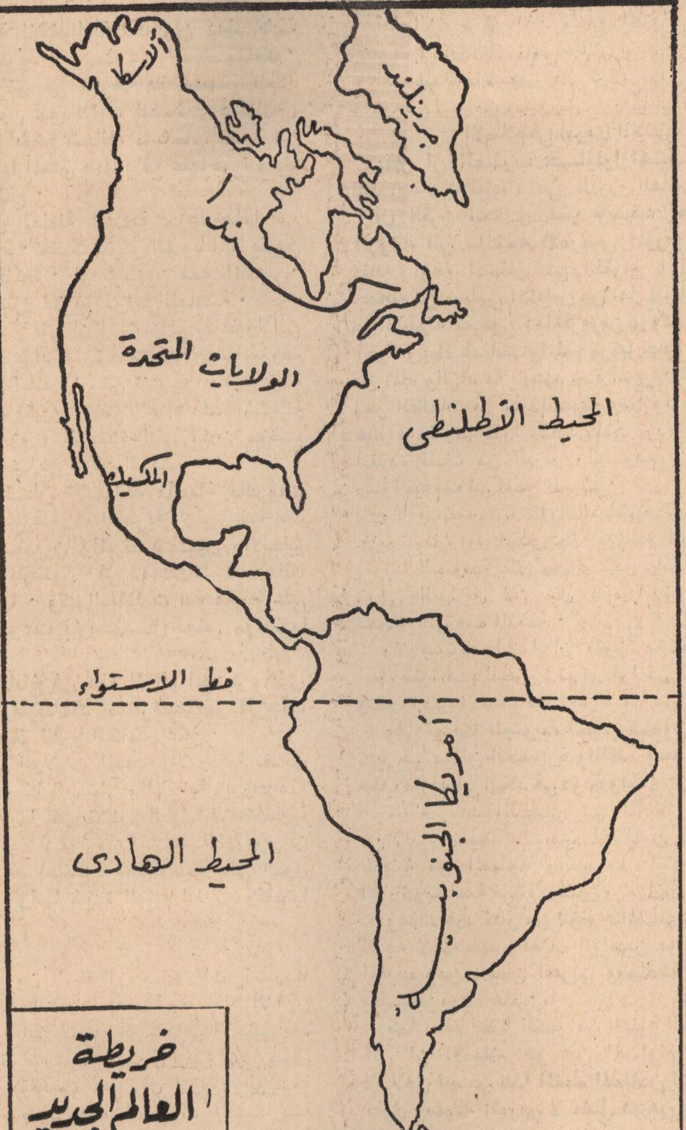

ثانيا : الاستعمار الاوروبى :

اكتشفت امريكا اللاتينية فى القرن الخامس عشر والسادس عشر وهاجر اليها الفاتحون العسكريون والمغامرون والباحثون عن الثروة والقسس والمبشرون وكان هدف جميع هؤلاء البحث عن الثروة وجمعها ونشر نفوذ الدول المستعمرة .

ورغم أن الاسبان كانوا باحثين عن مناجم الذهب وغيره من المعادن النفيسة الا أنهم كانوا أيضا راغبين فى نشر المدنية فى العالم الجديد وهذا أمر يميزهم عن البرتغال • وكانوا أيضا متحمسين فى نشر الدعوة المسيحية •

ومما يذكر لهم أيضا أنهم انشأوا اقدم جامعة وهى جامعة المكسيك عام ١٥٦٣ كما جلبوا معهم آلة للطباعة وشجعوا العمارة والفنون •

أما من الناحية الاقتصادية فقد كان هدف طبقة الفاتحين جمع الثروة والبحث عن الجاه والمجد • وكان امتلاك الارض في نظرها هو مقياس الجاه والثروة • وكان من حق القائد العسكرى (الفاتح) أن يقطع نفسه أو يقطع ضباطه مساحات كبيرة من الارض وهو حاكمها المطلق طالما يدفع عنها قدرا معينا من المال لخزانة التاج •

وكانت الايدى العاملة الهندية جزءا هاما من الاقطاعيات الكبيرة • فحيث يتركز الهنود الامريكيون تنشأ المزارع الواسعة • أو يوجهون نحو المناجم • وحيث يقل الهنود تترك الارض مراعى للماشية •

ومن المهم أن نشير الى أن الاسبان لم يهاجروا الى العالم الجديد فى أعداد كبيرة بمعنى الهجرة المعروف ولكنهم مالبثوا أن استقروا حتى تزاوجوا بحرية تامة مع الهنود الامريكيين ونتج عن ذلك سلالة الخلاسيين (المستيزو) الجديدة التى تكون معظم سكان أمريكا اللاتينية فى الوقت الحاضر •

وقد أثارت السفن الاسبانية المحملة بالثروات المعدنية والنباتية غيرة الامم البحرية الاخرى فما لبث ان أقبل الهولنديون والفرنسيون والانجليز والاسكندناويون ينهشون فى ممتلكات أسبانيا الامريكية وتجارتها • وكلمااستولت أمة مغيرة على موقع جديد اسرعت بارسال بعض مواطنيها لاستعماره •

ونظرا لتغير المناخ فى هذا العالم الجديد والذى يمتاز بحرارته ورطوبتهفقد اضطرالمستعمر الىجلب الرقيق من الزنوج فى القرن الخامس عشر •

وأخيرا أخذت الولايات المتحدة الامريكية تتدخل فى شئون دول أمريكا الوسطى واللاتينية وبررت هذا التدخل بأنه يحميها من تدخل الدول الاستعمارية الاوربية واعلنت مبدأ (مونرو) المشهور الذى يرى أن الولايات المتحدة قد أصبحت فعلا وصية على الدول الامريكية الاخرى وأنها سيدة العالم الغربى وكلمتها هى القانون

وعلى الرغم من استقلال جمهوريات أمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية بصفة عامة الا أن اقتصادياتها تشير الى النظام الراسمالى الاجنبى فقد تأسست عدة شركات كبرى برأس مال أمريكى (ولايات متحدة) لاستغلال المزارع الواسعة ومصانعها • واصبحت هذه الشركات الاحتكارية الكبرى تهيمن على الجزء الاكبر من أمريكا اللاتينية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا •

ثالثا : اختلاط السلالات

كان لاختلاط السلالات البشرية فىأمريكا اللاتينية أثره فى اختلاط الحضارات والثقافات وامتزاجها . وهذه الحضارات على الاطلاق .. الحضارة اللاتينية

ولم يستطع الاوربيون أن يتجاهلوا طويلا الهنود الامريكيين الذين احتفظوا بالكثير من مظاهر حضارتهم المادية وتراثهم الثقافى • ويشارك الهنود الامريكيين فى هذا طبقة الخلاسيين •

أما الزنوج فهم فى وضع اجتماعى أفضل من وضعهم فى الولايات المتحدة الامريكية •

أما سلالة الاسبان فلا تزال تكون ارستقراطية حاكمه فى كثير من جمهوريات أمريكا اللاتينية •

الاسلام فى أمريكا اللاتينية

يقال ان العرب حاولوا اكتشاف امريكا الجنوبية (اللاتينية) فى القرن العاشر للميلاد أو أوائل القرن الحادى عشر ويستند أصحاب هذه الرواية الى ما كتبه الادريسى المؤرخ المعروف فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » من أن جماعة من مسلمى الاندلس من أهل الحامة على مقربة من لشبونة يعرفون (بالمغرورين) وهم ثمانية فتيان اخوة وابناء عم انشأوا لهم مركبا كبيرا وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم عدة أشهر • ثم خرجوا الى بحر الظلمات من ثغر لشبونة وساروا غربا نحو أحد عشر يوما وصادفوا مهالك كادت تؤدى بحياتهم حتى انقذهم لفيف من البربر وأعلموهم أن المكان الذى رسوا فيه يقع فى اقصى المغرب •

ولا يستبعد أن يكون الشاطىء الذى رسوا فيه جزيرة سان بول احدى جزر فرناندو الواقعة فى مياه أمريكا الجنوبية على مسافة نحو مائة وخمسين ميلا شرقى البرازيل لان مثل هذه المدة التى قطعوها تحملهم الى هذه المنطقة •

ولا يستبعد أيضا أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا هذه الجزيرة ثم توغلوا فى القارة الجنوبية ونشروا دين الاسلام هناك بين طائفة من الناس •

وفى أمريكا الجنوبية اليوم مسلمون يقومون بدور كبير فى ميدان الحضارة والتقدم ويعيشون جنبا الى جنب مع أهالى البلاد فى مودة واخاء •

ويبلغ عدد المسلمين فى امريكا اللاتينية اكثر من مليون نسمة . ويقوم المسلمون باداء شعائرهم الدينية فى المساجد والجوامع المنتشرة فى انحاء القارة وبخاصة فى الارجنتين والبرازيل وفنزويلا •

وهناك عدد كبير من الزنوج المسلمين الذين أسلموا نتيجة لاختلاطهم بالعرب الوافدين من أسبانيا وبلاد المغرب ومن الوطن العربى وبخاصة سوريا ولبنان وفلسطين بوجه عام •

كما أسلم أيضا الكثير من الهنود الحمر لاطمئنانهم الى ان الاسلام هو دين المساواة ولايمانهم بأنه لاخلاص لهم فى هذا العالم المتطاحن الا باعتناقهم دينا يقول رسوله العربى لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى •

فاقبل اهالى امريكا الاصليين على الاسلام وأخذ عددهم يزداد سنة تلو الاخرى . وخاصة فى الوحدات السياسية الكبرى التى هاجر اليها اللبنانيون والفلسطينيون ونشروا راية الاسلام وأسسوا العديد من الجمعيات الاسلامية والمنشآت والجوامع وقدوصلوا الى أكبر المناصب فى أمريكا اللاتينية •

وفى العدد القادم من منبر الاسلام سأعرض باذن الله صورة واضحة عن الاسلام والمسلمين فى جمهورية البرازيل والله الموفق •

فکر
و
فن

ناصريات

للتاريخ والذكرى

الدكتور عبد الغني الراجحي

اذا كان الشاعر يقول :

عمر الرجال يقاس بالامر الذى
شادوه لا بتقادم الميلاد

فان عبد الناصر أطول الناس عمرا ، واذا كان علماء الاجتماع يقولون ، ان عظمة العظيم تقاس بمقدار التغيير الذى أحدثه ، فان عبد الناصر فى القمة من العظمة ، لقد كان بطلا من ابطال التاريخ، الذين صنعوا التاريخ ، وغيروا مجرى التاريخ ، فخلدهم التاريخ .

ان فاعلية عبد الناصر ، والاعمال المجيدة التى قام بها ، وجعلها أمرا نافذ المفعول ، كان لها ثلاثة آفاق ، افق مصرى ، على صعيد دولته الخاصة التى يترأسها ، وافق عربى على صعيد الدول العربية كلها من المحيط الى الخليج ، وافق عالمى على الصعيد العالمى كله ، فى آسيا وافريقية ووسط اوربا ، وامريكا الجنوبية والشمالية ، ولا نريد الاطالة بذكر التفصيلات وتعديد ما قام به من أعمال وما كان لمبادئه وسياسته من أصداء وانعكاسات فى هذه الافاق الثلاثة السالفة الذكرة ، فشهرة ذلك كله ، يغنى عن الافاضة فى بيانه ، وانما أردنا بهذا ان نشير الى أنه لم يكن بطلا موضعيا ، ولكنه كان بطلا عالميا وموضوعيا والاصداء والانعكاسات التى احدثتها وفاته فى انحاء المعمورة ، فى مشارق الارض ومغاربها ، أكبر دليل واقوى شاهد على ما نقول ، نعاه وبكاه العالم كله ، من اقصاه الى أقصاه دول عربية ، دول اسلامية ، دول نامية ، دول العالم الثالث ، والحياد الايجابى وعدم الانحياز ، الاتحادات الافرو آسيوية ، واتحاد الدول الافريقية ، وهيئة الامم المتحدة فى أمريكا نفسها ، وقع عليها النبأ وهى مجتمعة وقوع الصاعقة، وأصاب اعضاءها الذهول، وعلى الفور نكست الاعلام ، وانفض الاجتماع وخرج اوثانت من الاجتماع الى حجرته ، والحزن يعصره ، وأجهش كثير من مندوبى الدول بالبكاء ، وصرح الاعداء قبل الاصدقاء بأن وفاته خسارة عالمية كبرى، وخرجت صحف العالم أجمع بما فى ذلك صحف الولايات المتحدة فى صبيحة اعلان وفاته ، مجللة بالسواد ، والمسيرات الجنائزية التى قامت بها الشعوب والحكومات ، كما جرى فى ليبيا والسودان ولبنان والاردن وفلسطين وغير ذلك من الدول كانت تقارب فى كمها وكيفها مسيرته الجنائزية فى القاهرة لقد كان عبد الناصر ظاهرة اجتماعية عالمية قضت على كثير من القيم والمعايير والمقاييس والمناهج الاجتماعية والسياسة بالرجعة والبطلان ، وحاربتها محاربة فعالة حتى اجهزت عليها فى كثير من بلدان العالم ، ثم اقامت على انقاضها قيما اخرى ومعايير ومقاييس ومناهج سياسية واجتماعية اخرى ، كتب لها النجاح ، ورفعت رأسها فى كثير من بلدان العالم . الحرية ، الاستقلال العزة والكرامة ، الاشتراكية ، الديمقراطية . تصفية الاستعمار وتصفية القواعد . مكافحة التحالف الصهيونى الامبريالى ، عدو السلام والاستقرار العالمى والتعايش السلمى ، كان لكل المستضعفين فى الارض ، كان لكل المظلومين والمعذبين فى الارض كان للضعفاء والمغلوبين على أمرهم ،

افرادا كانوا ، ام دولا ، أو أمما او جماعات ، وكانما كان يقول القولة المشهورة المأثورة عن خاتم المرسلين « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين » • كان يرى سعادة نفسه في اسعاد الاخرين هذه هي الظاهرة التى اشتهر بها ونادى بها في مؤتمراته ، وعرف بها في الشرق الاقصى والاوسط والادنى وفى أوربا وفى أمريكا ، ومن هنا كانت نوبة الحزن والاسى والاسف واللوعة والبكاء والعويل والنحيب والنشيج التى احدثتها وفاته ، أكبر من أن توصف وأجل من ان تعبر عنها الكلمات والعبارات ، ويصور طرفا منها بيت شوقى المشهور فى رثاء مصطفى كامل ••

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما فى مأتم والدانى

وقول حافظ فى رثاء الامام :

بكى الشرق فارتجت له الارض رجة
وفاضت عيون الكون بالعبرات

لقد أجمعت صحف العالم أجمع ووسائل اعلامه بكافة أنواعها، على أن الاهتمام العالمي الذى قوبل به موت عبد الناصر ، لم يقابل به موت أى زعيم قبله ، واحتل نبأ وفاته فى صحف العالم ووسائل اعلامه من الحيز والصفحات ، ما لم يحتله نبأ وفاة غيره ، لا كيندى ولا تشرشل ولا غيرهما • اذا كان هناك ابطال تاريخيون لا يتكررون على مسرح الحياة ، فان عبد الناصر على رأسهم ، لو جمعت المقالات التى قيلت عنه فى صحف العالم ووسائل اعلامه ، وجمعت التصريحات التى قيلت فيه من ملوك العالم ورؤسائه وعظمائه ، على اختلاف بلادهم وقومياتهم وأديانهم ، واجناسهم وعداوتهم أو صداقتهم لكان من ذلك مجلدات ومجلدات ، والذى يسترعى الانتباه ان هذه المقالات والتصريحات التى قيلت بعد وفاته ، انما كانت تتسم بالعمق والتحليل الدقيق والحرقة واللوعة حتى لقد قالت جريدة غير قاهرية فى وصف مسيرته الجنائزية الى مثواه الاخير « **ان القاهرة يجرى فيها الان ثلاثة أنهار نهر النيل ونهر من البشر تموج به شوارع القاهرة ونهر من الدموع تسيل مياهه من اعين الباكين** » وقالت الجرالد الانجليزية « **لقد ظلم الغرب عبد الناصر وعليه أن يعيد تقييمه من جديد** » وقال جورج براون وزير الخارجية الانجليزى الاسبق « **لقد مات بموت ناصر أحد قديسى هذا العصر** » • ان هناك احصائيات بالذين ماتوا نهائيا من هول المفاجاة بنبأ الوفاة ، وهناك احصائيات بالذين أغمى عليهم من هول المفاجأة بنبأ وفاته ، لا فى الجمهورية العربية فحسب ولكن فى أكثر من دولة عربية واسلامية ، ان الناصرية وعبد الناصر وحياته وجهاده ، وقيمه ومثله العليا كان ذلك كله نقطة تحول فى تاريخ العالم أجمع ، ولو روجعت خريطة العالم الموضح بها كل دولة ووضعها السياسى والاجتماعى قبل أن يظهر عبد الناصر على مسرح الاحداث الدولية ، ثم روجعت خريطة العالم المبين بها كل دولة وحياتها السياسية والاجتماعية بعد وفاة عبد الناصر ، لرأينا فرقا كبيرا بين الخريطتين ، وادركنا مدى التقدم والانتعاش السياسى والاجتماعى والحرية والاستقلال ، الامور التى تمتعت بها وحصلت عليها دول كثيرة فى أنحاء العالم ، بفضل مبادىء ناصر وسياسة عبد الناصر وجهود عبد الناصر • الاستعمار والتخلف ، والرجعية والعبودية واستذلال الشعوب وامتصاص دمائها • كل ذلك تقلص ظله وانحسرت موجته ، ورفع الانسان رأسه لانه مضى عهد الاستبعاد ، كما قال رحمه الله « **ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد** » •

٢ ـ عظمة متكاملة

كانت عظمة عبد الناصر من نوع فريد ، لا يكاد يتأتى الا لاقل القليل من الناس ، فقد عودتنا طبائع الامور ونواميس الحياة ، ان نرى أنواع العظمة يتقاسمها الناس ، فهذا عظيم فى الناحية الحربية ، وذاك عظيم فى الناحية السياسية وآخر عظيم من الناحية الاجتماعية والادبية ، وهذا عظيم تتلون عظمته بألوان الخبث والدهاء والنفاق ، وهذا عظيم لا تخلو عظمته من نقائص وانحرافات فى بعض النواحى ، لكن عظمة البطل الراحل عبد الناصر كانت عظمة متكاملة من أكثر النواحى ، فكان ذا شخصية سرية متكاملة فى عظمتها وانسانيتها فى محيط البيت والاسرة ، فى محيط الاخلاق الشخصية ، فى محيط العلم والتعليم والدين والفن ، والشعبية والاخذ بيد البائسين وأصحاب المشكلات ، فى محيط السياسة والحرب ، فى المحيط الداخلى والخارجى الشجاعة والجرأة ، والصراحة ، والانسانية والعزيمة القوية ، والارادة الحديدية ، كان ذلك كله مفتاح شخصية البطل ، ولعل ذلك هو مبعث كلمة جورج براون السابق ذكرها « لقد مات بموت ناصر أحد قديسى هذا العصر ! •

ان عظمة عبد الناصر وما كان يتمتع به من اخلاق نادرة المثال كانت تجبر الناس وتدفعهم الى احترامه ، وان كانوا على خلاف معه فى الرأى أو العقيدة ، وأكثر اعدائه ـ وان كانوا قلة ـ فى مطلع حياته السياسية من العرب وغير العرب قد انقلبوا فى النهاية الى أصدقاء يشيدون بفضله ويعترفون بقوة شخصيته • وفى نهاية الخمسينات ومطالع الستينات ، كان يتعرض لحملات صاخبة من اعداء يقتضى وجودهم ما يدعو اليه من مبادىء ومناهج سياسية ليست فى صالحهم ، وكان عدد عديد من المحطات الاذاعية السرية وغير السرية ، لا يكف عن مهاجمته وارادة النيل منه ، لكن البطل صمد لكل ذلك ، وتحمله وتقبله بشجاعة نادرة المثال ، وأمكنه فى النهاية بالاعمال لا بالاقوال ان يقضى على هذه المهاترات ويحملها على أن تصفى نفسها تصفية نهائية ، وأن ينقلب كثير منها من العداوة الى المحبة ، وكان مثلها معه كما قال الله فى محكم كتابه « **فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض** » أو كما قال تعالى « **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى**

السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار» لا أقول ذلك عن حالات فردية أو شخصية فحسب ، ولكن ذلك ينجر الى دول كبرى لها وزنها واعتبارها فى المحيط الدولى ، فقد رأينا فيما سبق أن ذكرناه عن الصحافة الانجليزية وما قالته عن الزعيم البطل من أن الغرب ظلمه ويجب عليه ان يعيد النظر فى تقييمه ، وما قاله جورج براون وزير الخارجية الانجليزى الاسبق من أنه بموته مات أحد قديسى هذا العصر . وقد رأينا وعرفنا مناصرة فرنسا لقضيتنا ضد الصهيونية والامبريالية ، وذلك بزعامة وتوجيه الديجولية الحرة ، وقد كانت انجلترا وفرنسا فى يوم من الايام تهاجمان مصر وعبد الناصر عسكريا وسياسيا ، يوم الاعتداء الثلاثى على مصر وقناة السويس فى سنة ١٩٥٦ .

لقد كانت حياة البطل ، بما فيها من أسفار وتنقلات واندماجات شعبية فى أكثر من قطر عربى، عرضة للاعتداء عليه من أعدائه وأعداء سياسته من **الغربيين وعملائهم** ، وكم أشيع ذلك أكثر من مرة ، لكن البطل كان مندفعا بقوة خفية فى طريق نضاله لا يلوى على شىء ، ولا يعطى اهتماماته لشىء أكثر من أن يقطع فى طريق نضاله ومسيرته السياسية أكبر مسافة ممكنة ، ثم مات رحمه الله على فراشه بعد أن ثبت أقدام أمته على طريق نضاله لتكمل الشوط وتقطع المشوار الى نهايته — وما أشبه ذلك بما كان من خالد بن الوليد رحمه الله ، يوم قال وهو يجود بنفسه ليلقى ربه من فوق فراشه «لقد شهدت من الغزوات والمعارك الحربية كذا غزوة ومعركة ، ومافى جسمى قدر شبر الا وفيه رمية سهم أو ضربة سيف . وها أنذا اموت على فراشى ، فلا نامت أعين الجبناء » .

انه لمن الجدير بالملاحظة ، والتسجيل ، أن المبادىء التى أخذ البطل بها نفسه وبلده من الحرية والاستقلال ، ومكافحة الاستعمار ، والاشتراكية والمساواة ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع ، وزيادة الانتاج ، وحماية الدخل القومى ، وجميع الاصلاحات الاجتماعية والمالية والانتقال بالبلاد من المرحلة الزراعية الى المرحلة الصناعية الى الدولة العصرية : انما كانت هى الجسر الذى عبرت عليه شعبية البطل من الجمهورية العربية المتحدة الى سائر البلاد العربية وكانت هى الحوافز التى دفعت بالشعوب العربية فى أقطارها ، أن تتنادى وتهتف تلقائيا بالوحدة العربية والقومية العربية من الخليج الى المحيط ، ثم كانت هى الجسر الذى عبرت فوقه شعبية البطل الى عالم الدول النامية ، العالم الثالث . عالم الحياد الايجابى ، عالم الدول التى يجثم الاستعمار الغاشم فوق صدرها ، أو يحاول اللعب بمستقبلها واستقلالها ، ثم كانت هى الجسر الذى بنى فوقه للبطل صداقات عالمية لا تحصى ولا تعد ، فى الصين الشعبية وماليزيا والفلبين ، واندونيسيا ، والهند ، وافغانستان ، وباكستان ، ويوغوسلافيا ، والاتحاد السوفيتى ، وكافة الدول الاشتراكية ، والصومال ، والكونغو ، ونيجيريا ، وتشاد ، وموريتانيا ، وأوغندا ، وغير ذلك من الدول الافريقية ، ثم فى أمريكا اللاتينية وكوبا وقبرص وغير ذلك ، شواين لاى . خروشوف . كوسجين . زاخاروف . تيتو . نهرو . انديرا غاندى بندرانيكة . مكاريوس . كاستور . جيفارا . نكروما . ولد دادا . سيكوتورى . وغيرهم . وغيرهم . ممن تعيهم الذاكرة ، ذوو صداقات صادقة مع الراحل العظيم جمال البطل .

وانه لمن الجدير بالملاحظة والتسجيل مرة أخرى ، ان الراحل البطل مع صداقاته العديدة من الوجهة السياسية لكثير من الشخصيات البارزة ، التى هى على غير دينه وعقيدته واسلامه ، لم يسمح لهذه الصداقات المخالفة له فى الملة والدين ، أن تطغى أو تؤثر او يكون لها أصداء او انعكاسات على دينه وعقيدته الاسلامية . ان الجوانب الدينية والقيم الروحية كانت تأخذ جانبا كبيرا من عنايته واهتماماته لانه كان يعتقد وبحق أن ما ينادى به من الاشتراكية والحرية والعزة والكرامة وانصاف الانسان لاخيه الانسان ، انما هو من صميم الاسلام . وفى عهده طورت جامعة الازهر ، وأنشئت محطة خاصة لاذاعة القرآن الكريم وتفسيره ، وأنشىء المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ثم مجمع البحوث الاسلامية وكلية البنات الاسلامية . وكثيرا ما يشيد الميثاق الوطنى فى نصوصه وأبوابه بالقيم الروحية ، فيقول فى بعض فقراته « **ان القيم الروحية النابعة من هدى السماء قادرة على هداية بنى الانسان وتوفير الخير للفرد والمجموع** » . وفى موضع آخر يقول « **اذا كانت القيم المادية قادرة على منح الانسان مزيدا من التقدم : فان القيم الروحية قادرة على أن تمنح هذا التقدم أرفع المثل وأنبل الغايات** » وأمام أعضاء اللجنة التحضيرية ، أثار الرئيس الملهم التساؤل القائل ما الفرق بين اشتراكيتنا والاشتراكية الشيوعية ، ثم أخذ يذكر الفروق ويعدها على أصابعه عدا .

٣ — ثلاث صور للبطل

فى حياة البطل الراحل ثلاثة مواقف او ثلاث صور، تستفز رؤيتها الجبان الرعديد ، تبعث فيه الحمية والشجاعة والعزة والكرامة. الموقف الاول أو الصورة الاولى موقفه وصورته وهو يرفع العلم المصرى بيديه وساعديه، يشد حباله شدا قويا ليرتفع فوق السارية ، سارية أكبر معسكر حربى فى منطقة القنال ومدينة الاسماعيلية ، حيث كان يرتفع فوق هذه السارية العلم الانجليزى حين كان يحتل الانجليز مصر لمدى اربعة وسبعين عاما فلما جاءت الثورة كان من اوائل الاعمال التى قامت بها بعد خلع الملك والغاء الالقاب والرتب وتمزيق شمل الاقطاع ، تضيق الخناق على الانجليز فى معسكراتهم وأماكن وجودهم ، فأنشأ الزعيم البطل مراكز التدريب ، والحرس الوطنى ، وقوى الجيش وسلحه ، وأخذ الفدائيون المصريون يقضون مضاجع الانجليز فى

معسكراتهم ، فلما وجد الانجليز ان الامر صار جدا لا هزل فيه ، وانهم لاول مرة يواجهون جيشا وشعبا متحدين دون سند لهم من العملاء والخونة والملكية الفاسدة ، نزلوا على حكم الامر الواقع ورضخوا لمعاهدة الجلاء نهائيا ٠ وفى يوم رحليهم وتنكيس وازالة علمهم الانجليزى من فوق سارية أكبر معسكر لهم فى الاسماعيلية ورفع البطل العلم المصرى فوق نفس السارية وهويتمتميقول اللهتعالى « **جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** » ٠ الاستعمار الذى جثم على صدر مصر ثلاثة أرباع قرن من الزمن ، كانت نهايته وتطهير البلاد منه على يد البطل العظيم رحمه الله وأثابه ٠ الموقف الثانى او الصورة الثانية ، موقف البطل وصورته من فوق منبر الازهر الشريف فى سنة ٥٦ وهو يزأرفى وجه الاستعمار زئير الاسد ومن حوله الجماهير تهدر وهو يقول : « **سنقاتل ٠٠ سنقاتل ٠٠ سنقاتل ولن نستسلم ابدا** » وكان ذلك صبيحة العدوان الثلاثى الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى على قناة السويس ومصر، يوم قال ايدن رئيس الوزارة الانجليزية : اذا لم نقض على عبد الناصر سوف يقضى علينا ، يوم كان يحترق غيظا جى موليه رئيس الوزارة الفرنسية لان عبد الناصر كان يمون ثورة الجزائر ضد فرنسا بالمال والعتاد والرجال ، وكان البطل قبل ذلك بأيام قليلة قد أعلن تأميم قناة السويس وطرد هيئة ادارتها من الغاصبين الفرنسيين والانجليز ٠ وكانت هذه صفعة قوية للعرب على اثر منعه البنك الدولى من أن يمول مشروع السد العالى ، وتم للبطل ما اراد من الصمود فى وجه الاستعمار والتشهير به فى المحافل الدولية ، واثارة غضبة الشعوب العربية الاشتراكية ضده ، مع منازلته حربيا وعسكريا حتى منى بخسائر فادحة ، كان منها موت الضابط مورهاوس قريب الملكة فى صندوق كان خبأه فيه الفدائيون بعد اختطافه ، ولما وجد العدوان الثلاثى أن الارض تتزلزل تحت اقدامه عسكريا وحربيا وسياسيا ، لم يجد بدا من الانسحاب وخروجه من القناة ومن سيناء صاغرا ذليلا ٠ الموقف الثالث أو الصورة الثالثة موقف البطل وصورته فوق منصة الخطابة فى ميدان المنشية بالاسكندرية فى اواسط الخمسينات ،يوم أطلقت وهو يخطب رصاصة طائشة لم تصبه بسوء ، ولكنه من غرابة المفاجأة أخذ يصيح فى الشعب وحوله رفاقه أعضاء مجلس الثورة وهو يقول للناس قولته المأثورة الخالدة والتىكانت عنوانا وتلخيصا لمبادئه وأهدافه حيث أخذ يقول ويكرر : « **لقد غرست فيكم العزة والكرامة اذا مات او قتل جمال عبد الناصر فكلكم من بعدى جمال عبد الناصر ، حياتى فداء لكم ودمى فداء لمصر** »

٤ ــ بداية ونهاية

من الملاحظ الجدير بالتسجيل ، أن البطل بدأ حياته على مسرح الاحداث فى فلسطين فى حرب ٤٨ ضد اسرائيل ، ففى حصار الفالوجة الذى حوصر فيه البطل وأبى مع رفاقه أن يستسلم ، وبسبب ما رآه فى هذه الحرب من المهازل والخيانات ، والعمالة والاسلحة الفاسدة ، قال قولته المشهورة « **ان الحرب يجب أن تبدأ فى القاهرة** » يقصد خلع الملكية الفاسدة ٠ وتم له ما أراد ، وكانت حياة البطل على مسرح الاحداث العربية والعالمية سلسلة متصلة الحلقات من الاعمال المجيدة والعزمات القوية والارادة الحديدية ، حتى تمكن بعد هزيمة ٦٧ من الاجهاز على مراكز النفوذ ، واعادة بناء القوات المسلحة ، والانتقال من مرحلة الضياع الى مرحلة الصمود الىمرحلة الردع وحربالاستنزاف، وتحطيم أسطورة الفانتوم فوق القناة بعد تحطيم خط بارليف، وقبول المبادرة الامريكيةبوقف القتال ، ثم نشبت المعارك بين الاردن وبين المقاومة الفلسطينية ، هذه المعارك التى أفزعت جميع الدول العربية ، واستمرت عشرة أيام كانت من أحلك وأبشع أيام مرت بالعرب ، وتطلعت الانظار الى القاهرة والبطل عبد الناصر ، وأرسلت جميع الدول العربية ممثليها على مستوى الملوك والرؤساء ، وحضر الملك حسين وياسر عرفات واتسع القلب الكبير الذى يحمله البطل بين جوانحه لكل التيارات والاراء حتى تم الاتفاق بين الاردن والمقاومة على ايقاف القتال نهائيا ، وأخذ البطل يودع الوفود من الملوك والرؤساء عندسفرهم الى بلادهم ، وفى آخر وداع لاخر مسافر منهم ، أحس البطل بالتعب والاجهاد فذهب الى بيته ، واستدعى أطباؤه فأخذوا يصارعون الموت فى القلب الذى طالما خفق ونبض بأعظم المعانى وأكرم المبادىء ، لكن مشيئة الله قد غلبت وارادته قد نفذت لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه . « **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** »

واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لا تنفع

فاضت روح البطل الى ربها مطمئنة راضية مرضية : تتفتح لها أبواب السماء « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » ٠ فىقضية فلسطين ومأساتها بد ألبطل خطواته على مسرح الاحداث ، وفى قضية فلسطين ومأساتها انتهت حياة البطل : ولله فى خلقه شئون ٠ لقد كان البطل وهو يطلب من الملوك والرؤساء السرعة فى الاتفاق بين الاردن والمقاومة يقول « نحن فى سباق مع الموت » يقصد موت القتلى فى المعارك الناشبة بين الاردن والمقاومة فالتعجيل بالاتفاق يوقف هذا التيار الجارف من الموت ، أم يقصد موت نفسه هو فليعجلوا بالاتفاق قبل أن يموت؟ وكان يقول فى وداع أمير الكويت آخر مسافر من الوفود أنه الوداع الاخير ، يقصد الاخير بالنسبة لانه آخر مسافر أم يقصد الاخير بالنسبة له هو ولحياته الغالية ؟؟

كيف استقبل العالم الجديد

لم أجد امريكا تبكي على زعيم وتسكب أحر العبرات على عظيم مثلما بكت على جمال عبد الناصر

نعم ، ليس هذا من سبيل الدعاية أو على سبيل الخداع انما هو الحقيقة ماثلة أمام العيان تؤيدها الصحف الامريكية التى ظهرت عند وعقب وفاة الزعيم العظيم .

فقد ظهرت « التيمس » تنعي عبد الناصر فى صفحتها الاولى ووصفته انه اعظم قوة موحدة للعرب فى القرن العشرين ! لقد كان الزعيم الاوحد الذى يستطيع أن يجمع شتات العرب ، ويوحد كلمة الامة العربية جمعاء بما اتسمت فيه من سمات الزعامة الحقة والقيادة الرشيدة والنظرة السديدة ! .

لقد كتب أحد المعلقين السياسيين يقول ، لقد **استطاع عبد الناصر أن يحيل هزيمة العرب فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ الى انتصارات عظيمة وأمجاد كبيرة اذهلت أنظار العالم وبهرت اسماع الدنيا .**

وافردت الصحف الامريكية صفحات بأكملها لسرد قصة البطل المغوار ، وكيف خاطر بحياته من أجل انقاذ أمة وقشع غمة ، دون أن يخالجه خوف أو تتطرق الى قلبه رهبة أو وجل .

وكانت انباء الجنازة تملأ اسماع الدنيا حتى قال أحد الصحفيين الامريكيين ان مصر لم تشهد منذ عهد الفراعنة ومنذ اعماق التاريخ تعلق شعب بزعيم مثلما شهدت تعلق الشعب المصرى بجمال عبد الناصر بل تعلق الشعوب العربية التى وفدت من شتى الاقطار والامصار لتحنى الهامات لهذا البطل بعد أن سطر آخر حرف من صفحة حياته الماجدة فى تاريخ الامة العربية .

ومضت الصحف تقول ان **عبد الناصر كان حريصا على وحدة العرب حتى لحظاته الاخيرة وكان ذهنه دائما مشغولا بمصير العرب كما كان قلبه دائما يخفق لتحقيق آمال العرب** ، ولقد آلمه أشد الايلام ما حدث من انقسام فى كيان الامة العربية ، وما شاهده من حمامات الدم التى تجرى على الارض العربية . فمات **شهيدا فى سبيل مثله الاعلى ودخل فى دنيا الخالدين**

ولقد اهتزت جميع الدوائر العربية والاسلامية فى **العالم الجديد بوفاة الرئيس عبد الناصر فاقيمت حفلات التأبين فى كل مكان واقام المركز الاسلامى فى**

وفاة عبد الناصر؟

الدكتور جمال الدين الرمادى

وشنجطن صلاة الجنازة على روحه الطاهرة كما عقد المركز الاسلامى فى لوس انجلوس ليلة لتأبينه ، تليت فيها آيات من القرآن الكريم والقيت فيها كلمات من الوفود العربية والاسلامية واشترك فى الصلاة على روحه عدد كبير من اقطاب المسلمين فى القارة الاسيوية والقارة الافريقية الذين روعهم هذا النبأ الحزين ومضوا يعزون اخوانهم المصريين والدموع تملأ مآقيهم والزفرات تختنق فى صدورهم . وفى الدوائر الجامعية عقد الطلبة العرب احتفالات كثيرة لتأبين الراحل الكريم ، وجمع الطلاب فى جامعة كاليفورنيا مجموعة كبيرة من صور الرئيس عبد الناصر مأخوذة من المجلات العربية والافرنجية وزينوا بها قاعات المكتبة بعد أن وضعوا الحداد على رسمه الوسيم .

وقام الطالب الامريكى « ناتان زيلن » يقول **لقد كان عبدالناصر اعظم شخصية فى التاريخ الحديث : لقد خلق من مصر أمة كبرى كما خلق من العرب أمة عظمى تستطيع أن تجابه القوى العالمية الكبرى فى اباء وصمود .**

كما قالت الطالبة الامريكية جوديث هالارى ان عبد الناصر من الشخصيات التى لا تنسى ومن العظماء الذين تنحنى لهم الهامات وتطأطىء لهم الرؤوس لما ظفر به من شعبية عظيمة بين العرب ومن عزيمة تفل الحديد ! ..

وقالت ايلين مسكوفيتش وهى طالبة امريكية : **لقد طفت بالشرق الاوسط عدة مرات فى حياتى ولقد استطاع عبد الناصر ان يحول مصر فى بضعة سنين الى أمة كبرى قادرة على البقاء والخلود .**

ونشرت صحيفة لوس انجلوس تيمس مقالا مستفيضا حول عبد الناصر وقالت انه كان يفرق بين معاونة روسيا وبين الشيوعية ولم يكن شيوعيا فى يوم من الايام ولم يكن يحب أن يخضع لاى نظام سياسى غير ذلك النظام الذى آثره مع أصحابه وشعبه .

وفى لونج بيتش Long Beach كاليفورنيا عقد الطلاب العرب اجتماعات متواصلة اعلنوا بعدها حدادهم على وفاة الرئيس عبد الناصر وعزاءهم الصادق للجمهورية العربية المتحدة وتأييدهم المطلق لسياسته العربية فى حل أزمة الشرق الاوسط .

والغريب أن هذا النبأ الحزين لم يصرع العرب فى العالم الجديد فحسب انما صرع الامريكيين جميعا ، فاذا دخلت محلا من المحال وعرف صاحب المحل انك مصرى سارع بتقديم اصدق العزاء اليك وهو يقول فى اعجاب « **لقد كان رجلا عظيما** » . بل ان بعض الطلاب الامريكيين لبسوا الحداد على عبد الناصر تضامنا مع اخوانهم العرب ، ودخل بعض الطالبات الامريكيات قاعات المحاضرات وهن يرتدين السواد حزنا على عبد الناصر الذى كان محط آمال العالم جميعا فى حل أزمة الشرق الاوسط ، واطفاء هذا المرجل المحتدم الذى يثير أعصاب العالم الحر .

رحمة عليك يا عبد الناصر ! .. وشآبيب الغفران على جدثك الطاهر فقد رأيت الامل محمولا فى نعش والنعش محمولا على الاعناق .. والاعناق خاضعة لحكم القوى الجبار الذى لا اله الا هو علام الغيوب ! ...

وعزاء لك ايتها الامة العربية ! فقد أثبتت الايام انك قادرة على الصمود قادرة على الصبر قادرة على الخلود ! .

عزاء لك ايتها الامة العربية فان حفاظك على مبادىء عبد الناصر تكريم لشخصه وان حرصك على عقيدة عبد الناصر تمجيد لحبه ! .

ان الامة العربية لا تزال حية فى مبادىء عبد الناصر ، وان الامة العربية ستظل شامخة الرأس عالية الجبين فى ظل اتجاهات عبد الناصر الوطنية الكبرى .

كفكفى الدموع أيتها الجموع .. فان عبد الناصر لم يمت ! .. ان عبد الناصر حى فى هذا الحب الذى يحيطه فى كل مكان من هذه الدنيا .. وفى هذا التقدير الذى ظفر به من أحبائه وأعدائه على السواء .. ! .

وما أصدق كلمات جوالكس موريس Goe Alex Moris فى التيمس حين قال : لقد كان عبد الناصر هو الزعيم الاوحد الذى يستطيع أن يقود الامة العربية الى حيث تريد ...

وستظل ذكرى عبدالناصر ملء القلوب .. وملء العيون وملء الاذان .. وشذى مسكى العبير يعطر أجواء التاريخ الحديث .

ثورة روحانية

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

شروق و عزة

.. وأشرقت شمس ثورة قوية فى امة لها امجادها ولها تاريخها ، بيد ان الاستعمار قد باعد بين طبقاتها وكانت الفوارق كثيرة والبون شاسع ولقد مكن الله الايمان فى قلوب فتية آمنوا بربهم فعز عليهم أن يروا امتهم تتفكك أواصرها وتهدم عزتها بيد استعمار غاشم وطبقية هادمة مثيرة للاحقاد محطمة للمعانى الكبيرة التى ينبغى أن تتحلى بها الامم لتقيم على الخير وتحفظ الامجاد ، وأن الامم الحية لتحفظ دائما فيها فتيانا عمالقة بقلوب خيرة ونفوس تتأجج النيران فيها وتغلى غليان المراجل حزنا على بلادهم وما أصابها من بلاء الفرقة والاستغلال والغش والكذب والنفاق بين الطبقات العالية والطبقات الكادحة ، ان أمثال هؤلاء يرفضون الضيم ويأبون الذل ، والكريم لا تغمض عينه على اذى ، والعظيم يستهين بالموت فى سبيل الحياة والمرء لا يموت الا مرة والموت أحلى من حياة مرة ، ولا يفكر الا فى خير ولا يضع قدمه الا حيث يجب أن توضع .

وأتى على الامة حين من الدهر تجمدت كل خطوطها فكل فى شغل عن أمته بشئون نفسه وكل الامة قد تفككت أواصرها وضاع التعاطف بين أفرادها وذهب الود الى عالم لا حياة فيه واصبح الكل يحاول استغلال اخيه بل يحاول استنفاد طاقته حتى لقد تخاصم افرادها ونسوا مصالحها فضلت حكومتها واصبحوا كلما دخلت امة تعقب اختها حتى كان عاقبة أمرها خسرا ، وترقب الفتية المؤمنون هذه الجهود الضائعة فى امة كريمة ووضعوا أمام أعينهم مجد امتهم وأندفعوا بروحانية دافقة يحملون رؤوسهم على أكفهم لا يألون فى ذلك جهدا ، وهنا حزموا أمرهم وعقدوا الخناصر على انقاذ بلدهم والوصول بها الى شاطىء الامن والاستقرار فبدءوا تحركهم بسم الله الرحمن الرحيم فأصابت اشراقتها اللافحة هذا الجليد الذى تكاثفت طبقاته من ركام الشرك من حول ركام

الانتهازية الغاشمة والسيطرة الفادحة والظلم المستبد والقيادة الضالة والهوى المتبع ٠

وكانت مبادىء الاسلام واسسه هى الاساس التى ادخرتها الثورة لتتحرك بها وتمشى على ضوئها ولم تكن ثورتنا ثورة ٢٣ يوليو بنت ساعتها ولا وليدة ظروفها ولكنها ولدت فى ضمير الشعب ونمت فى قلب قائدها وتجاوبت فيها الجماهير مع القيادة الثورية القوية ولقد كانت نقطة تحول عظيم حاسم وانطلاق فى تاريخ الشعب العربى فى الامة العربية ، ولقد حققت الامل الكبير القوى ٠

ولقد حققت الامل الكبير والامال الكبيرة وغيرت به وجه تاريخ أسود لقد كانت ثورة شعب ولم تكن ثورة فرد كانت ثورة شعب اعاد اكتشاف نفسه ووجد قيادته الوطنية المؤمنة الصادقة التى طالما تطلع اليها والتى كانوا يرنون الى وجودها ، وشعبنا يعيش فى حياته ومعه دينه ومعه عقيدته ٠ اننا نملك من الايمان بالله ما نستطيع به أن نفرض ارادتنا على الحياة وأن نتحكم فيها ، وكل ما فى هذه الروحانية ان الثورة حينما تفجرت وخرج بها هؤلاء الفتية انما قاموا بها ليغيروا أرواحا بأرواح وليضعوا قواعد العزة وأصولها (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) على أساس من الحب الذى يجب أن يسود المجتمع ويسود الشعب كله ليوحد نضال هذه الامة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن اراد ان يضع قواعد الوجود الدولى ، فكان أن آخى بين طبقات الشعب الجديد شعب المدينة المنورة وليكون هذا الشعب المتآخى المتواد شعبا يكون دريئة وقوة للقوى التى تقف فى وجه العدو وقوفا لا خلخلة فيه متراصا قويا لا يخاف عدوا ولا يخشى بأسا معتصما بالله : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » والذين يتخذون من دين الله طريقا لهم وقوة معهم **يكونون على الحق وعلى الطريق المستقيم ، ويكونون هم الفاهمين الواعين، وهم أقدر الناس على كسب الوقت والزمن والحياة ومن أجل ذلك كان نجاح الثورة مع أنها قامت فى أشد الاوقات وأحرجها انها ثورة وضعت أمامها فى أول الاهداف الحب الصادق الذى ينبغى أن يقوم عليها متمثلين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ٠ والرسول يقول : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا » وهذا الحب هو القاعدة الكبرى لشعب يريد أن ينجح وأن ينتج وأن يكون جبهة عريضة تلقى العدو بشهامة والصديق بمحبة ومع الحب كانت روحانية أخرى فى قولة جامعة لقائد هذه الثورة ومحركها عندما قال : ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستغلال ٠ لنتذكر قول الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ثم لنتذكر أن حرية الفكر الانسانى يقودنا جميعا الى حياة فاضلة : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب »** ٠٠

ومن طول ما ابتلى القوم بروح السيطرة الطبقية واستغلال الانسان لاخيه الانسان بدأت القيم تهون فى قلوب بعض الناس وتضيع المثل فى أنظار التافهين الغافلين بل أن الاستعمار نفسه وهو قرين الشرك الذى عاصر مشارف الدعوة المحمدية حربا للفكر وهدما للقيم وتضييعا للمعانى ٠٠ أجل ان الاستعمار كان حريصا على التفرقة كما كان حريصا على تذويب كل ما يرفع معنوية الامة ويعلى شأنها ويدفعها الى العزة والكرامة ، فلطالما غرسوا فى نفوس الافراد عدم الحرص على القرآن ولطالما هونوا من شأن حفظه فاغلقت المدارس الاولية والكتاتيب التى كانت قد صنعت شبابا عزيزا كريما ثم كانت قاعدة لتخريج الاقوياء الاعزة الذين صنعهم القرآن وأعلى شأنهم كتاب الله المجيد وقرآنه العظيم ٠

والاستعمار دائما يزين باطله بطلاء من الحق ليسهل على النفوس ازدراء ما فيه من مرارة بل تناول ما فيه من سم زعاف فقد كان الاستعمار حريصا على اذلال الجماهير بانتزاع الطبقة الثرية وابعادهم عن منابع القوى ومصادر الخير بأن يغروا بينهم وبين الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين العداوة والبغضاء فيباعدوا بين الطبقة الثرية وبين دراسة القرآن والانتفاع به . ثم يعملون على حسر القرآن بين الفقراء فاذا تطلعوا الى التعليم المدنى فلم يدركوه تحركت فى نفوسهم الاحقاد والضغن على الاغنياء ومن ثم لا تستطيع أن ترى الا مجتمعا مريضا متفرقا لا يقوى على مجابهة العدو ولا الصمود امامه ، تلك سياستهم وهكذا كانت خطتهم فى معاملتهم لشعبنا وامتنا ، ولكن الاسلام وهو دين الحق والخير والعدل يأبى أن تكون ثمت فرقة بين الناس بعضهم وبعض ومن ثم كان ذلك فى نفوس مؤمنة وفى قلوب متوادة متحابة كانت ترقب اللعب بالنار الذى كان معول هدم ؛ وبذا قضت على الفكر الاستعمارى فى شخص اعوانهم من الطبقات التى اترفت ، كان ذلك فى فكر فئة آمنوا بربهم وزادهم هدى . كان ذلك فى ايمان عناصر الثورة التى تحركت امسية ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م ٠ لقد بقيت عناصر قوية فى فكرها قوية فى دينها حريصة على أن يعيش الناس فى اباء الحق يعزون لا يذلون كما يعيشون فى ضوء المساواة وبخاصة ان الاسلام ينظر الى الانسانية كأنها حديقة كبيرة تختلف ألوان الزهر فيها دون أن يكون ثمة فضل للون على لون ٠٠ **فتلك طبيعة الاسلام وهذا هو الحاكم فى المستدرك يروى أنس رضى الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « انا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش » ومن ثم كان هؤلاء السابقون الى الاسلام من شعوبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه فى**

باقة انسانية مؤمنة ليخلق قيادات انسانية وليست قيادات عنصرية انما هى قيادات تقوم على العمل الصالح والفكر والتلاحم الانسانى لا فضل لاحد على أحد الا بمقدار ما يستطيع أن يقدمه لبنى جنسه من عمل وانتاج •

وفى ضياء هذه الروحانية قامت الثورة تعلن مبدأ المساواة الحقة بين أفراد الشعب جميعا وتهدم الطبقية فيه فالغت يومئذاك نظام الرتب والالقاب الذى كان عامل فرقة بين الافراد والاسر والجماعات ليستقيم الناس على أمر واحد وهدف واحد وكان من بعد الغاء الاحزاب التى حطمت نضال الشعب وبددت قوتهكان من اهم اهداف ثورتنا أن تحدد أهدافها ، وشعبنا دائما اذا ما تحددت اهدافه فى وضوح ثم وجد قيادته المؤمنة الواعية فانه يهتدى ابدا الى طريقه متحركا نحو اهدافه بكل ما فيه من امل دافع وبكل ما فيه من طاقة خلاقة •

اجـل كانت ثورتنـا فى عزمات الاباء العربى الاسلامى عزمات عارمة لتجذب الدنيا الى الخط الاسلامى المستقيم تسلكه الى اهدافنا وغاياتنا لامتنا وما غاياتنا الا انسانية وهى تخليص الانسانية من ويلاتها ورد امانة الوطن الى أهله حتى يتساوى افراد المجتمع الابى ويسمى صفنا الصف الانسانى الذى حمل رسالة الخير الى الدنيـا يسعى متحـابا فى الاشتراك فى اقامة حضارة تأخذ سبيلها فى ظلال الامن والسلام •

وكانت ثورتنا اذن ثورة روح فقد كانت فارقا بين قوى الحقالمتحررة وقوىالرجعية والاستعمارالمبطله وفيصلا قويا بين العزة الغالبة والذلة المتدنية وحجازا بين القوة والضعف وبرزخا بين شكل من اشكال العبودية التى فرضها الاقطاع وبين الحرية التى يحتمها ديننا يوم يقول عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا •

لقد كانت ثورة ميمونة الغدوات مباركة الروحات بها فجرت النفوس والمشاعر والاحاسيس عن المعنى الذكى للانسان العربى المسلم فاذا هو العزيز الابى الذى لا يرضى مقاما على ذل او اخلادا الى ارض الهوان •

فهى تريد ثورة تساوى بين الكادحين فى الحياة ليسير مسيرة العزة وتمضى على خط الكرامة تجعل القائد فى صف الجندى والجندى فى قمة القائد •

جاء رجل حبشى أسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أفرأيت انأنا آمنت بما آمنت به واتبعت ما اتبعت أكون معك فى الجنة ؟ فقال له الرسول صلىالله عليه وسلم : « نعم » فالعمل هو الطريق والطريق فقط

••• أجل انها ثورة ولكنها روح ••

القافلة

تالقت حياة قائدنا ورئيسنا العظيم الراحـل ، بالمثاليات العليا ، فى شتى الميادين ومختلف الافاق ، على صور مكبرة ونادرة ، فى التاريخ الانسانى الطويل !

ففى صفحات بيضاء ، وبأحرف ذهبية ، يسجل هذا التاريخ المنصف ، أنه بفضل ايمان جمال عبد الناصر ، وبروحه الطهور ، وشبابه العف ، وعزماته الفتيـة ، وبفكره المشرق الراشـد وبمواجهـاته الشجاعة الحاسمة ، وبقيادته الحكيمة المسددة ، بكل هذه الخصال الجليلة ، تحققت رسالة الثورة بمبادئها المعبرة عن آمال الشعب وآلامه ، فتحررت البلاد من أغلال الاحتلال البريطانى الثقيل الذى ظل جاثما على صدرها ، وعابثا بمقدراتها ، خمسا وسبعين عاما ؟ !

وتطهر الشعب محررا ، من آثام الملكية ، وفسـاد القصور ، وجور الحكام ، ومظالم الرجعية ، وشرور الاقطاع والاحتكارات ورؤوس الاموال المستغلة ، وانبعثت مصر بعثا سويا ، مؤزرا بجيش وطنى سليم خالص العروبة ، موفور العدة ، مرهوب القوة ، وعاد اليها وجهها العربى مشرقا ، وتاريخها الحضارى ساطعا ، على دعائم موطدة من الحق والعدل والمساواة والتعاون وتكافؤ الفرص ، فى اشتراكية مسماحة نابعة من شريعة الله وعدل السماء ؟ ! الى ما لا يعد كثرة من أفضال القائد العظيم وجلال أعماله التى ملأت سمع الدنيا وبصرها ، وبوات مصر مكانتها المهيب الرفيع بين كبريات الدول المتحضرة المؤثرة فى مجرى الاحداث العالمية ! •

وكما كانت حياته عظيمة ، فكذلك كانت وفاته ، تدفقت لها تجمعات بشرية ، من شرق وغرب ، وحشود

تسير المعركة مستمرة

الأستاذ أحمد وافي

متدافعة تدفع السيل ، استطارها النبأ الفاجع المفاجىء ، فهرعت تودعه فى هذا الموج المتلاطم ، وفى طوفان من الدموع والزفرات ، وسعير من الاسى والحسرات ،وقد امتدت هذه المظاهر ، واستفاضت متأججة المشاعر ، فى سائر اقطار العروبة والاسلام منذ ذلك اليوم العبوس القمطرير ، الى أيامنا هذه ، وستظل هكذا الى آخر الدهر ، فما يستطيع الزمن مهما طال أن يحجب عن الناس ، أجيالا بعد أجيال ، ما قد تنضر به وجه التاريخ ، من مواقف جمال عبد الناصر البطولية الفذة ، فى معارك ضارية ، ظل يخوض غمارها ، ويقتحم أخطارها ، ويعيش لظاها ، محتملا صابرا ، طوال ثمانية عشر عاما ، لم يسترح فيها يوما واحدا ، حتى شاء الله سبحانه وتعالى ، أن يختم حياته أشرف ختام ، فسقط شهيدا ، وهو فى قمة الكفاح ، وذروة النضال ، باذلا روحه الغالية أسمح بذل ، فى أكرم ساحات الجهاد والشهادة ..

وتلك - لا ريب - حياة أخرى أعز وأمجد ، وأطول عمرا ، وأخلد فى الخافقين أثرا وذكرا ..

وكان طبيعيا أن لا تتوقف مسيرة الشعب استسلاما لحزنه على القائد الراحل ، فهذا الشعب برشده ونضجه ، يعلو على الاحداث المتفاقمة ، ويؤمن أعمق ايمان ، بقضاء الله وقدره ، وأن فى صفوفه التى خرج منها عبد الناصر ، لرفاقا أبطالا ، وزملاء كفاح كفاة ، والشعب فى مختلف الظروف والاحوال هو الاب المنجب ، والمعلم القائد ، وكان عبد الناصر رحمه الله ، لا يفتأ يعلن هذه الحقيقة معتزا مفاخرا ، ففى كفاحه المضنى المتصل كان دائما يرى الشعب معه والى جانبه يؤيده ويشد من أزره ، ويبعث فيه الامل الدافع خلال اقسى المواقف وأحلك اللحظات ، فهذا الشعب هو الذى خرج - عن بكرة أبيه - يبارك الثورة ويبايعها ويتفاعل معها فى أول يوم من أيامها (٢٣ يوليو ١٩٥٢] امام قلاع الاحتلال والملك والاقطاع والقوى الرجعية المسيطرة ، فكل شىء يومئذ كان يوحى بالخوف والرهبة ، لشيوع الفساد ، وافتراق الاراء ، واختلاف الاهواء ، وشتات الاحزاب ، ولكن الشعب كان يعانى من هذا كله ويعيه ، وينكره وينتظر البطل المنقذ ، ويرقب ساعة الخلاص ، فما أن أذن مؤذن الثورة ، حتى هب لها فى اجماع قوى شجاع ، ولم يكن يعرف أحدا من أبطالها باسمه أو لقبه - فقصاراه منهم أنهم أبناؤه الخلص ، وضعوا حياتهم على أيديهم ، واخترقوا بها الاسوار المنيعة ، وواجهوا الاخطار المحيطة ، لانقاذ وطنهم ، وتحرير شعبهم ، ولهذا رافقهم مجمعا مخلصا فى المسيرة المقدسة ، وعلى طريقها الوعر الطويل خاض معهم المعارك ، المتعددة تعدد القوى المعادية ، والثورات المضادة من الداخل والخارج .

وهذ الشعب نفسه هو الذى خرج - عن بكرة ابيه - فى يومى ٩و١٠ يونية ١٩٦٧ - مواجها النكسة بشجاعة ، ورافضا الهزيمة بإباء ،مجددة ثقته المطلقة غير المحدودة بقائده وزعيمه ، مناديا ، فى اصرار ، بمواصلة القتال حتى النصر ، فكان هذا الموقف التاريخى الجليل ، أقوى دفعة ايجابية ، لنفض غبار الهزيمة ، وعودة الامل قويا الى النفوس المرتاعة ، واستجماع الطاقات المبددة ، ومن ثم كان الصمود ، والصبر ، والاستعداد ، والردع ، والقدرة المتكاملة على الثأر ، ورد العدوان ، واجلاء العدو .

وأخيرا ، فهذا الشعب هو الذى خرج - عن بكرة أبيه - فى ٢٨ سبتمبر ليودع قائده البطل فى رحلته الابدية ، مشهدا الله ، على أنه باقى على عهد قائده ، منتهج نهجه ، وسالك سبيله ، وباذل بذله ، ومعظم لذكراه ، ومتخذ من نضاله وتضحيته ، قدوته ومثاله ، ومنارته الهادية ! ..

.. وتحركت القافلة ، مواصلة سيرها ، حثيثا ، على طريق البناء والتعمير ، والكفاح الشاق الطويل ! ..

ولم يغفل الشعب لحظة عن واجبه فى المعركة الظالمة التى فرضت عليه فرضا ، وما كان له أن يغفل أو يتراخى دون واجبه فيها .. بعد أن افتقد فى ساحتها أعز أبنائه ، وأعظم أبطاله ، فذلك أحرى أن يلهب مشاعره ، ويشعل ارادته ، ويضاعف من تصميمه ..

وهذه المعركة فى واقعها وأهدافها ليست معركة شعب مصر وحده ، ولكنها معركة الشعوب العربية والاسلامية جمعاء !

فنحن فى الحقيقة لا نقاتل اسرائيل وحدها هناك ، وانما نقاتل معها الاستعمار الغربى القوى الحاقد ، ممثلا فى امريكا والقوى الشريرة الدائرة فى فلكها ..

فخطر المعركة ليس محصورا ، أو لن يبقى محصورا ، فى أجزاء من الارض العربية ، استباحها هذا الاستعمار الطاغى ، اغتصابا وقرصنة ، وغدرا ، واقام عليها عصابة عنصرية آثمة ، ولكن الخطر الذى اتضحت كل معالمه وابعاده ، هو ان هذه العصابة العدوانية التى ترامت على فلسطين العربية المسلمة من شتى الافاق ، قد استطاع الاستعمار بقوة نفوذه أن يمنحها وجودا دوليا فى وطن لا تملكه ، لتكون - بتعبير الرئيس الراحل فى الميثاق الوطنى : (سوطا فى يده ، يلهب بها ظهر النضال العربى .. وعملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية يشغلها عن معركة البناء الايجابى ! ..) .

والاستعمار بذلك لا يبتدع جديدا ، فهو هنا يمضى فاق خططه التاريخية ، المعروفة ، وصولا الى سيطرته على الشعوب ، متنكرا وراء وجوه مصطنعة ، وخلف لافتات زائفة ، وقد ازعجه واقض مضجعه ، أن انتفاضات البعث والتحرر شملت شعوبا وأقطارا كثيرة فى الوطن العربى والاسلامى ، مهتدية بمشاعل ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، فانطلقت متحررة على نهج هذه الثورة الام ، لتبنى نفسها من جديد ، لاحقة بركب الحضارة الذى فاتها مدى اجيال ، وفى هذه الشعوب والاقطار ، وحولها ، وعلى مقربة منها ، حقول الاستعمار ومجالات نفوذه واستثماراته ، ومعنى هذه الانتفاضات التحررية أن وجوده هنا وهناك يهتز ويتقلص ثم ينمحى كما حدث فعلا فى مواطن الثورات الناجحة ، وفى مقدمتها ثورة مصر الرائدة ، وللاستعمار قواعده وصناعاته وأسواقه وتجاراته ، وهى قوام حياته القائمة على الطمع والجشع والكسب غير المشروع ، ولهذا تحرك ليفعل شيئا يطفىء به هذه الشعلة التى تكشف سوآته بنورها ، وتحرق مطامعه بنارها ، وهو لا يستطيع أن يلجأ فى ذلك الى الغزو المباشر والسطو السافر ، كما كان حاله فى الحروب الصليبية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ثم بعدها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فقد تغيرت الاحوال والاوضاع الدولية بعد الحربين العالميتين فى النصف الاول من القرن الحالى ، واقتضت هذه التغييرات تصفية الاستعمار والغاء وجوده ، ولكنه لم يعدم الوسيلة الى التسلل من خلال المؤامرات والانقلابات العميلة من داخل الدول والشعوب نفسها ، وفى مأساة فلسطين بالذات ، لعبت الصهيونية العالمية دورها المعروف ، فواطأت الاستعمار واستعانت به ، واستعان بها ، على تحقيق مطامعهما المشتركة ! .

وتطبيقا لهذا الحلف الشيطانى ، وقعت جهارا ، وتحت تعين هيئة الامم المتحدة ومجلس أمنها ، أبشع جريمة انسانية فى التاريخ ، هى اغتصاب ذلك الوطن العربى العريق واهدار عروبته واخلاؤه من أصحابه الاصلاء قتلا وتشريدا ، وتحويله وطنا يهوديا شاذ التكوين ، مختلف الاجناس ، مخلخل الاساس ، عنصريا متعصبا ، عدوانى النزعة والإتجاه ! ..

وكانت أمريكا رأس كل خطيئة ، هى صاحبة الدور الاول والمؤثر فى المأساة ، فهى التى حالفت الصهيونية وحملت اليهود على سواعدها ، وعلى أكياس خزائنها وأمدتهم بأسباب الحياة ، سلاحا وأموالا ، ولا تزال تمدهم ، وهم فى حماها وظلها ، وبسلاحها وأموالها ، يواصلون العدوان ، ويقارفون الجرائم والاثام ، ويهولون فى أسطورة أرض المعاد ، والوطن الموعود ، مجاهرين بحقهم - المزعوم - فى الامتلاك والتوسع على امتداد ما بين المحيط والخليج ، الى آخر هذه الاحلام الكواذب ؟ ! وأمريكا لا تنى تغريهم وتتسلس لهم ، فانها انما تصطنعهم ليكونوا مطاياها ، ومجازر انطلاقها الى أهدافها ومصالحها الاستعمارية بالمنطقة من سائر أقطارها ، فكل من اليهود وأمريكا يطلب صيده ، ويغنى على ليلاه ؟ !

وحين يكون الامر أمر اليهود بأطماعهم وعنصريتهم وغرائزهم العدوانية ، وأمر الاستعمار بقواه وخبراته ووسائله غير المشروعة ، فان الخطر - كنتيجة لهذا - يستفيض وينطلق ويمتد حتى يشمل الوطن العربى والاسلامى كله ، فهو من قديم مطمع الاستعمار ، ومجال عدوانه ، وقرصنته ! ..

ومعنى ذلك ان العرب والمسلمين اينما كانوا مستهدفون لهذا الخطر المقتحم ، بعيدهم كقريبهم على السواء ؟ ..

ومصر فى موقفها من المعركة وأخطارها ، تدرك مسئوليتها تماما ، وتتصدى لها على الخطوط الاولى ، قياما بدورها الطليعى الذى نوه به كمنهج مقرر ، فقيدنا البطل ، بقوله فى الميثاق الوطنى : (وفى اطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قام الشعب المصرى بأعظم الادوار دفاعا عن الحضارة والانسانية .. وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة بأسرها ، كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير ، مسئوليات حاسمة

لصالح المنطقة كلها) وهو يشير بهذا الى أن مصر هي التي قاتلت الصليبيين وأخرجتهم اخراجا تاما من فلسطين ومن مدن هامة في الشام بعد أن ظلوا محتليها مائتي عام ، وكذلك لاقت التتار في معارك قاسية صارمة ، وألحقت بهم هزيمة لم يلقوا مثلها من قبل ، فصدت تيارهم الجارف المدمر عن الوطن الاسلامي الكبير ..

ومن مفهوم هذا الدور ، وايمانا به ، شاركت مصر بكل ما تستطيع من معاونة وتأييد في حركات المقاومة والتحرر في مواطن كثيرة من المنطقة العربية .

ومن مفهوم هذا الدور ، وايمانا به ، أبت مصر أن تدع مكانها ومسئوليتها من المعركة عندما عرض عليها أن يعاد اليها - بلا قتال - الاجزاء المحتلة من أرضها ، دون ارتباط بالاخرين ، تمسكا منها بوحدة الهدف ، ووحدة الصف ، ووحدة المعركة ، فلا مكان عندها للتجزئة أو المساومة !

على أن اضطلاع مصر ، مختصة بمسئوليتها القتالية في معركة طويلة تشتد يوما بعد يوم وتكاد تتحول الى حرب عالمية ثالثة ، ومع الاهداف الاستعمارية ، بعيدة المدى ، نقول : ان الوضع على وجهه هذا من شأنه أن يلقى على كل الشعوب العربية والاسلامية واجب المشاركة في هذه المسئولية الخطيرة ، مسئولية دفع العدوان والاخطار المحدقة بها جميعا ، وانها لتملك في هذا المجال طاقات كبيرة ومؤثرة ، ونحن لا نشك قط في أن العرب والمسلمين في قارات الارض كلها ، متحدون ايمانا ، وعقيدة ، وفكرا وشعورا ، في مواجهة المعركة ، وابتغاء النصر فيها ، فالمشاركة الفعلية في مسئولية الموقف ومتطلباته عسكريا او سياسيا ، أمر ميسور من خلال وحدة الايمان والعقيدة والفكر والشعور ! ..

ويد لي أن ننبه الى حقيقة أخرى هامة ، غير منفصلة عن هذا الموضوع ، هي أن الاستعمار لا يزال يمارس تحدياته ومؤامراته الخبيثة ضد الدين الاسلامي ، بطريقة تخريب الحصون من الداخل ، يسيره في هذه الحرب الشريرة دافعان ، أولهما : التعصب الحاقد المتوارث منذ عهد الحروب الصليبية ، وثانيهما أن هذا الدين بتعاليمه ومبادئه وأخلاقياته ، وروحانياته القوية ، يقف عقبة كأداء في طريق الاستعمار في كل زمان ، وفي أي مكان ..

ومما لا يحتاج الى بيان أن طريقة تخريب الحصون من الداخل ، تعتمد في الدرجة الاولى على ارساليات التبشير باسم الدين ، ومعاهد التعليم باسم العلم ، ومؤسسات العلاج باسم الانسانية ، ودور التأليف والنشر باسم الثقافة وحرية الرأى ، والاستعمار في هذه الميادين العريضة يجند فرقا متكاملة الاعداد من العلماء والاطباء ، والمستشرقين والكنسيين وأمثالهم ، مزودين بالكراهية وبالمال الكثير والتعصب الحاقد والتدريب الدقيق : وقد قامت هذه الارساليات بمهمتها التخريبية خلال القرن الماضي في دول متعددة بأفريقيا وآسيا ، وكان الظن أن نشاطها قد أدبر مع ادبار الاستعمار ، ومع التغييرات الفكرية المتطورة ، ولكن أحداثا كثيرة دلت أخيرا على أن هذا النشاط لا يزال متصلا ، فمنذ عام ، وفي يوم واحد ، قرأنا بالصحف خبرين ، أولهما : أن عددا كبيرا من مدارس التبشير افتتحتها جامعات أجنبية في امارات الخليج العربي . وثاني الخبرين : أن وزير التربية في الكويت وجه انذارا الى المدرسة الامريكية هناك للكف عن الاساءة الى الدين الاسلامي وتمجيد اليهود ؟ !

وخبر ثالث قرأناه منشورا أيضا ، يقول : ان حفلة حافلة أقيمت في مدينة (كولن) بألمانيا الغربية ، خصص دخلها لتمويل ثلاثة عشر بعثة تبشيرية وجهتها ألمانيا الى (بيافرا) الاقليم الجنوبي من نيجيريا الدولة الاسلامية الكبيرة ، وكان عملاء الاستعمار هناك قد استطاعوا اشعال ثورة انفصالية تحولت الى حرب أهلية مدمرة ، أخمدتها الدولة بعد كوارث وأهوال ، وخطوب شداد ! .

فهذه ألمانيا الغربية ، الدولة - أو في الحقيقة نصف الدولة - المهزومة هزيمة ساحقة في الحربين العالميتين ، لم تتجرد بعد - كدولة اوربية - من مشاعر حقدها وعداوتها المتعصبة للاسلام والمسلمين ، وما برحت تتابع تسديد السهام المسمومة الى الشعوب الاسلامية بأيدي جنود البعثات التبشيرية رغم انها بحكم ظروفها الانهزامية ، وانشغالها بلعق جراحها وتعمير خرابها ، تعد من ابعد الدول عن التطلعات الاستعمارية ، فالامر كما ترى ليس أمر استعمار فقط ، وانما هو ايضا أمر الحقد والعدوان على الاسلام ، واذا كانت ألمانيا الغربية - وهذا هو حالها - قد بعثت مرة واحدة ، والى بلد واحد ، ثلاث عشر بعثة تبشيرية ، فانه من اليسير أن نتصور كم هو عدد البعثات التى ترسلها الدول الاستعمارية الكبرى الاكثر قدرة وتخصصا وأطماعا ، كانجلترا وأمريكا ؟ !

وليس مجرد مصادفة أن يظهر ، في الوقت نفسه المبشرون البريطانيون والامريكان - والمفروض انهم رجال دين - على رأس الانقلابات وحركات التمرد في تشاد وجنوب السودان وغيرهما من البلاد التي كانت في قبضة الاستعمار ، فهناك لم تزل الارساليات التبشيرية قائمة ومستمرة في نشاطها الخادع المخرب ، بعد أن توطد وجودها في حمى الاستعمار منذ القرن الماضي ..

وهذه الارساليات بشتى أسمائها وشعاراتها ، منتشرة في سائر البلدان والمواطن ، وحيثما يوجد استعمار أو مطامع استعمار ، وحيثما يوجد الدين الاسلامي ، لافساد عقائد أهله ، وتفتيت قواهم واشاعة الفرقة بينهم ، ووأد النهضات التحررية فيهم ، وأساسا ، لاخراج المسلمين من دينهم ! .

ويمكن أن يقال - بعد تجربة قرن ونصف قرن - أن هذه الارساليات ، وان تكن قد استطاعت أن تبث كثيرا من مفاسدها الخلقية والفكرية في المجتمعات الاسلامية ، فانها لم تنجح في تحقيق الغرض الاول الذي كانت مجندة له ، وهو تهديم حصون الاسلام وتنصير المسلمين ! والمبشر [ذيمر] - وهو من أقطاب التبشير في ظل الاستعمار حين كان متمكنا ومسيطرا - يقول في تقريره الذي نشر في ابريل سنة

١٩٢٦ ـ : (لقد جربت الدعوة الى النصرانية فى انحاء كثيرة من الوطن الاسلامى وتخولنى تجاربى ان اعلن ان الطريقة التى سرنا عليها لا توصلنا الى الغاية التى ننشدها ، فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا ، وانفقنا من الذهب قناطير مقنطرة ، والفنا ما استطعنا أن نؤلف ، وخطبنا ما استطعنا أن نخطب ، ومع ذلك فاننا لم ننقل الى النصرانية مسلما واحدا ، فالذى نحاوله فى نقل المسلمين الى النصرانية ، هو اللعب أشبه منه بالجد ، وعندى انه علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين ، أن نهدم الاسلام فى نفوسهم) فهنا اعتراف صريح بالهدف التبشيرى ـ أى الاستعمارى ـ واعتراف صريح بالفشل فى محاولات اخراج المسلمين من دينهم ، ولكن هنا كذلك توجيه صريح من ذى تجربة واختصاص الى صرف الجهود المعززة بالاموال والتأليف والخطب لهدم الدين فى نفوس المسلمين ! ٠٠ وهذا هو الذى تمارسه الان الارساليات المختلفة فى مختلف المواطن الاسلامية ! ٠٠

ولم يفت مصر ادراك واجبها ومسئوليتها تجاه هذا الخطر ، فلم تدخر جهدا ولا مالا فى تدعيم الدين الاسلامى ، وتوسيع آفاقه وميادينه ، ورفع مستوى معاهده وجامعاته ، وفتح الابواب واسعة للنهل من أصفى مناهله ، وايفاد البعوث تترى لنشر أضوائه الساطعة فى كل الشعوب والمواطن الإسلامية ، تثبيتا للعقائد ، وتنويرا للعقول ، ودفعا للشبهات ، واظهارا للحق على الباطل ! ٠٠

فهذا أيضا جزء هام من المعركة ، ينبغى أن تتضافر فيه قوى الدفع والدفاع الاسلامية ، والا تكتفى الحكومات الاسلامية فى مواجهة هدم الافكار الاستعمارية الضاربة من الداخل ، بمجرد التحذير والانذار ، فليس ثم عاصم من خطرها الا بالقضاء عليها قضاء حاسما ، بطرد رجالها ، وتحطيم أجهزتها وتصفية كل آثارها ، وفى الوقت نفسه تتواصل الجهود ـ على نحو ما تفعل مصر ـ لتحصين الاسلام بالتربية الصحيحة ، والنشأة القويمة ، والترشيد الصحيح المستنير ٠

ان المعركة كبيرة متعددة الجبهات ، والاعداء محتشدون علينا فيها من الخارج والداخل ليغتصبوا أرضنا وديننا أيضا ـ فالامر بذلك أصبح فرض جهاد مقدس لا يقبل نكولا عنه ، ولا يجوز التخلف فيه ، وعلى المسلمين قاطبة ان يحتشدوا لحقهم ، احتشاد الاعداء لباطلهم ، ولتكن ثقتنا بنصر الله كبيرة ، فانه سبحانه وتعالى يقول ، وقوله الحق : **(اذ يوحي ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)** ويقول عز وجل : **(ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين)** ٠

وصدق الله العظيم ٠

مؤامرة جديدة

تحية الى المسلمين فى جنوب أفريقيا الذين خرجوا يوم استشهاد البطل الرئيس جمال عبد الناصر فى مسيرة طويلة انتهت الى أكبر جامع فى مدينة كاب تاون تعبيرا عن تقديرهم العظيم للقائد الراحل ودوره فى تحرير شعوب أفريقيا ونصرة الاسلام فيها وتعبيرا عن اعتقادهم بتشابه المخططات الاستعمارية والصهيونية تجاه الاراضى العربية وتجاه قارة أفريقيا ٠ ففى الوقت الذى تواجه فيه الامة العربية مخططا صهيونيا للعبث بمقدساتنا الاسلامية فى الاراضى المحتلة ، والذى كان ابرز مراحله محاولة حرق المسجد الاقصى فى أغسطس الماضى ٠٠ فى هذا الوقت تطالعنا الانباء بمخطط آخر لحكومة جنوب أفريقيا العنصرية يستهدف ازالة مساجد المسلمين فى مدينة كاب تاون ، بزعم متواجدها فى المناطق المخصصة للعنصر الابيض ٠

فلقد طالعتنا صحيفة « الجارديان » البريطانية فى الخامس من ابريل ١٩٧٠ بتحقيق من مراسلها فى مدينة كاب تاون بجمهورية جنوب افريقيا ، اجراه مع الشيخ أ ٠ النجار نائب رئيس المجلس الشرعى للمسلمين وامام أحد المساجد الكبرى فى المدينة ، كشف فيه الشيخ النجار مخطط الحكومة العنصرية لازالة ٣٦ مسجدا من مجموع ٥٥ مسجدا فى مدينة كاب تاون ، وذلك تنفيذا لسياسة الفصل العنصرى التى تطبقها الحكومة لفصل الاجناس البيضاء والملونة والبانتو الافريقيين والهنود ٠٠ كل فى منطقة خاصة به ٠

ولاشك أن عاملا مشتركا يربط بين المخططين الاسرائيلى فى دولة العصابات الصهيونية والعنصرى لحكومة الاقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا ٠ ويتمثل هذا العامل المشترك فى طبيعة نشوء كل منهما على الاساس العنصرى الاستيطانى ، كما يتمثل فى مجموعة المصالح المشتركة المتبادلة بينهما ومن أهمها تحكم الطائفة اليهودية فى الشئون المالية والاقتصادية فى جنوب افريقيا ٠ ولا عجب بعد ذلك أن تكون جنوب افريقيا هى المركز الثانى للصهيونية بعد الولايات المتحدة الامريكية ٠

والحديث عن هذا المخطط الصهيونى العنصرى المشترك فى كل من اسرائيل وجنوب أفريقيا ، يتطلب اولا تقديم عرض لاوضاع المسلمين فى جنوب أفريقيا والتحديات المفروضة عليهم من قبل السلطات العنصرية موضحين أبعاد المخطط الجديد بهدم

... ضد المسلمين في جنوب إفريقيا العنصرية

الأستاذ أحمد يوسف القرعي

المساجد والموقف البطولى للمسلمين تجاه هذا العمل العدوانى على الاماكن الاسلامية المقدسة ، ثم نلقى الضوء على حقيقة المصالح التى تربط اسرائيل القاعدة العنصرية الاستعمارية فى الشرق الاوسط بجمهورية جنوب أفريقيا قلعة العنصرية البيضاء فى أفريقيا ، ودور الاقلية اليهودية الصهيونية فى جنوب افريقيا فى تأييد العدوان الاسرائيلى على الدول العربية .

أوضاع المسلمين فى جنوب أفريقيا :

يبلغ تعداد المسلمين فى جنوب أفريقيا حوالى ٣٠٠٫٠٠٠ مسلم ، ويعمل معظمهم بالتجارة وخاصة فى المدن الكبرى . ولا يوجد فى المناطق الريفية منهم الا الخمس على الاكثر .

وتاريخيا فان جنوب أفريقيا لم تحظ بروافد الاسلام الاولى التى وصلت منذ فجر الاسلام .

ولقد بعث المجلس الاعلى للشئون الاسلامية برقية تعزية لاتحاد الجمعيات الاسلامية بجنوب أفريقيا تعبيرا عن مشاطرة المجلس فى وفاة الامام هارون ، كما بعث المجلس ببرقية تعزية لارملة الفقيد . ويكفى أن نسجل هنا تعليق صحيفة التايمز البريطانية تعقيبا على وفاة الشيخ هارون بقولها : « ان موت الامام فجاة هو آخر نبأ من أنباء الحياة التعسة التى يحياها السجناء السياسيون فى جنوب أفريقيا » .

محاولة هدم ٣٦ مسجدا :

والمخطط الجديد لحكومة جنوب أفريقيا العنصرية يستهدف ازالة ٣٦ مسجدا فى مدينة كاب تاون . وهنا ثارت ثائرة المسلمين وأعلنوا على لسان الشيخ النجار أنهم « سيكافحون حتى النهاية » للدفاع عن أماكنهم المقدسة فى مواجهة محاولات التخريب والتهديم التى تقوم بها حركة التفرقة العنصرية أخيرا . وصرح الشيخ هارون « اننا سوف نذهب الى المحكمة اذا اقتضى الامر ،وان شعبنا لن يقبل التعويض المالى » .

وقد بعث زعماء المسلمين مذكرة شديدة اللهجة الى رئيس الوزراء فورستروالى المسئولين فى مديرية الكاب ، أعلنوا فيها معارضتهم لاعمال « الزندقة » الموجهة ضد الدين ، كما أعلنوا أن محاولة ازالة مساجد المسلمين انما هى خطوة غير عادلة ولا تتمشى مع قانون الحفاظ على حقوق الاقليات . وصرح الشيخ النجار اننا لا نقبل خيارا على أراضينا الدينية ، ومساجدنا لا يمكن أن نتنازل عنها . وحتى اذا تحطمت أبنية المساجد نفسها فان أرضية المساجد تبقى مقدسة طاهرة مثل المسجد تماما . والمسلمون متمسكون بالصلاة فى هذه الاماكن فى كل الاوقات .

ورغم أن الحكومة قدمت تعويضا ماديا عن ازالة هذه المساجد الا أن زعماء المسلمين رفضوا هذا التعويض وأعلنوا ان الحكومة لا تريد ان تفهم ان المسلمين الحقيقيين لايمكنهم أن يقبلوا أى تعويض عن مساجد الله .

التطابق العنصرى فى اسرائيل وجنوب أفريقيا :

وفى مواجهة الامة العربية لعبث اسرائيل بالاماكن المقدسة للمسلمين فى الاراضى العربية المحتلة ، فان من أولى متطلبات هذه المرحلة أن نعقد مقارنة بين عبث اسرائيل هذا ، وعبث الحكومة البيضاء فى جنوب أفريقيا .. لنجد تماثلا وتطابقا كاملا بين نوعية الاستعمار الاستيطانى فى كل من اسرائيل وجنوب أفريقيا ، ولنؤكد الحقيقة أمام الرأى العام العالمى بأن استيطان الصهاينة فى فلسطين واستيطان البيض فى جنوب أفريقيا قائم على العنصرية المنافية لكل القيم والمبادىء والمثل الانسانية .

وعمت معظم أراضى أفريقيا شمالا ومشرقا وغربا .. ولعل الموانع الجغرافية هى التى حالت دون وصول الاسلام الى جنوب أفريقيا فى هذا الوقت . وبدأت حركة الاسلام فى الانتشار هناك منذ أواخر القرن السابع عشر وكان مصدرها الاساسى الهجرة من شبه القارة الهندية الباكستانية . ومن ثم تبدو الغالبية العظمى للمسلمين من أصل أسيوى ، هذا الى جانب بعض الوطنيين من قبائل الهوتنتوت الذين أسلموا بعد مخالطتهم لمسلمى آسيا .

ويعانى المسلمون — مع باقى الوطنيين الافريقيين — من أنظمة الحكم العنصرى التى تطبقها حكومة الاقلية

البيضاء هناك ، التى تستهدف عزل الاجناس بعضها عن البعض الاخر ، وفرض سيادة الرجل الابيض على السياسة والاقتصاد وكل مقدرات البلاد • ومن ثم فالمسلمون ضمن باقى المواطنين الافريقيين محرومون من كافة الحقوق الانسانية المشروعة التى قررتها الشرائع السماوية وأكدها الاعلان لحقوق الانسان •

وفضلا عن هذا فان المسلمين يواجهون تحديا أكبر عن باقى المواطنين نظرا لاعتناقهم وايمانهم بالاسلام الذى يبغض التفرقة العنصرية ويدعو للمساواة ، ومن أمثلة التحديات التى يواجهها المسلمون فى جنوب أفريقيا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

■ **محاولة الحكومة العنصرية الحد من زيادة عدد المسلمين ، فأصدرت قانونا بمنع استدعائهم لاسرهم من الهند •**

■ حرمت الحكومة العنصرية على المسلمين الاشتغال بالاعمال الفنية ، وزيادة فى مضايقتهم منعت منحهم التراخيص التجارية •

■ **صدرت الاوامر عام ١٩٦٦ بحرمان السيد ـ عبد القادر المحرر بصحيفة الانباء الاسلامية من الكتابة للنشر أو دخول مكاتب اية صحيفة عادة خمس سنوات • وصحيفة الانباء الاسلامية جريدة دينيةنصف شهرية يبلغ توزيعها حو عشرة آلاف نسخة •**

■ وجه اللوم والتقريع الشديد لواحدمن المسلمين فى كاب تاون ـ أرسله المسلمون ليعلن رؤية هلال شهر شوال حتى ينهى المسلمون شهر الصيام ويحتفلون بالعيد ، وكان سبب هذا اللوم أنه استخدم بابا كتب عليه « للبيض فقط » مؤد الى محطة المترو •

■ **وأهم من هذا كله •• قامت السلطات العنصرية فى ٢٨ مايو ١٩٦٩ باعتقال الامام عبد الله هارون (٤١ سنة) زعيم مسلمى جنوب أفريقيا . ورئيس تحرير صحيفة أنباء المسلمين ، بتهمة أن الامام هارون عبر عن أفكاره المعادية للتفرقة العنصرية فى صحيفته ، وفى المسجد استشهد بآيات من القرآن الكريم تنص على المساواة والاخوة للانسان . هذا وكان الامام هارون بشهادة الجميع يتمتع بصحة جيدة قبل اعتقاله ، الا أن المعاملة الوحشية للسياسيين فى السجون هناك ، ادت الى استشهاد الامام هارون فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٩ داخل السجن •**

وفى هذا الصدد نجد أن هناك روابط ومصالح دائمة تجمع بين الحكومتين العنصريتين فى اسرائيل وجنوب أفريقيا ، وتتمثل هذه الروابط والمصالح فيما يلى :

أولا : كانت حكومة جنوب أفريقيا من أوائل الحكومات التى أعلنت اعترافها الرسمى بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، كما كان « مالان » رئيس وزراء جنوب أفريقيا أول رئيس حكومة يقوم بزيارة رسمية لاسرائيل فى هذا العام • ووثائق الامم المتحدة تؤكد مساندة اسرائيل لجنوب أفريقيا ، ومساندة جنوب أفريقيا لاسرائيل أثناء مناقشات المنظمة الدولية •

ثانيا : تضم جنوب افريقيا اقلية يهودية لا تزيد عن ١٢٠ الف يهودى بين ثلاثة ملايين ابيض يستوطنون هذه البلاد التى يبلغ تعداد سكانها حوالى ١٥ مليون نسمة • ولكن هذه الاقلية اليهودية تتحكم فى أهم ثروات جنوب أفريقيا • وفى نفس الوقت فان هذه الاقلية تدين بالصهيونية وتعد من أكبر مصادر تمويل اسرائيل بالتبرعات بعد الطائفة اليهودية فى الولايات المتحدة الامريكية •

ثالثا : منذ قيام اسرائيل وهى ترتبط مع جنوب أفريقيا بمصالح اقتصادية فحجم التبادل التجارى بينهما يعد أكبر حجم للتبادل التجارى بين اسرائيل وأية دولة أخرى فى أفريقيا •

رابعا : لليهود فى جنوب أفريقيا منظمات وجمعيات لا تقع تحت حصر وجميعها تعمل لعون اسرائيل ماديا ومعنويا والدعاية لها كما ترعى أحوال الجالية اليهودية وتنظيم شئونها ومصالحها •

خامسا : أنشئت فى اسرائيل منظمة للصداقةبين اسرائيل وجنوب أفريقيا •

سادسا : تتبادل اسرائيل وجنوب أفريقيا الخبرات خاصة فى الميدان العسكرى فاسرائيل ترسل خبراءها العسكريين الى جنوب أفريقيا لتدريب قواتها كما تقوم جنوب أفريقيا بارسال المتطوعين من أبنائها للعمل فى صفوف الجيش الاسرائيلى • ولم يكنمن الغريب أن تكون جنوب أفريقيا من أوائل الدول التى أعلنت تأييدها للعدوان الاسرائيلى على الدول العربية •

سابعا : ان قوانين التمييز العنصرى تتشابه فى كل من اسرائيل وجنوب أفريقيا • وعلى سبيل المثال نذكر قانون « التخريب الذى صدر عام ١٩٦٢ عن حكومة جنوب أفريقيا وينص على أن « كل أفريقى يعثر عليه فى منطقة المدينة ولا يحمل اذنا خاصا بذلك يعتبر مخربا » • وهذا هو فحوى المادة ١٢٥ من أحد القوانين التى يقوم عليها الحكم العسكرى الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، والتى تمنح الحكام العسكريين صلاحية الاعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة وتحديد الخروج منها والدخول اليها •

وفى جنوب أفريقيا يستطيع أى ضابط كائنة ما كانت رتبته ايقاف أى شخص يشتبه بأنه ارتكب مخالفة سياسيةأو كان لديه علم بمخالفاتمن هذا النوع ويمكن أن يبقى هذا الشخص موقوفا خلال تسعين يوما ، يوضع أثناءها فى حبس انفرادى مع منع اتصاله بالخارج منعا باتا • وفى اسرائيل تتيح المادة (١١١) من أحد القوانين العسكرية فرض الاعتقال الادارى على كل شخص تقرر سلطات الحكم العسكرى لسبب ما اعتقاله لفترة غير محدودة ، دون محاكمة ودون توجيه أى تهمة اليه •• وقد تستمر هذه الفترة مدى الحياة ••

وأخيرا فان من الضرورى أن تستغل أجهزة الإعلام العربية هذا التماثل العنصرى بين اسرائيل وجنوب أفريقيا ، فى فضح اسرائيل أمام الرأى العام العالمى لأن ارتباط اسرائيل بدولة جنوبأفريقيا التى تعتبرها معظم شعوب العالم أحد معاقل التميز العنصرى فى التاريخ البشرى يكفى دليلا لادانة اسرائيل العنصرية أيضا •

الكذاب و حديقة الموت

الأستاذ محمد فرج

اطلق عليه رسول الله اسم الكذاب فعرف فى حياته وبعد مماته به واصبح الناس ينادونه « مسيلمة الكذاب »

ومسيلمة من بنى حنيفة .. اسمه هارون ابن حبيب .. يكنى ابا ثمامة ، ويلقب مسيلمة .. كان رجلا صاحب ذكاء ودهاء وفيه خبث ومكر وقدرة على الاحتيال وفى ذلك يقول الجاحظ « كان مسيلمة قبل ادعاء النبوة يدور فى الاسواق التى بين دور العرب والعجم كسوق الابلة وسوق بقة وسوق الانبار وسوق الحيرة يلتمس تعلم الحيل .. ومن حيله انه صب على بيضة خلا حاذقا قاطعا فلانت حتى اذا مددتها استطالت واستدقت كالعلق ، ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وتركهاحتى انضمت واستدارت وعادت كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه وهم قوم اعراب » وفد مع زعماء بنى حنيفة على النبى واسلم معهم ولكنه عاد وارتد عن الاسلام .. ولم يكتف بذلك بل ادعى النبوة وانه نبى .. وبلغت به الجراة ان بعث الى رسول الله مبعوثين معهما كتاب يقول فيه ان جبريل نزل عليه واخبره ان الله قد قاسمه النبوة معه وشاطره الملك والسيادة فى جزيرة العرب .. من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله .. اما بعد فانى قد اشتركت فى الامر معك ، وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ، ولكن قريشا قوم يعتدون ».. وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوثين.. أتشهدان انى رسول الله ؟ .. ، فاجابا .. نعم .. فسألهما .. اتشهدان ان مسيلمة رسول الله ؟ .. فاجابا .. نعم .. ، فقال لهما .. لولا ان الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما .. وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى مسيلمة قال فيه .. من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب .. سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وقد اهلكت اهل الحجر ابادك الله ومن صوت معك ..

ولما استمر مسيلمة فى ضلاله بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم احد وجوه بنى حنيفة من المسلمين وهو نهار الرجال بن عنفوة .. وكان قد اسلم وتفقه وقرأ القرآن وبعثه الرسول الى قومه يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ويعلمهم اهداف الاسلام ويقاوم دعوة مسيلمة .. الا ان الرجل وقع تحت تأثير مسيلمة واقتنع به فتابعه وشهد له بالاشتراك فى الرسالة مع النبى وكان بذلك اعظم فتنة على الاسلام من مسيلمة نفسه وفى ذلك قال عمير بن اصال :

ياسعاد الفؤاد بنت اثال
طال ليلى بفتنة الرجال
فتن القوم بالشهادة لله
عزيز ذو قوة ومحال
لا يساوى الذى يقول من
الله قبالا وما احتذى من قبال
ان دينى دين النبى وفى القوم
رجال على الهدى امثالى

حدث نمير بن طلحة النميرى عن ابيه انه جاء اليمامة فقال .. اين مسيلمة ؟ .. فقالوا .. مه ! رسول الله ؟ .. فقال لا ، حتى اراه .. ، فلما جاءه قال .. انت مسيلمة .. ، قال «نعم» ، قال .. من ياتيك ؟ ، .. قال « رحمن » ، قال « أمن نور ام من ظلمة ؟ .. » قال .. من ظلمة .. ، قال .. اشهد انك كذاب ، وان محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة خير من صادق مضر !! ..

ويفهم من ذلك ان الرجل استطاع ان يحرك العصبية عند عقلاء قومه فتعصبوا وهم يعلمون كذبه .. وقال ابو بكر الصديق فيهم .. لن يزالوا من كذابهم فى بلية الى يوم القيامة الا ان يعصمهم الله تعالى ..

وعظم امر مسيلمة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانضمت اليه جموع غفيرة وزادت سطوته وكثر المحيطون به المؤمنون برسالته .

ووجه اليه ابو بكر عكرمة بن ابى جهل ثم شرحبيل بن حسنة لمحاربته وقاتل مسيلمة عكرمة وحده فهزمه .. وعلم شرحبيل بذلك وهو فى الطريق اليه فرأى ان يبقى حيث هوحتى ياتى خالد بن الوليد ..قال شريك الفزارى .. امرنى [يقصد ابو بكر] بالسير الى خالد وكتب معى اليه بوصايا

الحرب الباردة : —

تحرك خالد على رأس جيش كثيف من صناديد المسلمين من المهاجرين والانصار فى مقدمة المهاجرين ابو حذيفة بن اليمان وزيد بن الخطاب ، وعلى رأس الانصار ثابت بن قيس والبراء بن مالك .

واراد شرحبيل ان يدخل فى معركة مع مسيلمة قبل وصول خالد فقد ينصره الله وينال شرف الانتصار عليه كما اراد عكرمة من قبل ، واصطدم مع قوات مسيلمة فهزمته ..

وعندما علم مسيلمة بتحرك خالد اليه اعد له اربعين الف مقاتل وقيل فى بعض الروايات ستين الفا .. ثم اتخذ له معسكرا فى عقرباء [وهى منزل فى طرف اليمامة] .. جعل على جانبيه محكم اليمامة ونهار الرجال ، وتولى ابنه شرحبيل اثارة الرجال فكان يمر بينهم يثير عندهم الرغبة فى القتال ويحمسهم ويخاطبهم .. يابنى حنيفة اليوم يوم الغيرة، ان هزمتم تستردف النساء سبيات ، وينكحن غير حظيات ، فقاتلوا على احسابكم وامنعوا نساءكم ..

واقبل خالد بقواته ونزل على كثيب يشرف على ارض اليمامة فضرب به عسكره وصف جنده فى مواجهة مسيلمة ، واعطى

رايات الكتائب نفراً من قواده الابطال فاعطى راية المهاجرين زيد بن الخطاب وراية الانصار ثابت بن قيس ،وجعل على الميمنة ابا حذيفة عتبة بن ربيعة وعلى الميسرة شجاع بن وهب ، وعلى الخيل البراء بن مالك .. وظل هو مع شرحبيل فى المقدمة .

استعمل خالد الحرب الباردة فقد احس بقيمتها واثرها حين استخدمها رسول الله ضد قريش فى فتح مكة .. وادرك انها سلاح بتار فى المعركة يقسم الجبهة ويثير الخلاف ويزعزع القوة وينشر الياس ويدعو للخوف ويوهن العزيمة ويكسر الشوكة فدعا خالد عمير بن صالح اليشكرى وهو رجل من سادات اهل اليمامة وكان قد اسلم وكتم اسلامه عن اهله وقال له .. تقدم الى قومك فاكسرهم .. ، وسار اليهم عمير وتحدث اليهم وقال « يا اهل اليمامة » اظلكم خالد فى المهاجرين والانصار تركت القوم يتتابعون الى فتح اليمامة ،وقد قضوا وطرا من اسد وغطفان وانتم فى اكفهم ، وقولهم لاقوة الا بالله ، انى رايت قوما ان غلبتموهم بالصبر غلبوكم بالنصر ، وان غلبتموهم بالعدد غلبوكم بالمدد ، ولستم والقوم سواء ، الاسلام مقبل والشرك مدبر صاحبهم نبى وصاحبكم كذاب ، ومعهم من النزال والاشتباك ..

بطولات :ـ

وقع القتال .. واشتد الضرب .. وصبر الفريقان فى الميدان .

وصف عكرمة بن ابى جهل القتال فقال : حملت بنو حنيفة ، اول مرة كانت لها الحملة ، وخالد على سريره حتى خلص اليه ، فجرد سيفه وجعل يسوق بنى حنيفة سوقا حتى ردهم ، وقتل منهم قتلى كثيرة، ثم كرت بنو حنيفة حتى انتهوا الى فسطاط خالد ، فجعلوا يضربون الفسطاط بالسيوف، وارادوا قتل زوجه ام تميم فاجارها منهم مجاعة بن مرارة .. « فقد دخل رجل من بنى حنيفة الفسطاط وحمل بسيفه على ليلى زوج خالد يريد قتلها فصاح به مجاعة .. مه ! انا لها جار ، نعمت الحرة كانت .. عليكم بالرجال » .. وكانت ليلى قد اجارته من سيوف المسلمين لان خالدا قال لها « استوصى به خيرا » ..

وتراجع المسلمون لشدة قتال مسيلمة ورجاله .. ولكنهم قتلوا عددا من بنى حنيفة كان فيهم نهار الرجال .

ورأى خالد ان الموقف خطير فصاح فى جنده من غضب « امتازوا ايها الناس ، لنعلم بلاء كل حى ، ولنعلم من اين نؤتى ». واستجابت الجموع لصيحته ، وثارت عزة الرجال وحميتهم ، وسما الايمان بنفوسهم الى ما فوق مراتب الحياة وتجلى الاستشهاد امامهم يفتح لهم ابواب الجنة .

ووقف ثابت بن قيس وكان خطيب الرسول عليه السلام وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يفاخر به وفود العرب اذا قدموا عليه يتفاخرون بفصاحة خطبائهم .. وقف ثابت يخاطب القوم « بئسما عودتم انفسكم يا معشر المسلمين ، اللهم انى ابرا اليك مما يعبد هؤلاء [واشار الى اهل اليمامة] ، وأبرأ اليك مما يصنع هؤلاء [واشار الى المسلمين] » « ثم اندفع يقاتل بشدة وقوة وايمان وهو يقول « هكذا عنى حتى اريكم الجلاد» وظل يقاتل حتى مات ورزق الشهادة

وثار البراء بن مالك وقال « اين يامعشر المسلمين ؟ » .. انا البراء بن مالك .. هلموا الى » .

وقال زيد بن الخطاب « والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم او القى الله فاكلمه بحجتى ، غضوا ابصاركم وعضوا على اضراسكم أيها الناس ، واضربوا عدوكم وامضوا قدما » ، واندفع يقاتل حتى قتل. السرور ومعكم الغرور ، فالان والسيف فى غمده ، والنبل فى جفيره قبل ان يسل السيف ويرمى بالسهم سرت اليكم مع القوم عشرا » .

ولم تنجح مساعى عمير .. ولم ييأس خالد ...

دعا رجلا من اشراف بنى حنيفة هو ثمامة بن اثال الحنفى وطلب منه ان يقوم بمحاولة اخرى مع قومه استكمالا لمحاولة عمير .. فسار ثمامة الى قومه وخاطبهم « يا اهل اليمامة .. اسمعوا منى واطيعوا امرى ترشدوا .. انه لا يجتمع بنيان بأمر واحد ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم لانبى بعده ولا نبى مرسل معه ، لقد بعث اليكم رجل لا يسمى باسمه ولا باسم ابيه يقال له « سيف الله » معه سيوف الله كثيرة فانظروا فى امركم » .

ولم يستجب القوم لدعوة ثمامة ... ولم ييأس خالد

ومرة ثالثة توجه خالد الى محكم بن طفيل يسعى الى جذبه الى جانبه وكان ذا عصبية وقوة يسند مسيلمة ويشد من ازره ، فدعا زياد بن لبيد بن بياضة الانصارى وكان صديقا لمحكم وقال له « يازياد لو القيت الى محكم شيئا تكسره فانه سيد اهل اليمامة » .. وبعث زياد الى محكم بشعر طويل جاء فيه ..

يا محكم بن طفيل قد اتيح لكم
لله در ابيكم حية الوادى
يا محكم بن طفيل انكم نفر
كالشاء اسلمها الراعى لاساد
ما فى مسيلمة الكذاب من عوض
من دار قوم واخوان وأولاد
فاكفف حنيفة يوما قبل نائحة
تنعى فوارس شاج شجوها باد
لا تأمنوا خالدا بالبرد معتجرا
تحت العجاجة مثل الاغضف الصادى
ويل اليمامة ويلا لافراق له
ان جالت الخيل فيها بالقنا الصادى
والله لا تنثنى عنكم اعنتها
حتى تكونوا كأهل الحجر اوعاد

وفشلت المحاولة الثالثة ... ولم ييأس خالد .

فقد التقى بجماعة من بنى حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة الحنفى ، فسالهم عن رأيهم فى الاسلام فكان جوابهم « نقول منا نبى ومنكم نبى » فامر خالد بقتلهم الا مجاعة فقد رأى خالد ان يبقى رهينة لديه وقيده بالحديد وجعله فى قبته وجعل ليلى ام تميم على حراسته .

ولم تأت المحاولات الاربع بالنتائج التى هدف اليها خالد . . ولم يعد هناك مفر وصاح ابو حذيفة « يا اهل القرآن زينوا القرآن بالفعال » واندفع الى الميدان يقاتل حتى قتل .

وقال سالم مولى ابى حذيفة وكان من حملة القرآن « بئس حامل القرآن انا ان لم أثبت » ، وثبت وقاتل حتى قتل .

حديقة الموت

اهاجت الكلمات معنويات الجند المسلمن فاندفعوا الى المعركة سيوفهم فى ايديهم ، وارواحهم على اكفهم ينشدون نصرا عزيزا يعيد للاسلام هيبته ومكانته ، ويحفظ للمسلمين كرامتهم وكيانهم او استشهادا كريما يمنحون به الجنة فى رحاب الله تبارك وتعالى ينعمون بما وعد به المتقون الشهداء

وضرب المسلمون .. واطاحت سيوفهم برجال مسيلمة ، فتساقطوا حوله ، ولكن مسيلمة ظل على ثباته يثير رجاله ويحمسهم

ورأى خالد ان يبدأ بقتل مسيلمة ... فقتله هو السبيل الى انهيار صفوف رجاله وانهيار معنوياتهم وانهيار رغبتهم فى القتال

قال خالد « والله لا اوتين من خلفى » ثم صاح صيحة الحرب التى ايقظت القلوب واثارت المشاعر « يا محمداه » .

واندفع الناس .. وخالد فى المقدمة يبحث عن مسيلمة حتى اصبح امامه فاخذ يستدرجه ليخرج اليه ومسيلمة يرفض لانه يدرك ان خالدا قاتله لامحالة ، وشد خالد برجاله عليه وعلى اصحابه ، واطلقوا سيوفهم تعمل فى رقابهم فتولاهم الذعر وصاحوا فى مسيلمة «اين ما كنت تعدنا ؟» ، فاجابهم « قاتلوا عن احسابكم » .

ورأى محكم بن طفيل ما اصبح عليه قومه من انهيار فصاح فيهم « يا بنى حنيفة .. الحديقة ... الحديقة ... » ... واستمع اليه الناس ووجدوا فى الحديقة ملجا ومنعة فهرعوا اليها وتحصنوا داخلها. والحديقة كانت لمسيلمة وهى فسيحة الارجا منيعة الجدران .. كانت تسمى حديقة الرحمن .

واحاط المسلمون بالحديقة ورموهم بالنبل ... وصاح البراء بن مالك بالناس « يا معشر المسلمين ، القونى عليهم فى الحديقة » ، فتردد المسلمون خوفا عليه ، فاعاد صيحته فاحتملوه والقوه فقاتل على باب الحديقة ... وهاجم المسلمون واقتحموها وانسابوا كالسيل الجارف يقتلون من الاعداء مقتلة عظيمة .

ولمح وحشى الحبشى مسيلمة ، فهز حربته ودفعها فاصابته ثم جاء رجل من الانصار ـ قيل انه ابو دجانه وقيل انه عبد الله ابن يزيد ـ فضربه بسيفه وقضى عليه . شهدت امراة مصرعه فقالت « قتله العبد الحبشى » ... وقال وحشى « قتلت خير

الناس [يقصد حمزة بن عبد المطلب فى احد] وأنا على جاهليتى ، وشر الناس [يقصد مسيلمة] وأنا على الاسلام » .

وجاء فى حديث لنسيبة بنت كعب ان ابنها عبد الله هو الذى قتل مسيلمة ... وروى البخارى فى الصحيح عن وحشى قال « خرجت مع الناس فاذا رجل قائم فى ثلمة جدار وكأنه جمل اورق ، ثائر الرأس ، فرميته بحربتى فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته فقالت جارية على ظهر بيت : وا أمير المؤمنين .. قتله العبد الاسود » .

وبقتل مسيلمة دخلت المعركة مرحلتها النهائية فما ان سرى نبأ قتله حتى انفرط عقد قومه وانحلت عزائمهم ووهنت قوتهم فتفرقوا الى الحصون .

وسميت حديقة الرحمن بحديقة الموت لكثرة القتلى من بنى حنيفة .

ورأى مجاعة بن مرارة الحنفى وكان اسيرا لدى خالد ما اثار شجنه ففكر بسرعة واعمل الحيلة ثم انتهى الى رأى فيه ذكاء. بعث الى بعض بنى حنيفة « ألبسوا السلاح النساء والذرية والعبيد ثم اذا اصبحتم فقوموا مستقبلى الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمرى » .

ونفذ الناس رأيه

وقال خالد لمجاعة مشيرا الى جثة مسيلمة « يا مجاعة هذا صاحبكم الذى فعل بكم ما فعل » ، فقال مجاعة « قد كان ذلك يا خالد ، ولا تظن ان الحرب انقطعت بينك وبين بنى حنيفة وان قتلت صاحبهم ، انه والله ما جاءك الا سرعان الناس ، وان جماعة الناس واهل البيوتات لفى الحصون ، فانظر » ، ونظر خالد فرأى السلاح والناس فصاح فى قومه « ياخيل الله اركبى » ، ولكن مجاعة لم يعطه الفرصة حتى لا تنكشف حيلته فقال « ايها الرجل انى لك ناصح ، ان السيف افناك وافنى غيرك فتعال اصالحك عن قومى » ، ووافق خالد وصالحه ثم تبين له ان الرجل خدعه فقال « ويحك خدعتنى » ، فرد عليه « هم قومى ولم استطع الا ما صنعت » ، وعارض الصلح قوم من بنى حنيفة على رأسهم سلمة بن عمير ، وعارضه من المسلمين فريق من الانصار بزعامة اسيد بن حضير وابن نائلة وقالا لخالد « اتق الله ولا تقبل الصلح » ، فقال خالد « والله قد افناكم السيف » ، فقالا « وانه قد افنى غيرنا ايضا » ، قال « فمن بقى منكم جريح » ، قالا « وكذلك من بقى من القوم جرحى ، لا ندخل فى الصلح أبدا ، اغد بنا عليهم حتى يظفرنا الله عليهم او نبيد عن آخرنا »

وتم الصلح كما عقده خالد ومجاعة واقبل بنو حنيفة يبايعون على الاسلام ويبرأون مما كانوا عليه .

وهكذا انتهت حياة مسيلمة ودعوته ... ومات الكذاب فى حديقة الموت .

وماتت معه دعوته ... وعاش الاسلام وبقى كما اراد له الله ...

قصة العدد

الساعات الأخيرة

الأستاذ حسين الطوخى

● غابت الشمس وراء الأفق فى ذلك اليوم الحزين من أخريات شهر جمادى الاخرة للسنة الثالثة عشرة للهجرة ، وكان قرصها الاحمر قد حرقه البكاء لقرب فراق ذلك الرجل العظيم لهذه الدنيا الفانية مرتحلا الى داره الاخرى الباقية ...

شاع النبأ فى أرجاء مدينة الرسول ، ثم نقلته الرياح على أجنحتها الى أطراف الجزيرة العربية ، فلم يلبث الوجوم ان عم القوم حيثما كانوا ثم افاقوا لحظة ليرفعوا أكف الضراعة الى خالق الكون ان يوسده مراتب رحمته وان تحوطه عنايته .

هز النبأ الفاجع اعطاف المسلمين فى المدينة ، وتجاوبت الدور أصداءه الحزينة ، فخرج الرجال ، غير مصدقين ، حيث تناظروا حول دار « الصديق » ليتزودوا منه بنظرة أخيرة قبل أن يغيب عنهم فى دار البقاء .

(وجاء الصحابة يهرولون جازعين ليودعوا « الصديق » حبيب رسول الله ، وصاحبه ، وأول من صدقه من رجالات مكة ، ولازمه ابان شدته ويوم هجرته ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار ..

دخل اليه « عبد الرحمن بن عوف » و « ابو عبيدة بن الجراح » و « عثمان بن عفان » ووقف خارج القاعة « عمر بن الخطاب » يحول بين تكاثر الناس وبين المحتضر ، وهو يغالب دموعه ، ويجاهد فى قهر احزانه ، ويدعوا الناس الى الاخلاد الى السكينة والتوجه بالضراعة الى واهب الحياة والموت ، أن

يخفف عن خليفة المسلمين الحساب وأن يجزل له الثواب ٠

وانفضت جموع المسلمين من حول الدار لتستكين على مقربة منها يرقبون الفراغ من جهاز وتكفين **خليفة** رسول الله ليدفن فى نفس الليلة ، فى جوار صاحبه الامين خاتم الرسل والنبيين .

ونظم المسلمون حلقات جلوسهم ، فلم يدعوا أحدا يجوس هنا أو هناك بلا سبب ، ولم يتيحوا لاحد أن يرفع صوته نادبا أو مولولا فللموت جلاله ورهبته وفراق الدنيا الى الاخرة أمر محتوم له وقاره وهيبته ، وللجسد المسجى بلا حراك قداسته وحرمته ٠

وتناهى الى الاسماع فجأة صياح امرأة تولول وتنوح فدخل « عمر » الى حيث يجهز الخليفة فاذا بالنائحة ابنته « **عائشة** » أم المؤمنين وشاركتها أخت الصديق « أم فروة » وزوجتاه فنهاهن عن النواح فلم ينتهين ، فطلب أن تخرج اليه أخت أبى بكر حيث علاها بالدرة فضربها ضربات وهو يقول :

– تردن أن يعذب أبو بكر ببكائكن ! ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

وتفرقت النوائح بعدئذ حين رأين ما أصاب أخت الصديق ، وكفت عائشة ومن معها عن النواح ٠

وعاد الى الرجال خارج الدار سكينتهم وأخذوا يسردون مناقب الصديق ابان خلافته القصيرة وخلال ساعاته الاخيرة ٠٠

ذكروا فيما ذكروا يوم أن بويع بالخلافة دون أدنى خلاف على بيعته أنه وقف بينهم ليلقى على اسماعهم أول خطاب يعلن فيه اسلوب خلافته ونظام حكومته.

لم يخاطبهم الصديق يومئذ من فوق منصة عالية ، ولم يحدثهم فى لهجة عاتية ، ولم يكن تحت قدميه بسط ممدودة وجنود مبثوثة تحول بينه وبينهم ، بل كان يقف بينهم ووجهه قريب من وجوههم ، وحين خاطبه رجل من المسلمين بقوله : « ياخليفة الله » لم يدعه أبو بكر يمضى فى حديثه ، بل قال له : لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله !

يومئذ يوم وفاة الرسول ، ويوم مبايعة الصديق ، قال فيهم بعد أن حمد الله واثنى عليه :

« أما بعد ، أيها الناس ! فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى ، وان اسأت فقومونى ٠ الصدق امانة ، والكذب خيانة ٠ والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ٠ والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ٠ لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الاعمهم الله بالبلاء ٠ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليك ٠ قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » ٠

(ومنذ اللحظة الاولى التى استلم الصديق فيها أمانة الخلافة وولاية الناس انصرف بكل ذرة فى كيانه الى تحصين الاسلام والمسلمين من عاديات الفتن والاهواء وتربص الاعداء بهذا الدين الجديد الذى نزل ينير للبشر طريق الهداية ، وليخلص الانسان من ظلم وجبروت أخيه الانسان ، ويهدى الناس الى صراط مستقيم ٠

(كان أول ما التفت اليه الصديق ، تأمين الاسلام فى عقر داره ٠ بادر رضوان الله عليه بقمع فتنة المرتدين وهى لم تزل فى المهد ، وتعقبها بالحزم يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة حتى أسلمت مقادها وثابت الى قرارها ، فانقشعت فتنتها الى غير رجعة ٠

كان انتصار الصديق فى حروب الردة هو مفخرته الخاصة التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك ٠

(نعم ٠ كان الانتهاء من حروب الردة ، هو نهاية مرحلة خطيرة وجليلة ٠٠ مرحلة تأمين الاسلام فى عقر داره ٠٠

(وتبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى أجل خطرا وأعظم شأنا ٠٠ انها مرحلة تأمين الاسلام فى حدوده وتخومه ، ودفع الخطر من تربص الاعداء به والهجوم عليه ...

(فى شرق الجزيرة العربية تقوم دولة الفرس عاتية جبارة تدل بقوتها وماضيها وحضارتها على ما يجاورها من الدول ، وتملك بقوة السلاح وعنت الاكاسرة البقاع المترامية ، وأسباب الخير والنماء ، وموارد الترف والثراء ، ولا ينازعها فى علو الشأن ورفعة السلطان غير دولة أخرى كبيرة ٠٠ هى دولة الرومان فى الغرب وهما بعد يتطاحنان ويتهارشان لاقل سبب ولاتفه غضبة بين كسرى الفرس وقيصر الروم ، فتستعر الحروب بينهما ، ويدور قتال يأكل الاخضر واليابس ويخرج الفريقان من هذه الحروب الضروس من غير نصر ساحق أو هزيمة شنعاء وانما هى حروب جبروت وطغيان يؤجج نارها كبر مهووس يحصد حياة البشر بلا خشية من جبار السموات والارض الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ٠

(ترى هل تسكت احدى الدولتين على ظهور دين جديد جاء مبشرا بالحق غير مفرق بين انسان وانسان الا بتقوى الله والعمل الصالح ؟

هل يصبر الاكاسرة وكذلك القياصرة على شيوع دين جديد سيكون من جراء ثباته وذيوعه أن تتزلزل عروشهم ، وتتهاوى تيجانهم ، بعد أن ظلوا يملكون الارض ومن عليها من انسان وطير وحيوان ، وما تنبته هذه الارض من خيرات وثمار يحوزون أغلبها لترفهم وثرائهم ولا يدعون لاكثرية الناس الا النزر اليسير ؟

هذا الدين الجديد ٠٠ الاسلام ٠٠ خير دين انزل للناس ، لينصفهم ويقيم ميزان العدل بينهم ، لهو الخطر كل الخطر على سلطانهم وجاههم ، وثم سيهبون بكل ما يملكون لهدمه ووأده قبل أن يستفحل شأنه ويزحف اليهم ليخلص بنى الانسان مما يرزخون من مظالم الاكاسرة وشرور القياصرة ٠

كان الصديق أبو بكر يعلم ما عليه الدولتان من قوة الشكيمة ، ووفرة العدة والعدد ، وأسباب الغلبة اذا

ما اشتعلت نار الحرب بين العرب والفرس شرقا ، وبينهم وبين الرومان فى الغرب ·

(غير أن المسلمين كانوا يملكون سلاحا لا يملكه الفرس أو الروم · انه سلاح حاد ومشحوذ ينطلق من يد المحارب المسلم ليصيب العدو فى مقتل · انه سلاح الايمان بدين ينصر من ينصره ، ويحقق الله الغلبة لمن يخرج محاربا فى سبيله · هو سلاح من الله به على المسلمين ليقهروا به أعداء الله وأعداء دينه الذين يعبدون من دونه الاوثان والنار والاصنام التى لا تسمع ولا ترى ولا تقدر ان تخلق حتى جناح بعوضة !

والحق ان « الصديق » رضوان الله عليه قد التزم فى سياسته الخارجية ، خطة النبى عليه السلام فى تلك السياسة · انها خطة لا هجوم فيها ولا تهجم ، خطة ليس من أهدافها أن يستعبد العرب شعبا آخر ، ولا أن تستعمر الدولة العربية الناشئة دولة أخرى · انها خطة لا باعث لها الا دفع الاذى ، وحماية الطريق ، والتمهيد لنشر الدين بالحسنى والبرهان ان تيسر نشره بالحسنى والبرهان والاقتناع ، فان قامت العقبة من قوة طاغية تحول دون ذلك ، فعلى القوة الطاغية حساب تلك العقبة ·

والحق أيضا أن « الصديق » حين عزم على محاربة الدولتين العاتيتين ، لم يكن مغامرا بجيوش المسلمين معرضا اياها للهلاك والفناء ، ولم يكن يدعى أن جيوش المسلمين تفوق جيوش احداهما عدة وعددا ، انما كان رضوان الله عليه يدرك تماما موقعه وموقفه من كلا الدولتين ، وكان يخطط لهذه الحرب تخطيط قائد محنك أصقلته صحبته للمحارب الاول وللقائد الاول ·· الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه ·

(وخرجت جيوش المسلمين الى أرض فارس وعلى راسها فارس العرب المظفر ، « المثنى بن حارثة الشيبانى » ليصد غاراتها المتوالية على أرض العرب والى بلاد الشام بقيادة الاسد العربى « يزيد بن أبى سفيان » ليؤدب الروم على سفاهتهم واغاراتهم على قبائل العرب الذين ارتضوا الاسلام دينا ··

وانهزمت فارس ، واندحرت الروم ، لان خليفة المسلمين أحسن اختيار التوقيت والظروف والاحوال لمصادمة هذين العدوين اللدودين ، وبتحقق النصر للمسلمين فى هذه المعارك ، بدأت الامبراطورية الاسلامية الشابة تؤكد وجودها فبهرت أنظار العالم الذى صحا على فجر حقيقة كبرى ، وعلى بزوغ نجم دولة جديدة قوامها دين جديد وعقيدة باهرة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ·

● ● ●

تناقل المسلمون فى ذلك اليوم الحزين ·· يوم وفاة الصديق ، مناقب الراحل العظيم وما قام به من جلائل الاعمال التى لا يقدر عليها غير افذاذ الرجال ··

أعمال جليلة بل خارقة تمت على يد الصديق مستهديا بمبادىء الاسلام وشرائعه ، ومستضيئا بتعاليم الرسول القائد الذى نصره الله لانه نصر دينه وسار على نفس طريقه القويم ، طريق الصراط المستقيم ·

(وآن لحديث القوم ان ينتقل الى أخلاق أبى بكر والى عفته عن مال المسلمين ، والى تواضعه وحرصه على أموال الدولة الاسلامية حرصا أتعب وأجهد من جاء بعده من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين ·

(وبينما القوم فى حديثهم ، أقبل « عمر » يشارك فى الاستماع الى ما يدور عن عفة الصديق ونقاء قلبه وصفاء سريرته ، وطلب اليه الرجال أن يحدثهم عن بعض ما رآه من خلال الخليفة الراحل ، ودمعت عينا « عمر » حين ذكر ذلك اليوم الذى لقى فيه خليفة المسلمين عند ذهابه الى سوق المدينة ·

كان « ابن الخطاب » **قد غادر داره فى ذلك اليوم لبعض شأنه : وبينما هو سائر الى غايته اذ أبصر الخليفة** « ابابكر » ماشيا وعلى ساعده ثياب بها وشى من ذهب **وهو يقصد سوق المدينة فسأله عمر : أين تريد ياخليفة رسول الله ؟ قال أبو بكر : الى السوق · قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال أبو بكر : فمن أين اطعم عيالى ؟ سأبيع هذه الثياب لاطعمهم من ثمنها ·**

ساعتئذ أخذ عمر يتفرس فى وجه أبى بكر ، ثم أدار وجهه ليمسح دمعتين انزلقتا من عينيه وصحبه الى أبى عبيده بن الجراح أمين بيت المال ليفرض له قوته وقوت عياله ، ففرضت له ستة آلاف درهم فى السنة أى ما يعادل اثنى عشر جنيها فى كل شهر !

وبكى الحاضرون وهم يستمعون الى حديث « عمر » الذى استأنف يحدثهم عن واقعة الحلوى التى اشتهتها زوج خليفة المسلمين ذات يوم ·

(كانت زوج الخليفة قد اشتهت شيئا من الحلوى فاقتصدت بضعة دراهم من نفقة الطعام فى عدة أيام لتشترى بها ما اشتهته من سوق المدينة ، فلما علم الخليفة انها تستطيع ذلك ما بين اسبوع واسبوع ، ذهب الى بيت المال ليسقط أبو عبيدة من نفقته ما يوازى ثمن هذه الحلوى !

وبينما الحديث يدور عن عفته وزهده ، أقبل من داخل الدار « عبد الرحمن بن عوف » والجزع يكسو ملامح وجهه ويقول : الى يا ابن الخطاب ·· بأبى أنت وامى ياخليفة رسول الله ·· هلم يا ابن الخطاب فلست بقادر على القيام بوصية هذا الرجل · قال عمر : لا عليك واهدا · ماخطبك ؟

قال عبد الرحمن بن عوف : ادخل الى عائشة لتسمع منها ما أوصى أبو بكر بتنفيذه بعد أن يتم دفنه الى جوار صاحبه ·

(دخل عمر الى حيث يرقد الصديق وقد تم جهازه ، وابنته عائشة واقفة على رأسه شامخة الهامة مستبشرة الوجه · سألها عمر : ماذا جرى وجزع

بسببه عبد الرحمن بن عوف؟ قالت أم المؤمنين ووجهها ينضح حبورا : رحمك الله يا أبى يا أعز الرجال بعد رسول الله . لم يرض الا أن يكفن فى ثوبيه اللذين كان يرتديهما ، وقبل على مضض أن يؤتى له بثوب واحد جديد اسوة برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول لنا : كفنونى فيهما فان الحى أحوج للجديد من الميت »

سكت « عمر » لحظة ريثما يمسح عن وجهه الدموع التى انثالت مدرارا من مآقيه ثم سأل : أمن وصية أخرى أوصى بها حبيب رسول الله يا أم المؤمنين ؟

قالت عائشة والبشاشة لم تزايل محياها النبيل: انتقل الليلة أبى وليس عنده دينار ولا درهم ، وكان يفيق من غشيته لحظة ثم يقول :

« ردوا ما عندنا من مال المسلمين فانى لم أصب من هذا المال شيئا »

ولما قلت له اننا لا نملك شيئا نرد منه ما أخذت قال : ردى ما وصلنى من بيت المال من ثمن الارض التى جعلتها لك فى بطاح مكة ، ثم راح فى غيبوبة الموت ساعة أفاق بعدها ليقول :

ـ « ياعائشة .. اذا أنا مت فردى اليهم صحفتهم وعبدهم ودابتهم ورحاهم ودثارة ما فوقى اتقيت بها البرد، ودثارة ما تحتى اتقيت بها نز الارض كان حشوها قطع السعف »

(عاود « عمر » البكاء فلما هدأ جأشه قال كأنما يخاطب نفسه :

لم يكفه انفاق ماله وتجارته فى سبيل الله ، وحرص على أن يدع هذه الدنيا بريئا ، وعلى أن يلقى الله وقد ألقى عن نفسه كل ما يخشى أن يؤاخذه الله به . رحمك الله ، قد أتعبت من سيأتى بعدك تعبا شديدا ....

(ودخل القاعة « عبد الرحمن بن عوف » وحمل الجثمان الطاهر على السرير الذى حمل عليه رسول الله الى المسجد ليدفن كما أوصى رضوان الله عليه ، الى جوار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى بيت عائشة .

(ووضع الجثمان فى المسجد بين القبر والمنبر ، وتولى عمر صلاة الجنازة فكبر أربعا ، ثم نقل الجثمان الى القبر ودخل معه عمر وعثمان وطلحة ودفن الى جنب النبى ، وجعل رأسه الى كتف رسول الله فى أكرم جوار .

وحينما خرج الصحابة الاخيار بعد دفن الصديق ، انساب الى اسماعهم صوت ندى يتلو الاية الكريمة :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

رسل النبى

صلى الله عليه وسلم

ورسائله

فى ديوان مجد الإسلام

للأستاذ على الجمبلاطى

لقد رسم نبينا عليه السلام السياسة المثلى لكل صاحب دعوة اصلاحية سامية او رسالة عليا يريد أن يمكن لها ويذيعها بين الناس ، وذلك بما قام به عليه الصلاة والسلام بعد ما رجع من صلح الحديبية ورأى الافراد والقبائل يدخلون فى دين الله افواجا فتيقن ان الوقت قد حان لتعميم الدعوة الى الاسلام فى خارج جزيرة العرب . فاختار لذلك الهدف الاسمى رسله من تجار المسلمين الذين سبق أن رحلوا الى تلك البلاد التى يريد دعوة ملوكها وأمرائها الى الاسلام ممن يعرفون عاداتهم ومرنوا على معاملاتهم.وأنه ليتشاجن حديث هذه الرسائل اذا شئنا ان نقف عند ما كان يفتتحها به الرسول الكريم ، وبم كان يصدرها ،وماذا كانت خاتمتها ، فقد كان ذلك يختلف بتباين المرسل اليهم .

ويضيق بنا المجال اذا اردنا استيعاب الاحداث التى اكتنفت كل رسالة وما دار حولها من قصص . ولذا رأينا هنا أن نكتفى منها بما يفسر القصيدة الشماء التى نظمها شاعر العروبة والاسلام [أحمد محرم] فى ذكر هذه الرسائل والكتب وعدتها أربعة وستون بيتا من روائع شعره الدينى الذى أملته عاطفته الدينية الغلابة حين سيطرت على أحاسيسه ووجدانه ، فهتف بالامة الاسلامية فى شعره الخالد ان تلتمس الشفاء فى هدى الاسلام وتقبس النور من فيضه علها تمضى مع قافلة النور الى ما تصبو اليه من اخلاد .

وهذه المنظومة الباذخة التى ستكون موضوع مقالنا [كتب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى الملوك] هى أحدى خوالد قصائده فى ديوانه [مجد الاسلام] أو [الالياذة الاسلامية] الذى سجل فيه سيرة رسول الله صلى‌الله عليه وسلم وأشهر غزواته وبطولات أصحابه وما حفت به حياتهم من أحداث ، فى أربعة اجزاء تزخر بالايات الفنية الرائعة .

وقد سجل شاعرنا المؤمن فى هذه القصيدة العصماء ما كان من امر الكتب الثمانية التى ارسلها سيدنا رسول الله الى تسعة من ملوك وامراء يدعوهم الى الاسلام فمنهم من اسلم ومنهم من أخذته العزة بالاثم وقد استهلها بأبيات علوية الالهام قدسية النغمات هى :

الكتب تترى والكتائب تدلف
والبأس بينهما يثور ويعصف
الله وكل بالملوك رسوله
فاذا العروش بهم تميد وترجف
أهى القلوب تلج فى خفقاتها
ام تلك اجنحة تظل ترفرف
رسل النبى بكل ارض جول
ترمى بهم هم نواهض قذف
حملوا القلوب الصم يعصمهم بها
دين لهم صلب ورأى محصف
ترمى الجلامد والحديد بقوة
تمضى فتصدع ما تشاء وتقصف
يخشى العتى المستبد نكالها
ويهابها المستكبر المتغطرف

هواتف الايمان العميق :

وكانت اولى هذه الرسائل « هرقل » ملك الروم فى مطلع العام الهجرى السابع بعد رجوعه عليه الصلاة والسلام من الحديبية وقد بعث بها « دحية بن خليفة الكلبى » وهذا نص الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم .
سلام على من اتبع الهدى
اما بعد اسلم تسلم
واسلم يؤتك الله أجرك مرتين
وان تتول فان اثم الاكارين عليك

اى اثم الفلاحين وهم اتباعه أو رعيته

وكان هرقل يومئذ ببيت المقدس وعنده ابو سفيان قبل اسلامه وبعض اصحابه فى تجارة لهم فسالهم هرقل عن اقربهم نسبا الى النبى عليه السلام فقال ابو سفيان انا اقربهم اليه فانه ابن عمى فقال له : حدثنى عنه وقد صف اصحابه وراءه ليردوه عما يخالف الحق من مقالته ، واقام ترجمانا يساله عن نسب النبى واخلاقه واعماله وعن الذين يتبعونه ، فقال الحق ونطق بالصواب .

فقال هرقل « لئن كنت صدقتنى عنه ليغلبنى على ما تحت قدمى هاتين ولوددت انى عنده فاغسل قدميه انطلق لشانك » .

وقد روى ان قيصر لما صار الى حمص اذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبى ، فحاصوا حيصة حمر الوحش على الابواب فوجدها قد اغلقت وقالوا اتدعو ان نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابى ؟ فلما راى نفرتهم وايس من ايمانهم قال : ردوهم على . وقال انى قلت فى مقالتى اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه .

ولكنه عاد فكتب الى النبى صلوات الله عليه يقول : انى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى فقال النبى الامين : كذب عدو الله ليس بمسلم وقد حارب المسلمين فى غزوة «مؤتة» وقد أراد هرقل الزلفى فارسل هدية الى رسول الله عليه السلام فقبلها وقسمها بين المسلمين .

وهنا نستمع من شاعرنا هواتف الايمان العميق فى تسجيل احداث هذه الرسالة حين يقول :

سر فى ذمام الله « دحية » انها
لك حاجة ما دونها متخلف
ايقظ « هرقل » فقد تطاول نومه
وأبت عمايته فما تتكشف
ايقظه ان الله ليس كدينه
دين وليس له شريك يعرف
اخذ الكتاب وراح يسال كلما
وضح اليقين له يلح ويلحف
ماذا اراد الله ما شان الذى
بعث الكتاب باى شىء يوصف
قل يا « ابا سفيان » لا تطع الهوى
ودع الملام لن يجور ويجنف
ابدى هرقل لقومه أن قد صفا
منه الى الاسلام قلب منصف
غضبوا فقال رويدكم ما بى سوى
ان استبين واين منا المصرف ؟
بعث الكتاب فقال انى مسلم
لكنهم قومى الالى اتخوف
واختارها مما يحب هدية
القى بها من مكره يتزلف
قال النبى : رسالة من كاشح
يبدى الرضى ومنافق يتكلف
وهدية ساءت وساء حديثها
فالزور من اسمائها والزخرف

جمع القلوب على الهدى :

اما الرسالة الثانية فقد كتبها رسول الله عليه السلام الى « كسرى ابرويز بن هرمز » وبعث بها مع « عبد الله بن حذافة السهمى » لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ... سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله واشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حيا . اسلم تسلم فان أبيت فعليك أثم المجوس أى أثم اتباعك » .

فمزق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله « مزق ملكه » .

ثم كتب كسرى الى امير له باليمن يقال له « باذان » أن ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فلياتيانى به فبعث « باذان » قهرمانه « بابويه » وبعث معه رجلا من الفرس يقال له « خرخسرة » وكتب معهما الى رسول الله عليه السلام يامره أن ينصرف معهما الى كسرى فلما دخلا على النبى الكريم قال لهما ارجعا حتى تاتيانى غدا .. وأتى النبى عليه السلام الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه « شيرويه » فقتله فى شهر كذا ، ليلة كذا ، بعد ما مضى من الليل كذا . فدعاهما فاخبرهما ذلك ، وقال لهما قولا له أن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهى منتهى الخف والحافر ، وقولا له ان اسلمت اعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء

وحقت كلمة الله وقتل « شيرويه » أباه وارسل بذلك الى « باذان » فقال عن النبى الامين ان هذا الرجل لرسول ، فاسلم واسلمت الابناء معه من فارس ، فولاه رسول الله عليه السلام مخاليف اليمن وبقى حتى مات بعد حجة الوداع وفى هذه الجولة

الطاهرة الصافية نستمع من شاعرنا ما نظمه من قدس الطهارات فقال :

مـــزقت من كتب النبـى تميمـة
فيهـا منـابع رحمـــة لا تنـــزف
وذخيــرة يجـــد الذخـــائر كلها
بيـــديه حيـــن يصـــيبها المتلقف
اطلبت من « باذان » راس محمـــد
ان لم يتب ؟ بل انت غـــاو مترف
ستوى اليقين على يد ابنك فانتبـه
لك موعـــد عمـــا قليـــل يازف
صدق النبـى وذاق « كسرى » حتفه
من شيروية فمـــا لــــه مـــن يعطف
ورای الهـدى « باذان » بعد ضلالة
فمضى علـى البيضــــاء لا يتعسف
نبذ الهوى نصحا وأصبح مسلما
ودعـــا الالى معـــه فلـم يتخلفـــوا
لا خــاب جـــد القـــوم ان الههـم
جمـع القلوب علـى الهـدى فتالفوا

اشهدوا باننا مسلمون !!

اما الرسالة الثالثة فقد وجهها سيدنا رسول الله عليه السلام الى « النجاشي الاصحم » ملك الحبشة وقد حملها اليه « عمروبن الضمرى » يدعوه فيها الى الاسلام مع رسالة أخرى يساله فيها أن يزوجه من أم حبيبة رضى الله عنها وهذه صورة كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى يدعو فيه النجاشى الى الاســلام :
« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة . أسلم أنت فانى احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى ابن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصـــينة فحملت بعيسى من روحهونفخه . كما خلق آدم بيده ونفخه . وانى ادعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته . وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفر ، ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءوك فاقرهم ودع التجبر فانى ادعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وكتب الى النبى عليه السلام رسالة يؤيد اسلامه صراحة وانه يرى فى عيسى عليه السلام ما يراه الاسلام وقد اتم « النجاشى » زواج أم حبيبة بنت أبى سفيان برسول الله وبعث بها اليه مع من عنده من المسلمين . وفى الرسالة التى يدعوه فيها النبى الى الاسلام ينظم شاعرنا احمد محرم » بيتين فيهما خصب الايمان ووجازة الاتقان وقد ضمنهما قصة الكتاب واسلام النجاشى فقال :

واتى النجـاشى الـكتاب فلـم يكن
ممـــن يصـــد عـــن الصـــواب ويصـــدف
شرف أتيح لـــه وعـــز زانـــه
ان المتقـــى هـــو الاعـــز الاشرف

اما الرسالة الرابعة فقد بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم « حاطب بن أبى بلتعة » رضى الله عنه الى « المقوقس » وذلكانه عليه السلامعند منصرفه من الحديبية قال : ايها الناس ايكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر واجره على الله ؟ فوثب اليه حاطب بن ابى بلتعه وقال : انا يا رسول الله ، فقال : بارك الله فيك يا حاطب .

وهذا نص الرسالة [بسم الله الرحمن الرحيم] من عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام الله على من اتبع الهدى اما بعد : فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الاالله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا على من خالفه فيهلكوا ؟ قال له حاطب : ومال عيسى لم يدع على الذين اخذوه ليقتلوه ؟ قال : احسنت : حكيم جاء من عند حكيم .

ثم بعث اليه هدايا ومنها ماريا أم ولده ابراهيم وقد اسلمت قبل ان تصل الى المدينة كما ارسل كتابه الذى قال للنبى الكريم حين قرأه : ضـــن الخبيث بملكـــه ولا ملك له . وفى هـــذا يقول شاعر الاسلام فى شفافيته الروحية :

وابى « المقـــوقس » ان يفارق دينـــه
يخشى الذى يخشى الغبـــى المتـــرف
بعث الهـــــدايا يتقـــى بحسانها
ما يتقـــى ذو البغضـــــة المتلطف
ضن الخبيث بملكـــه وغـــدا يرى
يـــد غيـــره فـــى ملـــــكه تتصرف
هذا الـــذى قال النبـــى . وهـــكذا
صنع الذى يبنـــى العـــروش وينسف

اتماما لامانة البحث :

وبعد فحسبنا فى هذا المقال ان نقف عندما قدمناه من الرسائل الاربع التى بعث بهاالنبى عليه السلام الى الملوك النين يقيمون على تخوم بلاده . وما استعرضنا من احداثها لنعود على بدء فنسجل ما عن لنا من تعليقات لا تتـــم امانة البحث الا بها . وذلك ان جميعالمصادر الاجنبية فى الرسالة الاولىتنكر المحاورات التى جرت بين هرقل وابى سفيان مما يدل على ميله الى الاسلام لانه كان عريقا فى المسيحية متمسكا بها فلا يتصور ان يقول لابى سفيان لئن كنت صدقتنى عنه ليغلبنى على ما تحت قدمى هاتين ولوددت انى عنده اغسل قدميه ولا يمكن ان يدعو قومه الى اتباع النبى عليه السلام وترك النصرانية وهو رئيسها فى وقت كان يحتفل فيه باسترداد الصليب الاعظم من الفرس .

واما الرسالة الثانية وهى التى ارسلت الى كسرى فقد انكر الاستاذ [نورث] فى كتابه الذى اسماه «موجزا عن الاسلام» ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل كتابا الى امبراطور الروم وآخر الى امبراطور الفرس وزعم ان ذلك ليس له اساس تاريخى .

وهكذا تملى حقود مؤرخى الفرنجه عليهم ان ينكروا حتى هذه الحقائق الثابتة التى لا يمارى فيها وتناقلتها الاجيال .

واما الرسالة الثالثة الى النجاشى فقد شك بعضهم فى اسلام النجاشى لكن المصادر التاريخية الموثوق بها تصرح باسلامه وفيها يقول عمرو بن العاص انه بايع النجاشى على الاسلام ولكنه كان يخفى اسلامه لان امته كانت مسيحية فخشى ان يثوروا عليه . ومما يقوى اســـلام النجاشى انه كان مسيحيا نسطوريا ومذهب نسطور يقوم على التوحيد وينكر الوهية المسيح عليه الســـلام . ومن ذلك قوله « لا تقولوا مريم ام الله لانها من البشر ويستحيل ان يولد الاله من البشر »

كما روى عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال حين مات النجاشى « مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على اخيـكم اصحمه » ولو لم يكن مسلما ما امر نبينا عليه السلام بان يصلى عليه المسلمون .

اما الرسالة الرابعة التى حملها حاطب الى المقوقس فقد ثبت انها محفوظة بدار الاثار بالاستانة وقد عثر عليها عالم فرنسى فى دير بمصر قـــرب اخميم فى زمن سعيد باشا وقد ذكر المرحوم حفنى ناصف فى مجلة الهلال الجزء الاول من العام الحادى والاربعين انواع الهدايا التى ارسلها المقوقس الى رسول الله عليه السلام وعدتها اربع عشرة ويقال انه كان من بينها طبيب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرجع الى اهلك نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع .

والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله لاتمام الحديث عن الرسائل الاربع الباقية واستكمال البحث وبالله التوفيق .

بمناسبة ذكرى الأربعين

على

فقيدنا الراحل

شعر

قاسم غالب أحمد

بدء المعارك أنباء واعلان
والنار يسبقها للعين دخان
والموت بعد حياة ملئها عمل
والدهر فيه مسرات وأحزان
ومعجزات زعيم الشعب قدرته
على الصمود مثال الكل عثمان
ضريبة المصلح الباقى مهجته
ان العظيم رسالات وبرهان
بقدر ما تهب الدنيا سعادتها
يكون اعطائها حظ وحرمان
وكل شىء صغير فى قوائمنا
يهون الاخلافات واضغان
يكون مقتولها أيضا وقاتلها
هم فى المصير وفى الاسلام اخوان
كان السلاح الذى يخشاه قاتلنا
قد رد فى صدرنا ظلم وبهتان
واخوة الحرب أعداء لبعضهم
والخصم يشرب نخب النصر نشوان

المصلح القائد

لكن صانع رأى السلم أصلحهم
واستبشرت ببنود الصلح اوطان
وأحرقت كل اوراق العدا اعلنا
وخاب فى ظنه الملعون ديان
وزغردت مصر والسودان من فرح
وليبيا عدن صنعا فعمان

كنا نردد نص الصلح فى مرح
والاردنى وكل العرب جذلان

الموت المفاجىء

وكنت فى النوم ليلى حالما بغد
به تعود لنا سينا وجولان
وضفة القدس شرم الشيخ غزتنا
وكل فرد بهذا الصلح فرحان
نقتات اوهامنا نجتر واقعنا
لاهين اما زعيم العرب سهران
كالابن اترفه امجاد والده
ان الخلى بمجد الأب ولهان
نقول ناصر للاحداث قاهرها
فى مخرج الرأى استاذ وربان

ابنى أيقظنى وكلمنى بالفجيعة

لكنه جاءنى ابنى فايقظنى
والدمع يجرى وفى خديه هتان
يقول مات ابونا يا أبى أفق
فقد أصاب جدار العرب بركان
فقمت نحو جهاز الصدق أسأله
من بعد ان كذب الأنباء أذان
وراعنى مظهر السادات حين بدا
يتلو البيان فعم البيت احزان
والكل فى مأتم يبكون قائدهم
جمال فى خلدهم أهل واخوان

اولادى يسألونى

وكلهم يسألونى من يعلمنا
من للمدارس من للناس انسان
من للمزارع والعمال يسندهم
من لليتيم اذا لاقاه حرمان
من للمنابر يخطب فى الخطوب لنا
وهل يرد عن الاوطان عدوان
من للمهجر واللاجى العزيز اذا
اغضت لوقت عن اللاجى اوطان
ومن يصول بميدان الحياة اذا
خلا ومن فارس الاحلام ميدان
يقدم الرأى فى الاحداث صادقة
كأن آراءه فى السلم ميزان
فقلت اهداف ناصرنا فى الارض باقية
ومصر فى نيلها السد أسوان

مصر قلعة العروبة والاسلام

يا مصر تاريخك الوضاء يحمله
الى الشعوب صلاح ثم غسان
وباعث العرب الاحرار قاطبة
جمال فى صفحات الخلد عنوان
جمال لحن غرور العرب ننشده
جمال ثورة تاريخ وعمران

عملاق أمتنا بانى زعامتنا
فكل ايامه نصر واحسان
جمال حطم اصناما مقدسة
لها جنود وأنصار وأعوان
لولاه ما رفعت للعرب رايتهم
بين الشعوب ولا كانت ولا كانوا
قد اختفى القطب لكن السفين لها
رفاق مرحلة ان مات ربان
ومات ناصر موت الفاتحين وهم
باقون فى قومهم فكر وايمان
تاريخنا الحى بل ميلاد عزتنا
ثوى ولكنه روح وريحان

ذكرى الاربعين

ايامنا الكالحات الاربعون مضت
كانها عندنا دهر وازمان
ومصر بعد صلاح الدين قد صمدت
ضد التتار فما لانت ولا لانوا
قد اسقطت من حساب الغزو قاعدة
ان العروبة أجلاف وغربان
واثبتت مصر للدنيا قيادتها
وانها فى سمانا اليوم عنوان

السادات قائدنا

فواصلوا الزحف والسادات قائدنا
وكل من حوله اهل واخوان

رفاق ناصر كانوا الصبر يوم ثوى
رفيقهم ان صبر المرء ايمان
وكلهم زاملوه فى مسيرته
ضد العدو فما هانوا ولا خانوا
من كان من لبنات الشعب حائطه
فلن يهدم ذاك السور انسان
ووحدة الحزن فى عرف الكفاح لها
وقع يردده الباكى والحان
ان النوائب تغيير ومدرسة
دروسها بدء تاريخ وميدان
أن المجدد القى الدرس قاعدة
فيها جذور لتخطيط واتقان
ومصر ناصر ماضيها وحاضرها
عناصر لهما فى عصرنا شان
وعاء تضحية تاريخ معركة
وقصة من بطولات وامكان
كم جسدا فى الليالى السود واقعنا
من بعد ان اغرق الاوطان طوفان
يا مصر ياحجم ادوار العروبة من
يخشاه ان جاء وقت الصدق ديان
حياة ناصر او موت الشهيد له
فى كل شعب مقاييس واوزان
ان القلوب تلاقت بعد فرقتها
كما تلاقت على الطاعات اديان

ملحمة جمال عبد الناصر

مصر الخالدة

الشاعر محمد حليم غبالى

لم تغب يا خالد الذكر ولا مس جناحيك الفناء
لم تغب يا قائد الشعب ومذكى روحه الحر المضاء
لم تغب يا واهب الروح لشعب عاش موصول الرجاء
لم تغب عنا .. وان واراك عند الله خلد .. وقضاء
أنت سر خالد .. فينا .. ونحن الشعب أوفى الامناء

••

عشت تبنى الأمة البكر .. فأسبغت على الدنيا الضياء
عشت فينا العامل المحروم من ليل هدوء .. أو هناء
عربيا رائد الوحدة تمضى فى اعتزاز واباء
تذهل العالم بالأمر قويا .. فى ثبات .. ودهاء
تصنع التاريخ عملاقا .. فلا تعرف معنى الانحناء

●●

انت يا اسطورة الشرق .. وبانى عزنا فوق السماء
أنت فى الأرض مع الفلاح خصب .. ونبات .. ونماء
يرفع الرأس مهيبا .. بعد أن القيت فى الوادى النداء
أنت فى المصنع والآلات .. دقات انطلاق للبناء
أنت فى الجبهة سر النصر للجيش .. لمحو الاعتداء
أنت نور العلم .. سر الفن .. وجه الدين .. رمز الاتقياء
أنت فى مصر كتاب الأمس .. واليوم .. كتاب الأقوياء

●●

كنت فى شعبى انسانا .. رفيقا فى وفاء وولاء
وأبا برا كبير القلب .. ترعى وتواسى التعساء
ويدا تمسح بالخير .. وبالبر .. دموع الأشقياء
تمنح الرحمة .. والرقة .. والحب لشعب قل فيه الرحماء
تدعم الأسرة بالحب .. وتعطيها اساليب البقاء
ناصر الشعب .. وكم عاش هنا الشعب قليل النصراء

●●

قد نماك الشعب من روح الضحايا .. من دماء الشهداء
من صميم النيل .. من شمس بلادى .. من جنى ظل وماء
من ظلام الليلة الليلاء من نبض الحيارى الضعفاء
من كفاح كنت فيه الذروة الشماء فى أقصى ابتلاء
من هتاف الصبية الأبرار .. من رجع أمانى السعداء
م. بنى مر صعيد النيل فى مصر ديار الأصلاء
جمعت فيك حضارات بلادى .. وغد حلو الرواء
فسما قلبك بالشعب فاعطاك على الحب .. الوفاء
يا لهذا القلب لم يهدأ .. ولم يعرف طريق الجبناء
تعجز الكلمة يا ناصر أن تلقى الى الشعب العزاء

●●

سوف تبقى فى ضمير الشعب تذكيه الى خير العطاء
ثورة .. تغرى البطولات .. وتجتاح اعاصير البلاء
ثورة .. تمضى الى الحق الذى عشت له قلب وفاء
ثورة .. تعرف آمالك تحرير بلاد الشرفاء
ترجع العائد للقدس .. وللأقصى عنيد الكبرياء

●●

حياة فى موت

الشاعر كامل عبد الجواد القاياتى

اقوى من الموت ذكرى الناصر البطل
تفنى الحياة ويبقى صالح العمل
روح سما فى جوار الله منزله
مع الهداة وأهل النجدة الأول
قد ضاق بالجسد الفانى ففارقه
الى الخلود وأسلمه الى الأجل

●●●

يا مرسل الرأى فى اللأواء منبثقا
عن التجارب والأيمان والأمل
بشرت بالخلد واستهوتك نضرته
وهمت فى الله ترجوه على عجل
حاربت بالعدل شر الظلم منتصرا
لله والحق والانسان والعمل
وجرت يداك على آلام أمتنا
برءا تغلغل فى الأدواء والعلل

●●●

وسطعت كالنور فى ظلماء عاصفة
هو جاء تفهق بالتضليل والدجل
يعيش فلاحها فى قسوة ندرت
فى بطشها بين وحشى الغاب والدغل
يشد آلامه صبرا وظالمه
فى راف من نعيم العيش متصل
يرتج كالبحر مطويا على ألم
كلافح الجمر فى الأحشاء مشتعل
حتى أتى بك من أصلابه بطلا
شبيهك الجوهر الخالى من الزغل
وأشرقت صفحة للمجد خالدة
سجلت بالعزم فيها أروع المثل

●●●

وجئت صورة شعب ماجد فطن
صلب الارادة بالأحداث منفعل
ماض كسيف خطير الوقع منصهر
فى موقد الجور بالآلام منصقل
وثرت كالمارد العملاق منتفضا
يوم السويس على الأوغاد والسفل
والموج يعلو على الجودى والقلل
وسرت فى حكمة الربان فى ثقة

وقلت للحرب مرحى انه قدر
غال يسير بنا فى أشرف السبل
وأقمت للعلم أبراجا محصنة
رميت منها ذراع الجهل بالشلل
وأبحتها أنهرا للنور ذاخرة
يروى جمال هداه كل منتهل

●●●

لو ينطق السد يحكى عنك معجزة
أحنيت بالعلم فيها هامة الجبل
والعلم مجد وريف الظل ما برحت
تبنى به شامخات عزة الدول
يا خالدا فى ضمير الدهر ما فتئت
أمجاد روحك تنجينا من الزلل
قد كنت فينا كنوح فى سفينته
سمت بحزمك فوق الحادث الجلل
ما كان للشعر أن يرقى اليك ولو
نظم النجوم بديلات من الحمل

●●●

فاهنأ بخلدك ان الشعب منتظم
على طريقك صلبا غير منخزل
لم يزرف الدمع يوم البين عن هلع
ولا تأوه عن ضعف ولا وجل
لكنه الحب أبقاه وأصدقه
تكلم الدمع عنه جد منهمل
ان التراث الذى انماك مزدهيا
بالخالدين دعاة الحق والرسل
وأنت منهم وفيهم بضعة خلصت
من الأصالة والايثار والمثل
مازال ينمى أصول المجد وارفه
تفيض بالظل والازهار والأكل

●●●

وتلك آساده للمجد سائرة
على طريقك نحو النصر لم تحل
يقودها أنور السادات مفتديا
بمجدك الزاهر الباقى مدى الأزل
كأنما روحك الهادى تجسده
تبارك الله رغم الموت لم يزل

قصة العدالة في إحدى قضايا التاريخ

"مترجمة"

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

كان [جهنجير] ، عليه رضوان الله تعالى ، فى طليعة أباطرة الهند المسلمين ، المحافظين على تطبيق مبادىء العدل ، مبتدئا بنفسه واسرته قبل الجميع ، وكانت [نورجهان] ، قرينته المفضلة ، شريكة له فى الحياة ، وفى الحكم كذلك ، وتدل تصرفاتها على ذكاء وبراعة فى حل المشكلات ، تسدى اليه مشورتها فى القضاء من خلف الستار ، قبل ان ينطق بالحكم ، وكانت شاعرة مبدعة حاضرة البديهة ، لبقة ، سريعة الاجابة . وفى احدى ليالى سمرها ، لمح الامبراطور رجلا قد بلغ منه الهرم مبلغه ، فقال ، مشيرا اليه والى امثاله :

قطعوا فى العيش ابعاد العصور
ما لهم هاموا بتقويس الظهور

فاجابت عن هذا البيت بما هو ابدع منه صياغة وبلاغة ، وقالت فى غير توقف :

فقدوا درة ايام الشباب
فانحنوا للبحث عنها فى التراب

وعن شبل نعمان ، أترجم للقراء هذه القصة التى نظمها فى احدى قصائده ، ومجملها ، ان الامبراطورة [نورجهان] لاحظت وجود رجل غريب يجول فى قصرها ، دون الحصول على اذن منها ، فى غفلة الحراس ، ولم يكن لها علم بأنه من اقرباء بعض خدم القصر ، فارتابت فى أمره ، واطلقت عليه من غدارتها قذيفة اخترقت حجاب صدره ، وما كاد نبأ الحادثة يبلغ مسامع الامبراطور ، حتى أخذه المقيم المقعد ، واسرع باستدعاء القاضى ، وعرض عليه القضية ، فاصدر حكمه بالقصاص ، واصدر الامبراطور امره باحضارها لتنفيذ الحكم عليها ، فماذا كانت نهاية قصتها ؟ .. اليك قصيدة شبل نعمان لتتم لنا بقيتها :

صحيفة مجد رواها الزمان
لعدل جهنجير فى شعبه
وكان حفيا بنور جهان
بنى عرشها الحب فى قلبه
اذا شهد الانجم النيران
توهمها بعض اترابها
يجلى بحكمتها المشكلات
ولا يصدر الحكم الا بها
وذات ضحى جال فى قصرها
غريب قريب لبعض الخدم
فساء به الظن فى نفسها
وكيف يجوز اقتحام الحرم
بغدارة اطلقت سهمها
سريعا الى صدر ذاك الجسور
على عجل اصدرت حكمها
فمعذرة للجمال الغيور
اثار جهنجير وقع الخبر
لقد جاوز الشر اقصى مداه
ولم يرضه أن يسير القدر
بشرع الهوى بل بشرع الاله
لقد بادرت أمرها باعتداء
ومدت الى قتل نفس يدا

وكيف جرت بيديها الدماء
ومن كفها كان يجرى الندى
أجابت لقد بادرت غيرتى
الى قتل جان تحدى عفافى
فجرعته الموت فى غضبتى
جزاء وفاقا وهذا اعترافى
وفى الحال جاءوا بقاضى القضاة
ليقضى بالحق فى أمرها
فقال لكم فى القصاص حياة
فأحيوا العدالة فى موتها
فقال المليك هنا أحضروها
مكبلة فى قيود الذهب
وبالرغم منى هنا فاقتلوها
فللشرع حق علينا وجب
وجاءوا بمن لو رآها القمر
تحول اشراقه للمغيب
واقبل جلادها وابتدر
لامر المحب بقتل الحبيب
وساد وجوم كصمت القبور
ولم يفصح النطق غير الدموع
فاشرق فى ظلمة اليأس نور
برأى اليه اطمأن الجميع
علام القصاص وقتل الفتاة ؟
وفى المال عن قتل نفس بديل
وقد شرع الله حكم الديات
اذا ما ارتضى أولياء القتيل
وأجرى جهنجير غيث العطاء
وزاد لاهل القتيل النوال
أجابوا قبلنا ونحن الفداء
لنورجهان بروح ومال
لقد رقصت فى الرياض الغصون
وغنت على جانبيها الطيور
فيا ليلة أشرقت بالسرور
وليس لها مشبه فى العصور
وعادت الى القصر نورجهان
الى ذكريات تثير الشجن
تفكر كيف يدور الزمان
ويتبع صفو المنى بالكدر
وفى نشوة عاد يمشى الهوينى
جهنجير فى مثل عود الربيع
لأنت أعز الامانى علينا
ولكن رضى الله فوق الجميع
قد انتصر الشرع فى حبنا
كما انتصر الحب فى شرعنا
فبشرى ويا ألف بشرى لنا
رضى قلبنا فى رضى ربنا
وفاض على الارض نور السماء
بيوم سعيد واشراق عيد
قد استقبلا فى نعيم اللقاء
حياتهما فى زفاف جديد

رباعيات اسلامية

الشاعر احمد عثمان المراغى

سبحان من علم الانسان بالقلم
واوجد الخلق والاكوان من عدم
سبحانه واحد فى علمه احد
لقد تفرد بالآيات من قدم
هو الاله الذى بالعدل نعرفه
وبالعطاء وبالغفران والنعم
سبحانه الله جلت اى قدرته
فانها فوق وصف اللوح والقلم
من ذا الذى رفع السموات العلا
واعزها واقامها وبناها
وبدون أعمدة أتم طباقها
وبسور نور نجومها حلاها
من ذا الذى أرسى الجبال رواسيا
للارض سبحان الذى أرساها
من ذا الذى أحيا الخلائق كلها
سبحانه الله الذى أحياها
فى شدتى أو كربتى وسقامى
فى محنتى وتعنت الايام
او عند غضبة صاحب أو طعنة
منه تفوق ضراوة الآلام
أو عند ما تقسو على عشيرتى
وأهون ياربى على الارحام
فاليك أنت الله ارجع دائما
وأراك أنت بما أحب أمامى
يارب بأسمك تنطق الايات
الارض والفلوات والسموات

ومواكب الدنيا بأمرك أمرها
والى رحابك ترفع الدعوات
أنت المهيمن فى علاك مقدسا
أنت الذى من فيضه الرحمات
كل ببابك أنت يسجد خاشعا
وأمام قدرك تعجز القدرات
يارب ذكرك أنت فرحة خاطرى
وضياء قلبى وابتسام مشاعرى
وقوافل بالخير تملأ مهجتى
ومواكب بالنور تملأ ناظرى
وحديقة للنفس فيها راحة
تنساب فى روح المحب الذاكر

ساظل يا ربى بذكرك شاديا
واسيرة لهواك كل خواطرى
كل البرية عند بابك تخشع
واليك السنة الخلائق تضرع
وقلوبنا يا رب تلهج دائما
بجلالك اللهم أنت المبدع
أنت الذى تعطى وتمنح قادرا
وتمد يا رب الورى أو تمنع
انا لذكرك يا الهى وخالقى
نهوى وتعشقه البرية أجمع

عيد الفطر المبارك

الشاعر محمد خليل الخطيب

تا لله مايوم أحق بأن يرى
عيدا كيوم الفطر بعد طواكا
يوم تلا ربع الحنيفة كله
أفليس أهلا أن يكون كذاكا ؟
وبه ابتداء فريضة الحج التى
طوباك يا من نلته طوباكا
يوم الجوائز للألى صاموا ومن
تلك الجوائز غفره أخطاكا
فزر به أهلا وأحبابا ومن
تستطيع ممن يشتهى مرآكا
وتهللن وحى رب تحية
بأتم أو بنظير ما حياكا
واذا التقى من أسلما وتصافحا
أولاهما غفرانه مولاكا
واذا استطعت به زيارة ذى القلى
فافعل يبدل بالغرام قلاكا
كم زورة جلبت هوى وتحية
جعلت فؤاد أخى القلى يهواكا
وأكتب لمن ينأون عنك مهنئا
وأعجل بتهنئة الذى هناكا
واحذر به مالا يليق وأحسنن
ما اسطعت فيه وصافحن أعداكا
لاتكسرن خواطر البؤساء من
بذخ به واعطف على بؤساكا

سر الحزين به ، وسامح من أسا
وأعن ذوى حاج ، وأبد صفاكا
واطعم به واشرب على حذر فكم
قد الهبت من بطنه أحشاكا
وتمتعن بالطيبات بحكمة
واشكر مبيحك ما بأمس حماكا
جهل الألى جعلوه مرتع لهوهم
وفسوقهم اياكهم اياكا
وبه استباحوا المنكرات وأشبعوا
رغباتهم مما يجر هلاكا
يابى عليك صيامه كرما أما
يأبى عليك المنكرات حجاكا
ارجع اليه ، وخف عليك ، ولطفه
سله وسله العفو عن أخطاكا
افما رأيت نكاله بعصاته
أفما سمعت فما الذى اغراكا
أو ما تحس ؟ اما تقدره ؟ أما
لك من نهى ؟ أم أين منك حياكا
سبحانك اللهم حلمك شامل
حتى الذى يعصيك يوم عطاك
وأبى الحنيف زيارة الموتى به
اتعيد فى يوم السرور أساكا

معلم الجيل

يوم الفجيعة بالآلام غشانا   وجرع الناس اسقاما واحزانا
كم مر بالناس فى التاريخ من محن   تدمى القلوب فما كانت كبلوانا!
الموت حق ولكن شاء موعده   أفى الزحام مع الاحداث يلقانا؟
معلم الشعب هل تمت رسالته!   وهل جعلتم لها فى القلب اركانا!
من للحوادث يبلوها ويعزكها   من للخطوب اذا ما الخطب اعيانا!

ابعد يوم مضىء فى محافلنا   قد جمع الناس أرواحا وابدانا
وقفت للفتنة الكبرى تصارعها   حتى استكانت وعاد القوم اخوانا
وعدت انت بقلب كان منفطرا   ممزق الجهد جوعانا وظمآنا
وبت أنت مسجى فى فراشكم   والشعب من فزع قد بات حيرانا

قد كنت اصغى الى الاخبار مرتقبا   ما للاذاعات تتلو الآن قرآنا
حتى بدا «أنور» قد ناء كاهله   محطم القلب مهموما وخشيانا
تعبير وجهك يا «سادات» مزقنى   بالله أمسك وخل الوجه ريانا

لما سرى النعى قالوا تلك قارعة   وارسوا الدمع مدرارا وهتانا
اضواهم الليل ما ناموا ولا سكنوا   وقرحوا بسخين الدمع اجفانا
ان كان حولك امواج مكتلة   فقد رأيت لاهل الريف طوفانا
يبكون راعيهم ، يبكون منصفهم   يبكون موسعهم حبا واحسانا
يبكون قائدهم ، يبكون ناصرهم   يبكونه بدماء القلب اشجانا
ورجت الارض من هول الم بها   وزلزل الناس أرواحا وابدانا

تعثر النبض حتى كل حاسبه   فما استطاع له جسا وحسبانا
نحن الاطباء مزجاة بضاعتنا   عند الحبيب ولو زدناه امعانا
وكل علم اذا حانت منيتنا ...   يسلم الامر للقهار اذعانا

قد كنت تبدو نشيط الخطو مبتسما   لما حقنت دماء القوم — نشوانا
غذاء روحك جهد لا قرار له   وان تبيت — اذا نامت — يقظانا
نسيت نفسك لم تحفل بحاجتها   فكان عاقبة النسيان ماكانا
حملت قلبك أقصى ما ينوء به   وسمت جسمك ارهاقا وحرمانا
وما حياتك حقا انت تملكه   انا لنملكها روحا وجسمانا
ما كل جيل تواتيه زعامته   وانما يهب الوهاب احيانا

الدكتور
سالم محمد شحاتة

من أجلنا قدر الرحمن عهدكم ... حتى حملت الينا الدهر ملآنا
يوم الجلاء ويوم السد شاهدنا ... وللقناة صنيع منك عزانا
قد سخر الناس فيها فوق طاقتهم ... ومات جدى بها جوعان عريانا
غدا تعود وهذا الوعد نكتبه ... بل أنت شاهده اذ أنت ترعانا

غدا تعود وسيناء بأكملها ... حتى نعيد مع التعقيب «جولانا»
لن نطعم الذل فى دين ولا وطن ... وسوف نضرب بالطغيان طغيانا
ولن نذل لامريكا وما ملكت ... ولن نذل لغير الله مولانا
على الطريق وان شقت مسافته ... انا جعلنا من الميثاق فرقانا
وكل شبر اذا مست عروبته ... يثير فينا من الاحقاد نيرانا
لو يجمع العرب فى الازمات أمرهم ... لعز شأنهم – فرضا – وماهانا
بترولنا فى حنايا الارض حجتنا ... حق نرد به ظلما وعدوانا

قد كنت فى نعشك المحمول سامعنا ... وكنت فيه رضى النفس جذلانا
وكان من يومك المشهود مؤتمر ... ضم الوفود ذرافات ووحدانا
وكنت افصح من هزت خطابته ... كل القلوب بصمت كان تبيانا
جمعتهم أمما الفتهم عربا ... وحدت صفهم أهلا وجيرانا

معلم الجيل هذا يوم بيعتكم ... من الملايين تجديدا وعرفانا
تلك الجنازة ياتاريخ شاهدة ... فاكتب وسطر لها سفرا وديوانا

قد كرم الله شعبا أنت باعثه ... «وكرم الناس اذ سواك انسانا»
والله لولاك ما ردت كرامتنا ... مدى الزمان ولو عشناه أزمانا
«جمال» واسمك فى الاسماع ردده ... شعب يحبك اكبارا وايمانا
كم رددو هتافا من قلوبهم ... شق الفضاء وكم صاغوه ألحانا
بادلتنا الحب ان جئنا بعاطره ... جزيت بالحب اضعافا وألوانا
ضمير صدق على فعليك مرتقب ... لم تأت فى السر مالم تأت اعلانا
كل الزعامات تخشاه وتكبره ... وما رأينا له فى الند أقرانا
لانت أبعدهم ذكرا ، واكبرهم ... قدرا ، وأرفعهم فى المجد بنيانا
ياأيها الجند هذى الروح شاخصة ... ترنو الى الجيش تشجيعا وتحنانا
يا أيها الجند حيوا فى رباطكم ... روح الرئيس وكونوا اليوم فتيانا
أسود غاب حموا فيه عرينهم ... نفسى الفداء لكم جندا وفرسانا
قتلى العدو وقود النار مذ لعنوا ... وفى رحاب نعيم الخلد قتلانا

قراءات وطرائف

سنية المزاح

روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : **لاخير فيمن لا يطرب ولا يطرب** » وقوله « **روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت !** » .

والنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : **يدخل عثمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكنى » . وذلك أن النبى دخل عليه وهو أرمد فوجده يأكل تمرا : فقال له: أتأكل تمرا وأنت أرمد ؟ فقال : انما آكل من الجانب الاخر ، فضحك النبى حتى بدت نواجذه .**

من هنا كان سفيان على حق فى رده على من قال له المزاح هجنه ، بقوله : لابل سنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : **انى لامزح ولا أقول ، الا الحق .**

واشتهر على بن أبى طالب بدعابته ، وبحبه للفكاهة ، وروى عنه قوله : « أجمعوا هذه القلوب ، والتمسوا لها ظرف الحكمة فانها تمل كما تمل الابدان .

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار اليهود يا محمد أرايت قولك (**وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) ايانا تريد أم قومك ؟ قال كلا ، قالوا : فانك تتلو فيما جاءك انا قد اوتينا التوراة فيها بيان كل شىء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها فى علم الله قليل وعندكم فى ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه » فانزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك :

ولو انما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم [أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

الإسلام سوى بينكما

كان جبلة بن الايهم ـ وكان ملكا فأسلم ـ يزور البيت الحرام فى مكة فوطىء رداءه رجل من فزارة فلطم جبلة الرجل فهشم انفه .

فاشتكى الرجل الى الخليفة عمر رضى الله عنه .

فاستدعى جبلة فاعترف بما حدث . فقال له عمر :

تقديم فؤاد هيبة

اما أن ترضى الرجل . واما أن نقيده منك .

فقال جبلة : وما تصنع بى ؟ قال يهشم أنفك كما هشمت أنفه .

فقال جبلة : كيف ذلك وأنا ملك ، وهو سوقة ؟

فقال له عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

فطلب جبلة مهلة ليلة يفكر فيها ثم هرب الى الشام .

الجنة تشتاق إلى ثلاثة

قال عمار بن ياسر :

جاءنى أخى أنس بن مالك يوما فقال :

ياعمار .. !

قلت : لبيك .

قال ، لك البشرى .. أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم فيك ؟

قلت : بشرك الله بالخير .. وما هو ؟

قال : سمعته يقول : **ان الجنة تشتاق الى ثلاثة :** على ، وعمار ، وسلمان .

كرم آل البيت

عن عبد الرازق قال : صبت جارية الماء لعلى بن الحسين ليتهيأ للصلاة فوقع الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه .

فرفع على بن الحسين وجهه اليها .

فقالت الجارية : ان الله عز وجل يقول : والكاظمين الغيظ .

فقال لها : **كظمت غيظى .**

قالت : والعافين عن الناس . قال لها : عفا الله عنك .

قالت : والله يحب المحسنين . قال لها : اذهبى فأنت حرة لوجه الله .

عند الله أكثر

حدث فى زمن خلافة أبى بكر رضى الله عنه أن أصاب الناس قحط . فذهبوا الى الخليفة يستنجدون به فقال لهم :

انصرفوا واصبروا . فلما كان آخر النهار .. وردت الانباء بأن عيرا لعثمان قادمة من الشام فلما جعلت أحمالها فى داره .. جاءه التجار ليشتروها .. فقال لهم عثمان رضى الله عنه : كم تربحوننى ؟

فقالوا : الدرهم درهمين .

فقال لهم : أعطيت زيادة على هذا .. قالوا : أربعة .

قال : أعطيت أكثر .. قالوا خمسة .

قال : أعطيت أكثر

فقالوا : ما فى المدينة تجار غيرنا . فمن الذى أعطاك أكثر ؟

قال : ان الله أعطانى بكل درهم عشرا . فهل عندكم زيادة ؟

قالوا : لا .

قال : أشهد الله انى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين ، وفقراء المسلمين .

من أدب النبوة

● « أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وأحسن الهدى هدى الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء » حديث شريف » .

المتنبى بين أبى العلاء والمرتضى

وروى أن أبا العلاء حضر مجلس المرتضى يوما ، وجرى ذكر المتنبى فتنقصه المرتضى ، وجعل يتتبع عيوبه ، لبغضه له وكان أبو العلاء على عكسه يتعصب للمتنبى ويزعم أنه أشعر المحدثين ويفضله على بشار ومن دونه كأبى نواس وأبى تمام فقال لو لم يكن للمتنبى الا قوله « لك يا منازل فى القلوب منازل » لكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر به فأخرج من مجلسه ، ثم التفت الى من بحضرته وقال لهم : أتدرون فى شىء أراد الاعمى بذكر هذه القصيدة ، مع أن لابى الطيب ما هو أجود منها ؟ فقالوا : النقيب السيد اعرف فقال أراد قوله فى هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل

الشفنين

عده الجاحظ فى أنواع الحمام ، وبعضهم يقول الشفنين هو الذى تسميه العامة باليمام ، وصوته فى الترنم كصوت الرباب ، وفيه تحزين ، وتحسن أصواتها اذا اختلطت ..

ومن طبعه أنه اذا فقد انثاه لم يزل عزبا الى أن يموت وكذلك الانثى اذا فقدت ذكرها ومن طبعه ايثار العزلة ، وعنده نفور واحتراس من اعدائه .

صلاة العيد

فى سنة تسع وسبعين ومائتين ركب الخليفة المعتضد فى يوم الفطر الى مصلى اتخذه بالقرب من داره فصلى بالناس وكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الاخيرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر ، فحصر ولم تسمع له خطبه وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

حصر الامام ولم يبين خطبة

للناس فى حل ولا احرام

ماذاك الا من حياء لم يكن

ما كان من عى ولا افحام

سرعة البديهة

خرج سليمان بن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية يوما للصيد وكان كثير التشاؤم وبينما هو فى الطريق لقيه رجل أعور دميم الخلقة زرى الهيئة .

فقال لاصحابه : أوثقوه .

ومروا فى طريقهم ببئر خربه قد تهدمت وجف ماؤها فقال سليمان : احبسوه فى هذه البئر فان صدنا فى يومنا هذا أطلقناه والا عاقبناه لتعرضه لنا فألقوه فى البئر ومضوا فصاد سليمان صيدا كثيرا فى هذا اليوم فلما رجعوا ومروا بالرجل أمر باخراجه فلما وقف بين يديه قال : ياشيخ .. مارأيت أسر وأبر من طلعتك .

فقال الشيخ : صدقت ولكنى ما رأيت أشأم من طلعتك

امرأة مثالية

أتت أسماء بنت يزيد الانصارية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله . أنا وافدة النساء اليك .. ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء فآمنا بك وبالهك .. انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا ، أو مجاهدا حفظنا أموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم . أفنشاركم فى هذا الاجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا : يارسول الله .. ما ظننا أن امرأة تهتدى الى مثل هذا .. !

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها فقال : افهمى أيتها المرأة واعلمى من خلفك من النساء . ان حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

القائد والمعركة

الشيخ حسن صالح

يا خالد الذكر كيف البين فى عجل
خططت للامر أم فوجئت بالخبر
يوم الوداع انتشينا بالوئام ضحى
وفى المساء دهانا أفدح الفير
فى ليلة بورك المسعى ودعمه
جمع العروبة فى هيلتون ذو الخطر
كانت حياتك رهن المجد تنزفها
لم تأل جهدا لخير العرب والبشر
منزها عن دنايا الذات تحملها
على المكاره فى ميدانها الوعر
وكنت تاسو جراح الشعب فى دأب
لا يقعدنك ما بالجسم من نذر
وكنت حصن الحمى فى كل نازلة
ورداء قومك تحدوهم على حذر
تصارع البعض والعدوان فى جلد
لا يفزعنك ما تلقى من الشرر
نعم النصير اذا استنصرت فى جلل
وقائد النهضة الكبرى على بصر
أفنيت عمرك كل العمر مرتحلا
وراء أمن الورى فى البدو والحضر
ولم يعد لطغاة الارض منتجع
ولا لصهيون أمن العيش فى الوكر
هذى امريكا واسرائيل قد عزلا
وتلك أحلامهم للريح للعثر
ففى رحاب العلا عند المليك اقم
على أرائك من نور على سرر
ولتطمئن الى صحب تركتهمو
شعب الكنانة جند الخالد الاثر
وفى ركابك عبد الناصر انتجعوا
وراء أنور حتى النصر والظفر
يا أنور الرأى قد ولاك قائدنا
وأجمع الشعب بالالهام والنظر
وبارك العرب والاحرار فى ثقة
على طريق جمال أنصع السير
وفى تراث جمال والهدى سنن
وخير اتباعه السارى على الاثر
والتكنولوجيا وسيف القادرين على
خوض المعارك والايمان بالقدر
لابد للنصر من جهد ومن عرق
ومن دماء ومن بأس ومن قدر
يؤيد الله جند الحق ما عملوا
صفا جميعا وخلف الرائد البصر

قطوف

الأستاذ علي الجندي

ملك الموت !

دخل ملك الموت على داود - عليه السلام - **فقال** له : من أنت ؟

قال أنا الذى لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشا !

فقال : اذن أنت ملك الموت !

. . . . .

مصيبة الرشيد باحبابه !

ماتت للرشيد جارية كان يهواها - وكانت من خواص محاظية - فجزع عليها جزعا شديدا !

ثم قال لبعض حاشيته : أما ترى ما بليت به ؟ ما احببت أحدا الا مات !

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، احببنى !

فقال ويحك ! ان الحب ليس هو شيء يصنع ، انما هو شيء يقع فى القلب وتسوقه الاسباب فقال الرجل : قل : أنا احبك ! فقال الرشيد : نعم ، أنا احبك !

قال ، فحم الرجل من وقته ثم مات !

. . . . .

اتفاق موت !

مات عكرمة مولى ابن عباس - رضى الله عنهم - وكثير عزة فى يوم واحد !

فقال بعض الرجال : اللهم ، كماجمعتهما فى زيارة القبور ، فلا تفرق بينهما يوم النشور !

فما بقى أحد فى المدينة الا استحسن كلامه !

. . . . .

الخليل يحب لقاء خليله !

لما احتضر سيدنا ابراهيم - عليه السلام - قال : « يا رب ، هل رأيت خليلا يقبض روح خليله ؟ »

فأوحى الله اليه : « هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله؟ » .

قال : « يارب ، فاقبض روحى الساعة ! » .

بكاء عثمان عند القبور !

كان عثمان - رضى الله عنه - اذا وقف على قبر بكى بكاء لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار !

فقيل له فى ذلك .

فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « القبر أول منازل الاخرة ، فان نجا العبد منه ، فما بعده أيسر منه » .

. . . . .

الشكر والصبر :

من الابيات الجامعة قول سويد السدوسى :

فأوصيكما يا بنى سدوس كلاكما
بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة
وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وصية خليفة لخليفة :

قال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - حين استخلفه : أوصيك بتقوى الله ، فان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفرائض ، وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا ، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا ، وان الله ذكر أهل الجنة ، فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فاذا سمعت بهم ، قلت انى لم لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار بأقبح اعمالهم وأمسك عن حسناتهم فاذا سمعت بهم قلت أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله غير الحق ، فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكونن غائب ، أحب اليك من الموت ! وهو آتيك ! وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أكره اليك من الموت ولن تعجزه !

. . . . .

اسناد الاحاديث :

كان بعضهم يحذف اسناد الحديث من سنة متبعة ، وشريعة مفروضة •

وقد سأل حفص بن عياش ، الاعمش المحدث عن اسناد حديث ، فأخذ بحلقه ، وأسنده الى حائط ! وقال : هذا اسناده •

وحدث ابن السماك بحديث ، فقيل له : ما اسناده ؟

فقال : هو من المرسلات عرفا •

وحدث الحسن البصرى بحديث ، فقيل له : يا ابا سعيد : عمن ؟

فقال له : وما تصنع « بعمن » يا بن أخى ؟ أما أنت فنالتك موعظتنا ، وقامت عليك حجته •

قميص يوسف

•• •• ••

قال بعض الصوفية : انما بعث يوسف قميصه الى ابيه — عليهما السلام — من مصر ، لان القميص كان سبب ابتداء حزنه ، لما جاء به اخوته ملطخا بالدم ، فأحب يوسف — عليه السلام — أن يكون فرحه من حيث كان حزنه !

•• •• ••

اللذات ثمان !

قال الحسن بن سهل للمأمون : نظرت فى اللذات ، فرأيتها مملولة خلا سبعة : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الوطىء ، والنظر الى الحسن من كل شىء !

فقال له المأمون : أين أنت من محادثة الرجال ؟

فقال الحسن : صدقت ! هى أولاهن !

•• •• ••

الفناء فى حب الله !

قال بعض أصحاب الحال يوما لجلاسه : لو أنى خيرت بين دخول الجنة ، وبين صلاة ركعتين ، لاخترت صلاة الركعتين !

فقيل له : لماذا ؟

فقال لانى فى الجنة مشغول بحظى وفى الركعتين مشغول بحق ربى ! وأين ذلك من هذا ؟ !

وكان بعض الصالحين يقول : اذا رأيت الليل مقبلا فرحت ، وأقول : أخلو بربى ! واذارايت الصبح قريبا استوحشت ، كراهة لقاء من يشغلنى عن ربى !

•• •• ••

وفاء زوجة !

كانت الرباب بنت امرىء القيس ، احدى زوجات الحسين بن على — عليهما السلام — وقد ولدت منه السيدة سكينة •

ولما رجعت الى المدينة بعد معركة كربلاء التى استشهد فيها زوجها ، خطبها أشراف قريش ، فأبت وقالت : لا يكون لى حم بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبقيت بعده لم يظلها سقف حتى ماتت كمدا عليه — رضى الله عنها ! — •

•• •• ••

أنس الايمان

عن جعفر بن محمد الصادق — عليه وعلى آبائه السلام — أنه قال : ما من مؤمن الا وقد جعل الله له من ايمانه أنسا يسكن اليه ، حتى لو كان على قلة جبل لم يستوحش !

مـوال قديم :

قال الصفى الحلى فى الوفاء ،

ما ملت عن العهود حاشاى أمين
بل كنت ببعدكم قويا وأمين
لا تحسبنى اذا قسا الهجر ألين
بل كو كشف الغطاء ما ازددت يقين

أمين الاولى : أى حاشاى أكذب •

وقال العاملى لما حج الى بيت الله الحرام :

يا قوم بمكة أناذا ضيف
ذى زمزم ، ذى منى ، وهذا الخيف
كم أعرك مقلتى لاستيقن هل
فى اليقظة ما أراه أم ذا طيف

خيف منى ، غرة بيضاء فى الجبل الاسود الذى خلف أبى قبيس ، وبها سمى مسجد الخيف •

•• •• ••

قبة الحجرة النبوية :

قال العاملى حينما أشرف على المدينة المنورة ، ورأى القبة النبوية :

هذه قبة مولا ... ى وأقصى أملى
أوقفوا المحمل كى ألـ ... ـثم خفى جملى

•• •• ••

مواطن الاستجابة !

قال على الرضا — عليه وعلى آبائه السلام — وقد ذكر عنده «عرفة والمشعر الحرام — : ما وقف أحد بتلك الجبال الا استجيب له ، فأما المؤمنون فيستجاب لهم فى آخرتهم ، وأما الكفار فيستجاب لهم فى دنياهم •

•• •• ••

لا نهاية للعلم !

قيل لعبد الله بن المبارك : الى متى تكتب ؟

فأجاب ، لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد !

•• •• ••

لا يبقى فى النار مسلم !

فى الحديث الشريف : « اذا كان يوم القيامة ، اجتمع أهل النار ومعهم من شاء من أهل القبلة ، فقال الكفار : ألستم مسلمين ؟ قالوا : بلى • قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار ؟ ! فيغضب الله لهم ، فيأمر لكل من كان من أهل القبلة بالخروج ، فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » •

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال : ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء ، حتى انه — تعالى —

فى آخر الامر يقول : « من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ! »

.. .. ..

معنى نفخ الروح فى الانسان !

قال ـ تعالى ـ « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » .

قالوا : النفخ : اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر .

فمن زعم : أن الروح جسم لطيف كالهواء سار فى البدن ، فمعناه ظاهر .

ومن قال : انه جوهر مجرد غير متحيز ، ولا حال فى متحيز ، فمعنى النفخ عنده ، تهيئة البدن ، لاجل تعلق النفس الناطقة به .

وقال الزمخشرى : ليس ثم نفخ ولا منفوخ ، وانما هو تمثيل ، لتحصيل ما يحيا به فيه .

والاضافة فى « روحى » للتشريف والتكريم مثل « بيت الله » و « ناقة الله » .

.. .. ..

المعجز الواحد يكفى فى صدق النبوة

ليس من شرط كون النبى صادقا ، تواتر المعجزات ، وتتابع الايات ، لان فتح هذا الباب يوجب نقيض المقصود . وهو ألا تثبت نبوة نبى أبدا ! ولكن المعجز الواحد يكفى فى صدق النبى ، واقتراح الزيادة من جملة عناد المعاندين ، ومن ذلك ما حكى الله ـ تعالى ـ عنهم : « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » .

كذلك لابد أن يكون بعض معجزات النبى مقرونا بالتحدى ، أما الكل فلا .

وبعبارة أخرى : لابد أن يكون مقرونا بفعل خارق للعادة ، ولكن كل فعل خارق للعادة ، لا يلزم اقترانه بالتحدى .

وكذا الكلام فى بيان الشرائع ، فان بعض أوقات النبى ، لابد أن يقترن به التحدى ، دون كل أوقاته وحالاته .

.. .. ..

تواضع المسيح لله !

رأت بعض النساء عيسى ـ عليه السلام ـ وهو يحيى الموتى ويبرىء الاكمه والابرص ، فقالت : طوبى لبطن حملك ، وثدى أرضعت به !

فقال عليه السلام ـ مجيبا لها : طوبى لمن تلا كتاب الله ، واتبع ما فيه ، ولم يك جبارا شقيا !

.. .. ..

بين موسى وربه !

عن محمد بن كعب القرظى : أن موسى ـ عليه السلام ـ قال : « يا رب ، أى خلق أكرم عليك ؟»

قال : « الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى ! » .

قال : « أى خلقك أعلم ؟ » .

قال : « الذى يلتمس علما الى علمه » .

قال : « أى خلقك أعدل ؟ » .

قال : « الذى يقضى على نفسه كما يقضى على الناس » .

قال : « أى خلقك أعظم حرمة ـ ذنبا » .

قال : « الذى يتهمنى ، وهو الذى يسألنى ، ثم لا يرضى بما قضيت له » .

قال النيسابورى ـ معقبا على ذلك ـ : الهنا ، انا لا نتهمك ، فانا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل ، وكل ما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل ، فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا !

عند الموت !

قال السهروردى ـ وهو يجود بنفسه :

قل لاصحاب رأونى ميتا
فبكونى ـ اذ رأونى ـ حزنا
لا تظنونى بأنى ميت
ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى
طرت عنه فتخلى رهنا
فاخلعوا الانفس عن أجسادها
فترون الحق حقا بينا
لا ترعكم سكرة الموت فما
هى الا بانتقال من هنا

.. .. ..

تشوق الى الملا الاعلى !

قال القطب الرفاعى :

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم
أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى
وتحتى بحار بالاسى تتدفق
سلوا أم عمرو : كيف بات أسيرها
تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة
ولا هو ممنون عليه فيطلق

.. .. ..

من الجنديات

اتعبتنا عقولنا ـ واستراحت
أغبياء الورى ـ بدنيا غبية
وشفيعى أنى نضيت شبابى
لم أسود بياضه بخطيه
ومنحت الانام أكرم قلب
يحتويه صدر ـ وافضل نيه

العرب والجغرافيا

الأستاذ محمد فاوى عسى

عرف عرب شبه الجزيرة الرحلات قبل الاسلام ـ وكانت لهم فى رحلاتهم اهتمامات مختلفة عن هؤلاء الرحالة الذين جاءوا بعد . فقد كانت رحلاتهم ـ عادة ـ للتجارة أو الهجرة ـ أما الرحلات التالية فكان طابعها الدرس والتحصيل والعلم .

امتدت الفتوحات العربية الاسلامية قرنا وبعض قرن بعد وفات النبى صلى الله عليه وسلم ــ وكانت متعددة النواحى منوعة النتائج .

فقد كانت فتحا عسكريا امتد من الهند والصين شرقا الى بحر الظلمات (الاطلنطى) غربا . وفتحا بشريا تغلب فيه الجنس العربى بالهجرة والاستيطان فى بعض هذه الاقطار ــ وتغلب هذا الجنس على ماعداه فصبغ المكان بصبغته وفتحا لغويا حيث انتشرت اللغة العربية في الاقطار المفتوحة انتشارا سريعا ، وممن يذكرون بالخير في هذا المجال عبد الملك بن مروان الذى عرب الادارة فى البلاد المفتوحة وجعل اللغة العربية لغتها الرسمية ، والثانى المامون الذى نقل العلوم الى العرب فعرب الحركة الفكرية والعقلية .

ثم هناك فتح رابع وهو الفتح الدينى ، الذى ساد الاقطار المفتوحة حتى تلك التى لم تستطع أن تسود فيها اللغة العربية وتلك التى انحسر عنها سلطان الحكم العربى . والتى احتفظت من الفتوح العربية بالفتح الدينى اذ كان الاسلام قد تغلغل فيها .

وقد كانت مسالة ادارة البلاد من المسائل التى شغلت العرب . وهى مسالة كثيرة التعقيد . لذلك اهتم أصحاب السير والمغازى ورواة الاخبار ببحثها ليتقرر مقدار الجزية والخراج . ومن ثم كان وصف البلدان جزءا من عمل المؤرخين . ثم استقل كتاب بوصف الاقاليم ودرسها . وكانت المحاولة الاولى تدور حول التعرف الى البلاد وطرقها وخراجها .

وكان أقدم هذه البحوث كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه الذى كان تقريرا عن جباية المملكة العباسية فى أواسط القرن الثالث الهجرى وكان مؤلفه متولى البريد والخبر بنواحى الجبل بفارس .

وكذا كتاب الخراج وصنعة الكتاب لقدامة بن جعفر فهو يشرح الطرق والمسافات فضلا عن جباية المملكة .

وقد كان للاسلام فضل كبير فى تشجيع البحوث الجغرافية وخاصة لتسهيل مهمة سفر الحجاج ولايضاح أقرب وخير الطرق للوصول الى مكة المكرمة والمدينة المنورة مع شرح لصعوبات الطريق ووسائل التغلب عليها . فكان الكتاب يهتمون بتدوين كل ملاحظاتهم ومشاهداتهم ومن هؤلاء كان جبير وابن بطوطة .

كما شجع الاسلام البحوث الجغرافية كاسلوب من اساليب طلب العلم . فقد كان المسلمون ينتقلون من مكان الى آخر ، ما بين وعر وسهل وقريب وبعيد ــ في سبيل انتجاع المعرفة . وكان علماء المسلمين يحرصون على تدوين مشاهداتهم ليطلع عليها الخلف ويستفيد منها . وقد كان رائدهم زيادة فى المعرفة وتقربا الى الله سبحانه وتعالى .

وتضم المكتبة الجغرافية القديمة انتاج ما يقرب من الثلاثين من كبار المؤلفين الذين وصل الينا انتاجهم غير الذين لم يبق من كتاباتهم شىء .

ومن أظهر آثار اليونان فى جغرافيي العرب فى هذه الفترة تقسيم الارض الى سبعة أقاليم ـ وكتاب الكندى المسمى رسم المعمور من اقطار العرب أدخل فيه بعض كتاب بطليموس ـ وابن خرداذبه نقل بعض كتاب المسالك والممالك عن بطليموس واضاف اليه الخراج والطرق على ما ذكره هو فى مقدمة كتابه .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن ابن الفقيه واليعقوبى وابن رسته بوجه عام .

فلما جاء القرن الرابع الهجرى ، الذى يمثل فى تاريخ البحث الجغرافى العربى فترة النضج كان رواده ومنهم الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى يمثلون درجة عالية فى البحث المبنى على الاختبار الشخصى والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل . واستمر هذا التاليف الجغرافى الناضج ثلاثة قرون .

وتميزت الكتابة فى هذه الفترة باتجاهات ثلاث :

الاول : عناية شديدة باقاليم العالم الاسلامى والاقطار المجاورة له .

والثانى : نوع من التخصص فى قطر واحد . فقد كتب الهمزانى فى (صفة جزيرة العرب) . وكتب البيرونى عن (الهند) وقدم ابن فضلان وصفا لبلغاريي الفولجا اذ زار بلادهم فى وفد الخليفة المقتدر عام ٣١٠ هـ الموافق ٩٢١ م .

والثالث : هو كثرة المعاجم الجغرافية التى وجدت طريقها الى المكتبة العربية منذ القرن الخامس للهجرة .

فاليكرى يعرفنا بكتابه بقوله (هذا معجم ما استعجم . ذكرت فيه جملة ما ورد فى الحديث والاخبار والتواريخ والاسفار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والاثار والمياه والابار والدارات والحارات منسوبة محددة ومبوبة على حرف المعجم مقيدة) .

وياقوت الحموى فى طليعة أصحاب المعاجم الجغرافية على الاطلاق . فكتابه معجم البلدان : خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافيا لانه اذا ذكر بلدا اوردشيئا من تاريخه ومن اشتهر فيه أو نسب اليه من الادباء والشعراء والفقهاء هذا بالاضافة الى مقدمة وافية فى علم الجغرافيا . وهو دقيق فى معلوماته منظم فى طريقته .

وتمتاز هذه الفترة بان الخرائط التى رسمها هؤلاء الجغرافيون كانت انتاجا عربيا خالصا . وقد احصى ميلر مائتين وخمسا وسبعين خريطة للعالم الاسلامى تعود الى ذلك العصر بخلاف خرائط الادريسى الذى عمل عشرين سنة فى بلاد ملك زودس الافرنجى .

وفى القرن الثامن الهجرى ظهرت الموسوعات الكبيرة فى التاريخ والادب والجغرافيا وغيرها . ومنها نهاية الارب للنويرى ، وصبح الاعشى للقلقشندى ومسالك الابصار لابن فضل الله العمرى وهى تحوى فصولا فى الجغرافيا العامة والسياسية . وفيها معلومات عن الدول الاسلامية وغيرها من الاقطار .

وقد امتازت الابحاث الجغرافية باعتمادها على المشاهد الشخصية والحس .

فاليعقوبى يقول عن نفسه انه سافر وحدث وسال .

وابن حوقل يقول : وأعانتى على تاليفه تواصل السفر . وانزعاجى عن وطنى الى أن سلكت وجه الارض باجمعه في طولها وعرضها وقطعت وتر الشمس على ظهرها .

اما المقدسى فقد جال فى البلدان ودخل اقاليم الاسلام ولقى العلماء وخدم الملوك وجالس القضاة ودرس البرارى وتاه فى الصحارى وأشرف على الغرق وسجن فى الحبوس ولزم التجارة فى كل بلد . وعنى بالمعاشرة مع كل أحد ـ وينطبق هذا على العالم الاسلامى خاصة وان لم يقتصر عليه .

ابن بطوطة واحد من الرحالة العرب الذين يجدر الاشارة اليهم . فقد طبع هذا الرحالة المحترف رحلاته في القرن الثامن الهجرى بشخصيته القوية النابضة بالحياة المتطلعة الى كل ما حولها بشوق دائم . ويمتاز هذا الرحالة بامور كثيرة قلما اجتمعت لرحالة واحد من معاصريه . فقد قضى ثمانية وعشرين عاما يذرع شرق الارض ومغربها . وقد قدرت المسافة التى قطعها فى رحلاته بـ ١٢٠ر٠٠٠ كيلومتر . وقد جرب الا يقطع طريقا مرتين الا في النادر جدا . وقد كان فقيها عالما . واشتغل بالقضاء . وله لذة خاصة فى ذكر الاشخاص الذين عرفهم والتحدث عنهم . ويهتم فيما يدونه عن رحلاته بالجغرافيا والاجتماع .

وقد زار القاهرة من بين ما زار من بلدان . ومما يقوله فيها عن مصر (تموج موج البحر بسكانها . وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها . وتملكت ملوكها نواحى العرب والعجم . ولها خصوصية النيل التى جل خطرها . وأرضها مسيرة شهر لمن يجد السير . كريمة التربة . مؤنسة لذوى الغربة .. وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو . والمدارس بمصر لا يحيط أحد بها لكثرتها) .

معالم الطريق

كان واضح لهم أن العالم العربى ابتدأ يتفكك بنتيجة المزايدات ونتيجة الحملات اللى بدأت عشان قبولنا احنا بمشروع روجرز أو المبادرة الامريكية

احنا فى هذ الوقت ماشيين فى طريقنا حضرنا مؤتمر لوزاكا ، حضرنا مؤتمر اديس ابابا وفى مؤتمر لوزاكا وفى مؤتمر أديس أبابا اتخذت قرارات بشأن القضية بتاعتنا ممتازة وجزء كبير جدا من العالم اللى هو عالم عدم الانحياز وقف معانا كله واصدر قرارات كانت قرارات لاول مرة بتصدر بمثل هذا التحديد وبمثل هذا العنف اللى صدرت فيه فى لوزاكا أو أديس أبابا .

فى نفس الوقت كنا ماشيين فى تدعيم قواتنا المسلحة ، مابنأبهش للحملات دى كلها ، لكن جد موقف جديد الامريكان واسرائيل بيعملوا العالم دعاية أن مصر خرقت وقف اطلاق النار .. مصر أدخلت صواريخ للمنطقة .. مصر عملت ، وابتدوا يشوهوا المعنى اللى العالم كله أحس به من قبولنا للمبادرة ..

وفى هذا الوقت وصلنا الى المرحلة اللى ابتدت نذر الشر فيها تبان فى الاردن .. ومن اللحظة الاولى اللى وصل للرئيس فيها الله يرحمه هذا الخبر زى ما تعلموا حضراتكم اتفق مع الرئيس القذافى ، وكانوا بيتقابلوا فى مرسى مطروح ، وارسلوا للرئيس النميرى وأرسل الرئيس برقية ، اللى أرسلت باسم الرؤساء الثلاثة للملك حسين .

وقام الفريق صادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة لجمهوريتنا للاردن مرة واثنين .. ورجع الفريق صادق .. ولكن للاسف كان واضح أن فيه تصميم على عمل مبيت معين .. وفجأة اندلعت الاحداث فى الاردن ، اتصلت بنا تونس علشان عقد مؤتمر فى القاهرة .. وكان الرئيس فى طريقه من مرسى مطروح الى الاسكندرية عاد فى الحال ورحب

وعقد المؤتمر فى فندق الهيلتون هنا .. ولما ييجى الوقت ان شاء الله اللى نكتب فيه **تفاصيل ما تم فى هذا المؤتمر بشهادة الملوك والرؤساء اللى كانوا حاضرين حانعرف الى اى مستوى قومى .. والى اى روعة كان موقف زعيمنا جمال .**

أمام الكل وبمنتهى الوضوح وبمنتهى الصراحة كان يحترق .. كان بيحترق فعلا فى كل لحظة ، وفى كل دقيقة فى هذا المؤتمر لكن كان عنده هدف أساسى لازم المذبحة تقف .. ولازم نجنب الابرياء اللى بيتقتلوا فى الشارع أو فى بيوتهم أو فى المستشفيات .. النساء والاطفال والشيوخ .. وبعدين القضية الفلسطينية باكملها .. قضية شعب بأكمله ، وبعدين اخطر من كل هذا أحسبنا احنا هنا تماما عن يقين أن أمريكا ما بتضعيش وقتها وزى ماقريتم بعد كده واعترفوا القواد بتوع أمريكا واعترفوا الرسميين فى أمريكا .. أمريكا كانت انتهت من اعداد كل شىء للتدخل فى الاردن . معنى التدخل كان ايه . كان نسف قضيتنا العربية بالكامل .

ده المعنى اللى كان الرئيس حريص انه يضع كل الملوك والرؤساء العرب أمام مسئوليتهم فيه وانه مش لازم نضيع دقيقة واحدة .. لابد أن تحل هذه الازمة ، وأن يوقف هذا النزيف .. حفاظا على قضية شعب أولا .. ثم لمنع التدخل الامريكى الذى يهدف أول ما يهدف لنسف كل القضية من اساسها

تفاصيل هذا المؤتمر زى ما قلت لحضراتكم كلها ثابتة عندنا وموجودة وجديرة ان احنا كلنا نقراها .. ونعرف جمال مات ازاى .. ومات ليه ..

وفى آخر يوم من أيام المؤتمر استطاع جمال أن يوقف النزيف ويحل القضية ولكن كان بيوقف النزيف .. وبيحافظ على القضية .. وبيمنع التدخل الامريكى فى الوقت اللى توقف فيه قلبه عن النبض .
طول الفترة دى الامريكان مش ساكتين هم واسرائيل . تذكروا أن يوم وفاة الرئيس بالذات كان

رئيس الولايات المتحدة على ظهر حاملة طائرات فى البحر الابيض لحضور مناورات وكتبت الصحف الامريكية أن الغرض من هذه المناورات صراحة هو أن نسمع مدافعنا فى البحر الابيض لجمال عبد الناصر . ماكنوش ساكتين بيتحركوا . الحرب النفسية ماشية . حملات التشويه لمواقفنا ماشية ، يروح وزير خارجيتنا يزور ايطاليا واسبانيا يجد فيهما كلام باعتاه الحكومة الامريكية للاسف عن موقفنا أقل ما يقال فيه أنه كذب . كذب صريح . أقل ما يقال فيه . فيصحح الصورة ويندهش الناس فى ايطاليا وفى اسبانيا ان دولة كبرى عليها مسئوليات الدول الكبرى فى العالم تلجأ لمثل هذه الاساليب . وكان علينا بعد ما توقف القلب الكبير عن الحياة كان علينا أن احنا نكمل المسيرة . وفى وسط الاحزان والتمزق والنزيف كان علينا أن احنا نستمر ونعمل ونكمل .

وصل رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى السيد كوسيجين مع وفد وأجرينا معاه محادثات وزى ما قلت لكم كنا بننزف واحنا بنشتغل عشان نكمل لا يجب أبدا اننا نتوقف عن السير . اجرينا محادثات مع رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى وزى ما هو موقف الاتحاد السوفيتى تماما زى ماكان وزى ماهو النهاردة معانا كانوا وزى ماذكرت لكم فى كلامى هنا فى الاول مش جايين يعزو بس لا دول جايين يعزوا وجايين يؤكدوا اخوتهم وصداقتهم ودعمهم الكامل لنا فى مرحلة المحنة اللى احنا بنمر بيها . فى هذه المحادثات اللى اشتملت على أكثر من ثلاث اجتماعات أكد رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى أمام القيادة السياسية فى بلدنا موقف الاتحاد السوفيتى ودعمه وتاييده للحق العادل لنا واستمرار تأييده فى المرحلة المقبلة بصورة اشد مما كان فى الماضى حتى لا يظن أعداؤنا ان احنا فى محنة فعلا أو اننا فعلا بعد جمال سينتهى كل شىء زى ما كانوا متصورين . وبرضه حايجى اليوم ان شاء الله اللى تفاصيل كل هذا لازم نعرفها لان ده ملككم كشعب ملككم تعرفوا مين الصديق ومين العدو كلكم تعرفوا فى وقت محنتنا وفى وقت ألمنا وفى وقت واجهنا فيه اقسى ما واجهنا حتى من ٩ و ١٠ يونيو . والله فى ٩ و ١٠ يونيو كنا حطام بس كان معانا جمال والشعب كله طلع وقال جمال يبقى فى مكانه فى سبتمبر واحنا بنواجه هذه الحرب النفسية الشرسة والضغوط الرهيبة والمدافع اللى بتطلق من نابولى عشان نسمعها هنا فى القاهرة بواسطة الرئيس الامريكى نفسه على ظهر حاملة طائرات . كل هذه الالام وكل هذه المحن نعرف من حقكم تعرفوا مين اللى وقف معانا ومين اللى حاول يستغلها : يستغلها لكى يفرض علينا الهزيمة ويفرض علينا الاستسلام .

وحايجى اليوم اللى كل شىء يتقال بالتفصيل انما فى المجمل با أقول أن الاتحاد السوفيتى صديق شريف وقف معانا وبيقف دائما فى أشد أيامنا ألم ومرارة بشرف وبأمانة .. مابيستغلش أبدا أى وضع .

فى نفس الوقت جالنا وفد أمريكى برياسة وزير من وزراء امريكا مستر اليوت ريتشاردسون وشفته فابنته وكان معاه رسميين من الامريكان المشتغلين بالقضيه عندنا والمسئولين فى وزارة الخارجية وطرحنا الموضوع بمنتهى الصراحة . بيسأل هل احنا لا زلنا نوافق على المبادرة كما وافق الرئيس جمال أم لا . فانا قلت له احنا بنوافق .كل ما اتفق عليه الرئيس او تعهد به احنا بنوافق عليه . بعدين دخلنا فى صلب القضية وكان لى سؤال محدد أين هى المبادرة الامريكية ؟ المبادرة الامريكية نسفوها .. نسفتها اسرائيل وتبنت أمريكا كل دعاوى اسرائيل وقفت جنبها ودعمت موقف اسرائيل فى نسف المبادرة .

أكثر من هذا لما قدموا لنا المبادرة الامريكية هم تطوعوا من نفسهم الامريكان وقالوا انه فى خلال التسعين يوم لن نقدم لاسرائيل لا طيارة ولا سلاح ولا مدفع ولا أى شىء فى خلال التسعين يو م .

طيب . فى خلال التسعين يوم أعلنت أمريكا على لسان وزير خارجيتها أمام لجنة فى مجلس الشيوخ ان لاسرائيل أن تاخذ ما تشاء من أسلحة من ميزانية وزارة الدفاع الامريكية . معدتش محتاجة الى قرار لا من الكونجرس ولا من الكنيست بتاعهم وانما لاسرائيل ان تأخذ من ميزانية وزارة الدفاع وكأنها الولاية الواحد والخمسين فى الولايات المتحدة الامريكية . ميزانية وزارة الدفاع الامريكية . واعلنوا عن الـ ١٦ طيارة وعن صفقة المدافع أكثر من هذا خلوا القضية اللى بتعرضها أمام الامم المتحدة معروضة أمام المجتمع الدولى ويمنتهى الاستهتار تعلن امريكا عن امداد اسرائيل بالاسلحة مش بس فى تحدى لنا هنا وللامة العربية كلها وانما تتحدى الرأى العام الدولى كله اللى الامم المتحدة بنت ميثاقها ، علشان حمايته واللى كل انسان فيه موجود فى الامم المتحدة هناك بيعتمد على ميثاق هذه الامم المتحدة علشان اذا واجهته فى يوم من الايام مشكلة أو اذا واجهته فى يوم من الايام مظالم تحصل له فى بلده أمريكا تتحدى علنا هذا الميثاق وهذا المجتمع الدولى وتخلى القضية امام المجتمع الدولى وتعلن امداد اسرائيل بالسلاح فى تحدى وبلا أى خشا أو حيا .

انا قلت لريتشارد سون اين هى المبادرة الامريكية واتكلم عن الصواريخ منطق غريب . اذا احنا دافعنا عن بلدنا وعن نفسنا نبقى بنخرق وقف اطلاق النار واذا سبنا بلدنا . قلت له منطق غريب يعنى أقف أنا واحط ايدى كده وأتفرج تيجى الطيارات الاسرائيلية ، الطيارات من أمريكا والقنابل من أمركيا والطيارين من أمريكا وتعمل غارات وصلت الى ١٧ ساعة فى اليوم غارات وترمى قنابل بمعدل من نصف مليون دولار الى مليون دولار يوميا . على منطقة القناة ولما أركب دفاع عشان أدافع عن نفسى أبقى خرقت وقف اطلاق النار . قلت له دمنطق غريب . يعنى منطق ما يتقبلوش انسان . وبعدين فى حاجة ثانية ده الضفة الشرقية والضفة الغربية بنوعى. كانت نهاية حديثنا ما استطعش يرد على أى حاجة الا انه قال نشوف

ترتيبات نحاول أن نعدى بيها أو نعبر بيها عملية انتهاكات وقف اطلاق النار وتبدأ الاتصالات مع يارنج قلت له احنا ما عندناش مانع ٠ طول هذه الفترة اللى احنا فيها بنعيد البناء فى الداخل بعدما فقدنا جمال نزلت أمريكا واسرائيل فى حرب فى غاية الشراسة : حرب نفسية شرسة جدا ٠ مرة تشكيك فى الوضع عندنا ٠ مرة تشكيك فى قدرتنا مرة تشكيك فى المستقبل وانهيار الوضع بعد جمال وانتهاء كل شىء ٠ مرة بالتهديد ان فيه مواجهة حاتكون بين الدول الكبرى وان لابد أن مصر تسمع الكلام ٠ استغلال لآمالنا واستغلال للميتم اللى كنا فيه . احنا فى الميتم لسه كنا وبنعيد بناء الوضع بتاعنا فى الداخل واللى زى ما قلت لكم أحمد الله ان شعبنا الاصيل القوى الثابت اثبت لكل هؤلاء كبار او صغار ان احنا شعب اصيل بنحزن لكن مابننساش ابدا فى اشد أوقات حزننا ما بننساش نفسنا ولا بننساش اهدافنا وبنصر على اننا نكمل مسيرتنا ونكمل معركتنا ٠

تمت اتصالات ثانية مع رئيس وزراء فرنسا لانه جه وكانت اتصالات طيبة وتمت اتصالات أيضا مع وزير خارجية بريطانيا لما جه فى العزاء وبهذه المناسبة أنا با أعلن أمامكم ان احنا بنرحب بالفهم لحقيقة القضية وبالفهم للسلام القائم على العدل اللى بدا أخيرا من وزير خارجية بريطانيا فى تصريحه بشأن الانسحاب وتفسيره لقرار مجلس الامن ٠ بنرحب به وبنقول ان احنا والله مفتوحين القلب والعقل بس لسلام قائم على العدل مش فرض السلام أو فرض الاستسلام علينا ٠ أبدا ٠ ومع ذلك وبرغم هذا كله فانا باقرر أمام حضراتكم ان احنا لا نزال حتى هذه اللحظة نريد السلام ولكننا نرفض الاستسلام ٠

ابتدينا نواجه عملية الانتقال فى وسط الجو المشحون وفى وسط الحرب النفسية الرهيبة اللى بتشنها علينا الولايات المتحدة ٠

وانعقدت اللجنة التنفيذية العليا ثم انعقدت اللجنة المركزية ثم انعقد مجلس الامة ٠

وتحدد موعد للاستفتاء على رئيس الجمهورية ٠٠ وتم كل هذا فى مهابة الشعب ووعيه .. اللى ارتفع الى درجة أذهلت الكل ، ونالت احترام الكل واعجاب الكل لغاية النهاردة ٠٠ فى نفس الوقت كان جيشكم وقواتكم المسلحة على القنال مضيعتش دقيقة ابدا رفع الكفاءة القتالية زيادة التدريب على الاسلحة ٠٠ زيادة الاستيعاب على الاسلحة الحديثة اللى وصلت .. زيادة الاستيعاب بالنسبة للحرب الاليكترونية الجديدة ٠ ماضيعناش اطلاقا أى وقت ٠

وهنالابد أشير مرة أخرى احقاقا للحق وللتاريخ أن الاتحاد السوفيتى أيضا فى أثناء الميتم اللى استغلوه الطرف الآخر علشان يعملوا علينا ضغط وحرب نفسية ومحاولة تحطيم لكل معنويتنا ، ولكل مقاومة فينا .. كان الاتحاد السوفيتى يمدنا بدعم جديد اثناء الميتم ..علشان يثبت أنه فى أوقات المحنة واقف معنا ٠ بعد ما انتهينا من العملية الدستورية وانتخب رئيس للجمهورية وبدانا ناخذ أوضاعنا
علشان نكمل المسيرة بتاعتنا كان لابد ان احنا نبدأ بعمل سياسى لكى نفضح فيه كل المخططات اللى حاولت الولايات المتحدة واسرائيل انهم يشوهوا بها موقفنا أمام العالم ٠٠ وخرق وقف اطلاق النار والحملة النفسية الشرسة اللى حصلت واللى حاولوا بها انهم يغيروا الانطباع اللى أخذته دول العالم كلها عن قبولنا للمبادرة ٠ ويقلبوه الى اننا خرقنا وقف اطلاق النار ٠ واجتمعنا قبل سفر وزير الخارجية الى نيويورك ٠٠ واتفقنا على بدأ حملة سياسية على مستوى الامم المتحدة ٠٠ بمعنى اثارة القضية داخل الامم المتحدة علشان نفضح موقف أمريكا واسرائيل أمام العالم كله ٠٠ ونقول الحقيقة اللى انتهزوا فرصة مؤتمر الهيلتون اللى حصل هنا ٠٠ ثم الميتم اللى احنا دخلنا فيه وانشغلنا به انتهزوا هذه الفرصة علشان يتكلموا همه بس ماحدش يتكلم ولا يرد عليهم ٠٠ ورحنا الامم المتحدة ٠٠ وراح وزير خارجيتنا هناك ودخل معركة من أروع المعارك السياسية اللى حصلت ٠٠ قاومت أمريكا بكل قواها وبكل نفوذها ٠٠ وبكل ضغوطها ٠٠ وبكل أسلحتها اللى بتستعملها للضغط والرشاوى والاغراء والتهديد ٠٠ وحاولت افشال عرض القضية على الامم المتحدة فلم تنجح ٠٠ بل بالعكس لما لقتنفسها فى الاخر فى وضع الهزيمة كانت مقدمة قرار سحبته علشان ماتتعرضش أمام العالم لهزيمة قرارها لاول مرة فى الام المتحدة ٠٠ قرار تتقدم به الولايات المتحدة ٠٠ ونجح القرار الاسيوى الافريقى اللى عبارة عن قرار تقدمت ١٦ دولة أفريقية آسيوية وعليه تعديل فرنسى ٠

كانت أول مرة تشوف فيها أمريكا المجتمع الدولى كله مابيستجبش لا لضغوطها ٠٠ ولا للتهديد ٠٠ ولا للوعيد ٠٠ ولا للاغراء ٠٠ ولا للرشوة اللى بتلجا اليها فى مثل هذه المواقف ٠ قبلنا قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ٠٠ بشرط أن يتقدم الامين العام فى ظرف شهرين بتقرير للامم المتحدة يسجل فيه مدى تقدم القضية ٠٠ وبشرط آخر وهى أننا لن نمد وقف اطلاق النار مرة أخرى ٠٠ الهدف من مد فترة وقف اطلاق النار ان امريكا واسرائيل عايزنها تبقى عملية دورية ٠٠ كل ٠٠ يوم أوتوماتيكى تتجدد لوحدها وتقعد اسرائيل على الضفة الشرقية ٠٠ واذا كنا عايزين نتفق نروح نمضى ٠٠ مش عايزين نتفق أهى قاعدة فى الضفة الشرقية ٠٠ ده هدفهم ومخططهم ٠٠ لكن لن نسمح بهذا . .وعلشان هذا قلنا. انتالن نقبل مد فترة وقف اطلاق النار مرة أخرى الا اذا كان فى الموقف شىء وصلنا اليه ووصل يارنج الى مرحلة من المراحل تدعونا ان احنا نقعد هنا ونتكلم ثانى ونفكر ثانى ٠٠ لكن لن يكون هذا أبدا بصفة أوتوماتيكية ٠٠ ولن يتكرر مد وقف اطلاق النار لمجرد كلام ٠٠ أو لمجرد حركات سياسية احنا جميعا نفهمها .. واحنا جميعا كشفناها من زمان ٠

اذاعوا لما جه وقف اطلاق النار وقبلناه أذاعت

اسرائيل انها استفادت من وقف اطلاق النار والشىء الغريب واللى قلته لريتشارد سون برضه ان اسرائيل بتعلن وبتقول ان احنا عملنا خط ماجينوه اسرائيل أعلنت فعلا وقالت ان احنا عملنا على القناة خط زى الشىء ماجينوه بتاع فرنسا زمان قلت له الشىء الغريب ان اسرائيل بتقول وبتعلن على لسان ضباطها والمسئولين فيها انها تبنى خط وانها بتستغل فترة وقف اطلاق النار ومحدش أبدا بيقول حاجة على هذا الكلام وامريكا مبتحركش ساكن لهذا الكلام .

واحنا عشان صواريخ دخلت قبل وقف اطلاق النار طيب هو مين اللى سقط التلتاشر طيارة فانتوم واثنين سكاى هوك فى عشر أيام ؟ ماهى الصواريخ اللى هى جوه فى منطقة القناة من قبل وقف اطلاق النار هى الطيارات وقعت بعد اطلاق النار ما وقعت قبل اطلاق النار بالصواريخ اللى كانت موجودة جوه .

اسرائيل بتعلن انها استفادت من فترة وقف اطلاق النار .

أريد أن أؤكد أمام حضراتكم اننا لم نترك الفرصة تضيع ونحن ننظر ولم نترك اسرائيل تدعم مواقعها ونحن نتفرج لقد استفدنا فائدة كبرى من وقف اطلاق النار . وسوف يظهر أثر ذلك فى الوقت المناسب .

فى نفس الوقت — وزى ماقلت لحضراتكم — نحن نعمل من أجل السلام الى آخر فرصة ولكننا فى الوقت نفسه نستعد للحرب الى آخر طلقة .

فى الاسبوعين الماضيين زرت الجبهة ويسعدنى انى أقول لكم ان ابنائنا أبناء القوات المسلحة وأبناؤكم فى أرفع مستويات الروح المعنوية التدريب ، العمل ، اليقظة ، ليل نهار .

هناك قلت لهم بالنسبة لمد فترة وقف اطلاق النار — وزى ما قراتم حضراتكم لابد — لا يجب أن يكون لهذه التواريخ قيمة عندهم أبدا — هم فى المعركة وفى المواجهة أمام عدو لا يقيم وزن لاى قيم متحلل من كل شىء فعليهم أن يكونوا ٢٤ ساعة فى يقظة مستمرة وأن لا يضيعوا لحظة واحدة فى التفكير فى وقف اطلاق النار او مد اطلاقه . هم جوه المعركة فعلا ولابد أن يعيشوا المعركة بكاملها رفع الكفاءة القتالية ، التدريب، استيعاب الاسلحة ، اليقظة طول الـ ٢٤ ساعة بيسعدنى انى أقول لكم بالنسبة لمعنويات قواتنا المسلحة ولكفاءتها انه أمر يسعد كل مواطن ويشعره بالطمأنينة والراحة .

فى نفس الوقت كان علينا ان احنا نكمل البناء الداخلى وزى ما شفتم حضراتكم حصل توزيع للمسئوليات وتشكلت الوزارة برياسة الدكتور محمود فوزى وعين السيد عبد المحسن أبو النور أمينا للاتحاد الاشتراكى وبالتدريج بنستكمل جميع مؤسساتنا وأجهزتنا السياسية والدستورية .

وكل شىء يسير فى مساره الطبيعى وكان أهم شىء بنعنى به انه فى هذه المرحلة — مرحلة الانتقال — بعد وفاة الزعيم انه لابد أن يتم البناء بسرعة سواء كان هذا البناء فى السياسة فى الداخل البناء السياسى الداخلى أو استمرار التدعيم لبنائنا العسكرى وفى كلا المجالين بأحب أطمئنكم ان كل شىء بيسير فى انتظام وفى جلال وفى فهم ووعى من كل الناس القائمين بعمله .

فى نفس الوقت بنتحرك فى الجبهة العربية وفى المجال العربى والعنصر الجديد اللى ظهر باتفاق الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان الديموقراطية والجمهورية العربية الليبية على العمل لاقامة اتحاد بينهم واللى تم فى الاسبوع الماضى وأعلنا عنه احنا بنعتبره النواة الصلبة الحقيقية لقيام وحدة عربية على أساس مدروس وعلى أساس يجنب الامة العربية فى المستقبل أى نكسات أنا عاوز أوضح هنا ان هذا الاتفاق ليس محورا من المحاور وانه ليس تكتلا فى العالم العربى أو فى الامة العربية لا هو نواة ثلاث دول بتتجانس الانظمة فيها والوعى والاهداف وطريق السير والمسار كله متوحد حقيقة فكان طبيعى انه يتكون من هذه الدول الثلاث نواة ولابد أن نعمل لكى تكون صلبة فعلا حتى تستطيع أن تواجه المستقبل على أساس علمى مدروس تماما وبخطوات ثابتة ووطيدة لا ننتقل من خطوة الى التى تليها الا بعد أن تكتمل الخطوة اللى نكون فيها وده اللى اتفقنا عليه وعلى هذا الاساس تم الاتفاق على قيام الاجهزة اللى هى قيادة ثلاثية موحدة من الرؤساء الثلاثة للبلاد وبعدين لجنة تخطيط عليا بيكون أعضائها ثلاثة من أعضاء القيادات السياسية فى البلاد الثلاثة بمعنى أن يكون عضو من مجلس الثورة السودانى وعضو من مجلس الثورة الليبى وعضو من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى هنا فى الجمهورية عندنا .

بيجى تحت هذه اللجنة العليا لجنة المتابعة أو ما يسمى بالامانة العامة اللى بتتولى بعد ذلك العمل اليومى واللى بتستطيع انها تدفع بالعمل فى كل نواحيه .

الامانة العامة فيها أربع لجان فرعية أساسية وبيتفرع من هذه اللجان الاربعة الاساسية عشر لجان أخرى فرعية .

أرجو أن أكون — أيها الاخوة — قد وفقت فى عرض ما حدث أو ما تم فى المرحلة الماضية ما بين عقد مؤتمركم الرابع الاخير وبين عقد هذا المؤتمر الذى نجتمع فيه اليوم .

ان معركتنا العسكرية والسياسية ماضية فى طريقها ونحن فيها بقوة أمتنا العربية نسير ونتقدم ، ونحن فيها أيضا ، باصرار شعبنا وتصميمه نسير ونتقدم . ونحن فيها بالالهام الذى نستطيع أن نستمده من المثل الاعلى الذى قدمه جمال عبد الناصر نسير ونتقدم ، ونحن فيها بالايمان بحقنا فى الحياة وحقنا فى الحرية نسير ونتقدم .

وان مسيرتنا وتقدمنا لواصلة باذن الله الى هدفها فى حق متحرر من باطل وفى حرية خالصة من أى شائبة .

وسننتصر بعون الله — وما النصر الا من عند الله .
والسلام عليكم ورحمة الله .

باب العلم

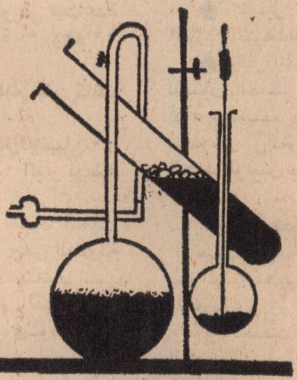

معهد ناصر للبحوث والعلاج

الرئيس أنور السادات والرئيس جعفر نميرى والرئيس معمر القذافى والسيد الوزير محمد أحمد أثناء استماعهم لشرح المهندس على السيد رئيس مؤسسة الانشاءات المدنية والمهندس مصطفى شوقى .

على الرغم من المسئوليات الملقاة على عاتقه .. على الرغم من الاعباء والمشكلات التى كانت تواجهه .. لم تشغله الاحداث عن التفكير فى مساعدة أكثر الناس حاجة الى الرعاية والعناية .. وهم .. المرضى ..

كان يفكر فيهم .. رغم زحام الاحداث التى كانت تشغله عن بيته وأسرته ..

ومن هنا .. تبرز صورة عبد الناصر الانسان .. عبد الناصر الاب .. والاخ .. والابن .. البار بوطنه وأمته وشعبه .

ان اهتمامه باقامة مشروع متكامل لمعهد أبحاث طبى ، ومستشفى لكل فروع الطب والعلاج من الطفولة الى الشيخوخة ، يكشف عن جانب الانسانية التى تؤكد عظمة القائد والمعلم والزعيم الذى وهب حياته .. وأعطى زهرة شبابه .. للشعب وللوطن ..

بداية المشروع ..

وقد بدأت فكرة المشروع منذ سنة ونصف سنة ، عندما أبدى الزعيم الخالد رغبته فى انشاء المعهد والمستشفى ..

وكانت هذه الرغبة ، هى اشارة البدء فى تنفيذ المشروع ، فتشكلت اللجنة التى يرأسها الوزير السيد محمد أحمد فقامت بعمل الدراسات والبحوث المتعلقة بالمشروع ، والتى كان يطلع عليها الرئيس بنفسه أولا بأول ..

وكانت الخطوة التالية هى وضع العناصر الرئيسية للبرنامج بالتفصيل ، وتولى هذه المهمة المهندس على السيد والدكتور عبد الحميد مرتجى والمهندس مصطفى شوقى الذى قام بتجهيز المشروع .

وبعد دراسة عميقة وجهد طويل تم الوصول الى تجميع هندسى يحقق الهدف المطلوب متضمنا جميع الخدمات الطبية والمعملية وفقا لاحدث المستويات العالمية استجابة لتوجيهات القائد والزعيم الخالد الرئيس جمال عبد الناصر ..

المستويات العالمية

وقد تمثلت هذه المستويات العالمية فى الجوانب الاتية :

● التصميم العام والمواد المستخدمة فى مراحل الانشاء والتشطيب .

● توفير مرونة كافية سواء فى تشغيل المعهد أو تطويره أو سهولة صيانته .

● توفير التجهيزات الميكانيكية والكهربائية اللازمة لتشغيله .

● توفير المعدات والتجهيزات الطبية . وذلك لتمكين العاملين بهذا المعهد من أطباء وباحثين من أداء رسالتهم الانسانية على أكمل وجه للمرضى من المصريين والعرب والافريقيين والاجانب **(كاهتمام السيد الرئيس جمال عبد الناصر)** .

٥ ملايين جنيه ..

تكاليف الاعمال الانشائية ..

حددت لجنة تقدير تكاليف المشروع قيمة المبانى بحوالى ٥ ملايين جنيه منها ٣٫٥ مليون جنيه بالعملات المصرية ، و ١٫٥ مليون جنيه بالنقد الاجنبى .

كما حددت لجنة الاطباء المتخصصين قيمة التجهيزات الطبية والاسرة بحوالى ٢ مليون جنيه منها ١٫٥ مليون جنيه نقد أجنبى .

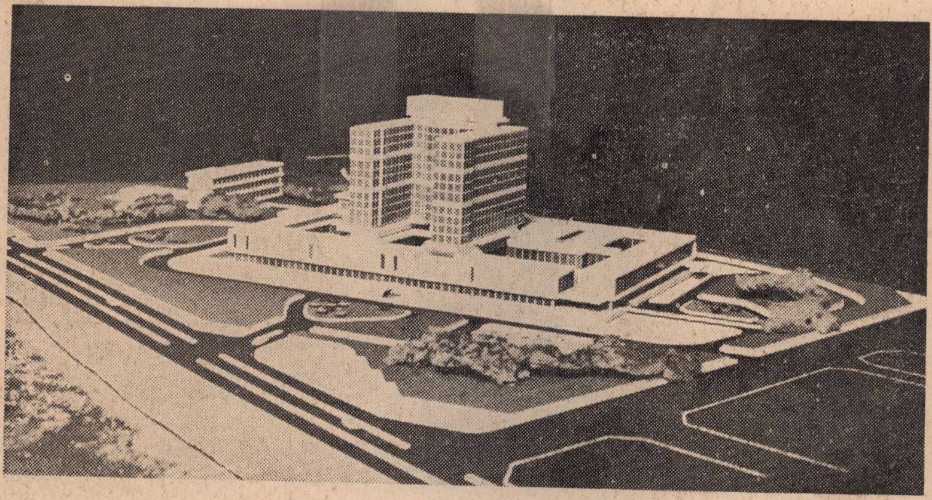

ماكيت معهد ناصر للبحوث والعلاج على النيل بروض الفرج . وقد قام بتصميمه المهندسان المعماريان مصطفى شوقى وصلاح زيتون وستقوم بتشييد المعهد شركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح.

المشروع يقام على ٣٢ فدانا

تتركز رسالة (معهد ناصر للبحوث والعلاج) الذى أرسى حجر أساسه الرئيس أنور السادات ، فى القيام بالبحوث الطبية على اختلاف أنواعها ، والقيام بالتعليم والتدريب الفنى للاطباء وهيئات التمريض على اختلاف تخصصاتها ودرجاتها ، وعلاج الامراض بأنواعها خاصة أمراض السكر والغدد الصماء والتمثيل الغذائى وأمراض وجراحات الشريان التاجى وأمراض الكبد والكلى وأقسام العناية المركزة الخاصة وكل تخصصات الطفل والعلاج من الطفولة الى الشيخوخة .

وسيقام المشروع على مساحة ٣٢ فدانا بروض الفرج ويسع ٦٠٠ سرير .

العوامل التى روعيت فى تنفيذ معهد ناصر للبحوث والعلاج

اهتمت الجهات المصممة والمنفذة للمشروع بعدة عناصر هامة لسهولة وسرعة تنفيذ المشروع ومرونة التنفيذ والتطوير وسهولة الصيانة ، ومن أهم هذه العناصر .

- وضع تصميم المشروع على أساس وحدة قياسية متكررة فى الاتجاهين وهى ميزة هامة من الناحية الانشائية ، ومن ناحية السهولة والمرونة فى التصميم .
- الاستفادة بالمواد الجاهزة التصنيع (سابقة التصنيع) فى تشطيب المشروع .

ستستخدم الاوناش فى عملية البناء .. أيضا فى عملية التشطيب حيث يتم البناء من القاعدة الى القمة .. والتشطيب بالعكس .

- الاستفادة من بعض المواد المستوردة من الخارج سواء فى مواد التشطيب أو التجهيزات (التى تجعل المبنى يعمر) .

هذا بالاضافة الى الاشتراطات الصحية والاحتياطات من نقل الصوت والحريق والاهتزازات ■

مستشفيات فرنسا وألمانيا ..

وبناء على تحديد الهدف ووضع البرنامج تم تجهيز المشروع على هذه الاسس وعلى ضوء تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر وتوجيهاته بزيارة أحدث المستشفيات المماثلة فى فرنسا وألمانيا .. سافر الدكتور عبد الحميد مرتجى والمهندس مصطفى شوقى الى البلدين .. وفى هذه الفترة عرض المشروع على الهيئات المختصة وخاصة ادارة الانشاءات الصحية فى باريس .. ولقد أبدى المسئولون اعجابهم .. وذكر ذلك فى التقرير الذى رفعه الدكتور مرتجى الى السيد الرئيس فى حينه .

كما زارا المستشفيات الحديثة بالبلدين ومصانع الاجهزة الالكترونية الواجب استخدامها بالنسبة للمستشفيات والغرف الخاصة .. علاوة على مشاهدتهم لطرق الاتصال والرقابة (الصوتى - والضوئى) بالنسبة للمرضى ، ولقد روعى كل ذلك فى تصميم المشروع .

الرئيس انور السادات والرئيس معمر القذافى لحظة وصولهم الى السرادق .

وبعد كل هذه المشاهدات فى أحدث المستشفيات التى تضم الاجهزة العلمية الحديثة اعيد تجهيز الرسومات التى كانت قد أعدت بحيث وصلوا بها الى الصورة النهائية التى مكنتهم من البداية فى التنفيذ .

تفاصيل المشروع

التكوين العام للمشروع : يتكون المشروع من قاعدة أفقية من دورين أرضى وأول يتخللها مساحات مفتوحة لترطيب الجو وتوفير الهدوء .

■ **الدور الاول :** يحتوى على جميع الخدمات الطبية والعناصر اللازمة لها .

العيادة الخارجية ـ العيادات التخصصية للاطباء والاخصائيين والاجانب الذين سيستعان بهم) الخدمات الطبية المشتركة من أشعة وعلاج طبيعى ـ المعامل (كاملة بأنواعها المختلفة بتجهيزاتها الحديثة) بالاضافة الى قسم للتجارب على الحيوانات ـ قسم العمليات ـ قسم العناية الخاصة (قسم جديد بأجهزته الالكترونية بشبكة تليفزيونية واتصال صوتى وتسجيلى سواء للجراحة أو الامراض الباطنية) ـ جناح مدير المستشفى ـ صالة تسع ٤٠٠ شخص خاصة بالترفيه عن المرضى فى فترة النقاهة ولعقد الندوات الطبية وصالات اجتماعات ومكتبة للاطباء .

■ ■ **الدور الارضى :** يحتوى على المداخل المختلفة بما فيها مدخل الزوار .

ولقد أعد للزوار فى هذا المدخل خدمات مثل محل لبيع الزهور ، محلات الهدايا ـ بنك ـ حلاق سيدات ورجال ـ كافتيريا (وتصلح هذه الخدمات للمرضى الناقهين أيضا) .

هذا بالاضافة الى الخدمات العامة التى تشمل المطبخ والمغسل والتعقيم مركزى والصيدلية ، والمخازن التى تتصل أفقيا بمبنى يضم صالات الغلايات وتكييف هواء والمولد الاحتياطى ومحولات الكهرباء والورش المختلفة والجراج وذلك لعزلها عن حركة تشغيل المبنى ..

■ ■ **برج من ثلاثة أجنحة أفقية :** ممتد رأسيا ويتكون كل جناح من ١١ دورا يشمل حجرات المرضى وجميعها فى الاتجاه البحرى وفى نفس الوقت تتمتع برؤية النيل فى هذا الموقع .

ويتم الاتصال الرأسى بين الدور الاول والدور الارضى والبرج عن طريق ثلاث مجموعات من المصاعد احدها للمرضى والثانية للخدمة والثالثة لهيئة التمريض والزوار .

مميزات جديدة تنفرد بها المستشفى

قسم العمليات وقسم العناية الخاصة :

● يتميز باتصال رأسى مباشر بين قسم استقبال الحوادث وهذا القسم .

● واتصال مباشر بينه وبين التعقيم المركزى .

● توفير جميع وسائل الراحة للمريض الذى يجرى له عملية أو سيدخل وحدة العناية الخاصة .. أنه ينقل بسريره من حجرات المرضى الى مكتب مشرفة قسم العمليات خارج غرفة العمليات ثم ينقل بعد ذلك على نقالة معقمة حيث تجرى له العملية وفقا لاحدث الاساليب العلمية المتبعة فى الخارج .. وبعد ذلك يعقم السرير ويدخل الى المكان المخصص له بقسم الانعاش أو العناية الخاصة لينقل عليه المريض ..

مشرفة الدور فى أدوار الاقامة : فى مكان متوسط

فى كل دور توجد حجرة مشرفة الدورمتصلة صوتيا وضوئيا بكل سرير فى هذا الدور علاوة على لاتصال داخل كل وحدة تمريض - لضمان الرقابة على هيئة التمريض فى كل وحدة من وحدات المرضى وذلك بواسطة عدد من مشرفات الادوار ..

وفى نفس كل وحدة تمريض سيخصص مكان لسكرتيرة وحدة التمريض لجميع الاعمال الادارية داخل الوحدة حتى تتفرغ المرضات لاعمال الخدمات

السيد الوزير محمد احمد يقول :

القائد الانسان أصر على أن يكون المشروع شاملا أحدث امكانيات البحث والعلاج

القى السيد الوزير محمد احمد كلمة فى حفل ارساء حجر أساس معهد ناصر للبحوث والعلاج . شرح فيها تفاصيل المشروع والهدف من انشاء المعهد والمستشفى . وقد استهل كلمته :

بسم الله تعالت كلمته وجلت قدرته وفى فيض غامر من جلال الذكرى العطرة لزعيمنا الخالد نجتمع اليوم لارساء حجر الاساس لهذا المعهد الكبير الذى يحمل اسم الراحل العظيم .

وانه لمن توفيق الله أن يشرف هذا الحفل الرئيسان الثائران للجمهورية العربية الليبية وجمهورية السودان والسادة اعضاء الوفود الذين وفدوا لمشاركتنا هذه الذكرى .

وكأنه تأكيد جديد يوثق به الشعب العربى عهده لعبد الناصر أن يواصل السير على دربه فى تحقيق رسالته فى الحرية والوحدة ..

ان هذا المعهد كان أمنية للزعيم الخالد فكر فيه وتابع خطواته حتى تم وضع تصميماته على هذا المستوى الفريد .

وفى غمرة الاحداث وتحت ضغوط المسئولية وكل مانعرفه بحكم الزمالة والاخوة كان يبرز دائما عبد الناصر الانسان ، كان الكل يتابع نضال عبد الناصر، كفاحه الدائم ، وكنا نحن الذين عشنا معه ، بين ظله ، كنا نرى كيف كان رضوان الله عليه يعانى مع المسئولية ، آلام المرض فلقد كان يرتفع فوق آلام الجسم ويحنو على غيره .. وقلبه مرض مكدود .. لقد وسع قلبه آلام الناس جميعا وكانت ارادته التى لا تقهر وعزيمته التى لا تلين ، فوق كل الالام فكان دائما يرتفع شامخا فوق كل الازمات ليشيع الثقة وينشر الطمأنينة .

ان هذا أول حفل يقام ونحن بدون عبد الناصر وانه لمعنى كبير الدلالة أن اجتمع الرؤساء جعفر نميرى ومعمر القذافى .. ستری الدنيا فى هذا الاجتماع بيعة لروح الزعيم وسوف يسجل التاريخ ان الامة العربية لن تضعف ولن تلين وأن الحزن على عبد الناصر لن يقعدها بل يدفعها الى تحقيق الامال .

السيد محمد أحمد وزير الادارة المحلية يلقى كلمته فى حفل ارساء حجر اساس معهد ناصر للبحوث والعلاج .

ان روحه الطاهرة سوف تنير الطريق - طريق الوحدة والاشتراكية وتدفع بنا الى الامام وعندما يتحقق النصر سوف تسعد روحه الطاهرة لان ما كافح من أجله سوف يتحقق على يد زملائه الاوفياء .

واستطرد السيد الوزير محمد احمد قائلا :

كنا فى موقعنا هذا حيث اراد لنا الزعيم لا نسهو ولا ننسى ما علمنا .. يد تحمل السلاح للدفاع والتحرير ويد تبنى للسلام ولصالح الانسان، ولتهدأ روح عبدالناصر ، ان المشروع قد بدأ ويرعاه زميله الذى اختارته الامة .

وتكلم السيد الوزير محمد أحمد عن المشروع : انه ينشأ لييسر العلاج للناس والتخفيف عليهم .. هكذا جاءت فكرة هذا المعهد لخدمة المواطنين شاملا جميع امكانيات البحث والعلاج وأن يكون المعد فى أرض مصر قلبا مفتوحا لكل عربى تعبيرا عن وحدتنا وأن يكون فى الامة العربية قلبا مفتوحا لافريقيا ،

واختتم السيد الوزيرمحمد أحمد كلمته بشرح المشروع واقسام العلاج والبحث والمعامل واقسام العناية الخاصة وقال .. انه اول واكبر مؤسسة للبحث العلمى فى الشرق الاوسط سينشأ على مساحة ٣٢ فدانا وتبلغ تكاليفه ٧ ملايين جنيه .

ثم توجه الرؤساء الثلاثة يرافقهم السيد محمد احمد لمشاهدة التصميمات حيث قام كبار الاخصائيين والمسئولين وعلى رأسهم المهندس على السيد رئيس

مؤسسة الانشاءات المدنية بشرح هذه التصميمات وبعد ذلك اشترك الرؤساء الثلاثة فى وضع حجر الاساس للمعهد .

دور المعهد فى حماية المرضى

كيف يمكن أن يساهم فى علاج مليون مريض ؟

يقول د . عصام جلال عضو اللجنة التى شكلت لدراسة المشروع ، ان هناك عدة اهداف رئيسية كان يرجوها الرئيس جمال عبد الناصر من وراء تنفيذ هذا المشروع ، ومن أهم هذه الاهداف :

- وقاية المواطنين من مرض السكر وذلك بعمل الابحاث والدراسات لمعرفة أسباب المرض .
- توفير امكانيات العلاج الملائمة لجميع المواطنين على مختلف مستوياتهم ودخولهم .

ويشرح د . عصام جلال مشكلات أمراض السكر فى بلدنا بالتفصيل فيقول :

ان تقدير عدد مرضى السكر فى مصر ٣ فى المائة معناه مليون و ١٠٠ الف ، يضاف اليهم ٣٠ الف مريض جديد فى السنة ومرض السكر يلازم المريض طول حياته علاوة على ما يصيب مريض السكر من مضاعفات تؤثر على صحته وقدرته على العمل ومعنوياته .

كل هذه المضاعفات يمكن ان نقى المريض منها ، والمشكلة انه على الرغم من الوصول الى تحديد انواع مرض السكر والتغييرات الكيماوية والاسلوب المناسب لعلاج كل نوع الا ان اسباب المرض لم تعرف بعد .

واننا نعتقد ان العناصر المؤثرة يجب أن تجرى بحوث كثيرة لمعرفتها وسبب المرض والوقاية منه ووسائل تشخيصه لتحديد الافراد المعرضين للاصابة بالمرض ومعنى ذلك اننا يمكننا انقاذ ١٥ الف شخص يقضون حياتهم فى مشاكل .

هذا الهدف الاساسى وهو وقاية الناس من مرض السكر كان موضوع اهتمام الرئيس الخالد .

اما المريض الذى أصيب بمرض السكر فان علاج السكر يستلزم نظاما والتزاما فى اسلوب حياته وعدم الخروج عن المألوف والمجتمع لازم يساعده على القيام بهذه الالتزامات . فمثلا مريض السكر يتقاضى مرتبا ضئيلا .. ونطلب منه الا يأكل عيش ولا نشويات ونطلب منه ان يأكل اللحوم .. هذا غير ممكن .. لابد من عمل أبحاث لتوفير اغذية مناسبة له .. بحيث تكون تكاليف المريض ملائمة لاوضاعه وهذا ايضا كان اهتمام اساسى فى المشروع والرئيس الخالد جمال عبد الناصر كان يوجهنا ان نعطيها مجال البحث .. وذلك بتوفير امكانيات العلاج الملائمة لطبيعة المجتمع وامكانياته .

دلائل الحق فى عظمة الوجود

الدكتور عزت محمد خيرى

يقول تعالى :

«وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون» (٣٨) — من سورة الانعام .

حقا ان خلق الله واسع وملكه شاسع ومخلوقاته متعددة وكائناته متنوعة : فيها الابداع والاتقان والدقة ما كبر منها وما صغر ، وما عظم أو ضؤل . والكائنات الحية سواء كانت من أصل نباتى أو حيوانى — وعلى قمتها الانسان — أنظمة محكمة الصنع ، منتظمة التكوين ، قادرة على النماء والتكاثر ، تتمثل الحياة فيها فى عمليات بناء مستمرة واستعواض منظمة وتجدد مقننة وهبها اياها خالق واحد قادر ، وأودعها خصائص ومزايا تحفظ عليها هذه الحياة وتباشر بها رسالات محددة وتمتد بها آجالا محدودة مكتوبة شاءها الحى القيوم .

وقد زودتنا الفطرة بكثير من المعلومات عن الكائنات الحية ، ومكننا العلم من دراسة أطوارها وتتبع أنشطتها والتعرف على تكوينها واستجلاء أسرارها والكشف عن خصائصها وتبين أنماط الحياة وصورها فى مختلف أنواعها ، ومحاولة الاستفادة من هذه المعلومات لفائدة البشرية سواء فى الاغراض الطبية أو الصناعية أو الزراعية .

وقد تميز عصرنا الحديث ـ عصر التقدم العلمى والتكنولوجى ـ باستنباط الوسائل والطرق الدقيقة للقياس وتتبع العمليات الحيوية ـ كيمائية وفسيولوجية ـ بصفة خاصة ، بما أحدث تطورا هائلا وتقدما كبيرا فى دراسة الكائنات الحية · وقد تركز الاهتمام فى العقد الاخير من هذا القرن ـ فى مجال دراسة خواص الكائنات الحية ـ فى دراسة نظام وتتابع ومسارات العمليات الحيوية فيها ، وكذلك فى معرفة تركيب بعض المواد الحية الرئيسية ، وفيما يمكن من وراء كل ذلك من تطبيقات نافعة واسعة · ولعل الهدف الاسمى للباحثين والفاحصين والدارسين هو محاولة الاستدلال والتعرف على بعض أسرار الحياة وظواهرها فى هذه الكائنات ، وبالتالى زيادة استجلاء عظمة الخلق وقدرة الخالق · ومن أهم الموضوعات التى يهتم بها العلماء هى دراسة نظام التحكم الداخلى والاستعواض الذاتى الذى يتم فى الخلايا الحية والتعرف على الاسس والوسائل التى يتم بمقتضاها التحكم الداخلى والانضباط الذاتى للانظمة الحية بصفه عامة · ومازالت معلوماتنا فى هذا الميدان الفسيح على ضخامة ما يشحذ لها من طاقات بشرية وتجهيزات معملية وأساليب وطرق مستحدثة ، مازالت فى بداية طريق متفتح على آمال عريضة فبشر بنتائج عظيمة، ومن ثم فان كل معلومة جديدة أو اكتشاف جديد يعتبر اضافة لها أهميتها ولها أثرها فى استكشاف معالم الطريق ودفع عجلة التقدم · **ومن أهم هذه الامور** تلك النتائج المتعلقة بحوافز أو مثبطات عمليات التخمر الطبيعية التى تحدث فى الخلايا الحية وترتبط بما يصاحبها من عمليات الهدم والبناء والتجدد والانتهاء البيولوجية ، وكذلك ما يتعلق بالتعرف على تركيب المادة الحية الناشئة عن مئات وآلاف التفاعلات الكيمائية التى تحدث فى مختلف أجزاء الكائنات الحية · ولعل تجميع هذه البيانات وتصنيف المعلومات التى يتوصل اليها العلم يمكن من تحقيق حلم عظيم للبشرية وهو امكانية التحكم فى بعض الكائنات الحية المحدثة للامراض الخبيثة والمستعصية بعد معرفة أنظمة التحكم والاستعواض الداخلية فيها واستنباط وسائل ايقاف نموها والتخلص من أطوارها الضارة بالطرق المناسبة والوسائل الناجعة . وهذا هو الشغل الشاغل لعلماء البيولوجيا التجريبية وعلماء الفزياء الحيوية وسوف يستمر لعشرات السنين القادمة · وفيما يلى نستعرض أهم اتجاهات البحوث فى هذا المجال وكذلك نشير الى أهم النتائج التى توصل اليها العلم أو يسعى للحصول عليها :

اولا : فى مجالات البيولوجيا الجزيئية ـ Molecular Biology ـ وهو العلم البيولوجى الحديث الذى يهتم بصفة خاصة بالتعرف على تكوين المركبات البيولوجية الرئيسية وأهمها تلك البلمرات الحيوية ذات الاوزان الجزيئية الكبيرة والمسئولة عن أهم التفاعلات الحيوية فى الكائنات الحية مثل مركب D.N.A. , R.N.A. الداخلة فى عمليات تجدد الانسجة فى الخلايا واستعواضها وما يصاحب ذلك من تفاعلات البناء والهدم والتنفس والاخراج · ويلعب الميكروسكوب الالكترونى المتطور دورا هاما فى التعرف على تركيب هذه الجزئيات الضخمة ، وتصنيفها ودراسة ظروف تكونها وتحولها ، ومازالت البحوث جارية والنتائج مستمرة مشجعة فى هذه المجالات .

ولا يقل عن ذلك ما تم ويجرى من منجزات وبحوث فى علم الوراثة الجزيئية ـ Molecular Ceneticks فيما يختص بوظائف الكائنات الحية المختلفة وتطورها والروابط بينها ·

ثانيا : فى مجال الكيمياء الحيوية تم الوصول الى نتائج حديثة من متابعة التفاعلات الحيوية فى الخلايا الحية تبين منها أن العمليات الفسيولوجية المختلفة كالتنفس والتخمر والتخليق الضوئى وغيرها عمليات معقدة تتداخل فيها أنظمة حيوية متعددة يحتاج التحكم فيها وتوجيهها الى جهود ضخمة تستند الى معرفة جيدة بأهم هذه العمليات والعوامل المؤثرة فيها ونواتجها المختلفة تحت الظروف السائدة فى الكائن الحى · ومن أمثلة النتائج الهامة التى توصل اليها العلم فى هذا الشأن أن كلا من الخمائر المتكونة فى الخلية الحية لا تتكون من مركب بروتينى واحد ولكنها متشابهة فى احداث عملية التخمر ، ويطلق على أمثال هذه الخمائر تعبير الخمائر المتناظرة · وقد أدى اكتشاف المجموعات المختلفة من تلك النظائر من الخمائر الى الكشف عن كثير من المعلومات والحقائق عن عمليات التنظيم والتحكم فى استعواض وتجدد الخلايا الحية وما يصاحب ذلك من تفاعلات ونواتج كيميائية ·

ثالثا : فى مجال الفيزياء الحيوية Biophysics توصلت البحوث الحديثة الى حلول جادة لكثير من عمليات التحكم الذاتى البيولوجى فى الكائنات الحية خاصة فيما يتعلق بدراسة تاثير الخمائر فى الاوساط المعقدة التركيب التى خلقت صناعيا بحيث يكون لها تركيبات مماثلة للبروتوبلازم ـ المادة الحية فى الخلايا .

ومن النتائج الهامة التى كشف عنها العلم الحديث هو أن الخلايا الحية تصدر عنها نبضات كهربية تستخدم فى نقل المعلومات واستقبالها على مسافات بعيدة · وقد أمكن تصوير بعض هذه النبضات والتعرف عليها فى بعض الحيوانات وثبت صدورها عن طريق أعصاب خاصة ، وكذلك فان مثل هذه النبضات الكهربية تصدر عن جذور بعض النباتات عن ايونات البوتاسيوم وغيرها من الايونات الممتدة على سطحها وتسرى هذه النبضات خلال سوق النباتات بسرعة تقرب من ٢٥ سم فى الدقيقة ، ومن ثم تبدأ أوراق النبات فى الاستجابة لهذه الذبذبات وتستخدمها فى الاستزادة من نواتج عملية التخليق الضوئى فيها ·

وتلعب أغشية الخلايا الحية دورا هاما فى تنظيم عمليات نقل واستعراض المواد الحية وهى تتكون من موار بروتينية تكون غطاء حافظا ومنظما لبروتوبلازم الخديه وسائر المواد الحية التى تحتويها ، وتتحكم فى نقل واستعواض هذه المواد فى الانسجة والدم بطرق غايه فى التعقيد والدقة فى آن واحد ، **بثها فيها الحالق القادرة المبدع المعجز** ، سبحانه العزيز الحكيم ٠

« **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط منورقة الا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ٠** » (٥٩) — من سورة الانعام

ولعل الاعجاز فى دور هذه الاغشية الرقيقة أن قابليتها لامرار المواد المختلفة تتغير من مادة الى أخرى ومن ظروف الى أخرى ، ومن ثم فهى تتحكم وتنظم مسار المواد خلالها وكذلك فى التفاعلات الكيميائية الحيوية التى تحدث فى الخلايا ٠

رابعا : فى مجال الفسيلوجيا (وظائف الاعضاء) يسير العلم قدما لاستجلاء المزيد من المعلومات وتوضيح خواص الكائنات الحية من حيث تركيب المواد الحية وطريقة تغذية الكائنات الحية ونموها وستعواضها سواء فى الحيوان أو النبات فى مختلف الاوساط والظروف المحيطة ٠

هذا وان المزيد من المعرفة للكائنات الحية وأنظمة التحكم الذاتى فيها ووسائل وعوامل التأثير فى ذلك سوف يزيد مع الزمن قدرتنا على استجلاء الكثير مما يخفى عنا واستكشاف الجديد عنالكائنات ، وبالتالى يمكننا من الاستفادة من هذه المعرفة لخير البشرية سواء من حيث وسائل صيانة هذه الكائنات أو زيادة نموها فى المملكة الحيوانية والنباتية وما يترتب على ذلك من نتائج فى مجالات التطبيق العملى فى سائر المجالات الاقتصادية والصحية ٠ ولعل من أظهر التطبيقات فى هذا السبيل ما يجرى الان من تطور كبير فى العلاج الكيميائى للامراض الخبيثة خاصة السرطان على أساس معرفة أفضل لتكوين خلايا فيروساته وأطوارها وأنظمتها الداخلية ونواتج التفاعلات الحيوية فيها ، ومازال فى جعبة العلم الكثير كما **لازال فضل الله على عباده يزداد ويفيض كلما سخر العلم للمصلحة وللخدمة الانسانية** وكلما بعد مستغلى النتائج العلمية عن استخدامها للدمار والفناء ٠

وبعد فهذا بعض من دلائل عظمة الخلق وجلال الخالق ، وما فى الكون والوجود خضم واسع من هذه الدلائل والشواهد ، ندعوه جلت قدرته أن يبصرنا بها ويوفقنا لاستيعابها انه عزيز مفضال .

« **الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل (٦٢) له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (٦٣) قلافغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون (٦٤)** — من سورة الزمر ٠

وفى أنفسكم

السمع حاسة لا تقل فى أهميتها عن حاسة البصر فهى التى نستقبل بها المؤثرات الصوتية الاتية من مصادر قد تكون بعيدة وقد تكون قريبة ٠ والسمع والبصر حاستان تكمل كل منهما الاخرى فنحن نبصر ثم نسمع وقد نسمع اولا ثم نبصر : وكلاهما اذا احسن استعمالهما يؤديانالى طريق الحق طريقالنور والايمان وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين هاتين الحاستين فى أكثر من آية فيقول جلت قدرته « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ٠

ويقول سبحانه وتعالى « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون » ٠

ويدعونا الاسلام أن ننظر فى ملكوت السموات والارض وأن ننظر الى أنفسنا ومم خلقنا ، كما يدعونا الى ان نستمع الى هديه وقرآنه لنزداد معرفة به سبحانه وتعالى ونزداد ايمانا ٠

وعن طريق النظر عرف ابراهيم عليه السلام ربه ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ٠ فلما جنعليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافلين ٠ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ٠ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين** » ٠

وهكذا يؤمن ابراهيم عليه السلام ويعرف

أفلا تبصرون

الدكتور عبد الحليم كامل

ان لهذا الكون خالقا اعظم من الدنيا ومافيها لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ليس كمثله شيء ٠

وعن طريق السمع آمنت الجن بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ٠ ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول « **قل أوحى الى أنه استمع نفرمن الجن فقالوا انا سمعنا قرءانا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » ٠

وهكذا استمع العرب الى ما كان يتلوه عليه الصلاة والسلام فآمنوا به وصدقوه وعلموا أنه الحق وان ما يتلوه عليهم تنزيل من رب عليم ٠ ولم لا والله سبحانه وتعالى يقول « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » ٠

ويقول سبحانه وتعالى « **واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** » ٠

وهكذا أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما استمع الى خباب وهو يتلو القرآن على أخته فاطمة وزوجها سعيد ويثور عمر لايمان أخته ويعيبها لانها حاولت أن تمنع أخيها عن زوجها فتزداد ثورة عمر ولكن ماسمعه يشغله فهولايزال يدوى فى أذنيه فيتناول الصحيفة التى كانا الى ما فيها يستمعان ويقرأ « **الله لااله الا هو له الاسماء الحسنى ٠ وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا ٠٠٠** » ٠ الى أن يصل الى قوله سبحانه وتعالى « **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** » ٠ عندئذ يكون ما قد قرأ قد جاوز الاذن واستقر فى القلب فتخشع نفس عمر وتهدأ ثورته وينشرح صدره لدعوة الحق فيؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ٠

ونعود الى جهاز السمع الذى نستمع به لنجد فيه اية من آيات الله التى يحدثنا عنها سبحانه وتعالى فيقول « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ٠ ويتكون هذا الجهاز من أجزاء ثلاثة أذن خارجية وأذن وسطى وأذن داخلية ٠

اما الاذن الخارجية فهى التى تلتقط الموجات الصوتية وتوجهها الى الاذن الوسطى التى يملؤها الهواء ٠ وتنقل هذه بدورها الموجات الصوتية الى الاذن الداخلية المملوءة بسائل ليمفى والتى توجد بها مستقبلات السمع التى يصل بينها وبين مراكز السمع فى المخ العصب السمعى ٠

أما الاذن الخارجية أو صيوان الاذن كما نسميها فتؤدى الى قناة تنتهى بما يسمى بطبلة أو غشاء الاذن ٠ وعندما تطرق الموجات الصوتية هذا الغشاء تحدث ذبذبات يترجمها المخ فى نهاية المطاف الى أصوات والطبلة لها تركيب خاص وذات سمك خاص اذا تعدته ضعفت حاسة السمع وقد يحدث هذا ايضا اذا أصابها تلف ما ٠

وخلف هذه الطبلة توجد الاذن الوسطى بما فيها من عظيمات ثلاث توحى أشكالها بأسمائها وهكذا يقال لها المطرقة والسندان والركاب ٠ اما المطرقة فيتصل مقبضها بالطبلة وتتصل رأسها بالسندان ، ويتصل السندان بالركوب الذى تقع مقدمته فى الكوة البيضية التى تفصل بين الاذن الوسطى والاذن الداخلية ٠ وتتصل هذه العظيمات الثلاث باربطة ذات مرونة خاصة والا تفقد هذه العظيمات قدرتها على الاهتزاز عندئذ تصاب الاذن بصمم جزئى لان بعض الذبذبات الصوتية من الممكن أن تنتقل خلال الهواء ٠

وتمتلىء الاذن الوسطى بالهواء الذى لا تدوم اقامته لانه يمتص على الدوام ٠ ولكن لما كانت الاذن الوسطى تتصل بالبلعوم بقناة تسمى قناة يوستاكيوس كان هواؤها يتجدد دائما بما يندفع اليها من هواء اثناء الابتلاع أو السعال او العطاس ٠ وهكذا يعود ضغط الهواء على كل من سطحى غشاء الطبلة الى الاتزان ٠ ومايشعر به المرء عند اصابته ببرد من صمم جزئى هو نتيجة لانسداد فتحتى قناة يوستاكيوس من ناحية البلعوم بالمخاط وهكذا ينخفض ضغط الهواء فى الاذن الوسطى مما يترتب عليه انبعاج غشاء الطبلة الى الداخل ٠

ويلى الاذن الوسطى الاذن الداخلية التى يملؤها سائل ليمفى تنتقل خلاله الذبذبات الحادثة فى الغشاء المشدود على الكوة البيضية حتى يصل الى العضو النهائى وهو القوقعة وهى عبارة عن أنبوبة يزيد

طولها عن البوصة قليلا وتلتف حول نفسها . وبداخل هذه الانبوبة الملتوية خلايا لها بروزات شعرية الشكل تلتقط الامواج الصوتية من السائل ثم ينتقل منها السيال العصبي الى العصب السمعي الذى يرسل بدوره محاورة الى المخ .

ومن نعمه سبحانه وتعالى ان الصوت ينتقل خلال بعض عظام الجمجمة بيد أنه طريق قاصر نسبيا فاذا وضعنا شوكة رنانة فوق العظمة الواقعة خلف الاذن كان من الممكن ان نسمع رنينها حتى وان كانت الاذن الوسطى مصابة بالصمم وتستغل هذه الخاصية فى عمل أجهزة السمع الصناعية .

والسمع نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى لنسمع ونفهم ونتعلم ونؤمن ونقول كما قال الذين قال القرآن فيهم « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » . ولانكون « كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » .

والسمع من صفات الله سبحانه وتعالى وهو سمع لا كسمعنا نحن تحده الحدود وتمنعه الموانع وتقف أمامه الجدر ويتلاشى مع المسافات ولكنه سمع مطلق يصل الى كل مكان ليس له حدود ولا تحده قيود فهو **سبحانه وتعالى السميع العليم .**

وعندما أراد ابراهيم عليه السلام ان يجادل قومه فيما يعبدون من دون الله ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك فيقول :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » . وعندما قال سبحانه وتعالى لموسى وأخيه « **اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » .**

واذا كانت الاذن تعتبر كعضو للسمع فان لها وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن السمع فهى تعمل كعضو للتوازن . ولعل هذه الوظيفة هى وظيفة الاذن الرئيسية التى تبقى من غير تغيير نسبيا من السمكة الى الانسان والتوازن نوع من الاحساسات التى تتم بالاذن الداخلية وحدها أما بقية تراكيب الاذن المساعدة فتتصل كلها بالسمع .

يوجد فى كل حيوان فقارى ثلاث قنوات هلالية وهى قنوات مقوسة متعامدة تمثل المستويات الثلاث فى الفراغ . وتمتلىء هذه القنوات الثلاث امتلاءا جزئيا بسائل يتحرك دائما مع كل حركة نأتيها برؤوسنا . ولكل قناة من هذه القنوات الثلاث طرف منتفخ مزود بمستقبلات عصبية وخلايا منتهية بزوائد شعرية . وهكذا عندما يتحرك هذا السائل يضغط على بعض الزوائد الشعرية أكثر مما يضغط على البعض الاخر وهكذا نعرف بخبرتنا الوضع الذى تتخذه رأسنا مع كل حركة .

فاذا درنا حول أنفسنا دورانا سريعا استمر السائل فى دورانه واضطرابه بعد توقفنا عندئذ نشعر بالاختلال وعدم التوازن ولا يزول هذا الشعور الا بعد أن يهدأ هذا السائل ويستقر عندئذ نستطيع أن نتبين وضعنا بالنسبة للاشياء المحيطة بنا .

وبالاضافة الى هذه القنوات الثلاث يوجد عضوان صغيران هما القربة والكيس بكل منهما بقع من الخلايا ذات الزوائد الشعرية أيضا . غير انه توجد مادة هلامية بها بللورات من الجير فاذا ماتغير وضع هذه البللورات نتيجة لتأثرها بالجاذبية الارضية نبهت الزوائد الشعرية الى ما يجب أن يكون عليه وضع رؤوسنا .

وهكذا يوصف جهاز السمع ببساطة تصل اليه الامواج الصوتية فيترجمها الى ما نسمعه من أصوات قد تصل الى الاذن فى صورة موجات هوائية ضعيفة تأثيرها المباشر ضعيف فى احداث اهتزازات فى الليمف الداخلى فى الاذن الداخلية . ومن ثم كان ضروريا ان توجد تصميمات لتضخم هذه الموجات وحملها الى الاذن الداخلية . وهكذا نرى جهاز السمع فى تكوينه المعجز واتصاله بالجهاز العصبى فنسمع ونفكر ونفرح ونتألم ونتذكر ونتعلم ونحزن ونطرب تبعا لما يصل الى آذاننا من كلمات قد تكون طيبة وقد تكون خبيثة وقد تكون منغمة وقد تكون حديثا وقد تكون قرآنا يهدى . وهكذا عن طريق حاسة السمع تتغير أحاسيسنا واحساساتنا وتتغير مشاعرنا . وهكذا يختلف جهاز سمعنا عن أى جهاز آلى مهما بلغت دقته فانه وان كان قادرا على أن يسمع الاصوات الخافتة فهو عاجز قطعا عن أن يعى أو يفهم أو يتأثر بما يسمع .

وهل هناك اعجاز أكثر من أن نستمع الى كلمة ما فنضحك والى كلمة أخرى فنحزن والى كلمة أخرى فنثور والى كلمة ثانية فنهدأ وهكذا تنقش هذه الكلمات فلا تنسى نجدها حينما نطلبها وننساها حينما لانكون فى حاجة اليها .

ومع ذلك فهناك من لهم آذان لا يسمعون بها كما هناك من لهم اعين لايبصرون بها وفى هؤلاء يقول عنهم سبحانه وتعالى « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .**

الخلفاء الراشدون
و
أعلام الإسلام

السيدة فاطمة الزهراء

هذا هو الجزء الثالث نقدمه للقراء الكرام عن حياة السيدة فاطمة الزهراء ·· ويمضى الوقت وما أسرعه ·· لقد غاب عنا الوالد الكبير الرئيس جمال عبدالناصر ومضىالزمن فاذا به قد بلغ اربعين يوما ·· ما احزننا عليه وما اشق اوقاتنا من بعده · فان القلب الذى حمل الحب له والنفس التى انطوت على الوفاء اليه لا تزال تغالب هذا الزمنمن بين آونة وأخرى · وكان مكانا قد خلى بين القلب والنفس أكسب كل فرد قلقا شغل الفكر والعقل فى أن يذوبا فى تفكير عميق لا يجدا له مخرجامن ذلك كله الا أن يقولا ·

اللهم ارزقنا الصبر واعظم لفقيدنا الاجر جزاء بما قدم لشعبه الذى تركه من ورائهيتدارس اليومحسناته ويعاهد الله على أن يبقى فى وفائه له حتى يتحقق ما كان يصبو اليه من الرسالة السامية التى كان يطمح فى تكملتها ·· ولكن قضاء الله ولا راد لقضائه أنهى حياته على حين غفلة تاركا السفينة فى وسط البحر تتلاطمها الامواج · وقدقيض الله لهذا الشعب فى أن يتماسك ويتحد ويتقبل المصيبة بالصبر وان يعمل جاهدا للسير الى الامام على هدىمن رسالة الفقيد العظيم · وهكذا وجدت السفينة لها قائدا أقسم على أن يكون علىمبادىء أخيه رحمه الله ثم رأى أن يشرك الشعب كله معه حتى يكون العمل تاما والقيادة حكيمة ففعل · وانطوت شرور العدووزالت فرحتهبماقد ظنه أن هذه المصيبة سوف توغر الصدور وتفكك الوحدة . وقد رد الله سهم العدو الى صدره ففشل وانه لفاشل وسيظل فاشلا حتىيحقق اللهالنصر لامة هى على الحقوعلى طريق الحق والنضال الشريف ·

والجزء الذى نكتبعنه اليوم تكملة لما سبق نشره هو عن أحرج وقت وقع بين سيدةوزوجهابعدأن أحاطهما الحب بظلاله ورعاهما التوفيق بكماله فحول زمن الزوجية بينهما الى جسد واحد وروح واحدة يحمل كلا منهما للآخر شوقا وهياما وكيف لا يكون ذلك والسيدة زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم منبع الوفاء والاخلاص والاخلاق والبحر الذى لا ينضب معينه فى الصدق فى القول والاخلاصفىالعمل ·· وهذا زوجها وابن خالتها وهى تحبه حب الازواج وتخلص اليه اخلاص القرابة وتراه ويراها وكأنهما ليس فى الدنيا أحد سواهما سعادة ورخاء ويسرا واتفاقا وحبا واحتراما ·· ووصل ابو العاص بن الربيع الى زوجته [زينب بنت محمد) وما أن طرق الباب حتى انفتح قلب زينب لتستقبل عزيزا عليها قد شغلها أمره فى المعارك الطاحنة التى دارت بين فئتين فئة الايمان وفئة الكفر والطغيان · **ولم تدر زينب ما يخبئه لها القدر الا انها رأت على جبين زوجها علامات تنبىء عن خبر هام سوف يقال أو أمر ثقيل سوف يلقى عليها · وأطرق أبو العاص ابن الربيع بنظرهالىالارض كأنما اراد ان يصرف بصره عنحقيقة أو عن حبيبة قلبه ·** فلا يرى منها ما يحزنها ويفتت كبدها ··

وقال ·· يا زينب : هذا لقاؤنا الاخير فى حياة كانت سعيدة بك وأوقات كانت مشرقة مضيئة بوجودك : وتجيب زينب : ماذا تعنى ايها الزوج العزيز ويا ابن الخالة الكريم : فيقول يا زينب انى قطعت عهدا لوالدك انى أردك اليه وقد فرق دينه بينى وبينك وأنك تعرفين أن قريشا قد فرقت بين أختيك (رقية وأم كلثوم) من قبل وبين أزواجهما ·· ولكنى رفضت أنا طاعة قريش عندما طالبونى بذلك وما هذا الا فى سبيل حبنا وما بيننا من وفاة ومودة · أما وانى قطعت لوالدك عهدا فلابد من الوفاء بهذا العهد وأنك لذاهبة اليه اليوم ·· ووقفت عينا زينب جامدة · وتراخت أعصابها مضطربة فأسندت رأسها الى زوجها كأنما تستشفع عنده الا يفعل ثم انطرحت الى مخدعها يبللها العرق البارد فى اطرافها ورعشة عارمة فى جسدها وقد انحبس لسانها فلم تعد تستطيع الكلام أو تسأل حتى السؤال · ولميكن زوجهاأبا العاص بأقل منها فقد غار قلبه وهو الرحيم بها · يبادرها فى لطف وسكون ويكرر القول لها ان عهد والدك لابد من نفاذهوما كنت تاركا لك لولا هذا العهد لان الاسلام فى شروطه وقو انينه هو الذى فرق بينى وبينك ·· وتفيق زينب من اغمائها لترى على خدى زوجها دمعة ساخنة لتشاركه زينب دموعها ونحيبها وتسأله فى صوت خافت ·· ومتى أرحل عن قلبى الذىملكتنى بحبه وملكتهبحبى · ويجيبالزوج الحائر بين لذعات قلبه والوفاء بوعده · لقد قرب الوقت وما هى الا ساعات ·· ثم تعاوده السؤال ·· هل ترافقنى فى سفرى يا ابن الخالة وحبيب عمرى ·· ويجيب الزوج . كلا فان اخاك **زيد بن حارثة ومعه رجال من الانصار ينتظرونك على بعد ثمانية أميال من مكة وهم الذين سيرافقونك الى يثرب** ·· وما أسرع الوقت ·· لقد وقفت زينب تودع زوجها وتعلقتالقلوب وشخصت الابصار ودمعت العيون ··

وتعبر زينب عن حبها بقولها .. ان لك يا زوجى العزيز فى احشائى جنينا لم يستكمل الشهر الرابع بعد · وهذه بنتنا امامه ثمرة حبنا .. انهما الامل فى ان نعود الى مخدعنا مرة اخرى . ويجيب الزوج : يا زينب ان حبك بين جنبى شجرة مورقة سأحفظه لك ما حييت · وان صورتك التىانطبعت فى قلبى لن يحتل مكانها امرأة أخرى ·· وخارت قواه ولم يتمكن من السير معها **فاشفق اخاه كنانة بن الربيع فمضىمع زينب يقطع الطريق ليسلمها الى زيد بن حارثة ومن معه من الانصاروذلك فىوضح النهار وعلى مرآى من**

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

قريش وقد أعد عدته وسهامه ليناضل أى معتد تسول له نفسه الاعتداء • ولكن هبار بن الاسود الاسدى الذى فقد اخوته الثلاثة فى غزوةبدر ضرب برمحهفأصاببعير زينب وقد قفز وجلا من شدة الضربة فألقى بزينب على صخرة •• ووقف كنانة ليدافع بسهامه ولكن تراجع الجبناء • ووقفأباسفيان يجادل كنانة ويقول بعد أن طلب من كنانة الامان . حتى اذا وعده كنانة قال ابو سفيان لكنانة • ان خروجكفىوضح النهار بعد ما أصابنا محمد فى أهلنا وعشيرتنا أمر قد عده الناس ذلا لنا وضعفا منا . وانا لنرجو ان تعيد زينب الى زوجهاثم أخرج بها سرا الى حيث يطلبها والدها • ونظر كنانة الى زينب فوجدها قد غرقت فى دماء وقد ألقتبجنينها فى العراء • فعاد بها الى مكة • ودخلت على زوجها أبا العاص تئن وتتوجع مما أصابها . ووقف بجوارها أياما يرعاها ويضمد جراحها ويخفف آلامها الليل والنهارحتىاذا ما ضاع منها بعضها أسلمها الى زيد بن حارثة وقد خرج بها الى يثرب .. ولقد عيرتهم [هند بنت عتبة] عيرت قريشا بما فعلوا بزينب فقالت شجاعة على أنثى وجبن فى بدر ثم أنشدت :

أفى السلمأعيار ، جفاء وغلظة
وفى الحرب أشباه النساء العوارك

لقد وصلت زينب بنت محمد الى يثرب واستقبلت من أهلها بما يليق بمقامهاالكريم • ولكنغضب الوالد العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما فعله هبار بن الاسود ، ونافع بن قيس بضربهما بعير زينب وما حل بها اصدر أمره الكريم لرجاله فقال عليه الصلاة والسلام :أنظفرتم بهمافاحرقوهما •• ولكن عاوده حلمه فقال لهم صلىالله عليه وسلم فى اليوم التالى ••قال أبو هريرة فى الحديث (فلما كان الغد بعث الينا صلى الله عليهوسلم فقال : انى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين ان اخذتموهما ثم رأيت الا ينبغى لاحد أن يعذب بالنار الا الله ، فان ظفرتم بهما فاقتلوهما) •

ست سنواتتمضىوقلب زينبيرسل من أوتاره شوقا الى زوجها أبى العاصوالقلق يؤرقهاوالحب الكامن فى نفسها يبعث على الامل وهى تطلب من الله أن يهدى الله زوجها الى الاسلام • بعد أن شاهدت الكثير منالناس قد آمن برسالة والدها فما بال زوجها لم يسلم بعد • هل ترك حبها أم انصرف عنها ••• ولكن الزمن الذى فرق بينهما بدأ يبعث من جديد لونا آخر من اللقاء • وفجأة يطرق باب زينبطارق • ويفتح البابلترى زينب زوجها وقد اصفر وجهه وغارت عيناه وشحب جسمه •• ولقد خلط اللقاء المفاجىء بين الخيال والحقيقة فظنت زينب أن هذا خيالا •• وارتفع صوتها الخافت قليلا لتقول •• أبو العاص • ويجيب • نعم أبو العاص • الذى حفظ العهد ووفى • وحفظ الحب لك وأخلص • وجاء يدق الباب • والاعداء من خلفى يطاردوننى • واستيقظ الحلم فى عينى زينب فتفتحتا على حقيقة لتقول لزوجها • يا أبا أمامه • وصمتت ليترجم لها زوجها بقية ما حل به وألزمه المجيىء الى دارها ...

ويؤذن بلال لصلاة الفجر وجماعةالمسلمين يهرعون الى المسجد فالاسلام فى بداية بهجته ومجده وبين نبيه ورسوله وصاحب دعوته • وفى كل يوم تدفعه القوة الى الامام مكتملة وفى كل يوم يغرس فى كلقلب ايمان مشرق مضىء •• وفى غضون هذا الحشد تجلله خطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد ليؤم الناس بصلاة الفجر• وتقع خطوات النبى العظيمفى قلب زينب بنت محمد موقع التقدير والحب . وتطلع الى] أبى العاصى] بنظرات متتابعة ليقطعها همسات من بين شفائها • وكأنها تحكى ألم البعد والفراق بشىء يبعث الى ايجاد رغبة ••• وفهم ابوالعاص مقصدها ورآها وقد قربت منه وجاءت اليه لتجعل من الخيال حقيقة • ولكنها تذكرت فوقفتمكانها الى بعد • فهى لا تزال بعيدة عن مقام الزوجية ولكنه هو ابن خالتها فقط واستمعت من أبى العاص يقول لها • لقدجئت اليك يا زينب مستجيرا مما دهانى من مطاردة رجال والدك وفيهم زيد بن حارثة وقد أخذوا منى المتاع والمال وليس لى فيه منشىءانما هو أمانة لغيرى وطرقت بابك فى جنح الليل لتردى عنى شيئا ربما توصلت الى قضائه وانى لم أت اليك مسلما بل جئت اليك لاجئا .

لقد وقعت الكلمة الاخيرة على قلب زينب كالصاعقةفقد خيبت آمالها وحطمت أحلامها فكمكانتتريد أن تكون سعيدة لو وفق الله أبا العاص للاسلام فجمع شملها وخفف لوعتها وحبها • فأجابته بصوت خافت فيه رنين الاسى •• أهلا بأبو أمامه ومرحبا بابن الخالة • ثم ذهبت زينب الى ركن فى بيتها • كما لزم ابن العاص الركن الاخر • وصمتا • وأمامة ابنتهما تروح وتجىء مرة الى أحضان والدها ومرة الى أحضان أمها وهى لا تفهم معنى لصمت كليهمااكثرمنانها تحدق ببصر الطفولة عسى ان تسمع مداعبةمن هذا أو من تلك فلم تجد • ويكبررسول الله صلى الله عليه وسلم ايذانا بصلاة الصبح • وتسعى زينب الى باب المسجد والناس وقوف وصاحت بصوتها الذى امتلأ شجاعة وقوة وقالت (أيها الناس . انى قد اجــرت ابا العــاص بن الربيع] . وانتهت الصلاة . ويواجه رسول الله المسلمين فيقول [ايها الناس . هل سمعتم ما سمعت) ويجيبوا بنعم يا رسول الله •• فقال (أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم) ثم صمت وبعد قليل قال (أنه يجير على المسلمين أدناهم ، وقد أجرنا منأجارت) ••• وتنتهى الصلاة ويخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار ابنته زينب وعندها ابن خالتها فلما رأته قالت فى أدب وخشوع يا رسول الله (ان أبا العاصانقرب فابنعم وان بعد فأبو ولد وانى أجرته■ (ويجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته الى ما طلبت فيقول ، اكرمى مثواه ولايخلصن اليك فانك لا تحلين له زوجة • وخرج الرسول الكريم والوالد العظيم صلوات الله وسلامه عليه • وانشغل قلب زينب بزوجها وكأنما كانت تريد منه أن ينطق بكلمة التوحيد فيدخل الاسلام بها •فعاتبته قائلة : هل هان عليك فراقنا يا أبا العاص • فأجابها وهو يمسك بزمام قلبه : كلا ان الحب الدفين فى قلبى لن ينقطع أثره وأن العيش منبعدك لن يطيب ثمره • ثم سألته اذا لم كل هذا العذاب ؟ . ويجيب ابو العاص : حتى يقضى الله امره ثم ذرفت عيناهبالدموع • وتجيب زينب • يرحمنى الله يا أبا العاص فى حبى وشوقى اليك •

لقد صدق منقال أنأعظم الناس حلما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بأنه ارسل رحمة للعالمين والرحمة تولد الحلموتذهب بالغضب « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » صدق الله العظيم •

وفى العدد القادم نتمم موضوعنا فى وكاب السيدة فاطمة الزهراء •

من أعلام الصوفية

القطب الكبير .. أبو العلمين سيدى أحمد الرفاعى

رضى الله عنه

الأستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى

فى مقام الحضور والمشاهدة تتوالى أنوار التجلى الالهى على قلب العارف ، وتنكشف غيوم الاستار عن سماء الحقيقة . فيفنى المشاهد بسره فى معاينة الجمال القدسى ، وتعب الروح من كأس الوصال حتى الثمالة ، وعندئذ تسطع شموس المعارف والالهامات فى ساحة القلب، وينهل السرمن اسرار الغيب . ومع دوام التجلى يتواصل الامداد والاشراق ، ويهتف العارف بلسان الحقيقة قائلا :

ليلى بوجهك مشرق
وظلامه فى الناس سارى
فالناس فى سدف الظلا
م ونحن فى ضوء النهار

انه مقام أهل الصدق والاخلاص من خواص الحق تعالى المقربين وأوليائه العارفين رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون .

ومن شوامخ أعلام أولئك الائمة الواصلين ، وصدور أعيان الاولياء المحققين : **قطب أقطاب العارفين ومركز دائرة الصديقين غوث الثقلين أبو العلمين سيدى أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه وعنا به فى الدارين . امام ترقى فى معاريج الحقائق حتى انتهت دونه مقامات الاولياء ، وعارف حلقت روحه فى سماوات الوصال حتى غابت عن ذاتيتها فى محيط الفناء . وقطب جمع بين الشريعة والحقيقة علما وحالا وذوقا ومقالا ، فتصدر للقيادة الروحية والتربية الصوفية على منبر الخصوصية والتمكين ، وأروى قلوبا عطاشا طالما برح بها شوق الى النور وحنين الى الطهر والصفاء فشعت قبسات هديه المحمدى لتنير الدرب وتثبت الاقدام وتشعل جذوة الشوق الى الله فى قلوب عباد خلقوا للتفرد فى محاريب العبودية والاختصاص .** فرفع الامام الرفاعى علم الصوفية على صرح مدرسة جديدة تحمل اسمه وطريقته ، وتنشىء رجالا يخلفون السلف الصالح فى اقبالهم على الله وتجردهم لخدمته واحيائهم معالم الطريق المحمدى برائع سمته وجليل عظمته وشامخ مجده . وشهد القرن السادس الهجرى تألق هذا المجد وبزوغه رأى العين وملء السمع والبصر، على نحونشير اليه — بجهد المقل— حسب طاقتنا وطاقة المقال محاولين أن نضع مجرد نقط تومىء الى سرج فى السماء وكواكب تسبح فى العلياء . فليكن التوفيق حليفنا ، ولتطل علينا روحانية القطب الرفاعى لتسكب فى أعماقنا بارقة من نور تقودنا الى معرفتها والتعريف بها اذ لا سبيل لنا الى التحدث عنها الا بها . فهى نفحة من نور سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم

ولعل أول ما يؤكد سريان المدد المحمدى الى مولانا القطب الرفاعى رضى الله عنه أنه ينتمى نسبه الى العترة المحمدية الطاهرة . فقد أجمع الرواة والمؤرخون على أنه ينتهى نسبه من جهة أبيه الى مولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وعنا به فى الدارين . وفى ذلك يقول الخطيب الادفوى :

لنسبة أحمد المولى الرفاعى
لطه وصلة عظمت مقاما
سرى برهانها شرقا وغربا
وسار معطرا يمنا وشاما

ولقد بشر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولد القطب الرفاعى قبل ولادته . فقد روى أن العارف الربانى سيدى منصور البطائحى رضى الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له : (**يامنصور : أبشرك أن الله يعطى الى أختك بعد أربعين يوما ولدا ويكون اسمه أحمد الرفاعى . ومثل ما أنا رأس الانبياء كذلك هو رأس الاولياء . وحين يكبر فخذه واذهب به الى الشيخ على القارى الواسطى واعطه له كى يربيه ، لان ذلك الرجل**

عزيز عند الله ولا تغفل عنه] قال سيدى منصور : فقلت الامر امركم يارسول الله • عليك الصلاة والسلام • اهـ •

وقدولد الامام الرفاعى رضى الله عنه ـ كما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فى بيت خاله القطب البطائحى بقرية (**أم عبيدة**) من أعمال واسط بالعراق يوم الخميس فى النصف الاول من شهر رجب سنة اثنتى عشرة وخمسمائة هجرية • وتفجر النور المحمدى الذى أهدته السماء الى الارض ، لينشر فى ربوعها شعاع الايمان واليقين ، وليبث دعوة الاصلاح الروحى ، ويحيى معالم الهدى المحمدى الوضاء • ولاحت سمات التفرد الاصطفائى منذ شروق حياة الامام الرفاعى ، فالاوساط الصوفية كلها كانت على موعد مع فجر ميلاده • سواء عن طريق الكشف أو التبشير كما حدث لخاله الشيخ منصور • ولقد كانت نظرة واحدة الى وجه الامام الرفاعى وهو لا يزال رضيعا فى مهد طفولته تعطى للمتوسم كل دلالات التفرد والولاية • بل ان الاحداث نفسها كانت كثيرا ما تاخذ طابع الكرامات والخوارق • فقد روى صاحب [**النجم الساعى فى مناقب القطب الكبير الرفاعى**) ، أنه كان لسيدى أحمد مرضعة صالحة عفيفة النفس . فأعطته يوما ثديها فما قبله وأعرض عنه • فنظروا فى الامر وفحصوا فوجدوا هذه المرضعة بلا وضوء . فلما توضأت شرب من لبنها رضى الله عنه !! كما روى فى نفس المرجع أن سيدى أحمد كان يشرب اللبن كل يوم من حين ولدته أمه الى رمضان فتقيد بعدم شربه اللبن فيه الى حين جاء العيد فشربه فى أول يوم وأفطر مع الناس فيه !! لقد أغدقت عليه العناية من امدادها الربانى وتوالت النفحات مع الايام والدقائق والانفاس . وتكفل سيدى منصور البطائحى برعاية سيدى أحمد وتربيته حيث قد لحق أبوه بربه قبل ولادته • وعمل سيدى منصور بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاخذ سيدى أحمد الى الشيخ على الواسطى ـ بعد أن حفظ القرآن الكريم ـ وجمعه عليه ليربيه فى الطريق وليأخذ عليه العهد الوثيق • **وبذا اجتمعت لسيدى أحمد روافد العرفان والتحقيق ممثلة فى خاله القطب الربانى الشيخ منصور وشيخه على القارى • كما يروى صاحب النجم الساعى أنه أخذ أيضا عن خاله سلطان العلماء الشيخ أبى بكر الواسطى الانصارى ، علوم الشريعـة وتفنن بها وألف الكتب الكثيـرة** • وبذا اجتمعت لسيدى أحمد تربية الظاهر والباطن ، فقد تفقه فى الدين على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، ودرس (التنبيه) وألف شرحا عليه فيما بعد ، كما صنف فى التفسير والحديث وعلوم القوم أسفارا ثمينة . ولقد أقبل سيدى أحمد منذ صباه المبكر على شتى المناهل العذبة التى تؤهله لسلوك الطريق والمضى على قدم التحقيق • فنال منها راح المعرفة وأكسير الحكمة الربانية • يروى الامام الشعرانى رضى الله عنه أن سيدى أحمد كان يقول : (**لما مررت وأنا صغير على الشيخ العارف بالله تعالى عبد الملك الخرنوتى** وصانى وقال لى : **يا أحمد ، احفظ ما أقول لك • فقلت نعم • فقال رضى الله عنه : ملتفت لا يصل ، ومتسلل لا يفلح ، ومن لا يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان** • فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة ثم رجعت اليه فقلت أوصنى • فقال : ما أقبح الجهل بالالباء والعلة بالاطباء ، والجفـاء بالاحبـاء • ثم خرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته) •

وهكذا كان سيدى أحمد يصعد سلم الارتقاء وعيون العارفين ترقبه بعنايتها وتتطلع اليه بفراستها فتكتشف فيه أمل المستقبل فى عالم الولاية •

روى الامام النبهانى فى (**جامع الكرامات**) أنه مر بالامام الرفاعى جماعة من الفقراء ـ أى فقـراء الصوفية ـ فى صغره • فوقفوا ينظرونه ، فقـال أحدهم لا اله الا الله محمد رسول الله .. ظهرت هذه الشجرة المباركة . فقال الثانى : تتفرع لها فروع . فقال الثالث : عن قليل يشتمل ظلها . فقال الرابع : عن قليل يكثر ثمرها ويشرق قمرها . فقال الخامس : عن قليل ترى الناس منها العجب ويكثر نحـوها الطلب . فقال السادس : عن قليل يعلو شأنها ويظهر برهانها • فقال السابع : كم يغلق لها باب ، وكم يظهر لها اصحاب . اهـ . وعندما دنت وفاة سيدى منصور البطائحى شيخ أقطاب عصره ، **أراد بعض أهله وأصحابه ومريديه أن يجعل الخلافة فى الطريق لابنه من بعده • بيد أن سيدى منصورا كان يرى أن لا أحقية لاحد فى المشيخة من بعده الا لسيدى أحمد الرفاعى • فقالت له زوجته : أوص لولدك • فقال : بل لابن أختى ، فكررت عليه القول • فاراد أن يحسم الموقف بالدليل ، فقال لابنه ولابن أخته : ائتيانى بنجيل من أرض كذا . فاتاه ابنه بنجيل كثير ولم يأته ابن أخته بشىء فقال له : يا أحمد لم لم تأت بنجيل ؟ فقال ، وجدته كله يسبح الله عز وجل فلم أستطع أن أقلع منه شيئا** •

وهكذا برهن سيدى منصور على أحقية سيدى أحمد بالخلافة ، ولمست زوجته وأهله وأصحابه شواهد الاستحقاق والتحقيق من عارف يشهد فى الموجودات بأسرها سر قوله تعالى : **(وان من شىء الا يسبح بحمده)** • وتسلم سيدى أحمد لواء الولاية خلفا لسيدى منصور رضى الله عنه ، ومن ثم نتعرف على سند القطب الرفاعى فى الطريق ، فقد تلقى خرقة التصوف من خاله سيدى منصور البطائحى ، وهو عن شيخه سيدى محمد الشنبكى امام التصوف بالبطائح فى عصره • وهو قد أخذ عن سيدى أبى بكر بن هوار البطائحى ، الذى تلقى الخرقة عن سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . فقد ذكر الامام الشعرانى فى ترجمة سيدى أبى بكر بن هوار فى الطبقات ما نصه : **(وهو أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الخرقة ثوبا وطاقية فى النوم فاستيقظ فوجدهما عليه)** رضى الله عنهم أجمعين • والى جانب هذا السند الظاهرى الذى سلك به القطب الرفاعى الطريق ، فان سيدى أحمد كان يستمد سنده الباطنى من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم

مباشرة • ولقد ربته روحانية سيد العالمين صلوات الله وسلامه عليه، ورقته الى ذروة الولاية والتحقيق • بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى سماه بالرفاعى، فقد روى الشيخ أبو بكر العيدروس أن الشيخ عماد الزنجى سأل السيد الكبير – سيدى أحمد – فقال، أى سيدى : ما سبب اشتهاركم بالرفاعية ؟ فقال السيد الكبير : (يازنجى هو أنى كنت يوما جالسا فى عرفات، فاذا جماعة من الاولياء وأهل الطريق الابدال فى ذلك المجلس، فالتفت فى جانبى فرأيت سيد المرسلين، فقال : يارفاعى : قد ارتفعت درجتك فى الدنيا والاخرة، بشارة لك • فصار اسمى من ذلك اليوم مشهورا بالرفاعى بين أهل الحضرة، لانهم سمعوه من نفس النبى صلى الله عليه وسلم) • ذلك أمر التسمية الباطنية • وأما تسميته الظاهرية بالرفاعى فنسبة الى جده رفاعة الحسن أبى المكارم المكى • وأما كنيته بأبى العلمين : فلاتصال نسبه من جهة أبيه بسيدنا ومولانا الامام الحسين، ومن جهة أمه بسيدنا ومولانا الامام الحسن رضى الله عنهما وعنا بهما فى الدارين • وذكر بعض العارفين أن كنيته بأبى العلمين للاشارة الى علمى الشريعة والحقيقة • فهو حامل لواء الظاهر والباطن، وامام العلم الشرعى والحقيقى •

والمتصفح للجانب السلوكى عند مولانا القطب الرفاعى يرى أقباسا من الضياء تتوهج، وصفحات من النور تزخر بطاعة هذا العارف لربه وشغله به وتفانيه فى عبادته • يروى صاحب النجم الساعى عن الشيخ منصور العدوى قال : سمعت من الشيخ الزنكى قال : (ان السيد أحمد كان فى ليله ونهاره يختم القرآن الكريم، وكان ورده وذكره قراءة القرآن، فانه أفضل الذكر) • ويحدثنا الامام المناوى فى طبقاته عن جانب الزهد والعبادة عند سيدى أحمد فيقول : (• **وكان لا يجمع بين قميصين شتاء وصيفا، ولا يأكل الا بعد يومين أو ثلاثة أكلة واحدة، ويصلى كل يوم أربعمائة ركعة بألف « قل هو الله أحد »، ويستغفر كل يوم ألفين يقول : لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين**) • ويروى الشيخ العيدروس أنه كان رضى الله عنه اذا شرع فى الصلاة يصفر لونه الشريف، واذا فرغ من صلاة الصبح يستمر فى مكانه جالسا بالذلة والمسكنة يقرأ الاوراد الى ضحوة النهار العالية، واذا فرغ من ذلك صلى صلاة الاشراق وصلاة الضحى ثم يتوجه الى أم عبيدة، ويجاهد نفسه الغيورة الكريمة على العبادة، وكان يقول : اذا كنت فى الخلوة يحصل عندى التأسف والتحسر كثيرا، وكان دائما يرى فى الخلوة واقفا على قدميه ويجاهد نفسه وينشد هذا البيت ويقول :

والله لو علمت روحى بمن علقت

قامت على رأسها فضلا عن القدم

لقد سكن العارف الرفاعى الى ربه وأنس به، فسجد قلبه على بساط خدمته، واستجمعت همته كل الاحوال والمقامات، فلم يشغل بها عن مولاه . لقد تخطى كل الحواجز والعوائق وصار عبدا ربانيا محضا لاشائبة لرق فيه لغير سيده. وصارت الطاعة للمولى عز وجل هى الروح والريحان • لقد سقطت الانية فى الطريق فلم يبق الا روح نورانية مجردة، تغيب بفنائها فى معشوقها الازلى، ثم تعود من رحلة الفناء الى مقام البقاء، وعليها من حلل الجلال والجمال ما يضيق عنه نطاق المقال. واذا ما تساءلنا عن حقيقة مقام القطب الرفاعى ومكانته فى الطريق، فسوف يكون الجواب بغير حدود، لان مولانا الامام الرفاعى قد تخطى كل المقامات •

وليس هذا الحكم عفويا أو من عندياتنا أو من قبيل الحدس المبالغ فيه، فقد سجل الامام الشعرانى رضى الله عنه هذا الحكم فى طبقاته، اذ حكى عن سيدى أحمد أنه قال له شخص من تلامذته : ياسيدى أنت القطب • فقال له سيدى أحمد : نزه شيخك عن القطبية • فقال له : وأنت الغوث • فقال نزه شيخك عن الغوثية !! ويعلق الامام الشعرانى على ذلك قائلا : [قلت وفى هذا دليل على أنه تعدى المقامات والاطوار، لان القطبية والغوثية مقام معلوم، ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام * وان كان له فى كل مقام مقام والله أعلم) • حقيقة ان سيدى أحمد لا يدرك شأوه فى الولاية، فهو أحد الاربعة الاقطاب الذين هم أركان الولاية العظمى، الوارثون للمدد المحمدى، المتآخية أرواحهم فى حضرة القدس • ولقد نقل عن كنز العارفين سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه أنه كان يقول : [المشايخ رضى الله عنهم عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف شيخ، وأعظمهم وأبرعهم فى باب المشيخة والولاية ثلثمائة شيخ • وأفضل الثلثمائة سبعون شيخا، وأفضل السبعين سبعة شيوخ، وأفضل السبعة أربعة شيوخ، وأفضل الاربعة شيوخ ثلاثة شيوخ، وأفضل الثلاثة واحد . واصطلاح القوم والاصحاب : هذا الواحد هو قطب الاقطاب سيدى أحمد الرفاعى الكبير) • وروى صاحب النجم الساعى أن الشيخ حجى خالد ومجرد الاكبر وعماد الدين الزنجى وعلى بن نعيم البغدادى ويعقوب الكراز والشيخ على بن عبد الوهاب وسيدى عبد السلام وسيدى عبد القادر الجيلانى، جميعهم شهدوا أن جميع الاولياء تشهد أن السيد الكبير سيدى أحمد الرفاعى غالب أوقاته دائر فى العالم العلوى، ووجوده فى العالم السفلى كناية عن النوع لانه كان دائم السكر والغرق فى بحر المحبة للحق، وكان دائم التوجه للعالم المجرد والثناء المطلق . اهـ .

ولقد كان الامام الرفاعى دائم الحضور مع الله تعالى، وفى الحضرة المحمدية يقظة ومناما . فقد نقل الشيخ العيدروس عن الشيخ نجم الدين أنه قال : قال لى سيدى أحمد الرفاعى : [**قد رأيت الله سبحانه وتعالى فى المنام مائة مرة وأربع عشرة مرة، ورأيت سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام مائة وسبعا وأربعين مرة •• وقال : هذا فى النوم • وما غاب عنى يقظة أبدا**) • ولقد كان الامام الرفاعى رضى الله عنه غارقا فى بحار المشاهدات والتجليات التى لا يسع العقل تصورها • يقول الامام الشعرانى فى

طبقاته مصورا أحد مشاهد التجلي الالهى التى كانت تحدث لسيدى أحمد : **(وكان اذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى يكون بقعة ماء ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئا فشيئا حتى يرد الى جسمه المعتاد ويقول : لولا لطف الله تعالى بى ما رجعت اليكم)** . وها هو يصف أحوال المتمكنين فيقول : (ان العبد اذا تمكن من الاحوال بلغ محل القرب من الله تعالى ، وصارت همته خارقة للسبع السماوات ، وصارت الارضون كالخلخال برجله ، وصار صفة من صفات الحق جل وعلا ، لا يعجزه شيء ، وصار الحق تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه . قال ، ويدل لما قلناه : ما ورد فى بعض الكتب الالهية : يقول الله عز وجل : **يا بنى آدم أطيعونى أطعكم ، واختارونى أختركم ، وارضوا عنى أرض عنكم ، وأحبونى أحبكم ، وراقبونى أراقبكم وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون .. يا بنى آدم : من حصلت له حصل له كل شيء ، ومن فته فاته كل شيء)** .

ويعلق الامام الشعرانى على ما يلتبس فهمه من تلك العبارة فيقول : (وقوله صار صفة من صفات الحق تعالى ، لعله يريد التخلق والاتصاف بصفته تعالى من الحلم والصفح والكرم . لانه لا يصح لاحد أن يكون عين صفات الحق . فهو كقوله (فبى يرى وبى يسمع وبى ينطق وما أشبه ذلك] .

ثم لنقف الان عند جانبين من ابرز الجوانب التى حفلت بها شخصية الامام الرفاعى رضى الله عنه وفاق فيهما الذروة ، وهما (**الفتوة والتواضع**) . وفى تعريف الفتوة يقول الامام القشيرى : **(أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره)** وفيها يقول العارف أبو على الدقاق : **(هذا الخلق لا يكون كماله الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان كل أحد فى القيامة يقول : نفسى . نفسى .. وهو صلى الله عليه وسلم يقـول : أمتى .. أمتى ..]** . ولقد كان القطب الرفاعى شفوقا بالمسلمين الى حد الافتداء والايثار ، فقد ذكر الامام الشعرانى أن سيدى أحمد كان رضى الله عنه يمرغ وجهه وشيبته فى التراب ويبكى ويقول : **(العفو .. العفو .. اللهم اجعلنى سقف البلاء على هؤلاء الخلق]**، وكان رضى الله عنه حمالا للاذى فى تسامح كريم ، ولم يتغير خاطره من مخلوق قط مهما تطاول عليه بالاذى أو لج فى العناد والانكار . ولقد روى الامام الشعرانى أن الشيخ ابراهيم البستى أرسل الى سيدى أحمد كتابا يحط عليه فيه . فقال سيدى أحمد للرسول اقرأه ، فقرأه فاذا فيه : اى اعور اى دجال اى مبتدع يامن جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب بن الكلب ، وذكر أشياء تغيظ ، فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب ، أخذه سيدى أحمد رضى الله عنه وقرأه وقال : صدق فيما قال جزاه الله عنى خيرا ثم أنشد :

ولست أبالى من زمـانى بريبـة
اذا كنت عنـد الله غـير مريب

ثم قال للرسول أكتب اليه الجواب ، (من هذا اللاش حميد الى سيدى الشيخ ابراهيم البستى رضى الله عنه أما قولك الذى ذكرته فان الله تعالى خلقنى كما يشاء وأسكن فى ما يشاء وانى أريد من صدقاتك أن تدعو لى ولا تخلينى من حلك وحلمك] فلما وصل الكتاب الى البستى هام على وجهه ، فما عرفوا الى اين ذهب !! وكانت لسيدى احمد شفقة بالغة بالحيوان حتى ان القطب الشعرانى قال : (وكان قد كلفه الله بالنظر فى أمر الدواب والحيوانات) ، وذكر أنه كان اذا جلس على ثوبه جرارة وهو مار فى الشمس وجلست على محل الظل ، يمكث لها حتى تطير ، ويقول انها استظلت بنا !! **وكان اذا نام على كمه هرة وجاء وقت الصلاة يقطع كمه من تحتها ولا يوقظها . فاذا جاء من الصلاة أخذ كمه وخاطه ببعضه !! ووجد رضى الله عنه مرة كلبا اجرب اخرجه اهل أم عبيدة الى محل بعيد ، فخرج معه الى البرية وضرب عليه مظلة وصار يطليه بالدهن ويطعمه ويسقيه ويحت الجرب منه بخرقة . فلما برىء حمل له ماء ساخنا ، وغسله** ! انها الرحمة الرحيمة والشفقة المثالية بخلق الله .. ومن ثم فقد سخر الله له المخلوقات حتى أن أشد الحيوانات والهوام ايذاء قد ذللت للامام الرفاعى. مثل الحيات والعقارب والثعابين وغيرها . ولا تزال طائفة الرفاعية تشتهر بترويض هذه الحيوانات المؤذية واقتنائها الى يومنا هذا . ولا عجب ، فمن أطاع الله أطاعه كل شيء . ولقد ضرب سيدى أحمد الرفاعى أروع الامثلة فى التواضع الجم والادب المحمدى والذلة والانكسـار وأدب مريديه بآدابه. فقد روى عن خادمه الشيخ يعقوب أنه قال : نظر سيدى أحمد رضى الله عنه الى النخلة فقال يايعقوب : أنظر الى النخلة لما رفعت رأسها جعل الله تعالى ثقل حملها ولو حملت مهما حملت . وانظر الى شجرة اليقطين لما وضعت نفسها القت خدها على الارض ، جعل ثقل حملها على غيرها ولو حملت مهما حملت لا تحس به . ولقد كان رضى الله عنه يقول لاولاده : **(من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له . فان مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله ، ومن تقدم عليكم فقدموه ، وكونوا آخر شعرة فى الذنب فان الضربة أول ما تقع فى الرأس)** . وقال رضى الله عنه لاصحابه يوما (من رأى منكم فى حميد – ويعنى نفسه – عيبا فليعلمه به . فقام شخص فقال : ياسيدى فيك عيب عظيم . فقال : وما هو ياأخى ؟ فقال : كون مثلنا من أصحابك . فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى سيدى أحمد معهم وقال : أنا خادمكم أنا دونكم) . هذه هى أخلاق النبوة التى ورثها الوارث المحمدى سيدى أحمد الرفاعى .

ولقد كان آخر مثل ضربه فى الفتوة رضى الله عنه هو ما رواه الامام الشعرانى أن سيدى يعقوب خادمه رضى الله عنه قال : لما مرض سيدى أحمد رضى الله عنه مرض الموت قلت له : تجلى العروس فى هذه المرة ؟ قال نعم. فقلت له، : لماذا ؟ فقال ، جرت أمور اشتريناها بالارواح ، وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقى من عمرى فباعنى) !! لله أنت ياامام العارفين .. يامعدن الرحمة من سيد الاولين والاخرين . لقد أسس الامام

الرفاعى طريقته السنية على نهج الكتاب والسنة ، فاهتدى بها السالكون ووصل بها السائرون •

ومنهج الطريقة الرفاعية قد رسمه شيخها بقوله رضى الله عنه : (طريقى دين بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ، وقلب بلا شغل ، ونفس بلا شهوة) وروح المشرب الرفاعى الذى بنى عليه طريقه يتمثل فى قوله رضى الله عنه : (**رأيت جميع الطرق الى الله تعالى فما رأيت أحسن ذخيرة وأقرب الى الله تعالى من طريق الذل والانكسار والمسكنة**) • وغنى عن الذكر أن ما يعنيه سيدى أحمد بالذل والانكسار والمسكنة ليس المراد به الضعف فى الدين ولا امتهان حرمة المسلم ، فذلك بمنأى عن قصده ، بل هو على النقيض منه • ولكن المراد هو اذلال النفس بالعبودية لخالقها والانقياد له حتى ينتقل سلطانها الى القلب كما قال عليه رضوان الله : (**ما حياة القلب الا فى اماتة النفس**) • وكان رضى الله عنه يقول : (طريقتنا مبنية على ثلاثة أشياء : لا نسأل ، ولا نرد ، ولا ندخر) • ولقد ربى الامام الرفاعى أبناءه ومريديه بنور معرفته ، وغسل قلوبهم بماء حكمته • لقد كان رضى الله عنه يقول : (اذا صلح القلب صار مهبط الوحى والاسرار والانوار والملائكة ، واذا فسد صار مهبط الظلم والشيطان ، واذا صلح القلب أخبرك بما وراءك وأمامك ونبهك على أمور لم تكن تعلمها بشىء دونه ، واذا فسد حدثك بباطلات يغيب معها الرشد وينتفى معها السعد] . وكان يقول عليه الرضوان : (**من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الاحمر فيودع كل نفس أعز ما يصلح له فلا يضيع له نفس**] ولقد سلك على يديه رجال ورجال نهلوا من نبعه كأس المحبة والوصال • يقول الامام المناوى رضى الله عنه : [**وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفا**) • ويروى أنه ترك يوم وفاته أتباعا عدوا يومها بمائة ألف أو يزيدون • لقد تجمعت هذه القلوب لتستقى من معين الحكمة والمعرفة ، وترتوى من فيض الهام القطب اللدنى الذى لاساحل لمحيط معرفته • لقد تحدث يوما عن الكشف فقال : (الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة الى فيض الغيب ، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها المنيع الى فيضه ، ثم يتقاذف نوره منعكسا بضوئه على صفاء القلب ثم يترقى ساطعا الى عالم العقل فيتصل به اتصالا معنويا له أثره فى استفاضة نور العقل على ساحة القلب ، فيشرق نور العقل على انسان عين السر ، فيرى ما خفى عن الابصار موضعه ، ودق عن الافهام تصوره ، واستتر عن الاغيار مرآه) سبحان من أفاض على أوليائه بتلك المنح العرفانية . ونأتى أخيرا الى جانب الكرامات وماذا عسى أن نقول ؟ ان مقياس الكرامات لا يقوى على استيعاب ما حفلت به شخصية القطب الرفاعى • فكل جوانب حياته كرامات وفيها ما هو أكبر من الكرامات • فلنذكر تبركا ما يزيدنا عرفانا بالمقام الرفاعى : **روى جمهرة الصوفية أن سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه لما حج وقف تجاه الحجرة المطرة النبوية وقال : السلام عليك ياجدى ، فرد عليه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قائلا : وعليك السلام ياولدى • فتواجد سيدى أحمد لهذه المنحة الجليلة وقال منشدا :**

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فمد له الرسول صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من قبره الكريم فقبلها فى ملأ يقرب من تسعين الف رجل والناس ينظرون يد الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه • وكان من شهود هذا الموقف الجليل سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى عدى الشامى والشيخ ابن قيس الحرانى وغيرهم من كبار العارفين رضى الله عنهم أجمعين • ومن كراماته : أن رجلين تحابا فى الله اسم أحدهما معالى والاخر عبد المنعم ، فخرجا الى الصحراء ، فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء ، فسقطت منها ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة ، فاتيا القطب الرفاعى ولم يخبراه بالقصة • فنظر اليها ثم خر ساجدا وقال ، الحمد لله الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الاخرة • فقيل له هذه بيضاء • فقال : أى أولادى •• يد القدرة لا تكتب بسواد • وهذه مكتوبة بالنور !! •

ومنها أيضا أن بعض أصحابه رآه فى المنام فى مقعد صدق مرارا ولم يخبره • وكان للشيخ امرأة بذية اللسان ، تسفه عليه وتؤذيه • فدخل عليه الذى رآه فى مقعد صدق يوما ،فوجد بيدامرأته محراك التنور وهى تضربه على أكتافه فاسود ثوبه وهو ساكت • فانزعج الرجل وخرج من عنده • فاجتمع بأصحاب الشيخ وقال : ياقوم : يجرى على الشيخ من هذه المرأة هذا وأنتم سكوت ؟؟ فقال بعضهم : مهرها خمسمائة دينار وهو فقير • فمضى الرجل وجمع الخمسمائة دينار وجاء بها الى الشيخ فى صينية فوضعها بين يديه . فقال له : ما هذا ؟ فقال : مهر هذه الشقية التى فعلت بك كذا وكذا • فتبسم وقال : (**لولا صبرى على ضربها ولسانها ما رأيتنى فى مقعد صدق**)

انه خلق الفتوة وانها عظمة الشخصية وقوة التحمل تتمثل بأسمى معانيها وأروع صورها فى الامام الرفاعى قطب الاقطاب ، الذى ربى أقطابا ورجالا يسيرون على دربه المحمدى فى كل عصر • ولقد كان من صفوة وارثيه فى هذا العصر مولانا الشيخ جوده ابراهيم رضوان الله عليه الذى تجسدت فيه الاخلاق المحمدية وانطبع أثرها فيمن سلك على يديه الطريق •

(**وبعد**) ،

فقد عشنا فى رحابك ياسيدى ياأبا العلمين ، نرتوى من مددك ، وننعم بذكرك ، فبحق جدكم المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تمدونا بمددكم وتجذبونا بأنواركم الى رحاب عطفكم • رضى الله عنكم وجعلنا من ورثة أمدادكم فى الدنيا ويوم الدين •

عبد الرحمن ابن أبى بكر

الأستاذ صلاح عزام

و .. سؤال .. كان يلح دائما على خاطرى .. وأنا أعيش بين خطوات عمر الصحابة المباركة .. وهو .. ماذا عن أولادهم ؟ .. وهل ساروا على نفس الدرب معهم منذ البداية .. ولحقوا بهم من بعد صادقى الوعد ؟ .. أم تخلف البعض منهم .. حتى كان يوم الفتح ؟ .. أم ماذا ... ؟ !

والشوق لمعرفة أخبار أبناء الصحابة لم يصاحبنى فحسب .. بل سمعته من الكثيرين .. ومن هنا .. لنبدأ مسيرة معهم بعون الله ...

ولنبدأ بالصاحب الاول ... ؟

والتاريخ الاسلامى يموج بأخبار ولده عبد الرحمن .. وبالذات فى الفترات الحرجة التى صاحبت انتقال الخلافة من أمير المؤمنين على بن ابى طالب ، الى معاوية ، رضى الله عنهم جميعا ...

وعبد الرحمن كان نقطة العذاب .. فى قلب وحياة الصديق .. فقد سارع أبناء أبى بكر الى الاسلام .. بل منهم من قام بأعمال بطولية خلال الهجرة وما قبلها وما بعدها .. وكان لهذا كله فرحة فى قلب أبى بكر ، لا ينقصها غير موقف ابنه الحبيب الى نفسه كأب .. من الدعوة الاسلامية .. ومن سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ورفض عبد الرحمن أن يتبع خطى أبيه ، رضى الله عنه ... بل لم يكتف بذلك ، وانما جاهر بخصومته الى الاسلام .. واشترك مع خصوم النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أكثر من خمسة عشر عاما ... فى كل معاناتهم المدين الجديد .. ومحاربتهم لاصحاب النبى ، صلى الله عليه وسلم .

وأمسك أبو بكر بأحزانه .. وطواها على نفسه .. وأبعد ابنه عن حياته وداره .. وأسلم أمره الى الله .. حتى ان الكثيرين عرفوا فيه هذا فتحاشوا ذكر ولده أمامه .. ورغم هذا الحرص ، فقد كانت أخبار عبد الرحمن تأتى لابيه فيزداد حزنا أن يكون هو .. من هو .. ومكانته من النبى والدعوة .. وولده هناك فى مكة يقف هذا الموقف العدائى العنيف ..

وجاءت موقعة بدر ...

واذا بأبى بكر يرى ولده هناك فى صفوف المقاتلين من المشركين .. ويومها قاتل عبد الرحمن المسلمين قتالا فيه ضراوة وعنف .. وعز على أبى بكر هذا الموقف من ولده .. ولم يملك غير الدعاء الى الله ان يهدى ولده الى الاسلام .

وكان للابتلاء الالهى أن يأخذ مداه مع الصاحب الاول .. فجاءت احد .. والتقى الجيشان .. وكان عبد الرحمن بن أبى بكر على رأس رماة المشركين .. وخرج كعادة القتال يومذاك يتباهى متقدما الصفوف يطلب من يبارزه من المسلمين ..

واندفع ابو بكر فى عنف .. يريد ان يبارز ابنه .. ويريد ان بقتله وليتخلص منه .. ولكن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حال بينه وبين ما يريد .. وأمر أبا بكر ان لا يلتقى مع ولده فيقاتلا .. مهما كانت الظروف .. فمن يدرى ؟ فلعل الله يهديه الى الاسلام ..

● ● ●

وعاد عبد الرحمن من أحد ..

وأحس بالعذاب يأكل قلبه ، لاول مرة .. ومنذ سنوات ..

وبدأ يستعرض الدعوة الاسلامية .. من يوم أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وفى عمق .. بدأ يعيد التفكير فى موقفه ..

كيف تأتى له ان يتخذ هذا الموقف ..

وكيف أغلق عقله أمام هذا النور .. ؟ !

وضاعت كل محاولات الشيطان فى ان يتخذ له مخرجا من نور الهداية الذى بدأ يحيط بعبد الرحمن ..

ولم ينم ليالى طويلة ..

وفجأة .. قرر عبد الرحمن بن ابى بكر الرحيل من مكة الى المدينة ليلقى رسول الله مبايعا .. تائبا ..

وفجأة أيضا .. شاهدت المدينة ابن ابى بكر يسير فى دروبها يسأل عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهناك يقبل على النبى فى رجولة ابن ابى بكر ويمد اليه يده مبايعا .. تائبا .. معتذرا ..

ويشهد صاحب رسول الله هذا الموقف .. فتمتلىء عيناه بالدموع .. ويبتهل الى الله شاكرا .. اذ يعود ابنه الى الله .. ويأخذ ولده بين ذراعيه معانقا .. بعد غيبة طويلة .. وفى لقاء مثير تهتز له عواطف الحاضرين ..

ويعود الصاحب وابنه الى بيته .. ويشفى هذا الجرح العميق الذى سببه موقفه فى قلوب أهله جميعا ..

وبأقوى مما كان عليه عبد الرحمن .. انطلق يتعرف على دين الله .. ويغرق فى عبادته لربه .. ويقاتل المشركين فى عنف لم يشهدوه من قبل ، وكأنه يثأر لمواقفه الاولى معهم .. وكأنه يريد تعويض سنوات عمره التى قضاها بعيدا عن الاسلام ..

ومن بعد اسلامه .. لم تحدث موقعة الا وكان فيها عبد الرحمن .. ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا الا وكان هو فى الصفوف الاولى مستمعا .

وأصبح مكان عبد الرحمن بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مكان .. وأصبح عبد الرحمن أيضا موضع سؤال دائم من النبى صلوات الله عليه .. وكم دار بينهما من أحاديث طويلة ..

وانتقل النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عن عبد الرحمن .

وعاش مع أبيه حروب الردة .. فى عنفوانها ..

وشاءت ارادة الله ان يكون السيف البتار على المرتدين هو عبد الرحمن بن أبى بكر .. حتى هابه كل خصوم الاسلام .. وكل المرتدين .. بعد الذى رأوه من شجاعته فى قتالهم .. ومن شجاعته فى جدالهم .. كان قويا هنا .. وشجاعا مقنعا هناك ..

وبلغ عبد الرحمن أوج مجده البطولى .. يوم حرب اليمامة .. فقد كان يصرخ فى جيش المسلمين يطلب منهم الثبات فيطرد التردد من نفوسهم .. ويحولهم الى أسود تهز الارض تحت أقدام المرتدين .. ووضع عينيه على محكم بن الطفيل .. العقل المفكر .. والساعد الايمن لليمامة .. ومن بعده تسقط كل دعاوى المرتدين .. ولم يتركه الا وقد أجهز عليه .. وحطم قواته التى كانت تحمى أهم منافذ حصن جيش المرتدين .. وبعدها اندفع جيش المسلمين الى داخل الحصن ، وانتهت خرافة اليمامة .. وتبددت قواتها ..

وبعد أبى بكر ..

ومع عمر وعثمان وعلى ..

كان عبد الرحمن نعم العون .. ونعم الناصح .. ولم يقف فى المدينة يتحدث عن أمجاد أبيه .. ويعدد مواقفه .. وانما كان موقعه حيث يكون جيش المسلمين .. يفتح أرضا جديدة للاسلام .. فشهد مواقع كثيرة .. مجاهدا .. داعيا الى الله ورسوله .. رافضا كل جاه دنيوى .. عابدا .. معلما ..

وانتهت حياة ابن الصديق ، الذى دخل الى الاسلام فى رجولة الابطال .. وغادر الحياة فى عظمة الرجال ..

البنك الأهلي المصري

يضع أوعيته الادخارية في خدمتكم

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ½ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار
بأنواعها الثلاثة

• ذات القيمة المتزايدة مجموعة "أ" • ذات العائد الجاري مجموعة "ب" • ذات الجوائز مجموعة "ج"

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويا

بنك المدرسة
لطلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما

البنك الأهلي المصري

٧٢ عاما خبرة فى خدمة الاعمال المصرفية

موسى ابن نصير

فاتح الأندلس

الأستاذ حسن فتح الباب

لا جدال فى أن التاريخ هو الوعاء الذى تتجسد فيه روح الامة ، ومن ثم فهو أحد المقومات الاساسية فى بقائها واستمرارها ونموها . ولا يتصور وجود أمة تشعر بذاتها وتعرف نفسها الا اذا كانت حافظة لتاريخها واعية لماضيها ، متذكرة لاولياتها ومبادئها ، مقيدة لوقائعها ، حاشدة لامجادها ، خازنة لادابها ، مما لا يقوم به الا علم التاريخ الذى يصل الماضى بالمستقبل ، ويربط بين الامس واليوم . ولذلك ، أجمع المفكرون والعلماء على أن التراث ــ مثله فى ذلك كاللغة ــ من العناصر الاولية التى تتكون منها القومية . والتاريخ المشترك هو الزناد الذى يقدح روح الامة ويحفزها الى الدفاع عن حياضها والذود عن مقدساتها .

ظاهرة تاريخية فى حياة امتنا :

ومن الظواهر التاريخية التى دل عليها استقراء احوال الامم والشعوب عبر الازمنة المتعاقبة أن الامة الاصيلة اذا اصيبت بمحنة من المحن برز من بين ابنائها المخلصين قادة ومصلحون ، فاستنهضوا الهمم وذكروا الشعب بأمجاده الماضية ، ومآثره السالفة ، وتغنوا بما حققه الاسلاف من انتصارات على اعدائهم . وسرعان ما تدب الحمية فى العروق ، وتغتلى الصدور بالرغبة فى استعادة المجد التليد ، وتتدافع الصفوف متراصة حول هدف واحد ، ذلك هو استعادة المفقود والقضاء على المعوقات والنهوض من وهدة الحاضر الى ذرى المستقبل . والنصر لا محالة هو نهاية المطاف لمثل هذه الامة ذات الاصول التاريخية العريقة .

وتصدق هذه الظاهرة بصورة متميزة على تاريخ الامة العربية كما يشهد أصدقاؤها واعداؤها على السواء . فهى الامة التى قهرت المغول والتتار والصليبيين والمستعمرين الاوربيين ، والتى وحدت صفوفها كلما ألم بها خطر او نزلت بساحتها نازلة ، فصمدت واستبسلت فى الدرء عن حماها ، حتى كتب لها الخلاص ونصرها الله نصرا عزيزا .

حاجاتنا المتزايدة الى مراجعة تراثنا :

وما اجدرنا فى ظل تلك المرحلة المصيرية التى تجتازها امتنا العربية فى الوقت الراهن ان نقلب صفحات تاريخنا ونتأمل ما تحفل به من وقائع واحداث تؤكد الظاهرة التى أشرنا اليها ، وتدعم ثقتنا بانفسنا وايماننا بحتمية انتصارنا تحت راية الاسلام والعروبة . وليس ثمة طريق يحقق تلك الغاية مثل استقراء حياة أبطال العرب الذين حملوا ارواحهم على أكفهم ومضوا يستهينون بالموت جهادا فى سبيل الله ورفعا لالوية الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ، فهم الاسوة الحسنة التى يقتدى بها جنودنا فى معترك الصراع ضد اعداء الدين واعداء الانسانية ، وهم المصابيح التى تضىء لنا الطريق فى مسيرتنا الشاقة لتحقيق أهدافنا .

أمجادنا فى الاندلس وأوربة :

وان من أمجد ماضى العرب وألمع ما لمعت فيه سيوفهم المواضى ذلك الدور الذى كان لهم فى القارة الاوربية وفتوحاتها فى الاندلس وفى فرنسا وايطاليا وسويسرة وجزائر البحر الابيض المتوسط التى رفعوا فوقها اعلامهم حقبا طويلة ، واثروا فيها آثارا خالدة على الزمان ، دالة على ما أوتوه من علو الهمم ومضاء العزائم ، وما كان غالبا على اخلاقهم يومئذ من استصغار المعظائم . فلا غرو ان يدعو الداعون الان الى التنقيب عن تلك الاثار لاخذ العبرة منها . فليست هى الاية الناطقة والبينة القاطعة على مجدنا الماضى وقدراتنا فى سالف الحقب فحسب، بل هى الحجة الملزمة والاية المعجزة المفحمة على جدراتنا باحراز النصر على العدو .

ما أصدق الرؤيا

ويقترن تاريخ الفتوحات الاسلامية فى الاندلس وجنوبى فرنسا بذكر قواد ثلاثة من اعظم من انجبت الامة العربية بسالة واقداما وتضحية فى سبيل نشر الاسلام وهم موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وعبد الرحمن الداخل ، أولئك الابطال الذين تحققت على أيديهم وبسيوفهم رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف « ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها » .

مولد مناضل عظيم

وقد ولد موسى بن نصير اللخمى المكنى بابى عبد الرحمن فى سنة ١٩ للهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ويقول عنه المؤرخ ابن خلكان انه كان عاقلا كريما شجاعا تقيا وكان من التابعين ونشأ منذ نعومة اظفاره على النجدة والبسالة وايثار الجهاد حبا فى نشر عقيدة التوحيد . وقد ولاه الخليفة الاموى بن عبد الملك بن مروان على افريقية سنة ٨٩ هـ — مما يدل على انه كان يحتفظ بمقوماته الجسمية والنفسية والعقلية فى هذه المرحلة المتقدمة من السن ، ويؤكد انه كان نمطا فريدا فى الرجال ، اذ يندر ان يتقلد رجل فى سن السبعين منصب الولاية ، فينهض بمسئولياته على أوفى ما يكون الواجب ، وينجح فى مهمته كما نجح موسى ، ولا سيما أن الوالى فى عهد الدولة الاسلامية كان قائدا وسياسيا فى آن واحد ، كما يزيد من أعباء المنصب الذى عهد به الى هذا القائد الفذ انه كان فى ابان الفتوحات الاولى الافريقية ، مما كان يقتضى مضاعفة الجهود لاقرار الامن والنظام ، والتمكين للدولة الاسلامية فى ربوع تلك الاصقاع المترامية القصية .

وحدة وولاء بعد فرقة وعداء

ذلك انه كان يسكن جبال الاطلس فى شمالى افريقية قبائل البربر التى اشتهرت بصعوبة المراس وبحب الحرية والاستقلال وقاتلت القرطاجنيين والرومانيين من دونهما . وكان لهم لسان خاص بهم . ومنهم من كان يتكلم بلغة تقرب من العبرية والعربية والفينيقية . وسواء كان هؤلاء البربر بقايا شعوب جاءت من أرض كنعان وفينيقية أو كانوا قد رحلوا من اليمن فرارا من وجه الاحابيش الذين كانوا قد استولوا على بلاد اليمن، فهذا التشابه فى اللغة كان عاملا كبيرا فى استقرار دولة العرب فى افريقيا . وأعان البربر العرب فى فتوحاتهم ومغازيهم . وأضف الى ذلك كون العرب والبربر متشابهين ايضا فى بساطة الحياة التى تتمثل فى البداوة وسكنى الوبر وشظف العيش وقوة الاحتمال وشدة البأس وصعوبة المراس والاستبسال فى القتال .

وبرغم هذا التشابه فى بعض الخصائص والسمات بين العرب والبربر فقد تشبث البربر بمعاقلهم فى الجبال لفرط حرصهم على الاستقلال ، ولم يستطع العرب اخضاعهم الا بعد حروب شديدة خاضها الفاتحون الاوائل بقيادة موسى بن نصير . وانما انتجت تلك السمات المتشابهة آثارها فى صالح العرب بعد أن استقر لهم الامر بالمغرب .

وأول الغيث قطر

وقد بدأت فتوح المسلمين فى شمال افريقيا بعد أن تم لهم فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقيادة عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ — ٦٤١م . وفى هذه السنة نفسها وجه عمرو جزءا من جيشه لفتح اقليم برقة ثم فتح طرابلس سنة ٢٢ هـ ٦٤٢ م ، وكانت مصر وبرقة وطرابلس تحت حكم الدولة البيزنطية « الدولة الرومانية الشرقية » التى كان مذهبها المسيحى يخالف المذهب الذى اعتنقه أهل مصر مما كان سببا فى اضطهاد الرومان للمصريين اشد اضطهاد . وبانتصار العرب أمن عمرو حدود مصر من ناحية المغرب بعد أن آمنها من ناحية الجنوب بالقضاء على مراكز المقاومة فى الوجه القبلى حتى بلاد النوبة .

من المغرب الادنى الى المغرب الاقصى

وفى عهد عثمان بن عفان حاول الروم غزو مصر فصدهم واليها عبد الله بن سعد واستمر فى مطاردتهم متوسعا فى الفتح ناحية المغرب حتى وصل الى قرطاجنة [قرب تونس الحالية] . ثم كان عصر معاوية بن أبى سفيان منشىء الدولة الاموية وكان المسلمون يتطلعون الى طرد البيزنطيين من بقية شمالى افريقيا فغزا عقبة بن نافع هذه البلاد سنة ٥٠هـ وسار بجيشه غربا حتى وصل الى المغرب الاقصى . ولكنه لاقى مقاومة شديدة ساعد عليها سهولة وصول الامدادات البيزنطية الى تلك المنطقة ووعورة تضاريسها وبعد قواعد الامداد العربية فى مصر فارتد الجيش الفاتح الى برقة . بيد أن الجيش الاسلامى استطاع فى عام ٧٩هـ فى عهد عبد الملك بن مروان ان يقضى نهائيا على الحكم البيزنطى فى المغرب الادنى « تونس » و « المغرب الاوسط » « الجزائر » .

موسى بن نصير واليا على افريقيا

ويتولى بطلنا موسى بن نصير حكم شمالى افريقيا — كما تقدم — من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فيغزو المغرب الاقصى حتى يصل الى شاطىء المحيط الاطلسى متما فتح شمالى افريقيا بعد جهود جبارة بذلها فى اخضاع البربر سكان البلاد الذين بدأوا بعد الفتح يدخلون فى الاسلام وحسن اسلامهم . واصبحوا عنصرا فعالا فى الدولة الاسلامية ، وشاركوا فى فتح الاندلس . وآية ذلك ان موسى بن نصير قد استعمل مولاه طارق ابن زياد البربرى على طنجة وترك عنده ١٩ الف فارس من البربر كاملى المعدات : وترك موسى عندهم بعض العرب لتعليمهم القرآن وفرائض الاسلام ، ثم عاد موسى الى افريقيا [تونس] تاركا مقاليد الامور فى المغرب الاقصى الى طارق .

ودارت الدائرة على بيزنطه :

واستأذن موسى الخليفة الوليد فى فتح الاندلس « شبه جزيرة ايبريا الان وهى تتألف من اسبانيا والبرتغال» بعد ان اطاعته كل بلاد المغرب وصارت للمسلمين بها دولة يرأسها وال — يطلق عليه لقب أمير — من قبل الخليفة فى دمشق . وكانت الاندلس تحت حكم القوط الغربيين ويتبعها بعض المقاطعات الفرنسية . وكانت حافلة بالحواضر العامرة الزاهرة . بيد أن عوامل الضعف والاضمحلال كانت تدب فى احشائها بسبب تذمر الاهلين وسخطهم على الحكام من جراء فرض الضرائب الباهظة والاضطهاد الدينى مما نجم عنه سوء الاحوال واضطرام النفوس بروح الانتقاض والثورة ، ولا سيما بعد أن استشرى الترف وتغلغل فساد الاخلاق فى كيان النظام القائم .

وما أن اذن الخليفة لموسى بن نصير بالغزو حتى انفذ حملة حربية بحرية من البربر بقيادة ابى زرعة طريف بن مالك النخعى للاستيلاء على جنوبى الاندلس ، فاجتاز المضيق المائى الفاصل

بين المغرب الاقصى واسبانيا ، ولم يجد مقاومة تذكر ، وكان ذلك فى عام ٩١ هـ — ٧١٠م .

موقعة شريش

واشتد بذلك عزم موسى بن نصير ، فأرسل طارق بن زياد فى العام التالى على رأس جيش من البربر بلغت عدته اثنى عشر ألف مقاتل كان اكثرهم من البربر الاشداء ، فنزل بهم طارق على الشاطىء الاوربى عند الصخرة التى عرفت باسمه فيما بعد « جبل طارق » ودارت المعركة التى سميت موقعة شريش سنة ٩٢ هـ — ٧١١ م بين الجانبين ، وهزم طارق بهذا الجيش المحدود العدد والعدة جيش القوط كله بقيادة لذريق الذى قتل فى المعركة . وقد أثر عن طارق انه امر باحراق اسطوله بعد ان وطىء ثرى الاندلس وقال لجنوده قولته المشهورة : البحر وراءكم والعدو امامكم . فاستماتوا فى القتال ، تحفزهم روح الجهاد فى سبيل نشر رسالة الاسلام فى اوربا ، وكان نصر الله لهم عظيما . وفى أقل من سنة تم لطارق فتح غرناطة وقرطبة ثم طليطلة عاصمة القوط .

موقف بطولى فذ

ويسجل التاريخ هنا لموسى بن نصير موقفا بطوليا من أعظم المواقف فى تاريخ القادة والفدائيين ، فلقد ثارت حميته — وهو الشيخ الطاعن فى السن الذى نيف على السبعين — فأعد جيشا من العرب والبربر وقد ضم هذا الجيش نفرا من التابعين وابناء الصحابة منهم على بن رباح اللخمى ، وحيوة بن رجاء التميمى ، وحنش الصنعانى ، وانتحى موسى طريقا غير الطريق التى سلكها عامله طارق ، وفتح بلدانا اخرى مثل ماردة وسرقسطة . وكان أكثر جنده من الفرسان. وسار موسى غازيا فى أسبانيا ، محققا نصرا بعد نصر كأنه شاب فى ريعان العمر اذ كانت له — كما سجل المؤرخون — همة تتوقد نارها لم يفتر منها شىء فمثله كالسيف يزيده العقل حدة ومضاء .

بحر عربى متوسط :

وقد ذكر المؤرخون العرب فى سردهم لانباء الفتوحات الاسلامية فى أوربا ان موسى كان يقصد فى مغازيه العودة الى دمشق عاصمة الخلافة عن طريق المانيا مارا بالقسطنطينية وبآسيا الصغرى، بحيث يصبح البحر الابيض كله بحرا متوسطا للامبراطورية الاسلامية ، يخدم مواصلات بعضها مع بعض ، مما ينبىء عما اتسمت به شخصية هذا القائد العبقرى من طموح لا يقف عند حد .

ويقول المقرى فى هذا الصدد كما دون فى كتابه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب أن موسى بن نصير « كان يؤمل أن يخترق ما بقى عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة — فرنسا وايطاليا كما كان يطلق عليهما وكانا اقليما واحدا — حتى يتصل بالناس فى الشام ، متخذا مخترقة بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه أهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق واليه على البر لا يركبون بحرا » .

وقد ايد هذه الرواية ابن خلدون بقوله : « نهض موسى بن نصير من القيروان سنة ثلاث وتسعين فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر، فوافوا خليج الزقاق ما بين طنجة والجزائر الخضراء ، فاجاز الى الاندلس ، وتلقاه طارق فانقاد واتبع . ويقال ان موسى لما سار الى الاندلس عبر البحر من ناحية الجبل المنسوب اليه المعروف اليوم بجبل موسى ، وتنكب النزول على جبل طارق ، وتمم الفتح ، وتوغل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة المشرق ، واربونة فى الجوف ، وصنم قادس فى المغرب ، ودوخ اقطارها وجمع غنائمها ، وأجمع أن يأتى المشرق من ناحية القسطنطينية ، ويتجاوز الى الشام دروب الاندلس ، ويخوض اليه ما بينهما من بلاد اعاجم أمم النصرانية مجاهدا فيهم ومستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق .. »

وهبت الرياح

بيد ان رياح التغيير قد هبت فى وجه تطلعات الفاتح العظيم ، فلم يدرك كل ما تمناه ، اذ بينما هو يعد العدة للاستيلاء على آخر معقل فى أسبانيا ثم الولوج الى جنوبى فرنسا — وكان قد زحف على ارضها فى غارات سريعة كخطفة البازى على حد قول المؤرخين ثم عاد ادراجه — حتى أتته رسالة من الخليفة ابن عبد الملك حملها اليه مغيث الرومى يأمره بالكف عن التوغل فى فتوحاته والعودة من حيث أتى . فساءه ذلك وقطع به عن ارادته ، اذ لم يكن فى الاندلس بلد لم تدخله العرب الى وقت ذلك غير جليقية ، فكان شديد الحرص على اقتحامها . غير انه لم يكن ليعصى الامر الصادر اليه من وليه ، فلجأ الى الحيلة ، واسعفته قريحته ، فلاطف رسول الخليفة وسأله امهاله حتى يتاح له انفاذ عزمه فى الدخول الى جليقية . ففعل ومشى معه حتى بلغ المغارة فافتتح حصن « بارو » وحصن « لك » فأقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى على البحر الاخضر فلم يقاوم العدو وجنح للسلم ودفع الجزية واقام الجند الفاتحون حيث نزلوا .

وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا حين استبطأ موسى فى العودة ، وكتب اليه يستدعيه على عجل .

العودة من أشبيليه :

هنالك غلب موسى على أمره وأيقن الا مناص من تنفيذ مشيئة الخليفة ، فغادر مدينة « لك » وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى ، فمضيا ومعهما الرسولان حتى احتلا مدينة اشبيليه مكملين معا فتح شبه جزيرة ايبريا والوصول الى جبال البرنس . واستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس وأمره باتخاذ اشبيلنيه عاصمة له لاتصالها بالبحر . وعاد مبحرا الى المشرق سنة خمس وتسعين وطارق معه وهو متلهف على الجهاد الذى فاته آسف على ما لحقه من الازعاج .

ويعلل ابن خلدون أمر الخليفة الى موسى بالرجوع باشتداد قلقه على المسلمين فى دار الحرب ، وظنه ان طموح موسى فيه اضرار وتغرير بهم ، ومن ثم بعث اليه بالتوبيخ والانصراف ، وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع موسى ، وكتب له بذلك عهده . ففت ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن انزل المرابطة والحامية فى ثغورها.واستعمل ابنه عبد العزيز لسدها وجهاد عدوها وانزله بقرطبة فاتخذها دار امارة . ونزل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين ، وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها ، بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال ، وولى على افريقيا ابنه عبد الله . واندرجت ولاية الاندلس يومئذ فى ولاية المغرب ، فكان صاحب القيروان ناظرا فى الجميع .

خضها بالسرايا حتى ترى :

وينحو المؤرخ العربى الامير شكيب ارسلان منحى ابن خلدون فى تعليل أمر الوليد بن عبد الملك المشار اليه ، اذ يقول ان موسى بن نصير لم يتمكن من تحقيق مقصده العظيم ذلك وهو اختراق أوربا من المغرب الى الشرق والنفوذ الى دمشق عن طريق القسطنطينية بسبب الحاح الخليفة عليه فى القدوم الى دمشق ليقف منه على حقيقة خبر الاندلس وافرنجة — فرنسا — ويشافهه فى عمل عظيم كهذا لا تكفى المكاتبة من بعيد فى تدبيره . وقد يكون الوليد خاف على المسلمين ان تأكلهم القاصية او تنزل بهم داهية . والمعروف ان موسى بن نصير حين عزم على غزو الاندلس وكتب الى الوليد يخبره بعزمه ويستأذنه فى انفاذه كان جواب الوليد أن : خضها بالسرايا — الحملات المسلحة — حتى ترى وتخبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين — الجيش كله — فى بحر شديد الاهوال . فراجعه موسى بأنه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه . فكتب اليه الخليفة : وان كان ، فلابد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه .

فاذا كان الخليفة لم يسمح لموسى بعبور بحر الزقاق وهو خليج ضيق عرضه ١٤ كيلو مترا الا بعد مراجعات متعددة، فكيف يسمح له باختراق اوربا من اسبانيا الى فرنسا الى ايطاليا الى بلاد البلقان الى القسطنطينية الى آسيا الصغرى بدون ان يتروى فى الامر مائة مرة قبل ان يقدم عليه ، فقد كانوا فى اشفاق دائم على جيوش المسلمين ان ينقطعوا عن مركز الخلافة وتحل بهم نائبة .

ولقد امتلأت الاندلس بالمسلمين فيما بعد ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لايزال يفكر فى اخراج المسلمين منها واعادتهم الى افريقيا خوفا عليهم لانقطاعها عن بلاد الاسلام . وقد صح خوفه من بعد ثمانمائة سنة . فالخليفة الوليد باستقدامه موسى ابن نصير اليه كان قد وقف المشروع حتى يتروى فيه .

وجاء سليمان بن عبد الملك :

قدم موسى بن نصير على سليمان بن عبد الملك وقد ولى الخلافة بعد وفاة اخيه الوليد سنة ٩٦ هـ فلم يحسن لقاءه وبادره بالسخط . وكان سبب غضبته عليه كما قال ابن خلدون انه لما توجه موسى الى المشرق وانتهى الى مصر وصل اشراقها وفقهاءها، وبلغه الخبر بمرض الوليد ، ووافاه كتابه يستحثه على القدوم ، ووافاه كتاب آخر من سليمان يثبطه ، فأسرع موسى باللحاق بالوليد ، فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة ايام ودفع اليه ما معه من الذخائر والاموال ، فغاظ ذلك سليمان ، وأساء مكافأته حين افضى الامر اليه فنكبه ونكب آل بيته أجمع ، وجازاه على فتوحاته جزاء سنمار .

ولكن آثرت الله عز وجل :

ثم أن يزيد بن المهلب سهر ليلة مع الامير موسى فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، فى كم تعتد أنت وأهل بيتك من الموالى والخدام ، اتكونون فى ألف ؟ فقال نعم وألف ألف . قال : فلم ألقيت بيدك الى التهلكة ؟ افلا أقمت فى قرار عزك وموضع سلطانك ؟ فقال : والله لو أردت ذلك لما نالوا من أطرافى شيئا ، ولكنى آثرت الله عز وجل ولم أر الخروج عن الطاعة .

تلك كانت شيم موسى بن نصير سيف الاسلام فى الاندلس وفخر العروبة فى تاريخها الحافل بالمآثر . ويكفى ان المؤرخين قد اجمعوا على أنه كان مثالا للمؤمن الحق الذى يفخر به الاسلام والمسلمون ، وقدوة للمناضلين والابطال . فهو لا يعد من عظماء رجال الاسلام فحسب بل من اعاظم رجال العالم . ولقد خدم الاسلام أجل خدمة اذ ارتدت البربر اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة — كما يقول الشيخ ابو محمد بن ابى يزيد القيروانى — ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر الى الاندلس واجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد ، فاستقروا هنالك ، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب واذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة وهم الذين عرفوا بشدة البأس وصعوبة المراس وطالما اشعلوا ثورات عاتية . وحسبه — كما يقول شكيب ارسلان — انه دخل الاندلس واتم فتحها وصفى الدولة البيزانطية وهو ابن ٧٥ سنة وكان جميع جيشه هو وطارق لا يزيد على ثلاثين الف مقاتل . ولو ان قائدا معه ثلثمائة الف مقاتل ما احاط بالاندلس واثخن فيها ما احاطه موسى واثخنه فى ذلك الامد القصير بين أمم اعداء تموج حواليه كالابحر الزاخرة . وما رأى الاندلس وحدها كفؤا لهمته بل حدثته نفسه التى قل مثلها فى نفوس البشر ، فى بعد المهمة ، ان يوغل فى ارض الافرنج ويعطف منها الى الشرق حتى ينفذ من القسطنطينية . وفى ذلك يقول : لو اطاعنى عسكرى نفذتهم حتى افتح رومية .

رجل ملا ذكره المشرق والمغرب

وقد ظل موسى أميرا على المغرب والاندلس نحوا من ١٨ سنة ، وكانت وفاته رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين . ومما ذكر فى وفاته انه حج مع الخليفة سليمان فلما وصلا الى المدينة قال موسى لاصحابه : « ليموتن بعد غد رجل ملا ذكره المشرق والمغرب » . وبالفعل كان موسى الرجل الذى ملا اسمه المشرق والمغرب وكان فى الرجولة كالصخرة التى تنحط عنها السيول .

المؤسسة المصرية العامة للمصانع الحربية
وصناعات الطيران

تهنىء الامة العربية والعالم الاسلامى بحلول
عيد الفطر المبارك

أعاده الله على الامة الاسلامية بالخير العميم
والنصر العظيم

ابن سينا وفلسفته
من المفكرين القادة عند العرب

الأستاذ عبد المنعم حمادة

ظهر كثير من رجالات العرب ومفكريهم ، وبرزوا في كثير من العلوم والفنون ، حتى تفوقوا على كثير ممن سبقهم ، ولم يدانهم كثير ممن جاء بعدهم ·· ولقد كان ولا يزال من أبرز هؤلاء العلماء والمفكرين الذين تحدث عنهم التاريخ ، وسوف يتحدث عنهم أجيالا بعد أجيال الشيخ الرئيس ابن سينا ·

لقد اشتهر هذا الفيلسوف العظيم بالرئيس ابن سينا ، وغاب عن كثيرين اسمه الحقيقى الكامل الذى يجب أن يكون محفورافى سجل التاريخ ، والذى يجب أن تدرس حياته وآراؤه وفلسفته وآثاره لجميع الشباب الذين يريدون العلم ويتطلعون الى المعرفة ، ذلك لانه عنوان فخار ، ودليل على أن العرب طرقوا ميادين العلوم والفنون على اختلاف مذاهبها ، وتباين مناهجها ، وتشعب فروعها ،فكانوا فيها جميعا أعلاما ومصابيح أنارت الطريق أمام العالم الغارق فى الظلام ·

فالرئيس ابن سينا هو الشيخ أبو على الحسين بن عبد الله الشهيربابن سينا،الذى لم يستطع المؤرخون تحديد تاريخ مولده ، شأنهم فى ذلك اختلافهم فى تحديد تاريخ ميلاد كثير من النوابغ الذين تنحنى البشرية أمام انتاجهم الغنى الغزير ·· اختلف المؤرخون فى تاريخ مولده فذكر بعضهم أنه ولد فى عام ٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م ،وذهب آخرون الى أن ولادته كانت فى عام ٣٧٥ هـ ـ ومن هؤلاء من قال أنها كانت عام ٣٧٣ هـ ، ويرجح كثيرون التاريخ الاول مستندين فى ذلك الى ما جاء فى كتابات أبو عبيد الجوزجانى ، وهو أحد تلاميذ ابن سينا ، وقد أملى عليه ما لم يكن معروفا من تاريخ نشأته الاولى ·

كان والده رجلا من أهل « بلخ » ، وفى أيام نوح بن منصور أمير بلاد ما وراء النهر ، انتقل الوالد الى « بخارى » ليشتغل بالتصرف ، وتولى العمل فعلا فى أيام هذا الامير فى قرية كبيرة وهامة يقال لها « خرميثن » ·· وكان الى جوار تلك القرية الكبيرة قرية أخرى صغيرة يقال لها « أفشنة » ·· من هذه القرية تزوج أبو الشيخ ابن سينا ، وفيها ولد له الطفل النابغة حيث عاش فيها حياته الاولى حتى انتقل الى بخارى حوالى عام ٣٨٠ هـ ·

وقد جاء فى موسوعة أعلام الفلسفة العربية : « ولد ابن سيناء فى أفشنة ، ، من أعمال خوزستان ، على مقربة من مدينة بخارى ·· ونشأ فى بيت عريق بالتقاليد الفارسية فكرا ودينا وعنصرا ، فقد كان أبوه بلخى المولد ، ومن المشتغلين بالشئون السياسية فى عهد نوح بن منصور ، فانتقل ابنه الى بخارى ، حيث أتيح للفتى الناشىء أن يدرس القرآن وأصول اللغة ، ويتلقى العلوم على أبى بكر الخوارزمى ، ويصغى الى الجدل الذى دار بين الاسماعيلية وأرباب الفكر ، فى المنطق والنفس والفلسفة ، حتى اذا تعهده أبو عبد الله الناتلى استيفاء لعلمه ، أعجبه من تلميذه هذا التنبه السريع الى ادراك المسائل الغامضة فى المنطق والفقه والهندسة ·· أما الطب فقيل أنه حصله على عيسى بن يحيى ، وأتمه على نفسه ، وبرز فيه وما جاوز السابعة عشر » كما سيأتى بالتفصيل ·

ولقد بدت مخايل الذكاءتبدو على ابن سيناء الطفل منذ حداثة سنه ،فما كاد يصل الى بخارى هو وأسرته حتى بدأ فى تلقى العلم على يدى معلم خاص للقرآن ، ومعلم آخر للادب ، وما كاد يكمل العاشرة من عمره حتى كان قدأتى على القرآن وعلى كثير من فروع الادب، وحتى كان مثار العجب لكل من أحاط به أو سمع عنه ·· ولقد صرح هو نفسه بذلك فيما أملاه على تلميذه الجوزجانى من تاريخ حياته الاولى ، وكان ضمن ما قاله فى هذا الشأن وحفظه الجوزجانى وضمه الى كتابه « ابن سينا » : « وكان أبى ممن أجاب داعى المصريين ، ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل الذى يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخى ، وكانا ر بما تذاكرا بينهما ، وأنا أسمع منهما ، وأدرك ما يقولانه ، وابتدآ يدعواننى اليه ، ويجريان على لسانيهما ذكر الفلسفة ، والهندسة ، وحساب الهند ، وأخذ والدى يوجهنى الى رجل كان يبيع البقل ،ويقوم بحساب الهند حتى أتعلم منه » ·

وهنا يجدر بنا أن نشير الى العلوم التى بدأ ابن سينا فى دراستها ، التى أظهرفيها نبوغا أثار الانتباه اليه ، والاعجاب به ، لم تكن هى وحدها علوم

القرآن، والادب، والفلسفة، والهندسة، وحساب الهند، ولكنها تعدتها بعد ذلك الى فروع أخرى كثيرة شملت علوم الفقه التى كان يتلقاها على يد اسماعيل الزاهد، والتى كان من خير السائلين فيها .. ودرس ايساغورى على الناتلى .. ولقد برع وأتى بما لم يأت به غيره عندما أخذ فى تحقيق حد الجنس، حتى أثار اعجاب استاذه، وشد انتباهه الى درجة أن حذر الاستاذ والد ابن سينا من اشتغاله بغير العلم .. ولم يقف تفوقه عند حد الجنس، فما من مسألة عرضها الناتلى الا وكان ابن سينا يتصورها خيرا منه، وشجعه ذلك على قراءة ظواهر المنطق، وأما دقائقه فلم يكن عند الناتلى خيرا مما يعرفه، ولذلك أخذ يقرأ كتبها على نفسه، ويطالع الشروح ويتعمق فى معرفة ما تقصد اليه حتى أحكم علم المنطق بكل نواحيه .. وحينما اطمأن الى ذلك انتقل الى كتاب اقليدس حيث قرأ على استاذه خمسة أبواب أو ستة منه، ثم قرأ الباقى وحده قراءة متعمق، فاحص لا يترك صغيرة ولا كبيرة دون أن يراجع نفسه فيها، ويعرف ظاهرها وباطنها معرفة خبير متيقن مما بين يديه وتحت نظره .

ولم يكتف ابن سينا بما حققه على يدى الناتلى، فهذه النفس التواقة الى العلم، الراغبة فى المعرفة، الطامعة فى بلوغ الغاية، كانت تسعى دائما الى المعرفة، وتحقيق ما يتمناه منهما، فانتقل من أجل ذلك الى كتاب المجسطى الذى ما أن فرغ من مقدماته، وانتقل الى الاشكال الهندسية حتى وجهه الناتلى الى قراءتها وتولى حلها بنفسه ثم عرض ما ينتهى اليه ليبين له الصواب من الخطأ، بل كان كثيرا ما يعرض عليه أشكالا مشكلة لم يكن يعرفها الناتلى نفسه أو يتفهمها الا حين يعرضها عليه .. فلما انتقل الناتلى الى « كركانج »، اشتغل ابن سينا وحده بتحصيل النصوص والشروح من الطبيعى والالهى، وكانت أبواب العلم تفتح أمامه وتسلم أعنتها اليه .

وفى الفترة التى ولد فيها ابن سينا كانت الدولة العباسية تمر بمرحلة انحطاط وتفكك، وظهرت سيطرة الامراء البويهيين على خلفاء بغداد، وكان من نتيجة هذا التدهور والتفكك أن ظهرت فى أيام ابن سينا دويلات كثيرة نذكر منها [الحمدانيين] الذين سيطروا على حلب، (والفاطميين) الذين ظهروا فى شمال أفريقيا وسيطروا على مصر، (والسامانيين) الذين ملكوا بلاد فارس وجعلوا بخارى عاصمة لهم، ثم جاء بعدهم (الغزنويون) الذين انتزعوا السلطة من بنى بويه واستولوا كذلك على بلاد الرى واصبهان .. وعلى الرغم مما أصاب الدولة العباسية من انهاك لقواها، وعلى الرغم مما أحاط بها من تفكك، فقد ظهر فيها طبقة من العلماء والفلاسفة الذين لا يزال التاريخ حتى اليوم يتحدث عنهم وعن آثارهم، وعما قدموه للعالم من علم ومعرفة .

وتميز العصر الذى سبق ابن سينا مباشرة بالترجمة والنقل، فبرز فى الفلسفة الكندى، والفارابى، واخوان الصفا، وكلهم ممن أنشأوا المدرسة الكلامية، وكانوا فى هذه الناحية أنموذجا لمن جاء بعدهم .. وظهر فى الطب نجم أبى الفضل الرازى .. ولمع فى الفلك والرياضيات البنانى والخوارزمى .. وفى العام الذى ولد فيه ابن سينا أنشأ البغدادى البيمارستان، وكان الازهر قد أقيم قبل ذلك بقليل .. ولا عجب أن تقرأ لابن سيناء شعرا، فقد عاصر الفردوسى المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ، وهو من شعراء الفرس، وأبا العلاء المعرى المتوفى سنة ١٠٥٨ هـ، والشريف الرضى المتوفى سنة ١٠١٦ هـ .. لقد استوعب من هؤلاء جميعا، ثم اتسع أفق تفكيره، وضرب فى مختلف العلوم والفنون بسهم وافر قل أن يتاح لغيره، فقد عاصر البيرونى المتوفى سنة ١٠٨٤ هـ وهو واحد من المفكرين العلماء الذين دارت بين ابن سينا وبينهم مراسلات استفاد منها كل من الطرفين .. والهمذانى الاديب اللغوى الذى توفى سنة ١٠٠٧ هـ، وغير هؤلاء وهؤلاء ممن أقاموا مدرسة علمية فلسفية أصبحت دراساتها وأبحاثها مرجعا لجميع المشتغلين بمثل هذه العلوم والمعارف .

وبرز ابن سينا الى جانب هذا كله فى علم الطب الذى انقاد له بسهولة فعلم منه ما يريد فى مدة قصيرة، ويقول هو عن نفسه فى هذا الشأن : «ثم رغبت فى علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أننى برزت فيه فى أقل مدة .. وتعهدت المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأنظر فيه وأنا فى هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة» .

وحانت له فرصة الاطلاع على جميع ما فى مكتبة الاميرنوح بن منصور سلطان بخارى من مصنفات وعرف مرتبة كل رجل فى علمه، ويقول فى وصف حالة دار الكتب وما استفاده منها : « فرأيت دار الكتب ذات بيوت كثيرة، فى كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على البعض، فى بيت كتب العربية والشعر، وفى آخر الفقه، وكذلك فى كل بيت علم مفرد، وطالعت فهرست كتب الاوائل، وطلبت ما احتجت اليه، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط، وما رايته قبل، ولا رأيته أيضا من بعد، فقرأت تلك الكتب، وظفرت بفوائدها، وعرفت مرتبة كل رجل فى علمه ..

« فلما بلغت ثمانى عشرة سنة من عمرى، فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت اذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معى أنضج، والا فالعلم واحد لم يتجدد لى بعده شىء » .

والمتأمل فيما يقوله ابن سينا يدرك الى أى حد بلغ نبوغه الامر الذى يجعلنا نقف خاشعى الرأس احتراما وتقديرا لهذا الفيلسوف العربى المتمكن من قدرته، فقد مات والده، واعترضته بعض الصعاب، فكانت حياته تبدو حينا مظلمة قاتمة، وحينا تبدو مشرقة ضاحكة، ومع ذلك فقد كان فى كلتا الحالتين مكبا على طلب العلم، وعلى الاستزادة منه،

لا تزعجه الحالة الاولى فتثبط همته ، ولا تشغله الثانية فتبعد به عنه .

ولم يقتصر اشتغال ابن سينا على علوم القرآن ، والادب ، والفلسفة ، والهندسة ، والحساب ، والرياضيات ، والكيمياء ، والطب ، بل تعداها الى الاشتغال بالسياسة ، فقد عالج شمس الدولة أمير همذان ، ونجح فى شفائه من القولنج الذى أصابه وأعيا غيره من المعالجين ، قربه الامير اليه واستوزره ، ولكنه سرعان ما غضب عليه ونفاه ، ثم عاد فرضى عنه واستوزره مرة ثانية ، وبقى ابن سينا يؤازر الامير ويعاونه حتى توفى هذا الامير ، ولما أراد خلفه أن يلحقه ببلاطه أبى وتمنع ، فسجن فى قلعة « فردجان » التى دخلها وهو يعلم الحال التى كان عليها يوم دخل ،ولكنه لا يعلم متى وعلى أى حال سوف يكون خروجه ، وله فى ذلك بيت من الشعر يقول فيه :

دخولى باليقين كما تراه

وكل الشك فى أمر الخروج

ولم يطق ابن سينا حياة السجن ، فهرب الى أصفهان ومعه تلميذه وصديقه الجوزجانى وأخ له ، وهناك أصيب بمرض القولنج الذى يئس من معالجته ومن شفائه فانصرف الى قراءة القرآن .

لقد كان ابن سينا شديدا على نفسه فى طلب العلم ، حريصا على ألا يضيع وقته فى شىء آخر غير تحصيل كل جديد فيه ، لقد كان تواقا الى أن يجمع الى علم تعلمه علما آخر لم يكن قد وقف عليه بعد ، ولن نستطيع أن نصف هذه الشدة التى عالج بها نفسه ، وهذا الحرص الذى أخذها به ، وهذه الرغبة التى سايرها طواعية واختيارا بأكثر مما قاله هو نفسه ، فقد جاء عنه قوله : « ثم توفرت على القراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق ، وجميع أجزاء الفلسفة ، وفى هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت فى النهار بغيره ، وكلما كنت أتحير فى مسألة ، أو لم أكن أظفر بالحد الاوسط فى القياس ، ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لى المغلق منه ، ويسر المتعسر ، وكنت أرجع فى الليل الى دارى ، وأضع السراج بين يدى ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، فمهما غلبنى النوم ، أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الى قوتى ، ثم ارجع الى القراءة ومتى أخذنى أدنى نوم أحلم بتلك المسألة بعينها ، حتى ان كثيرا من المسائل اتضح لى وجوهها فى المنام .

ولقد كان من نتيجة هذا الجهد الذى كان يبذله ، وهذا الاصرار على تحصيل العلوم ، ذلك الاصرار الذى لم تفتر قوته .. وكان نتيجة لهذه العزيمة الصادقة لتحقيق ما تهفو اليه نفسه أن وصل الى ما يريد ونال ما يبغى ، ويقول فى ذلك : « ولم أزل كذلك حتى استحكم معى جميع العلوم ، ووقفت اليها بحسب الامكان الانسانى ، وكل ما علمته فى ذلك الوقت فهو كما علمته الان لم أزدد فيه الى اليوم ، حتى أحكمت علم المنطق والطبيعى والرياضى ..

« ثم عدت الى العلم الالهى ، قرأت كتاب ما بعد الطبيعة ، فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة ، وصار لى محفوظا ، وانا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسى ، وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه ، واذا انا فى يوم من الايام حضرت وقت العصر فى الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادى عليه ، فعرضه على فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة فى هذا العلم ، فقال لى : اشتر منى هذا فانه رخيص ابيعكه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب لابى نصر الفارابى فى أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ، فرجعت الى بيتى وأسرعت الى قراءته ، فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب انه قد صار لى عن ظهر قلب ، وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يوم بشىء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى » .

وليس من شك فى أن صاحب مثل هذه النفس الطموحة لا ييأس حتى يبلغ الغاية ، وطالب العلم لا يستنكف من الاطلاع عليه فى أى كتاب تقع عليه يداه ، فقد يكون فى هذا الكتاب الذى يزدريه ، أو يستصغر شأنه ، أو يتضاءل فى اعتقاده ثمنه ، قد يكون فى مثل هذا الكتاب مفتاح الطريق الى ما يريد أن يصل اليه ، وقد يكون فيه الحل لمشكلة طال فيها تفكيره ، وقد يكون فيه رأى جديد يستنبطه ، ويقول الجوزجانى :

« **وكان من عجائب أمر الشيخ انى صحبته وخدمته خمسا وعشرين سنة ، فما رأيته ، اذا وقع له كتاب مجدد ، ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه ، والمسائل المشكلة ، فينظر ما قاله مصنفه فيه ، فيتبين مرتبته فى العلم ، ودرجته فى الفهم** » .

ولقد قلنا من قبل ان الشيخ الرئيس ابن سينا برز فى كثير من العلوم والفنون ، ونال فيها حظا تتضاءل أمامه حظوظ الاخرين ، ولما كان الحديث عن ابن سينا فى كل هذه النواحى فسيحا واسعا من العسير أن نلم به فى عجالة كهذه ، فلا أقل من أن نذكر لمحات مختصرة من فلسفته ، وخاصة فيما يتعلق بالعلم الكلى والعلم الالهى ، فلقد عرف ابن سينا العلم الكلى بانه « **العلم الذى يبحث عن الوجود المطلق** » **وينتهى فى التفصيل الى حيث تبتدىء منه سائر العلوم** الجزئية ، ومن هنا تؤثر فلسفة ابن سينا اتباع الطريقة الاستنتاجية على الطريقة الاستقرائية ، ويقول ابن سينا عن المفهوم من لفظ الوجود :

« **اعلم انه قد يغلب على الاوهام أن الموجود هو المحسوس احساسا ظاهرا أو باطنا كالموهوم أو المتخيل ، وان ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال .. وانت قد يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس فتعلم منه بطلان قول هؤلاء ..** » .

« **فالوجود ، اما أن يكون مجرد ماهية ، واما أن يكون وجودا حاصلا ، والوجود الحاصل له اعتباران :**

— **فاذا اعتبر موجودا بذاته فهو واجب الوجود .**

— **واذا اعتبر موجودا لا بذاته فهو ممكن الوجود .**

« فكل موجود اما واجب الوجود بذاته ، اما ممكن الوجود بذاته » .

ويعطينا ابن سينا فكرة واضحة عن جملة الوجود من حيث الوجود ، وعن مراتب الموجودات ومبادئها الاولى ، وعلاقةبعضهابالبعض الاخر فى قوله : « **ان الواجب الوجود هو الموجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وان الممكن الوجود هو الذى متى فرض غير موجود ، أو موجودا ، لم يعرض منه محال .. فالواجب الوجود هو الضرورى الوجود ، والممكن الوجود هو الذى لا ضرورة فيه بوجه » .**

« وخلاصة القول ، ان فكرة الوجود تشتمل ، اذا اعتبرت من حيثالوجوبوالامكان على انحاء ثلاثة :

ـ الواجب بذاته الذى لا يدخل فيه معنى الامكان ـ وهو الله .

ـ والممكن بذاته الذى لا يدخل فيه معنى الوجوب ـ وهو الموجود بالقوة فحسب .

ـ والواجب بغيره الممكن بذاته ، الذى حصل موجودابالفعل ، ولكن لوجوده علةوسببا من غيره لا من ذاته ـ وهذه هى جملة الكائنات الارضيـة والسماوية » .

وفى اثبات وجود الله يقول الشيخ ابن سينا:

« لا شك ان ههنا وجودا ، وكل وجود فاما واجب واما ممكن ، فان كان واجبا فقد صح وجود الواجب وهو المطلوب ، وان كان ممكنا فانا نوضح ان الممكن ينتهى وجوده الى واجب الوجود ، فالوجود الواجب موجود بالضرورة ، وليس شىء من هذه المحسوسات واجبا بذاته لانها لا تتصف ولا بصفة من صفات الواجب ، كالوحدة والثبوت والكمال والمعقولية .. وليس بعض الممكنات علة لبعضها الاخر على سبيل الدور ، فذلك خلف ، فقد صح اذا ، ان كل جملة كل واحد منها معلول ، فانها تقتضى علة خارجة عن احدها » .

« لم ينكر ابن سينا وجود الشر فى العالم بجعله مجرد نقص وعدم ، وانما جعل الامكان والكثرة مصدرين للشر وجعل الشر داخلا فى القضاء الالهى وهو يبرر رأيه على النحو التالى :

ـ ان عالماليس فيه شر ، وان كان ممكنا بحق الله ، ليس من طبيعة عالمنا هذا .

ـ ان بعض الشرور يمكن أن يكون وسيلة لخير أعظم وأعم .

ـ ان الشر ، وان كان كثيرا ، فهو ليس أكثريا .

ـ عالمنا هذا الذى وجد فيه شر غير أكثرى لا يشكل سوى جزء صغير من الكون بجملته .

ـ جملة الكون يغلب خيره على شره ، ولذلك كان وجوده أفضل من عدم وجوده .

« خلاصة القول : ان ابن سينا يبقى فيلسـوفا تفاؤليا ، وعنده ان العالم وجد على أفضل وجه ممكن » .

وما دام ابن سينا هو فيلسوف النفس الانسانية ، فلابد أن نشير الى بعض آرائه فى هذه الناحية ، فهو يقول عن أهمية دراسة هذه النفس واثبات وجودها بصفة عامة : « من عرف قدر نفسه عرف ربه .. ومن عجز عن معرفة نفسه فاخلق به أن يعجز عن معرفة خالقه » .. وفى ضرورة دراسة النفس يقول : « من رام وصف شىء من الاشياء قبل أن يتقدم فيثبت أولا انيته ، فهو معدود عند الحكماء ممن زاغ من محجة الايضاح » .. ويقول فى تعريف النفس : « انها كمال أول لجسم طبيعى آلى له الحياة بالقوة » .. « ان الشىء الواحد يقالله قوة ،ويقال له صورة ، ويقال له كمال .. فالنفس قوة بالقياس الى فعلها ، وصورة بالقياس الى المادة الممتزجة ـ وان كانت نفسا منطبعة فى مادة ـ وكمال بالقياس الى النوع الحيوانى أو الانسانى .. فاما بحسب جوهرها الذى يخصها ، والذى تفارق به ، فلا نسميها نفسا الا باشتراك الاسم والمجاز ،والاشبه أن يكون اسمها الخاص بها حينئذ : العقل لا النفس » .

« وليس من شك فى أن ابن سينا قد تأثر بكتاب النفس لارسطو ، كما تأثر بمذهبه الاسـماعيلى ، وبالنزعة الافلاطونية الروحانية ، فكانت محـاولته للجمع بين تعريفى ارسطو وافـلاطون للنفس الانسانية » .

وفى رأى ابن سينا ان النفس متفقة فى النوع والمعنى ، وبذلك لا يمكن أن توجد نفس قبل البدن ، ومن قوله فىهذا الشأن : «انالنفسالانسانية متفقة فى النوع والمعنى ، فان وجدت قبل البدن ، فاما أن تكون متكثرة الذوات ، أو تكون ذاتا واحدة ، ومحال أن تكون متكثرةالذوات ، ومحال أن تكون ذاتا واحدة على من يتبين فمحال أن تكون قبل البدن » .. ويقول بشىء من الاستقلال بين وظائف النفس المختلفة ، وينادى بالوحدةالجوهرية للنفس على الرغم من تعدد وظائفها ، فالنفس الناطقة ، اذا اقبلت على العلوم سمى فعلها عقلا ،وسميت بحسبهعقلا نظريا .. واذا اقبلت على قهر القوى الذميمة سمى فعلها عقـلا وسميت بحسبه عقلاعمليا ، وبذلك خالف افلاطون فى هذه القضية ، كماخالفه فى مذهبه التناسخى ، أى فى قوله ان النفس تنتقل من بدن الى بدن .. وقد تستعد القوة النطقية فى بعضالناس .. للالهام والوحى .. وتسمى بحسبه روحا مقدسا » .

ويتحدث ابن سينا عن معادن النفوس ومراتبها فى الحياة الثانية ، فتعرضللاراء المختلفةحول المعادن ، وقرر ان الشريعة تخاطب الناس بالامثلة لقصور افهامهم عن الحقيقة المجردة .

وانتهى المطاف بابن سينا فى نهايته ، فكانت وفاته فى مدينة همذان سنة ٤٢٨ هـ الموافقة لسنة ١٠٣٧ م بعد رحلةقصيرة فى عمر الزمن ، ولكنها غنية بذخائر العلوم والفنون ، ويقول بعض المؤرخين انه مات عن ثلاث وخمسين سنة . ويقول آخرون عن احدى وخمسين ولكنهم اجمعوا على انه كان نابغة عصره فى علمه وذكائه وتصانيفه .

من أبطال الفتوحات الإسلامية

قتيبة بن مسلم الباهلي

الأستاذ ابراهيم الفحام

من أعظم سير البطولة التى يخلدها سجل الامجاد العربية تلك التى تتناول حياة البطل العربى الفاتح ، قتيبة بن مسلم الباهلى .

وقد ولد قتيبة فى سنة ٤٩ هـ . وكان أبوه [مسلم بن عمر بن الحصين الباهلى) مقربا من الخليفة الاموى (يزيد بن معاوية) . وكان من أشهر فرسان العرب . وقد شغف باقتناء الخيل الجياد . وكان من أشهر جياده (الحرون) الذى كان يعد من فحول الخيل التى تضرب بأصالتها الامثال .

وقد نشأ قتيبة فى كنف أبيه نشأة صالحة . وعندما انخرط فى سلك الجندية ، أظهر من الشجاعة والحزم والثبات ، ما أهله لتولي أعباء القيادة فى سن مبكرة . فولي خراسان فى سنة ٨٦ هـ من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى ، وفي زمن الوليد بن عبد الملك . وهو فى السابعة والثلاثين من عمره .

وما أن بلغ تلك الولاية حتى أعاد تنظيم شئونها الادارية والحربية ، وعرض القوات الاسلامية فيها . وأخذ يعدها للتوسع فى الفتوح ، فأحسن تجهيزها ، وتنظيم فرقها ، واختار لها أمهر القادة ، وبث فى نفوس رجاله روح الحمية والاستبسال .

وفى اول لقاء له بجنوده ، خطب فيهم قائلا :

« ان الله قد احلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويذب بكم عن العرمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدو وقما ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) .

ووعد المجاهدين فى سبيله احسن الثواب واعظم الاجر عنده ، ثم أخبر عمن قتل فى سبيله أنه حى مرزو قفقال : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون] فتنجزوا وعد ربكم ، ووطنوا انفسكم على اقصى اثر ، وأمض ألم) .

وعندما اتم (قتيبة) تنظيم جيشه ، جعل مدينة (مرو) قاعدة معسكره . وانطلق بمعظم فرق الجيش الى ما وراء النهر . فما ان علم ملوك تلك المنطقة بمقدمه ، حتى أسرع بعضهم لتقديم فروض الطاعة والولاء ، بينما صمم البعض الاخر على القتال .

وكان ممن سارعو الى مهادنته ملك [الصغانيان] وطلب اليه ان يحتل بلاده ، لحمايته من الغزوات التى كانت تشنها على بلاده مملكتا (أخرون) و(سومان) .

وما ان احتل [قتيبة] مملكة الصغانيان] حتى بدأ يزحف دون مهل الى المملكتين الاخريين ، فبادر اهلها الى مسالمته ، وصالحوه على اداء الجزية .

ثم عاد (قتيبة) الى (مرو) لتنظيم جيشه ، وبعث باخيه (صالح) على رأس بعض قواته ، ففتح بعض الاقاليم ومنها (كاشان) و(أورشت) و(أخسيكث) .

وترامى صيت (قتيبة) الى الممالك النائية ، فتصالح معه ملك (سومان) وملك (باذغيسى) ثم زحف على رأس جيشه الى (بيكنداد) فاستغاث أهلها بأبناء الممالك المجاورة ، فخفوا لاغاثتهم فى جموع كثيفة .

ولما تكاثروا أقاموا حول جيشه حصارا محكما ، حتى انقطعت اخباره عن بلادالمسلمين ، طوال شهرين ، الا انه ظل خلال الحصار يهلك قوى اعدائه ، بمناوشاته المتتالية ، ثم حمل عليهم حملة صادقة : فاخترق صفوفهم ، واثخن فيهم ، واضطرهم لطلب الصلح : والاعتراف بالسيادة الاسلامية على بلادهم ، ونصب عليهم عاملا من قبله .

ولم يكد يبتعد عنبلادهمقليلا ، حتى شقوا عليه عصا الطاعة ، وقتلوا عامله ، فعاد اليهم وهاجم عاصمتهم ، فهدم اسوارها ، وقضى على المقاتلين من جندهاجميعا ،جزاء غدرهم ، وغنم كل ما فيها من التحف والسلاح .

وبعد أن استراح بجيشه قليلا ، زحف بجيشه الى (نومكثت) فصالحه اهلها على الجزية ، ثم قصد [رامسة] فصالحه اهلها على مثل ذلك .

ولما أحس أبناء باقى الممالك بذلك الخطر الزاحف ، أجمعوا كلمتهم على التصدى للجيش الاسلامى ، فتقاطرت جيوشهم من كل مكان ، حتى اجتمع منهم نحو ٢٠٠ الف جندى تحت قيادة الملك (كور العابور) ابن أخت ملك الصين .

وما أن التقى الجمعان حتى دارت بينهما معارك طاحنة ، يشيب من هولها الولدان : الا أنها انتهت بانتصار الجيش الاسلامى على أعدائه انتصارا ساحقا .

وتوالت انتصارات قتيبة ، وسقطت فى قبضته الممالك تلو الممالك ، والمدن بعد المدن ، ودان له بعضها صلحا ، والبعض الاخر بحد السيف .

وحدث أن تحالفت بعض الممالك مثل) القالقان) و(القاربات) و(الجوزجان) و (بلخ) و(شومان) على محاربته ، فجمع ملوكها جيوشا جرارة ، واستعدوا للقائه . فأحس (قتيبة) بالخطر الداهم ، واستقدم بعض الجنود المرابطين فى [نيسابور] وغيرها .

وعملا بقاعدة « الهجوم خير وسيلة للدفاع » تقدم (قتيبة) نحو مملكة (الطالقان) فتحها وأثخن فى أهلها ، ثم استخلف عليها أخاه (محمد بن مسلم) وسار هو الى (القاربات) فخشى ملكها أن يحل بمملكته ما حل بمملكة (الطالقان) فاعلن الاستسلام ، وعين (قتيبة) أحد رجاله واليا على بلاده .

ثم تقدم بجيشه الى (الجوزجان) فأعلن أهلها الطاعة ، برغم ملكهم الذى اضطر للهرب ، فعين أحد القادة العرب واليا عليها . وعندما تقدم نحو (بلخ) خرج له أهلها وصالحوه على الطاعة .

وتقدم بعد ذلك الى مملكة (شومان) فضرب حصنها بالمجانيق حتى دكه ، وقتل ملكها ، فاحتلها الجيش الاسلامى .

وكان من أهم الحملات التى شنها (قتيبة) فى تلك المناطق ، حملته على بلاد (الصغد) . وقد تصدت له فيها جيوش تفوق جيشه أضعافا مضاعفة .

ودارت معارك طاحنة ، أبلى فيها فرسان المسلمين ورماتهم أحسن البلاء ، واستشهد منهم عدد وفير . الا أنها انتهت أخيرا بالنصر .

وفى سنة ٩٦ هـ تقدم (قتيبة) بجيشه نحو حدود الصين ، بعد أن دان له مادونها من الاقطار ، فأرسل الى ملكها وفدا برياسة (هبيرة بن الشمرج الكلابى) فقال له ملك الصين :

« انصرفوا الى صاحبكم فقولوا له ينصرف . فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، أو ابعث عليكم من يهلككم ويهلكه » .

فقال (هبيرة (: « كيف يكون قليل الاصحاب من أول جيشه فى بلادك ، وآخرها فى منابت الزيتون . وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها ، وغزاك . وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا اجالا اذا حضرت فاكرمها القتل . فلسنا نكرهه ولا نخافه » .

فأجابه ملك الصين « **فما الذى يرضى صاحبك** »

فقال (هبيرة) « **انه قد حلف الا ينصرف حتى يطا أرضكم : ويختم ملوككم ، ويأخذ الجزية .**

فقال الملك « **فانا نخرجه من يمينه ، فنبعث اليه بتراب من تراب ارضنا فيطؤه نبعث بعض ابنائنا فيختمهم : ونبعث اليه بجزية يرضاها** » .

ثم دعا بصحاف من ذهب فيه اتراب ، وبعث بحرير وذهب ، وأربعة غلمان من ابناء الملوك ، ثم اجاز الوفد ، فساروا حتى قدموا على (قتيبة) فقبل الجزية ، وختم الغلمان وردهم ، ووطأ التراب ثم عاد الى [مرو] .

وقد انتهت حياة (قتيبة) بخاتمة أليمة ، اذ قتل غدرا على أيدى بعضجنودهالناقمين فى ذلك العام ، ولم يكد يتجاوز السابعة والاربعين من عمره .

أبو العبّاس القلقشندى

الدكتور عبده بدوى

حين نذكر « الموسوعات » التى تغمر العالم ، والتى تعتبر من الكتب الاولى الضرورية التى لا يستغنى عنها « الانسان القارىء »

وحين نذكر ان عددا من الاجانب قد اصدروا عملا هاما هو «دائرة المعارف الاسلامية » .. حين نذكر هذا يجب الا ننوح على أنفسنا ، وألا نسرع فنذكر العقم الكامن فى الخلية العربية ، وأن لا أمل فى شىء ، ذلك لان **التأليف الموسوعى شىء تميزت به الحضارة العربية :وسبقت به غيرها فى الوقت نفسه** ،ولقد وصل هذا النوع الى قمة ازدهار ــ فى أعقاب العصور الوسطى ،وفى تلك الفترات التى قست فيها الحياة على الحضارة العربية ،وبدأت توجه اليها الضربات واحدة بعد الاخرى ، ومن هنا كانت تلك الالتفاتة الذكية من عدد من المثقفين المسلمين ،فقد قام فى أنفسهم أنه لابد لهم من الحفاظ على هذا البناء الحضارى الذى أخذ يحاصر ، ولما كانوا لا يملكون الا الكلمة عكفوا على تدوين كل ما أثمر العقل العربى ، وكل ما تدفق به الوجدان العربى ، وفى ضوء هذا لم تسقط الحضارة العربية من داخل الكلمة حتى بعد ان تداعت ثم سقطت على أيدى كثير من اعدائها .

.. ولقد عاش فى فترة الازدهار الموسوعى (القرن الثامن ، والتاسع الهجرى ابو العباس احمد بن على بن احمد بن عبد الله : الملقب بالقلقشندى نسبة الى قلقشندة ، احدى قرى القليوبية

والمولود عام ٧٥٦ هـ ـ ١٣٥٥ م فهو معدى المولد ، عربى الاصول : عكف على ما يعكف عليه المثقفون فى عصره : ورآته القاهرة والاسكندرية ينهل من ينابيع العلم ، ويتفقه بصفة خاصة بمذهب الامام الشافعى : ثم تسنح له الفرصة حين يلتحق بديوان الانشاء عام ٧٩١ هـ ، ولما كان يعرف قيمة هذا الديوان فانه ظل به حتى توفى عام ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م **وقيمة هذا الديوان يوضحها الدكتور أحمد عزت عبد الكريم** فى قوله عنه « كان بمثابة وزارات الخارجية فهو الديوان الكبير الذى ترد اليه جميع المكاتبات الى السلطان من داخل دولته وخارجها ، وتصدر عنه جميع المكاتبات على لسان السلطان الى ملوك الدول وحكامها الذين ربطتهم بسلطنة المماليك علاقات ودية او عدائية » ومعنى هذا أنه كان فى ديوان الانشاء « امينا على اسرار الدولة ، مطلعا على خفايا الارشيف الرسمى الجامع لاسرارها »ومعنى هذا التعرف على ينابيع أخصب موسوعة اسلامية فى هذا السفر الجامع المسمى « صبح الاعشى فى صناعة الانشا » والذى يقوم أساسا على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة يتنقل خلالها بين كل مايهم القارىء المسلم من حديث عن اللغة ، الى حديث عن الدين ، الى حديث عن تقويم البلدان ، الى حديث عن التاريخ الاسلامى ، مع تركيز على « اصول صنعة الكتابة » بحيث يفجر فى القارىء العربى قيمة قومية ، ذلك لانه يقدم له حضارة ذكية متفردة لا يستطيع حين يعيش فيها بعمق أن يجنح نحو الذل الحضارى ، او الاغتراب ، او التوحش ، او النفى ، مما توقعه الحضارات الضاغطة بالانسان .

وعلى كل فهو فى مقدمة هذه الموسوعة يقول « **وكنت فى حدود سنة واحدى وتسعين وسبعمائة.. انشأت مقامة بنيتها على أنه لابد للانسان من حرفة يتعلق بها ، ومعيشة يتمسك بسببها ، وان الكتابة هى الصناعة التى لايليق بطالب العلم من المكاسب سواها، ولا يجوز له العدول عنها الى ما عداها ، وجنحت فيها الى تفضيل** كتابة الانشاء وترجيحها ، وتقديمها على كتابة الامـوال وترشيحها .. **الخ** » . ثم يختم هذا العمل الجليل بقوله : « ..

ورحم الله من وقع فيه على سهو او خطأ فأصلحه عاذرا لا عاذلا ، ومنيلا لا نائلا ! » .

ومن الملاحظ أنه لم يكن مجرد ناقل من هنا وهناك ، ذلك لانه كان يمحص كل ما يصل اليه ، بل كثيرا ما نراه يقسو على الذين لا يتروون ، أو الذين يبدو الغرض فيما يقولون ، على نحو ما نعرف من نقده الشديد لصلاح الصفدى ، ولشريف الادريسى ، وبصفة عامة نجده فى طليعة المؤكدين لما يعرف الان بعلم الوثائق ، ونجده كثيرا ما يتخطى الحادثة الى الدوافع التى وراء الحادثة ، فهو يضع الى جانب بيت المقدس قوله : « .. ان البابا قد استشار الناس ، وأغلق دونهم الكنائس ، ولبس وألبسهم الحداد حتى يستعيدوا بيت المقدس ! » .

• • •

وجهد القلقشندى لا يقف عند هذا العمل الكبير ، وانما يتعداه الى شعر جيد ، والى عدد من المؤلفات منها :

١ ـ قلائد الحجاز فى قبائل العربان . ٢ ـ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر . ٣ ـ الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع . ٤ ـ مآثر الاناقة فى رسوم الخلافة . ٥ ـ نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب

وقد صدق فيه قول صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، فقد قال فيه « شهاب الدين احمد بن على بن أحمد القلقشندى الشافعى ، نزيل القاهرة ، تفقه ومهر ، وتعانى الادب ، وكتب فى الانشاء ، وناب فى الحكم ، وكان يستحضر « الحاوى » وكتب شيئا على « جامع المختصرات » وصنف كتابا حافلا سماه « صبح الاعشى فى معرفة الانشا » وكان مستحضرا لاكثر من ذلك ، وصنف غير ذلك ، وكان مفضالا وقورا فى الدولة » .

• • •

تلك نقاط من الضوء على حيات رجل أحب الثقافة العربية **وطالت قامته** بها ، وحين أحس بهذا الشموخ الانسانى الذى يولده كل من يعرف حضارته حق المعرفة ، ويفهمها حق الفهم .. قدمها من جديد للناس .. قدمها فى باقة رائعة ، ومع انه مضى عليها الكثير الا ان عبيرها العقلى ، وشذاها الوجدانى لا يزال يملأ حياة العرب ، ويجعلها قادرة على التماسك والشموخ ، رغم المحن .. ورغم الظلام ، فمن الصعب لمن يتعمق اثار هذه الحضارة ان يهون ، او يتفتت ، او يصبح ـ تحت سياط الغطرسة والفظاظة ـ خارج حركة التاريخ ، **فى هذه الحضارة جانب غير قابل للذبول ابدا وهو الاستلام : وفى هذه الحضارة التى يشهد على اصالتها صبح الاعشى ـ شىء لا يموت !**

المكتبة الإسلامية

ياولدى هذا عمك جمال

مذكرات الرئيس
أنور السادات

يكشف السيد أنور السادات فى مذكراته عن شخصيه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وموقفه الحازم من بريطانيا ، وأمريكا وقد كان لبريطانيا جهاز مخابرات فى مصر ، وكان متغلغلا فى كل الاوساط

وكانت سمعته أسطورية ٠٠ بمعنى ان مجرد ذكر أسم قلم المخابرات البريطانية ، كان يعنى القوة التى لا قبل لاحد بها ، والمقدرة الخارقة على معرفة ما يجول حتى فى النفوس من قبل ان ينطق به اللسان ٠

وكان الانجليز مغرورين جدا بمخابراتهم ، الى جانب شىء آخر أهم من مخابراتهم وجيوشهم ، وهو ما كان يسمى « بالهيئة البريطانية » ٠

لذلك كانت الضربة مذهلة حينما قامت الثورة ، وليس لدى مخابراتهم علم سابق كما تعودوا فى كل الاحداث ٠

وأكثر من ذلك طعنت هيبتهم فى الصميم من أول لحظة حينما تجاهل القائمون بالثورة بريطانيا ، والسفارة البريطانية تجاهلا تاما ٠٠ وهى السفارة التى كانت منذ ساعات سابقة مصدر السلطات فى مصر ، وسيدة القصر الذى يحكم البلاد ، وقبلة الاحزاب ، ومنتهى أمل القادة والزعماء ٠

وكان هذا التصرف طبيعيا يا بنى ٠٠ بعد كل تلك السنين الطوال من الاحتلال والاذلال ٠

ومن أول يوم كنا نؤمن يا بنى بالصداقة ٠٠ ولكن فهمنا للصداقة كان ولا يزال هو صداقة الاحرار لا صداقة العبيد ٠ ومن هذه النقطة بالذات بدأ الخلاف الذى وصل الى حد اعلان الحرب على مصر ، والعدوان عليها بتدبير دنىء فى يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ٠

ويبين أنور السادات الاساليب الملتوية التى كان يتخذها الغرب فى القضاء على الثورة ٠٠ وعلى جمال عبد الناصر ٠٠ والسبب فى ذلك « ان عمك جمال هو عقل الثورة ومدبرها ورائدها » ثم يحلل المراحل التى مرت بها الثورة ، وقد حصرها فى ثمانى مراحل وهى :

المرحلة الاولى : مرحلة الامال

تبدأ مع بدء الثورة وتنتهى بعقد اتفاقية اكتوبر سنة ١٩٥٤ التى نسفتها أول قنبلة سقطت على مصر فى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ٠

المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

وتبدأ من أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وتنتهى فى يناير سنة ١٩٥٥ ٠

المرحلة الثالثة : مرحلة ظهور النوايا

وتبدأ فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ وتنتهى فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ أى يوم أن عقدت صفقة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ٠

المرحلة الرابعة ، مرحلة المساومة ٠

وتبدأ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ وتنتهى فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ أى منذ أن عقدت صفقة الاسلحة المشار اليها الى يوم أن سحبت أمريكا ، والبنك الدولى وبريطانيا مشروع تمويل السد العالى ٠

عرض
فتحي الإبياري

المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة

وتبدأ يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أى يوم ان صدر مرسوم تأميم شركة قناة السويس وتنتهى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ يوم ان بدأت اسرائيل تنفيذ المؤامرة الثلاثية على مصر .

المرحلة السادسة : مرحلة الاذلال بالقوة

وتبدأ يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وهو اليوم الذى ارسلت فيه بريطانيا وفرنسا الى مصر انذارهما الذى وصف فى بريطانيا بانه عمل قذر وتنتهى فى يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وهو يوم وقف اطلاق النار .

المرحلة السابعة : مرحلة الفضيحة الكبرى

وتبدأ يوم ٧ نوفمبر وهو اليوم التالى لوقف اطلاق النار وتنتهى فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وهو تاريخ انتهاء انسحاب بريطانيا وفرنسا من بورسعيد .

المرحلة الثامنة : الاصرار على المؤامرة

وتبدأ من يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وهو اليوم التالى لانسحاب فرنسا وبريطانيا وهذه المرحلة لم تنته الى هذا اليوم الذى ادون لك فيه هذه الذكريات، ولكنك ستجد يابنى انه لن يصعب استنتاج ما ستكون عليه نهاية هذه المرحلة .

[ناصر . . وامريكا] .

وتكشف سطور مذكرات الرئيس انور السادات القناع عن وجه أمريكا القبيح وذلك من خلال الوعود الكاذبة ، والمحاولات التى بذلها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لكى يجعل أمريكا تتخلى عن دسائسها ومساندتها لاسرائيل ولكنها راوغت كعادتها دائما . ثم بدأت تدبر المؤامرات للقضاء على الثورة ، باستغلال أخطر اسلحة الاستعمار .. وهو العامل الاقتصادى . فعندما قامت الثورة كانت البلاد قد أشرفت فعلا على الافلاس اقتصاديا ..

فالاحتياطى كله كان قد نفذ منذ وقت طويل .

وأصبحت خزينة الدولة مدينة بأكثر من خمسة وأربعين مليونا من الجنيهات .

وكان رصيد البلاد من الذهب والعملات الخارجية فى نزول مستمر .

كل هذا بخلاف ما أشاعه الاجانب من ذعر فى السوق المصرية ، نتيجة لانسحاب الكثير من رؤوس الاموال الاجنبية بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وهنا يجب أن أقف قليلا يا بنى لكى أذكر لك أن اقتصادنا كله الى ساعة بدء العدوان على مصر فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كان فى أيدى الاجانب سواء منهم الفرنسيون والبريطانيون ، أو اليهود من مختلف الجنسيات الاخرى .

وكانت هذه السيطرة على اقتصادنا هى أفتك الاسلحة التى يمارسها الاستعمار فى مصر ، لخنق كل اتجاه نحو التحرر او الاستقلال بتجويع الشعب ، وافقاره ، واذلاله .

واستخدمت بريطانيا هذا السلاح فى مصر بنجاح طيلة اربعة وسبعين عاما .

وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ - ولم يكن قد مضى على قيام الثورة الا حوالى الستة أشهر - أقول شهدنا فى ذلك الوقت أول تجربة بريطانية لاذلال مصر بعد الثورة وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الاقتصادى .. يوم ان امتنعت بريطانيا عن شراء حصتها فى محصول القطن .. وكانت هى العميل الاول بالنسبة للسوق المصرية ، بحجة ان لدى الغزالين البريطانيين فائضا من القطن المصرى .

وبعنا قطننا للاخرين

وكان هدف بريطانيا فى ذلك الوقت ، هو ضرب الاقتصاد المصرى ضربة قاتلة .. بحرمان الخزينة المصرية من المورد الاساسى للعملة الاجنبية وبالتالى حرمان الشعب من الحصول على حاجاته الضرورية .. فاما ان تقوم ثورة جديدة ، واما ان تسلم الثورة لبريطانيا فيما تريد .. كما كان يسلم لها الملك .. وكما كان يسلم لها الزعماء والاحزاب .

ولكننا لم نسلم لبريطانيا يا بنى .. بل على العكس من ذلك ، حررنا سوقنا القطنية من احتكار بريطانيا وحلفائها من المستعمرين .

وبيع قطننا فى تلك السنة

ولايزال يباع الى اليوم لكل من يدفع ثمنه بعد ان كان محرما على مصر ان تبيع قطنها لغير بريطانيا وحلفائها .

« ومن أجل ذلك اتجهنا يا بنى من أول لحظة الى بناء اقتصاد البلاد بناء سليما على اسس صحيحة مدروسة . ثم بدأت امريكا بمخطط جديد باسم اتفاقية « الامن المتبادل » التى تقدمها امريكا للشعوب البريئة .. حينما تسعى هذه الشعوب الى طلب العون لكى تحفظ على كيانها ليست الاستعمار مباشرا صريحا .

يبدأ بالبعثة العسكرية الامريكية .. وامتيازاتها .. وسيطرتها .

وينتهى بالسيطرة الكاملة على مقدرات تلك الشعوب ، مصائرها ، وأرضها وسمائها .

وكان من نتيجة ذلك ، ان كل بلد قبلت ، او وقعت هذه الاتفاقية تعانى اليوم فراغا خطيرا فى داخلها، بين الشعوب والحكام ، ولابد أن يأتى اليوم الذى تنتصر فيه ارادة الشعوب ، فتملا الفراغ .. لان الشعوب هى الباقية اما الحكام فهم بشر والى زوال .

واتفاقية رأس المال التى تقدمها امريكا للشعوب الصغيرة الساذجة ، التى تريد ان تبنى اقتصادياتها بعرقها وكفاحها مستغلة فى ذلك فقر هذه الشعوب وحاجتها ، ليست هى الاخرى الا استعمارا .. اخبث وابشع من كل ما عرفه العالم طوال القرون الماضية على يد حلفاء أمريكا

ونحن نرى اليوم فى عام ١٩٥٧ كيف أن الدول التى وقعت فى فخ هذه الاتفاقية ، تعانى التضخم المروع .. وتواجه اكثر من ذلك كارثة محققة لان اقتصادياتها اصبحت تحت رحمة أمريكا .. وأصبحت تعيش على التسول والاستجداء .

وكما قلت لك يا بنى ، فان هذه الثورة تؤمن بالمثل وتقدس القيم ..

لذلك كان عمك جمال صريحا دائما فى شرح وجهة نظرنا لامريكا فى كل هذه الامور ، ولعل هذا هو ما أحفظها عليه .

فالسياسة الامريكية ، كالسياسة البريطانية ، تؤمن بالمساومة .. وعمك جمال يرفض المساومة كخلق وكمبدأ على السواء لان ما يراد المساومة عليه هو من صميم مصالحنا وشرفنا وسيادتنا

وبرغم رفضنا للاتفاقيتين وتفسيره الصريح لهما ، فان أمريكا لم تيأس بل عادت الى الابتسام مرة أخرى - بل الى آمال أكثر اشراقا مما بدأت به هذه المرحلة .

لقد كان يسيطر على عقلية ساسة واشنطن ورجال الحرب بعد الحرب العالمية الثانية - ولا يزال الى يومنا هذا - حلم السيطرة على الشرق الاوسط واخضاعه لاحلاف الغرب. ثم يبين انور السادات فى الفصل السابع الخلاف بيننا وبين الغرب ، وكشف القناع عن سياسة امريكا ، وهى سياسة ليست لله ولا لحق تقرير المصير ، ولا لنصرة الشعوب الصغيرة كما تقول الدعاية . وانما هى سياسة ذات اهداف محددة مرسومة ، وغايات اشد جشعا واكثر فتكا من كل ما استنبطه الاستعمار فى القرون الماضية .

فالاله فى امريكا ليس هو الله الذى عرفتنا به الكتب السماوية وارشدنا اليه الانبياء .

وانما الاله فى امريكا .. هو الدولار .

وعن طريق هذا الاله الجديد سيطرت الصهيونية العالمية سيطرة مطلقة على كل شىء فى امريكا . واصبح ضمير امريكا مشتق - للاسف - من ضمير الصهيونية الذى لا يعترف بالعدالة ، ولا بالقيم ، ولا بالحقوق .

ويروى السيد انور السادات قصة البعثة الامريكية التى تتسرب الى اى بلد يريد اسلحة ، وهذه البعثة هى الاسلوب الحديث للاستعمار الجديد ، ولكن جمال اكتشف هذا المخطط ، ورفض اى محاولة امريكية لكى تتسرب الى بلدنا . فماذا فعلوا .. لقد هاجت الصحف الامريكية أبواق الصهيونية على عمك جمال يا بنى ووصفوه بانه دكتاتور .. لانه يريد الحرية لبلاده ، فامم القناة ، واعاد للشعب المصرى حقوقه .. ولما يئسوا من صلابة عمك جمال ، لم يبق الا ان يفرضوا استعمارا جماعيا تحت اسم « اللجنة الدولية » تشترك فى هذا الاستعمار امريكا وفرنسا وتوابعهما وذيولهما الذين يعيشون على الصدقة والاستجداء .

ووقف جمال عبدالناصر ضد سياسة الاحلاف التى كانت فخا للايقاع بالبلاد النامية . وعندما فشلت كل محاولاتهم ، ارسلوا عميلهم الاول فى المنطقة وهو نورى السعيد ، ليحاول اقناع جمال عبد الناصر بالتعاون مع الغرب وان اول خطوة لذلك امضاء تحالف مع بريطانيا وامريكا ، سيكون هو سبيل الحصول على الاسلحة والحماية فى هذا العالم المضطرب .

« وكان عمك جمال صريحا واضحا يا بنى ، فقد افهم السيد نورى السعيد ان مصر لا ترفض تعاون الند للند القائم على المساواة التامة ، ولن تتحقق هذه المساواة التامة ونحن ضعفاء والطرف الاخر قوى ، فالتعاون فى هذه الحالة معناه تحكم الغرب فينا ، كما كان يحدث فى الماضى .

اما مبدأ الاحلاف فقد رفضه عمك جمال يا بنى من اساسه لان هذه هى السياسة التى يؤمن بها شعب مصر حتى من قبل الثورة » .

ثم تكشفت بعد ذلك المؤامرة التى كان يتم طبخها فى امريكا وانجلترا منذ وقت طويل ، حين اعلن نورى السعيد ميلاد « حلف بغداد » وظنت امريكا وانجلترا ان مصر ستستلم ، او انها لن تفطن الى اهداف هذا الحلف ولكن جمال عبد الناصر ، عارض هذا الحلف ووقف ضده لعدة اسباب :

اولا : ان صانعى هذا الحلف هم الذين صنعوا أسرائيل ، وهم الانجليز والامريكان . واسرائيل كما يقولون عنها انها وجدت لتبقى ، اى انها فى نظرهم دولة من دول الشرق الاوسط . فقبول الدخول فى هذا الحلف معناه اعتراف كامل باسرائيل من ناحيتنا .

ثانيا : ان الشعب المصرى يرفض كمبدأ . . . الدخول فى الاحلاف ايا كانت .

ثالثا : اننا دولة قد تخلصت من السيطرة الاجنبية التى عطلت الشعب وتقدمه ، وتحاول ان تبنى نفسها من جديد على اسس عصرية .

مساومات الشرف

ويحلل السيد انور السادات العلاقات الدولية بين امريكا والغرب مع العرب فيقول : « ستعلم يا بنى ان البشرية تجتاز محنة عصيبة فى زماننا هذا على يد حلفاء الغرب وامريكا بالذات. فاما ان يخضع الناس لهم بالحديد والنار ، واما ان يساوموا الناس على شرفهم بالذهب والدولار . وكان ان وقع العدوان الاسرائيلى على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ . وقد وصف مجلس الامن هذا العدوان بأنه « عدوان وحشى ومدبر » ، واعلنت حكومة اسرائيل بعد ذلك فى تحد وخيلاء انها دبرت هذا العدوان ، وبرغم كل هذا لم تحرك امريكا ساكنا .. ومرت المسألة برغم قرار مجلس الامن كما لو كان امرا عاديا .

وكان هذا العدوان نهاية تاريخ ، وبداية تاريخ جديد لمصر . فبعد ان سافر جمال عبد الناصر فى مايو ١٩٥٥ الى باندونج لتمثيل مصر فى ذلك المؤتمر التاريخى ، وهناك اعلن سياسة مصر التى تقوم على الحياد الايجابى ، والاعتراف بحق تقرير المصير .

الإفتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء
بريد التعارف

أنت تسأل ؟ والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد الفحام

س ١ : من م . ع . جندى مؤهلات .. زفتى غربية .

يقول : انه تقدم لخطبة فتاة .. وفى فترة الخطوبة أخبرته والدته بأنها معترضة على هذه الخطبة لان ابنها هذا قد رضع من والدة العروسة فسأل والدة الفتاة عن واقعة الرضاع فنفت ذلك بشدة . ونسبت حادثة الرضاعة الى شقيقتها الصغرى وعلى ذلك تم الزواج .. وبعد سبعة أعوام .. وأثناء جلسة صفاء اعترفت له والدة زوجته بأنه قد رضع منها على الاخت الكبرى لزوجته وأنها تذكرت ذلك الان ولما أخبرها بنتيجة ذلك قالت : هل ترميها بأولادها ؟ .. ويقول السائل ان هذا الزواج قد أثمر أربع أبناء .. فماذا يفعل ؟

الجواب :

اذا صح ما أخبرت به والدة الزوجة .. والظاهر أنه صحيح .. فعليك أيها السائل أن تسألها متى تم هذا الرضاع وما عدد الرضعات التى رضعتها منها فان كان الرضاع فى مدته المعتبرة شرعا وهى السنتان الاوليان من عمر الطفل ، وكانت قد أرضعتك خمس رضعات فأكثر فقد حرمت عليك زوجتك لانك أخوها من الرضاعة وعليكما أن تفترقا فورا .. ويجب فسخ العقد ونسبة الاولاد اليكما صحيحة شرعا وأما اذا كان الارضاع بعد السنتين الاوليين فان الزواج صحيح اجماعا أو كان عدد الرضعا تأقل من خمس رضعات مشبعات فان هذا الزواج صحيح على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه .. وفى احدى الروايات عن الامام أحمد وهذا هو المفتى به والله أعلم .

● ● ●

س ٢ : من عبد الناصر جابر حسنين ـ بالتعليم الفنى

يريد أن يعرف ما هى الصلاة الوسطى الواردة فى قول الله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ؟

الجواب :

للعلماء فى تعيين الصلاة الوسطى آراء كثيرة .. منها :

١ ـ أنها صلاة الظهر لوقوعها فى وسط النهار .

٢ ـ أنها صلاة العصر لانها بين صلاتين نهارا « الصبح والظهر » وصلاتين ليلا « المغرب والعشاء » وذلك مروى عن على والحسن وابن عباس وابن مسعود وكثير غيرهم ٠

٣ ـ أنها صلاة المغرب لانها وسط بين الطول والقصر ٠

٤ ـ أنها صلاة العشاء لانها بين صلاتين لا يقصران ـ المغرب والصبح ٠

٥ ـ أنها صلاة الفجر لانها بين صلاتى الليل والنهار ولانها صلاة لا تجمع مع غيرها ٠٠ فهى منفردة بين مجتمعين ٠٠ وهذا مروى عن معاذ وجابر وعطاء وعكرمة ٠٠ ومجاهد ٠ وقيل غير ذلك ٠

والاكثرون صححوا أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر ـ لما أخرج مسلم من حديث على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب : « **شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا** » ٠ وخصت بالذكر لانها تقع فى وقت اشتغال الناس لا سيما العرب ٠ راجع الالوسى فى تفسير هذه الاية ، « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » جـ ٢ ٠

●●●

س ٣ : من هـ ٠ ع ٠ الاسكندرية ٠

تقول : حدث نزاع بينها وبين زوجها وأثناء النزاع قال لها : أنت طالقة أنت طالقة ٠٠ أنت طالقة ٠٠ ثلاث مرات ٠ فهل وقع الطلاق أم لا ؟ وهل تعتبر طلقة واحدة أم ثلاث طلقات لا رجوع بعدها ؟

الجواب :

هذا الطلاق منجز وليس معلقا على شىء فهو طلاق واقع قولا واحدا وباجمال الفقهاء وهو يعتبر طلقة واحدة وان نطق به الزوج ثلاثا لانه فى مجلس واحد ٠٠ فالتكرار تأكيد للطلاق فيكون طلقة واحدة طبقا للمادة الثالثة والخامسة من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩ م المعمول به فى محاكم الاحوال الشخصية ٠

وللزوج أن يراجع زوجته ما دامت فى العدة ما لم تكن هذه الطلقة مسبوقة بطلقتين فان كانت مسبوقة بطلقتين فان هذه الطلقة تكون مكملة للثلاث فيكون الطلاق بائنا بينونة كبرى فلا تحل الزوجة لزوجها الا بعد أن تتزوج زوجا آخر زواجا صحيحا ويدخل بها الزوج الثانى دخولا حقيقيا فاذا طلقها الزوج الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه حل زواجها من الاول ، قال تعالى : « **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** ! ٠

●●●

س ٤ : من س ٠ م ٠ ع ٠ السودان ـ أمدرمان ٠

يقول : تزوج رجل امرأة وانجب منها ولدا وبنتا ؟ وتوفيت الزوجة وتزوج باخرى وانجب منها ثلاثة أولاد ولدا وبنتين : وتوفيت الزوجة الثانية : وأخيرا توفى الرجل وترك أولاده المذكورين ويريد معرفة نصيب الاولاد الذكور والاناث فى تركة أبيهم ؟

الجواب :

اذا لم يكن للمتوفى وارث آخر سوى أولاده المذكورين فان تركته كلها لاولاده الخمسة تعصيبا

للذكر ضعف الانثى فاذا كانت التركة ٢٤ سهما ، ولما كان الولد ضعف البنت والقسمة حينئذ على سبعة فان أسهم التركة تضاعف الى ١٦٨ سهما يخص كل بنت من البنات الثلاث ٢٤ سهما من ١٦٨ ويخص كل ولد ٤٨ سهما من ١٦٨ سهما ـ والله أعلم ٠

● ● ●

س ٥ : من نفس السائل ٠

يقول : رجل تزوج امرأة وعاش معها أكثر من عشر سنوات أنجب منها خلالها ابنتين فقط وتركها معلقة بدون طلاق وتزوج باخرى ويعيش مع الزوجة الثانية ٠٠ ومضى على ذلك أكثر من ثلاثين عاما كان خلالها يرسل لزوجته الاولى نفقات البنتين فقط حتى تزوجتا فقطع ما كان لوالدتهما ورغم طول هذه المدة وعدم معيشته مع زوجته الاولى ولا الانفاق عليها فان زوجته أبت أن ترفع ضده شكوى بطلب الطلاق طول هذه المدة ويطلب السائل معرفة ما اذا كان هذا الرجل يرث هذه الزوجة لو توفيت ؟

الجواب :

ما لم يقع الطلاق بين الزوج وزوجته فان للزوج حقه فى ميراث زوجته اذا توفيت وزوجها على قيد الحياة حتى ولو كان يعيش بعيدا عنها طالت مدة بعده عنها أم قصرت أنفق عليها أو لم ينفق لان الميراث مرتبط ببقاء الزوجية بينهما وليس مرتبطا بالمعيشة معا ولا بانفاق الزوج على زوجته ـ قال تعالى : **« ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين » ٠**

● ● ●

س ٦ : من ع ٠ م ٠ م ٠ البيضاء ـ المغرب

يقول : ان زوجته امتنعت عن فعل شىء فقال لها : « غدا سأذهب بك الى منزلكم » يقول حدث هذا ليلا وفى اليوم التالى ترددت هل نويت بذلك الطلاق أم لا ؟ وأخذته الحيرة وفكر فى اجراء عقد جديد مع زوجته ، لانه لو كان طلاقا فانه يكون بائنا اذ أنه لم يدخل بزوجته كما يقول ٠

الجواب :

هذه العبارة التى وردت فى سؤال السائل هى « غدا سأذهب بك الى منزلكم » ليست من ألفاظ الطلاق الصريح أو الكنائى فلا يقع بها شىء ولا أثر لهذا الشك الذى انتاب السائل ولا معنى لهذه الحيرة التى يعيش فيها وليس هناك ما يدعو الى اجراء عقد جديد ـ والله أعلم ٠

● ● ●

س ٧ : من محمد محمد عوض الله ـ نظارة الروضة بمركز المحمودية بحيرة ٠

يقول : رضعت مع ابن خالتى وتزوجت أخته الصغيرة عنه فى السن منذ عام تقريبا وقد أخبرنى بعض الناس بان هذا الزواج حلال واخبرنى البعض الاخر بانه حرام فانا حائر بين هذين الرأيين واذا كان هذا الزواج حراما فما حكم الاسلام فى العشرة التى قضيتها مع زوجتى ؟

الجواب :

لم يبين السائل ما اذا كان رضاعه هذا من خالته أم زوجته أم من غيرها ؟ فان كان الرضاع من غيرها فلا اثر له والزواج صحيح أما اذا كان الرضاع من خالته والدة زوجته فان كان فى السنتين الاوليين من عمره وكان خمس رضعات فأكثر فقد أصبح أخا من الرضاع لجميع أولادها فيحرم عليه الزواج من أى بنت من بناتها وعليه فى هذه الحالة أن يفترق عن زوجته فورا لانه أخوها من الرضاع ويجب فسخ العقد ونسأل الله أن يغفر له هذا الخطأ ان كان قد تزوج ولم يعلم بهذه العلاقة واذا كانت زوجته قد حملت منه فالولد منسوب اليهما شرعا ٠

فان كان رضاعه من خالته بعد السنتين الاوليين من عمره فلا يثبت التحريم بهذا الرضاع لانه حدث بعد مدة الرضاع المعتبرة وهى السنتان الاوليان من عمر الطفل ٠

وان كان عدد الرضعات أقل من خمس فلا يثبت التحريم فى مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وفى احدى الروايتين عن الامام أحمد رضى الله عنه وذلك هو المفتى به وعليه فيكون الزواج صحيحا ـ والله أعلم ٠

● ● ●

س ٨ : من عبد الغنى هليل عسل ـ بادكو مركز رشيد ٠

يقول : توفيت زوجتى وأردت أن أعقد قرانى على أختها بعد أسبوعين فامتنع المأذون بحجة أن هناك عدة

للزوج أى أربعة أشهر وعشرة أيام أرجو افادتى عن الحكم شرعا ؟

الجواب :

عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام انما هى للزوجة اذا مات زوجها . قال تعالى : « **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** » .

أما الزوج فاذا ماتت زوجته فله أن يتزوج من يشاء فى أى وقت يشاء وليس هناك مدة ينتظرها الزوج – شرعا – اذا ماتت زوجته .

وكذلك الامر اذا طلق الزوج زوجته فان له أن يتزوج غيرها فور طلاقها الا اذا أراد أن يتزوج بأختها أو خالتها أو عمتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها من أولئك اللائى يحرم الجمع بينهن فاذا طلق زوجته طلاقا رجعيا فلا يحل له أن يتزوج واحدة من هؤلاء المذكورات الا بعد انقضاء عدة المطلقة بثلاث حيضات – ان كانت من ذوات الحيض أو بمرور ثلاثة أشهر ان كانت آيسا أى من اللاتى لم يحضن أو بوضع الحمل ان كانت حاملا – والله أعلم .

●●●

س ٩ : من عبد الحميد محمد ابراهيم – من قنا .

يقول : زوجتى توفيت والدتها قبل جدتها ثم توفيت الجدة بعد ذلك سنة ١٩٥٢ م وخلفت أخا شقيقا وبنتا هى خالة زوجتى ثم توفيت هذه الخالة سنة ١٩٦٧ م وتركت ابنا وبنتين – فأرجو أن أعرف هل لزوجتى أن ترث فى منزل تركته الجدة .. واذا كانت ترث فما نصيبها ونصيب كل من ابن وابنتى خالتها وأخى الجدة ؟

الجواب :

واضح من السؤال أن الجدة توفيت سنة ١٩٥٢ م وتركت بنتها وأخاها الشقيق وبنت بنتها التى توفيت قبل وفاتها ثم توفيت البنت (خالة زوجة السائل) سنة ١٩٦٧ م وتركت ابنا وبنتين .

فاذا كان الامر كذلك فان لزوجة السائل فى تركة جدتها المتوفاة نصيب أمها لو كانت حية ، وصية واجبة . فى حدود الثلث طبقا للمادة ٧٦ من القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ م ولمعرفة نصيب هذه البنت تفرض أمها على قيد الحياة حين وفاة جدتها فيكون للمتوفاة بنتان وأخ شقيق وللبنتين فى هذه الحالة الثلثان بالتساوى بينهما فيكون للمتوفاة ثلث التركة يعطى كله لابنتها وصية واجبة والباقى يقسم بين الخالة : بنت الجدة وبين أخى الجدة الشقيق للبنت النصف فرضا وللاخ الشقيق الباقى تعصيبا .

أما أولاد الخالة وهم الابن والبنتان الذين توفيت أمهم سنة ١٩٦٧ م فميراثهم فى تركة أمهم فقط ولا شىء لهم فى تركة جدتهم لان أمهم هى صاحبة الحق فى ميراث جدتهم ، فاذا لم تترك أمهم أحدا من الورثة سواهم فان جميع تركتها لاولادها المذكورين تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين – والله أعلم .

●●●

س ١٠ : من أ . د . أ . من الزقازيق

يريد شاب الزواج من فتاة فأخبرته والدته بأنه رضع من أمها مع أختها الكبرى أكثر من خمس رضعات فهل يحق له الزواج منها .

الجواب :

كثيرا ما أجبنا على مثل هذا السؤال فاذا صح أن هذا الشاب رضع من أم الفتاة التى يريد الزواج بها خمس رضعات فأكثر فان زواجه بها باطل اجماعا ولا عبرة بكون رضاعه مع الاخت الكبرى لهذه البنت لانه بهذا الرضاع أصبح ابنا لهذه المرضعة وأولادها جميعهم اخوته من الرضاع ولا يحل للرجل أن يتزوج أخته رضاعا كما لا يحل له أن يتزوج أخته من النسب ، قال تعالى : « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** » – والله أعلم .

●●●

س ١١ : من فتاة تكثر من الدعاء لامر من الامور وطلبت الرد على استفسارها فى خطاب خاص وقد أجبناها الى رغبتها وأرسلنا لها بالنصيحة المطلوبة . والله ولى التوفيق .

الرياضة .. نشاط ثقافى أيضا

الأستاذ ناصف سليم

المفهوم عن الرياضة أنها وسيلة لاعداد الجسم وتنميته ومنحه القوة ، هذا هو المفهوم الظاهر . لكن الواقع أن للرياضة جوانب اخرى لاتتعلق بتركيب الجسم ومتانته وصقله .. انها على المستوى الدولى ، نشاط ثقافى الى أقصى حد ، وفرصة للاطلاع الذى لا يتيسر بدونها ..

خطر لى ذلك وأنا اتابع ما يكتب عن الزمالك ، وريال مدريد ، ولقاؤهما هذا الاسبوع فى بطولة اوروبا لكرة السلة ، وقد جرى النظام الدولى على أساس أن مصر فى هذه اللعبة تدخل فى نطاق من منطقة اوروبا ، لقربها منها ، ولكونها ضمن دول البحر الابيض المتوسط وهو تقسيم جغرافى على أى حال ..

وجدت البرنامج يقضى بزيارة ريال مدريد للقاهرة **يوم ٢ ديسمبر وأن مهمته وان كانت تتلخص فى مباراة رياضية دولية واحدة من ٤٠ دقيقة .. الا ان هناك مهام اخرى يقوم بها لاعبو ريال مدريد من خلال رحلته الى القاهرة ، ومنها زيارة اثار مصر الفرعونية ، وآثار مصر الاسلامية ومتاحفها ، وهى فرص نادرة لم يكن تتاح الا بالرياضة وسيلة قادره على تحقيق هذا الهدف الثقافى .**

ويقضى البرنامج الدولى بأن يرد الزمالك الزيارة لريال مدريد بعد أسبوع واحد من المباراة الاولى .. يلعب الزمالك هناك يوم ١٠ ديسمبر مع نفس الفريق ، ولا شك أن الجانب الثقافى فى أسبانيا يهمنا الى أبعد حد ، بل يتساوى تماما مع الهدف الرياضى .

هناك لنا تراث اسلامى ضخم ولكن الرياضة كذلك ، هى الوسيلة الوحيدة التى تمكن هذا الوفد الرياضى من زيارة تراثنا الروحى الباقى بعضه على حاله فى اسبانيا منذ عهد الاندلس .. هناك مازالت الايات القرآنية منقوشة على حوائط ، تجلت فيها الزخرفة الاسلامية .

ولارتباط الرياضة ، بالنشاط الثقافى الى هذا الحد **أرى ألا يكون هذا الارتباط موجودا فى النشاط الخارجى والرحلات فقط ، بل لقد أصبح ضرورة فى المجال المحلى ، بمعنى أن واجب الاجهزة الرياضية ان تستعين بالمتخصصين فى الثقافات المختلفة ، فللزمالك قبل رحلته الى اسبانيا يحتاج الى استاذ تاريخ اسلامى يحاضره عن الاندلس ويعطى اللاعبين فكرة سليمة عن علاقاتنا التاريخية بهذا البلد او عن اثر العرب فى الحضارة الاوروبية من خلال الاندلس .**

فاذا قيل ان اللاعبين من الطلبة فى الجامعة والثانوى ، أو من الخريجين ، وهم ملمون بهذه النواحى الثقافية العامة قلت :

– لن أسلم بأن كل خريج على صلة بهذا اللون من الثقافة .

على أن امام فرقنا جميعا ، رحلة أهم فى سبتمبر من العام القادم الى أزمير بتركيا ، حيث نشترك فى دورة البحر الابيض المتوسط ، مع كل دول هذا الحوض المتسع .. ولست واثقا من أن كل لاعبى اللعبات المختلفة من رفع أثقال ومصارعة وكرة وسلة اللعبات المختلفة من رفع أثقال ومصارعة وكرة وسلة وطائرة ورماية وغيرها : على علم بالتاريخ الاسلامى فى تركيا ، ودور هذه الدولة الاسلامية فى هذا المجال ، ومدى انتشار الاسلام فى دول أوربا عن طريقها ..

ان هؤلاء أيضا يجب أن يزودوا بالثقافة المبسطة الضرورية ، كمثل هذه الرحلة الى جناب التفقه فى الضرورية ، كمثل هذه الرحلة الى جانب التفقه فى الشئون الاسلامية العامة . حيث يعتبر الشعب التركى الصديق كل مصرى عالما فى شئون دينه ، وحيث تعلن الحقيقة أن مصر بلد رائد للعالم الاسلامى ..

ولا نود والامر كذلك أن يكون بيننا فى هذه الرحلة لاعب ، يجهل بعض القضايا الاسلامية الواضحة ، او المسائل المعروفة من الدين بالضرورة . كذلك يصبح الالتزام بكل ما أوجبه علينا ديننا ضرورة ، وتصبح دراستنا للتقاليد التركية ضرورة .

وعندما يتحقق لنا ذلك ، نستطيع أن نقول : بأن الرياضة تثمر فى المجال الثقافى ومجال التعاون الاسلامى الذى تسعى اليه حكومات الشعوب الاسلامية فى الوقت الحاضر .

ومن هذين المثلين : الرحلة الى أسبانيا بعد أيام والرحلة الى تركيا فى العام القادم ، يتضح دور الرياضة فى المجال الثقافى .. ويظهر جليا أن اللعب فى حد ذاته وسيلة .. وليس غاية وبدونه لم تكن تحقق هذه الفرص النادرة التى تتاح لجميع فرقنا الرياضية من خلال لقاءاتهم الدولية فى الخارج أو الداخل على السواء

لذلك لم يكن عجبا ان تدخل الرياضة .. ضمن الاتفاقيات الثقافية ، مع الدول الصديقة ، وأن تكون أهم برامج هذه الاتفاقيات التى جعلت شبابنا يتنقل الى كل بقعة من هذه الارض باسم الرياضة ، **يحمل علم مصر ، ويشدو باسمها فى ميادين الرياضة ..**

مواقيت الصلاة

الأيام	شوال ١٣٩٠	نوفمبر ١٩٧٠	مغرب		عشاء		فجر		شروق		ظهر		عصر	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الاثنين	اول	٣٠	٥٥	٤	١٧	٦	٠٠	٥	٣٢	٦	٤٣	١١	٣٥	٢
الثلاثاء	٢	اول ديسمبر	٥٥	٤	١٧	٦	١	٥	٣٣	٦	٤٤	١١	٣٥	٢
الاربعاء	٣	٢	٥٥	٤	١٧	٦	٢	٥	٣٤	٦	٤٤	١١	٣٥	٢
الخميس	٤	٣	٥٥	٤	١٧	٦	٢	٥	٣٤	٦	٤٥	١١	٣٥	٢
الجمعة	٥	٤	٥٥	٤	١٧	٦	٣	٥	٣٥	٦	٤٥	١١	٣٦	٢
السبت	٦	٥	٥٥	٤	١٧	٦	٤	٥	٣٦	٦	٤٥	١١	٣٦	٢
الاحد	٧	٦	٥٥	٤	١٧	٦	٤	٥	٣٧	٦	٤٦	١١	٣٦	٢
الاثنين	٨	٧	٥٥	٤	١٧	٦	٥	٥	٣٧	٦	٤٦	١١	٣٦	٢
الثلاثاء	٩	٨	٥٥	٤	١٧	٦	٦	٥	٣٨	٦	٤٧	١١	٣٦	٢
الاربعاء	١٠	٩	٥٥	٤	١٧	٦	٦	٥	٣٨	٦	٤٧	١١	٣٦	٢
الخميس	١١	١٠	٥٥	٤	١٧	٦	٧	٥	٣٩	٦	٤٧	١١	٣٦	٢
الجمعة	١٢	١١	٥٦	٤	١٨	٦	٨	٥	٤٠	٦	٤٨	١١	٣٧	٢
السبت	١٣	١٢	٥٦	٤	١٨	٦	٨	٥	٤١	٦	٤٨	١١	٣٧	٢
الاحد	١٤	١٣	٥٦	٤	١٩	٦	٩	٥	٤١	٦	٤٩	١١	٣٨	٢
الاثنين	١٥	١٤	٥٦	٤	١٩	٦	٩	٥	٤٢	٦	٤٩	١١	٣٨	٢
الثلاثاء	١٦	١٥	٥٧	٤	٢٠	٦	١٠	٥	٤٣	٦	٥٠	١١	٣٩	٢
الاربعاء	١٧	١٦	٥٧	٤	٢٠	٦	١١	٥	٤٤	٦	٥٠	١١	٣٩	٢
الخميس	١٨	١٧	٥٧	٤	٢٠	٦	١١	٥	٤٤	٦	٥١	١١	٣٩	٢
الجمعة	١٩	١٨	٥٧	٤	٢١	٦	١٢	٥	٤٥	٦	٥٢	١١	٤٠	٢
السبت	٢٠	١٩	٥٨	٤	٢١	٦	١٢	٥	٤٥	٦	٥٢	١١	٤٠	٢
الاحد	٢١	٢٠	٥٨	٤	٢١	٦	١٣	٥	٤٦	٦	٥٢	١١	٤٠	٢
الاثنين	٢٢	٢١	٥٩	٤	٢٢	٦	١٤	٥	٤٧	٦	٥٣	١١	٤١	٢
الثلاثاء	٢٣	٢٢	٥٩	٤	٢٢	٦	١٤	٥	٤٧	٦	٥٣	١١	٤١	٢
الاربعاء	٢٤	٢٣	٠٠	٥	٢٣	٦	١٥	٥	٤٨	٦	٥٤	١١	٤٢	٢
الخميس	٢٥	٢٤	٠٠	٥	٢٣	٦	١٥	٥	٤٨	٦	٥٤	١١	٤٢	٢
الجمعة	٢٦	٢٥	١	٥	٢٤	٦	١٦	٥	٤٩	٦	٥٥	١١	٤٣	٢
السبت	٢٧	٢٦	١	٥	٢٤	٦	١٦	٥	٤٩	٦	٥٥	١١	٤٣	٢
الاحد	٢٨	٢٧	٢	٥	٢٥	٦	١٦	٥	٤٩	٦	٥٦	١١	٤٤	٢
الاثنين	٢٩	٢٨	٣	٥	٢٦	٦	١٧	٥	٥٠	٦	٥٧	١١	٤٥	٢
الثلاثاء	٣٠	٢٩	٣	٥	٢٦	٦	١٧	٥	٥٠	٦	٥٧	١١	٤٥	٢

عزيزى القارىء :

سلام الله عليك فى عيد فطرك المبارك... وسلام على أبطالنـــا الذين جاهدوا فى الله حق جهـــاده : «فمنهم من قضى نحبـــه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ..

انها الصفحات الماجده التى تسطرها دماء الشهداء ، وتسجلها مواقف الابطال ، وترويها فدائية الرجال ، وتدعمها ســواعد الرجال ، ويباركها دولاب الانتاج .

فالانتاج هو درع الامة الفولاذى ، وسبيلها الهادى سبل الرقى والتقدم والسلام ..

ومن هنا تبرز اهمية الانتاج .. ودوره المباشر فى مصير المعركة .. ويبرز الدور العظيم الذى يستطيع كل منا ان يقوم به فى موقع عمله من تصعيد للمعركة ودعم للجبهة الامامية وتحديد ساعة التحرير .. ومجلة منبر الاسلام اذ تحيى الامة العربية والاسلامية فى عيد الفطر المبارك ، تبتهل الى الله عز وجل ان يكون لنا عونا ونصيرا ، وان يسدد على طريق النصر خطانا

رســـالة السودان

يبعث بها الاديب الماجد الاستاذ سعيد محمد ضرار الامين العروبة مجد ونصر للاسلام : فهى معدن الدين الحق وموئل المسلمين للاستقاء من تراثهم والارتواء من كتاب ربهم وبيان نبيهم الكريم فاللغة العربية لما لها من مميزات كاملة اختارها المولى جلت قدرته لغة لكتابها الكريم ، وأمر النبى عليه الصلاة والسلام ان يبين للناس بلغته الشريفة فصارت معدن الاسلام ولغة القرآن ، وبها تتحقق وحدة المسلمين .. لقد كان خيرة علماء السلف الصالحين فى اللغة والفقه والسنة من غير العرب كأمير النحاة الفراء لانهم ادركوا حقيقة التوحيد وعملوا بنص الحديث الشريف « تعلموا العربية وعلموها الناس » ان وعيد الله حاق بالامم ، والتعارف واجب انسانى وكذلك تقترب الامم ثقافات ومعايش كما تقاربت ابعاد الارض ، واللغات هى مادة التفاهم والالتقاء بينها : فمتى يدرك المسلمون الابرار ان الساعة تدعوهم الى التآزر والتكتل قلوبا واعية والسنا ضارعة وايادى عاملة لنصرة الحق ودحر البغى والظلم .. يا قومنا اجيبوا داعى الله ، فقد ازفت الازمة والى الله المصير فنعم المولى ونعم النصير ..

شكرا لك يا أخى على هذه الكلمة الطيبة الصادقة الخالصة .. والمجلة يسرها أن تبعث اليها بمجلاتك لتأخذ دورها فى النشر ..

رســـالة ليبيا

يبعث بها الاديب ابراهيم أعمار التلهونى

نشكر جميع الأخوة العاملين بمجلة « منبر الاسلام » لما يقدموه لنا فيها من مواضيع فى علوم الدين ولاعتنائهم بتوزيعها فى جميع أنحاء العالم العربى .. والمجلة الدينية الوحيدة التى اقرأها فى ليبيا ويشاركنى فى ذلك جميع المعارف والزملاء — هى مجلة — منبر الاسلام لاعجابنا بمواضيعها وتبويبها غاية الاعجاب وخاصة ما تقدمه من هدية المنتخب من السنة النبوية الشريفة ومجلة الطفل المسلم التى أرجو أن يخصص بها باب للعبادات »

والمجلة اذ تشكر للاديب المفضال هذا التقدير تعاهد الله ان تبذل قصارى جهدها فى نشر الدعوة الاسلامية الخالصة والثقافة العربية ومختلف الاداب والفنون العربية وان نتجاوب ونتلاقى مع قرائها على خير ديننا ودنيانا ، هذا وستعمل مجلة الطفل على تحقيق هذه الرغبة الصادقة .. وشكرا .

رســـالة كينيا

يبعث الأديب محمـــد عمر العمودى — لاموكينيا

ص ب ٥٩ نفيدكم أننا نتسلم مجلتنا الممتازة [منبر الاسلام] وبرفقها التفسـير والمنتخب من السـنة النبوية الشريفة] ونحن اذ نشكر لكم شـعوركم الطيب وجهـودكم الجبـارة فى نشر الثقـافة الاسلامية الحية القريبة والنائية .

نسأل الله الكريم ان يحقق الهدف المنشود ويجعل هـذه المجلة نافذة المفعول حتى يتفق المسلمون فى المشارق والمغارب ، وتتحد كلمتهم ، وترفع ايدى الضراعة الى المولى القدير ان يعزز الجمهورية العربية المتحدة قلب العروبة والاسلام حتى تسترد الارض العربية السليبة من الغاصب المعتدى الاثيم ، وان يرفرف علم العروبة عاليا خفاقا ، وما ذلك على ربى بعزيز ...

والمجلة امام هذا الاجماع الصادق على ما تقدمه لقرائها من مواد دينية وعلمية وادبية تشيد بهذا النداء الى الوحدة ، الذى هو مضمون جميع الرسائل التى تصل ادارة المجلة ، والذى كان صدا صادقا للاتفاق الثلاثى بين الجمهورية العربية المتحدة ، وليبيا ، والسودان ، والذى احدث دويا عالميا كدليل قاطع على ما للوحدة من اثر فعال فى توجيه ضربة قاضية تعيد للعروبة امجادها وللانسانية حقوقها .. وصدق الله العظيم اذ يقول .. ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون صدق الله العظيم .

أعداد : فؤاد هيبة

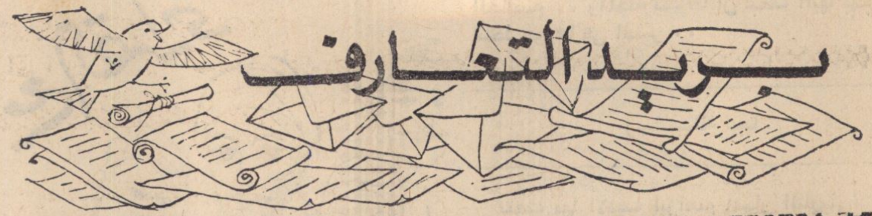

الاسم : سلمان أحمد سلمان

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب بمدرسة الحلمية الثانوية التجارية

الهوايه : المراسلة والقراءة وجمع المناظر

العنوان : ج . ع . م . شارع الجماميز ـ السيدة زينب

الاسم : محسن محمد السيد

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب بالخديوية الثانوية

الهواية : جمع الطوابع والمراسلة

العنوان : القاهرة القلعة ١٠ حارة السماكين

الاسم : ابراهيم محمد يونس

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن : ٢١ سنة

المهنة : طالب

الهواية : المراسلة

العنوان : القاهرة ص ب ١٨٠٢

الاسم : مصطفى أحمد صالح جبارى

البلد : جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب اعدادى

الهواية : القراءة والمراسلة

العنوان : جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ص ب ٤٢٧٩ كريتر

الاسم : فوضل خشة

البلد : الجمهورية الجزائرية

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب بالمرحلة الثانوية

الهواية : جمع الطوابع والموسيقى والقراءة .

العنوان : الجزائر حى العناصر عمارة ب مدخل ١١ شقة ٧ القبة

الاسم : عبد الكريم مزبانى

البلد : الجمهورية الجزائرية ـ تلمسان

السن : ١٩ سنة

المهنة : طالب

الهواية : المراسلة ومطالعة الكتب الدينية

العنوان : ١٨ش معركة فلاوسان ـ تلمسان جمهورية الجزائر

اقرأ فى هذا العدد

معالم الطريق :

نص خطاب السيد الرئيس انور السادات الى أعضاء المؤتمر القومى		٥
نص خطاب السيد الرئيس انور الساداتفى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة		٨
رسالة عبد الناصر	للسيد حسين الشافعى	١٢
حديث مع سفير نيجيريا بالقاهرة		١٦

الفقه ـ التشريع ـ الابحاث ـ الدراسات الصوفية فى الاسلام :

تفسير سورة الفاشية	الاستاذ احمد حسين	٢٠
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٥
معانى السماء فى القرآن الكريم	الدكتور احمد الحوفى	٢٨
من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها	فضيلة الشيخ محمد خاطر	٣٠
الطريق الى الله	الاستاذ احمد زين	٣٢
الفتوى فى الشريعة الاسلامية	المستشار عبد الستار آدم	٣٤
من قصص السـنة	فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم	٣٦
حق الله والمجتمع فى المال	الاستاذ عبد المنعم مغربى	٣٩
السعادة احدى ثمرات الايمان	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	٤١
الصحة البدنية والشريعة الاسلامية	فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى	٤٣
ان اكرمكم عند الله اتقاكم	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٤٧
وجود الله عز وجل	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت	٥١
دقة التشبيه فى البيان النبوى	دكتور عز الدين على السيد	٥٤
من اخلاق القرآن [التفكر]	فضيلة الدكتور احمد الشرباصى	٥٦
أسس التربية الاجتماعية	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٥٩
الصبر دفعة للامام	فضيلة الشيخ عطية صقر	٦٠
الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٦٢
مع القرآن الكريم	دكتور عبد الله شحاته	٦٦
ابو جهل وغزوة بدر	فضيلة الشيخ محمد على الطعمى	٦٨
الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام	سماحة مبشر الطرازى الحسينى	٧١
فضيلة صلة الانسان بالله	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى	٧٤
من آداب الدعاء	الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى	٧٥
الاسلام والحضارة العالمية	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	٧٧
الاسرائيليات فى التفسير والحديث	الاستاذ محمد دياب	٧٩

العيـد :

حديث العيد	دكتور على حسن عبد القادر	٨٢
عيد الفطر	دكتور مصطفى الرافعى	٨٤
جلال الذكرى فى جلال العيد	الشيخ مصطفى الحديدى	٨٦
الغائب الحاضر فى عيد الفطر	دكتور على حسنى الخربوطلى	٨٨
ذكريات العيد	الاستاذ عبد الحكيم النجار	٩٠
مظاهر العيد فى مصر الاسلامية	دكتورة سعاد ماهر	٩٢

التاريخ الاسلامى :

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه	دكتورة عنايات الطحاوى	٩٥

فكر وفن :

ناصريات للتاريخ والذكرى	دكتور عبد الغنى الراجحى	١٠٠
كيف استقبل العالم الجديد وفاة عبد الناصر	دكتور جمال الدين الرمادى	١٠٤
ثورة روحانية	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور	١٠٦

القافلة تسير	الاستاذ احمد وافى	١٠٨
مؤامرة جديدة ضد مسلمى جنوب افريقيا	الاستاذ احمد يوسف القرعى	١١٢
الكذاب وحديقة الموت	الاستاذ محمد فرج	١١٥
قصة العدد [الساعات الاخيرة]	الاستاذ حسين الطوخى	١١٧
رسل النبى ورسائله	الاستاذ على الجمبلاطى	١٢٠
بمناسبة مرور الاربعين على فقيدنا الراحل	الشاعر قاسم غالب احمد	١٢٣
جمال عبد الناصر ملحمة مصر الخالدة	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٢٤
حياة فى موت	الشاعر كامل عبد الجواد القاياتى	١٢٦
قصة العدالة	فضيلة الشيخ محمد الصاوى شعلان	١٢٧
رباعيات اسلامية	الشاعر احمد عثمان المراغى	١٢٨
عيد الفطر المبارك	الشاعر محمد خليل الخطيب	١٢٩
معلم الجيل	دكتور سالم محمد شحاته	١٣١
قراءات وطرائف	تقديم فؤاد هيبة	١٣٢
القائد والمعركة	الشاعر الشيخ حسن صالح	١٣٤
قطوف	الاستاذ على الجندى	١٣٥
العرب والجغرافيا	الاستاذ محمد فادى عسر	١٣٨
بقية معالم الطريق		١٣٩

باب العلم :

معهد ناصر للعلاج		١٤٤
دلائل الحق فى عظمة الوجود	دكتور عزت محمد خيرى	١٤٨
وفى انفسكم افلا تبصرون	دكتور عبد الحليم كامل	١٥٠

اعلام الاسلام :

السيدة فاطمة الزهراء	الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	١٥٤
القطب الكبير سيدى أحمد الرفاعى	الاستاذ جوده محمد ابو يزيد المهدى	١٥٦
عبد الرحمن بن ابى بكر	الاستاذ صلاح عزام	١٦١
موسى بن نصير	الاستاذ حسن فتح الباب	١٦٢
ابن سينا وفلسفته	الاستاذ عبد المنعم حماده	١٦٦
قتيبة بن مسلم الباهلى	الاستاذ ابراهيم محمد الفحام	١٧٠
ابو العباس القلقشندى	دكتور عبده بدوى	١٧١

المكتبة الاسلامية :

يا ولدى هذا عمك جمال مذكرات الرئيس انور السادات	عرض فتحى الابيارى	١٧٢

الافتاء المرأة المسلمة — الرياضة — القراء — التعارف :

انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر	١٧٦
الرياضة نشاط ثقافى ايضا	الاستاذ ناصف سليم	١٨٠
مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	١٨١
بريد التعارف		١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن الكريم

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى أفريقيا وآسيا وبعض دول أوروبا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع :

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة سرعة ٣٣ ½ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ : محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر :	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى :	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة سرعة ٣٣ ½ لفة فى الدقيقة

ترتيل الشيخ : محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

٧ سبع اسطوانات

المجموعة تحتوى على

الاسطوانة الأولى : شاملة الأذان

الاسطوانة الثانية : تشمل كيفية الوضوء

والخمس اسطوانات الأخرى :

على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة .

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يعلن عن بيع

مطبوعات

باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة

٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الإسلامى

٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامى

٤ مطبوعات لجنة احياء أمهات كتب السنة

٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة :

٣ : شارع الأمير قدادار

خلف عمارة بجرى بميدان التحرير القاهرة

مواعيد العمل :

من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

ومن ٦ مساء إلى ٨ مساء

العنوان : القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت : ٩١١٧٠٨

الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

مواعيد البيع : من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن ٥ - ٩ مساء ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

مطابع الاهرام التجارية